

کرت خانیہ اصفیہ سحر کار علی احمد آباد کن

۱۳۸

ادب و مقالات لکشا میر العزب جبرئیل  
الشا

۳۷

12/5/19

	141	
	1	ف
		ف
		ف

# مَقَالَات

بعض مشاهير كتاب الـ

في الانشاء

نُظُمَات

فصل في حقيقة علم الادب واقسامه واركانه

— — — — —

البحث الاول

في حد علم الادب

(عر ومعتري والحرجي والملاح خسا تصرف)

(راجع الخز الاول من علم الادب صفحة ١ من التمهيد)

علم الادب علم يختص به عن جميع انواع الخطا في كلام  
العرب لفظا وكتابة. وذات ان فائدة المحاسب والمحاورات في فقه  
العلوم واستفادتها لما لم تتبع لطايف الا بالالفاظ والكتابة  
واحوالهما كل ضبط احوالهما بما اعتنى به العلماء. فاستخرجوا من  
احوالهما علوما سموها بالعلوم الادبية لتوقف ادب الدرس عليها  
بالذات ودب النفس بالنواصة يتعرف ومن استفادهم عما في الصغار



## البحث الثاني

### في تقسيم الادب وانواع العلوم الادبية

( عن الوطواط والمخرجاني )

( راجع صفحة ٢ و ٣ من تهيد علم الادب )

الْأَدَبُ نَوْعَانِ نَفْسِيٌّ وَكَسْبِيٌّ. فَأَلْفَنَسِيٌّ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَلَيْهِ لِمَنْ يُرِيدُ  
وَهُوَ مَا كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَفْعَالِ الدَّالَّةِ عَلَى كَرَمِ الطَّبَاعِ. وَكَسْبِيٌّ  
مَا اسْتَفَادَهُ الْإِنْسُ مِنْ أَحَاسِنِ الْأَقْوَالِ الْإِخْلَاقِ بِاعْتِنَاءِ تَقْلِيدِ  
وَالْإِسْمَاعِ وَهُوَ الَّذِي تَرَجَّتْ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْوَضْعِ لِقَةِ ذِكْرِهِ فِي  
الْأَنفُسِ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ لَتَرْمُقَهُ لِأَجْلِ الْعُيُونِ بِالْإِجْلَالِ وَتَحْمَسِ  
الْأَنفُسُ بِهِ لِيَلْبِهَا إِلَيْهِ بِتَتَابُعِ الْإِذْلَالِ

وَأَمَّا تَقْسِيمُ الْأَدَبِ الْكَسْبِيِّ فَإِنَّهُ اخْتَلَفُوا فِي أَقْسَمِهِ فَذَكَرَ أَنَّ  
الْأَنْبَارِيَّ أَنَّهَا ثَمَانِيَّةٌ وَقَسَمَهُ الْعَلَامَةُ الْخُرَجَانِيُّ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ قِسْمًا  
يَعْلَمُ الْأَدَبُ أَصُولٌ وَقُرُوعٌ. أَمَّا الْأَصُولُ فَأَبْجُثُ فِي: (١) م. (٢) م. (٣) م.  
الْمُفْرَدَاتِ (٤) مِنْ حَيْثُ جَوَاهِرُهَا وَمَوَادُّهَا وَهَيْئَاتُهَا فَعِنَّمُ ثَمَانَةٌ. وَمِنْ  
حَيْثُ صُورُهَا وَهَيْئَاتُهَا فَقَطُّ فَعِلْمُ الصَّرْفِ. أَوْ مِنْ حَيْثُ تَنَاسُبِ  
بَعْضِهَا بِبَعْضٍ بِالْأَصَالَةِ وَالْفَرْعِيَّةِ فَعِنَّمُ الْإِسْتِغْنَاءُ. (٥) وَمِنْ  
الْمُرَكَّبَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. فَمِمَّا يَأْتِي بِهَا هَيْئَاتُهَا التَّزْكِيَّةُ وَتَأْدِيَةُ الْمَعْنَى  
الْأَصْلِيَّةِ فَعِلْمُ النُّحْوِ. وَمِمَّا يَأْتِي بِهَا قِلَادَتُهَا لِمَعْنَى مُعَايَرَةِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ فَعِنَّمُ  
الْمَعْنَى. وَمِمَّا يَأْتِي بِهَا كَيْفِيَّةُ تِلْكَ الْإِفَادَةِ فِي مَوَاقِفِ وَتَوْضُوحِ مَعْنَى

البيان. وعلم البديع ذيلٌ لِعِلْمِي الْمَعْنِي وَالْبَيَانِ دَلِيلٌ تَحْتَهَا. (٣) وَأَمَّا  
(عَنِ الْمَرْكَبَاتِ الْمَوْزُونَةِ). فَلَأَمَّا مِنْ حَيْثُ وَزْنُهَا فَعِلْمُ الْفُرُوضِ أَوْ مِنْ  
حَيْثُ أَوَّلُهَا فَعِلْمُ الْقَوَافِي

وَأَمَّا الْفُرُوعُ فَالْبَحْثُ فِيهَا أَمَّا أَنْ يَتَّعَلَقَ بِنُقُوشِ الْكِتَابَةِ فَعِلْمُ  
الْحُطِّ أَوْ يَخْتَصُّ بِالْمَنْظُومِ فَالْعِلْمُ الْمَسْمُوعُ بِقَرَضِ الشَّعْرِ. أَوْ بِالْمُنْثَرِ  
فَعِلْمُ الْإِنْشَاءِ. أَوْ لَا يَخْتَصُّ بِشَيْءٍ فَعِلْمُ الْمُحَاضَرَاتِ وَمِنَ التَّوَارِيخِ

### البحث الثالث

## في موضوع علم الادب واركانه

(مقدمة اس خلدون)

(راجع صفحة ٣ من تمهيد علم الادب)

هَذَا الْعِلْمُ لَا يَوْضَعُ لَهُ يُنْظَرُ فِي اثْبَاتِ عَوَارِضِهِ أَوْ نَفْيِهَا وَأَمَّا  
الْمَقْصُودُ مِنْهُ عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ تَمَرُّهُ وَهِيَ الْإِجَادَةُ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ  
وَالْمُنْثَرِ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ وَمَنَاجِيهِمْ . فَتَجْمَعُونَ لِذَلِكَ مِنْ كَلَامِ  
الْعَرَبِ مَا عَسَاهُ تَحْصُلُ بِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ شَعْرِ عَلِي الطَّبَقَةِ وَتَجْمَعُ  
مَتَسَاوٍ فِي الْإِجَادَةِ وَمَسَائِلٍ مِنَ اللَّغَةِ وَالْحَوِ مَبْنُوتَةٌ أَتْنَاءَ ذَلِكَ  
مُتَفَرِّقَةٌ يَسْتَشْرِي مِنْهَا النَّاطِرُ فِي الْأَغْلَابِ مُعْظَمَ قَوَائِنِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ  
بَعْضٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ لِيَفْهَمَ بِهِ مَا يَقَعُ فِي أَسْعَارِهِمْ مِنْهَا وَكَذَلِكَ  
ذِكْرُ أَلْهَمِ بْنِ الْأَنْسَابِ الشَّهِيدَةِ وَالْأَخْبَارِ الْعَامَّةِ . وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ  
كَلَامُهُ أَنْ لَا يَخْفَى عَلَى النَّاطِرِ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَأَسَالِيبِهِ

وَمَنَاجِي بِلَاغِهِمْ إِذَا تَصَفَّهٖ . لِأَنَّهُ لَا تَحْصُلُ الْمَلَكَةُ مِنْ حِفْظِهِ إِلَّا  
بَعْدَ فَهْمِهِ فَيُحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيمِ جَمِيعِ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُهُ . ثُمَّ أَنَّهُ  
إِذَا أَرَادُوا حَدَّ هَذَا الْقَنْ قَالَوا : الْأَدَبُ هُوَ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ  
وَأَخْبَارِهَا وَالْأَخْذُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ يَطْرَفُ بِرُيُودُونَ مِنْ عُلُومِ الْإِنْسَانِ  
أَوْ الْعَالَمِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ حَيْثُ مُتُونُهَا قَطْعٌ إِذْ لَا مَدْخَلَ بِغَيْرِ ذَلِكَ  
مِنَ الْعُلُومِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُونَ عِنْدَ كُنْفِيهِ  
بِصَنَاعَةِ الْبَدِيعِ مِنَ التَّوْرِيَّةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَتَرْسُلِهِمْ بِالْأَصْطِلَاحَاتِ  
الْعِلْمِيَّةِ . فَاحْتَاجَ صَاحِبُ هَذَا الْقَنْ إِلَى أَصْطِلَاحَاتِ الْعُلُومِ لِيَكُونَ قَائِمًا  
عَلَى فَهْمِهَا . وَسَمِعْنَا مِنْ شَيْخِنَا فِي مَجَالِسِ التَّلْمِيمِ أَنَّ أَصُولَ هَذَا الْقَنْ  
وَأَرْكَانَهُ أَرْبَعَةٌ دَوَائِرُ وَهِيَ : أَدَبُ الْكَاتِبِ لِابْنِ قَتِيْبَةٍ وَكِتَابُ  
الْكَامِلِ لِلْبُرْدِ وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالتَّنْبِيْهِ لِلْجَاحِظِ وَكِتَابُ نَوَادِرِ  
لَايِي عَلِيٍّ الْقَلَالِيِّ الْبَغْدَادِيِّ وَمَا سِوَى هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ فَتَمَّعْ لَهُ وَفَرِّعْ  
عَنْهَا وَكُتِبَ الْمُحَدِّثِينَ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ . وَكَانَ الْغِنَاءُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ  
مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا الْقَنْ لِمَا هُوَ تَابِعٌ لِلشَّعْرِ إِذَا الْغِنَاءُ إِنَّمَا هُوَ تَحْيِينُهُ .  
وَكَانَ الْكِتَابُ وَالْفَضْلُ : مِنْ الْخَوَاصِّ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ يَخْدُمُونَ  
أَنْفُسَهُمْ بِحِرْصٍ عَلَى تَحْصِيلِ أَسَالِيبِ الشَّعْرِ وَقُوَّةِ قَلَمِهِ يَكُنْ تَحِيَّةً  
قَائِمًا فِي الْعَدَالَةِ وَالْمُرُوءَةِ وَقَدْ أَلْفَ الْقَاضِي أَبُو الْقَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي  
كِتَابِهِ فِي الْأَعْلَاقِ جَمَعَ فِيهِ أَخْبَارَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهُمْ وَنَسَبَهُمْ  
وَأَيَّامَهُمْ وَدَوْلَتَهُمْ . وَجَعَلَ مَبْنَاهُ عَلَى الْغِنَاءِ فِي أَلْفَةِ صَوْتٍ أَتَتْ خُتْرَهُ  
الْمُغْنُونَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَوْعَبَ فِيهِ ذَلِكَ أَتَمَّ اسْتِعْبَابٍ وَدَوْدَهُ . وَوَعَدِي

إِنَّهُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَجَامِعُ أَشْتَاتِ الْحَاسِنِ وَالْتَّائِيحِ وَالْغَسَاءِ وَسَائِرِ  
الْأَحْوَالِ . وَلَا يُعَدُّ بِهِ كِتَابٌ فِي ذَلِكَ فِيمَا تَعَلَّمَهُ وَهُوَ الْعَايَةُ الَّتِي  
يَسْتَوْ إِلَيْهَا الْأَدَبُ وَيَقِفُ عِنْدَهَا

### البحث الرابع

#### في شرف الادب ومنافعه

( عن العالي وابن عبد ربه والموطاط )

( راجع صفحة ٢٠ من تمهيد علم الادب )

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي : الرَّجُلُ بِلَا أَدَبٍ شَخْصٌ بِغَيْرِ آلَةٍ وَجَسَدٌ  
بِلَا رُوحٍ . وَقِيلَ : الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةٌ وَأَنْفُسُهَا قِيَمَةٌ  
فَاطْلُبُوهُ فَإِنَّهُ زِيَادَةٌ فِي الْفَضْلِ وَالْتَّبَاعَةِ وَمَادَّةٌ لِلْعَقْلِ وَدَلِيلٌ عَلَى  
الْمُرُوءَةِ وَنَسَبَةٌ لِلرَّأْيِ وَالصَّوَابِ وَصَلَابَةٌ فِي الْقُرْبَةِ وَآيِسٌ فِي  
الْوَحْدَةِ وَجَمَالٌ فِي الْحَافِلِ وَصَلَةٌ فِي التَّجَالِسِ . وَإِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ  
لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يَجِبُكَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْكِرَامَةَ تَزُولُ بِذَوَالِهَا  
وَيَنْجِبُكَ إِذَا أَكْرَمُوكَ إِيْدِينَ أَوْ أَدَبٍ . قَالَ أَشَاعَرُ :

إِذَا أَلْقَى قَاتَهُ مَالٌ يُجْمَلُهُ فَنِي التَّادِبِ بِمَا قَاتَهُ خَافَ  
هُوَ اللَّيَاسُ الَّذِي لَا شَيْءَ يَعْذِلُهُ وَالْمُخَوِّدِينَ فِيهِ الْفَضْلُ وَالْشَّرَفُ  
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَبْنِي : تَادَبُوا فَإِنْ كُنْتُمْ مُلُوكًا بَرَزْتُمْ وَإِنْ  
كُنْتُمْ أَوْسَاطًا فُقُتُمْ وَإِنْ أَعْوَزَكُمْ الْمَعَاشُ عِشْتُمْ . وَقِيلَ : إِنَّ  
الْأَدَبَ يَفِيدُ الرِّغَابَ الْخَلِيلَةَ وَيُغْرِزُ بِالْعَشِيرَةِ وَيُكْتَرُ الْأَنْصَارَ لِمَعِيرِ

رَذِيَّةٌ . قَالَ يَزْجَمُهُرُ : مَنْ كَثُرَ آدِبُهُ كَثُرَ شَرْفُهُ وَإِنْ كَانَ وَضِيْعًا .  
وَبَعْدَ صِيَّتِهِ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيْبًا وَكَثُرَتْ حَوَانِجُ  
النَّاسِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيْرًا . وَقَالُوا : مَنْ دَأْبَ فِي طَرِيقِ الْأَدَبِ أَذْرَكَ  
حَلَجَتَهُ وَمَلَكَ نَاصِيَتَهُ وَبَلَّ قَدْرَهُ وَنَبَهَ ذِكْرُهُ . يَنْوِبُ الْأَدَبُ عَنْ  
النَّسَبِ وَلَا يَنْفَعُ نَسَبٌ بِلَا آدَبٍ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كَمْ مِنْ خَسِيسٍ وَضِعَ الْقَدْبَلَيْسَ لَهُ فِي الْعِرِّيَّةِ وَلَا يُنْسَى إِلَى نَسَبِ  
قَدْ صَارَ بِالْأَدَبِ الْخُجُودَ أَشْرَفَ غَالٍ وَذَا حَسْبُ تَحْضٍ وَذَا نَسَبِ  
يُعْلِي الْأَدَبُ أَقْوَامًا وَيَرْفَعُهُمْ حَتَّى يُسَادُوا ذُرِّي الْعَالِيَا . فِي الرُّتَبِ  
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الْأَعَاجِمِ يَفْتَحِرُ وَيَعْتَذِرُ :

مَا لِي عَقْلِي وَهَيْتِي حَسِي مَا أَنَا مَوْلَى وَلَا أَنَا عَرَبِي  
وَإِذَا أَنْتَى مُنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ فَإِنِّي مُنْتَمٍ إِلَى آدَبِي  
فَا لْبُسُوَا إِذَا الْأَدَبُ حُلَّةٌ وَتَرْيِئُوهُ حِلْيَةٌ فَإِنَّهُ أَنْفَقُ مَعَاشٍ وَأَجْمَلُ  
رِيَاشٍ إِنْ أَحْتَجَّمُ إِلَيْهِ كَانَ لَكُمْ مَالًا وَإِنْ اسْتَفْتَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ  
جَمَالًا

## فصل في قوى العقل الغريزية

### البحث الأول

في العقل وشرفه واصل تسميته وتقسيمه

( عن الماوردي باختصار وتصرف )

( راجع صفحة ٣ من توطئة علم الادب )

اعلم ان لكل فضيلة اُسا ولكل اُديب يتبوعا. واس الفاضائل  
ويتبوع الاداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين اصلا وللدنيا  
عمادا فاجب الدين بكماله وجعل الدنيا مديرة باحكامه والف به  
بين خلقه مع اختلاف هممهم وآرائهم . قال بعض البلغاء : العقل  
خير المواهب والجهل شر المصائب . قال ابراهيم بن حسان :  
يزين الفتي في الناس صحة عقله وان كان مخطورا عليه مكاسبه  
يشين الفتي في الناس قلة عقله وان كرمت اعراقه ومناسبه  
يعيش الفتي بالعقل في الناس انه على العقل يجري علمه وتجاربه  
وافضل قسم الله للمرأة عقله فليس من الاشياء شي يعاربه  
اذا اكمل الرحمن المرأة عقله فقد كملت اخلاقه ومآربه  
وقال مطرف : ما اوتي العبد بعد الايمان بالله تعالى افضل  
من العقل . ويقال : ما تم دين امرئ حتى يتم عقله . قال بزرجمهر :  
العقل كالنفس ان خباته عبق وان بعته تفق . وقالوا : العقل  
كودر وضعة الله طبعا وغرده في القلب كالثور في العين وهو البصر.

وَكَمَا يُدْرِكُ بِالْبَصَرِ شَوَاهِدُ الْأُمُورِ كَذَلِكَ يُدْرِكُ بِتُورِ الْعَقْلِ كَثِيرٌ  
مِنَ الْمَحْجُوبِ وَالْمُسْتَوْرِ. وَنَعَى الْقَلْبُ كَعَمَى الْبَصَرِ. قَالَ يَزِيدُ بْنُ  
الْإِنْسَانُ صُورَةٌ فِيهَا عَقْلٌ فَإِنْ أَخْطَأَهُ الْعَقْلُ وَلَزِمَتْهُ الدُّورَةُ فَيَسُ  
بِإِنْسَانٍ. قَالَ الْمُسْتَعِي :

لَوْلَا الْعَقْلُ لَكَانَ أَذَى ضَعِيفٌ أَذَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ  
وَسُئِي الْعَقْلُ عَقْلًا تَشْبِيهًُا بِعَقْلِ الْبَاقَةِ (١) لِأَنَّ الْعَقْلَ يَنْبَغُ  
الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَقْدَامِ عَلَى شَهَوَاتِهِ إِذَا قُبِحَتْ كَمَا يَنْبَغُ الْبَاقَةَ  
مِنَ الشُّرُودِ إِذَا تَفَرَّتْ. وَإِذَلِكَ قَالَ عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ : إِذَا عَقَلْتَ  
عَقْلَكَ عَمَّا لَا يَنْبَغِي فَأَنْتَ عَاقِلٌ

### البحث الثاني

## في تقسيم العقل الى غريزي ومكتسب

( عن الطواط والملاوردي )

إِعْلَمُ أَنَّ بِالْعَقْلِ تَعْرِفُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَيُفْصِلُ بَيْنَ الْحَسَنَاتِ  
وَالسَّيِّئَاتِ وَقَدْ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ غَرِيزِيٌّ وَمَكْتَسَبٌ. قَالَ الْأَوَّلِيُّ :  
الْعَقْلُ عَقْلَانِ عَقْلٌ تَفَرَّدَ اللَّهُ بِصَنْعِهِ وَهُوَ الْأَصْلُ. وَعَقْلٌ يَسْتَنْسِجُهُ  
الْمَرْءُ وَهُوَ الْفَرْعُ فَإِذَا اجْتَمَعَا قَوَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ تَقْوِيَةً  
النَّارِ فِي الظُّلْمَةِ. وَلِذَلِكَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ :  
رَأَيْتُ الْعَقْلَ عَقْلَيْنِ فَطَبُوعٌ وَتَرْبِيَةٌ

١ يُقَالُ مَقَّلَ النَّاقَةَ عَقْلًا أَيِ رَبَطَهَا فِي وَسْطِ ذِرَاعَيْهَا بِحَبْلِ وَيُسَمَّى الْحَبْلُ عَقْلًا :

فَلَا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ إِذَا لَمْ يَكُ مَطْبُوعٌ  
كَمَا لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ وَحَمَوُا أَعْيُنَ مُمْنُوعٍ \*

### البحث الثالث

## في العقل الغريزي وتعريفه

( عن الماوردي باختصار )

إِنَّ الْعَقْلَ الْغَرِيزِيَّ هُوَ الْعَقْلُ الْحَقِيقِيُّ وَلَهُ حَدٌّ يَتَعَلَّقُ بِهِ  
التَّكْلِيفُ لَا يَجَاوِزُهُ إِلَى زِيَادَةٍ وَلَا يَقْصُرُ عَنْهُ إِلَى نُقْصَانٍ . وَبِهِ

\* قد قسم الغريزي القوى العقلية الى اربعة اقسام مرجعها الى هذين القسمين  
قال: القوى العقلية اربعة اقسام. (الاول) القوة التي جافقها الانسان اليها وهي  
التي جاستعد لقبول العلوم النظرية وتدير الصناعات الفكرية فيقال انها القوة  
الغريزية جاستعد الانسان لادراك العلوم النظرية. فكما ان الحياة هي الجسم للحركات  
الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك هذه القوة الغريزية هي حياة الانسان للعلوم  
النظرية والصناعات الفكرية والحكماء يقولون لها العقل الهولاني وهي مجرد  
الاستعداد الذي هو موجود في الطفل وغير موجود في ولد البيسة. (الثاني) القوة التي  
تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز جواز الجائزات واستمالة المستحبات كما علم  
بان الاثنين اكثر من الواحد والشخص الواحد لا يكون في مكانين فيقال:  
التصورات والتصديقات الحاصلة لنفس بالفترة والحكمة يسمونه العقل بالملكة .  
( والثالث ) قوة تحصل بها العلوم المستفادة من التجارب بمجاري الاحوال فن تصف بها  
يقال انه عاقل في العادة ومن لم يتصف بها يقال انه غي غمر. فيقال لها معان مجتمعة  
في الذهن من مقدّمات تستنبط بها المصالح في الاعراض . ( والرابع ) قوة جاعرف  
حقائق الامور وعواقبها فتقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة وتحتمل المكروه  
العاجل لسلامة الآجل . فاذا حصلت هذه القوة يسمى صاحبها عاقلا من حيث ان  
اقدامه واحكامه بحسب ما يقتضيه انتظر في انواق لا بحكم الشهوة العاجلة. والاولان  
بالطبع والاخيران بالاكتساب



يُمَازَ الْإِنْسَانُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ فَإِذَا رَمَّ فِي الْإِنْسَانِ شَيْءٌ أَقْلًا  
وَخَرَجَ بِهِ إِلَى حَدِّ الْكَمَالِ كَمَا قَالَ صَالِحٌ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :  
إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمُرْدُ تَمَّتْ أُمُورُهُ وَتَمَّتْ أَمَانِيهِ وَتَمَّ بَرُّهُ  
وَلتَخْتَلِفَ النَّاسُ فِي حَدِّ الْعَقْلِ وَفِي صِفَتِهِ عَلَى مَذَاهِبَ ثَنِي فَقُلْ  
قَوْمٌ : هُوَ جَوْهَرٌ لَطِيفٌ يُفَصَّلُ بِهِ بَيْنَ الْحَقَائِقِ الْمَعْلُومَاتِ .. وَهَذَا  
الْقَوْلُ فِي الْعَقْلِ بِأَنَّهُ جَوْهَرٌ لَطِيفٌ قَائِدٌ وَنَ وَجِيهٌ : ( أَحَدُهُمَا )  
أَنَّ الْجَوَاهِرَ مُتَابِلَةٌ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُوجِبَ بَعْضُهَا مَا لَا يُوجِبُ سَائِرُهَا  
وَلَوْ أَوْجَبَ سَائِرُهَا مَا يُوجِبُ بَعْضُهَا لَأَسْتغْنَى الْعَقْلُ بِوُجُودِ نَفْسِهِ عَنْ  
وُجُودِ عَقْلِهِ (١) . (وَالثَّانِي) أَنَّ الْجَوَاهِرَ يَصِحُّ قِيَامُهُ بِدَائِهِ فَالْوَكَلُ أَلَهُ ثَلَاثُ  
جَوْهَرًا لَجَزَاءِ أَنْ يَكُونَ عَقْلٌ بِغَيْرِ عَاقِلٍ كَمَا جَازَ أَنْ يَكُونَ جِسْمٌ بِغَيْرِ  
عَقْلٍ . فَامْتَنَعَ يَهْدِيْنِ أَنْ يَكُونَ الْعَقْلُ جَوْهَرًا . وَقَالَ آخَرُونَ : أَمَّا  
هُوَ الْمَذْرُوكُ لِلْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ حَقَائِقِ الْمَعْنَى . وَهَذَا الْقَوْلُ  
وَأَنْ كَانَ أَقْرَبَ بِمَا قَبْلَهُ قَبِيحٌ مِنَ الصَّوَابِ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ وَهُوَ :  
أَنَّ الْإِذْرَاكَ مِنْ صِفَاتِ الْحَيِّ (٢) وَالْعَقْلُ عَرَضٌ يَسْتَحِيلُ ذَلِكَ وَمَا كَانَ  
يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مُتَلَدِّذَا أَوْ أَلْمَا أَوْ مُشْتَبِهًا (٣) . وَقَالَ آخَرُونَ مِنْ

(١) يُرِيدُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْعَقْلُ جَوْهَرًا مُخْتَلَفًا عَنْ جَوْهَرِ انْفِصَالٍ مَلَامَةً لَهُ لَمْ يَكُنْ فِي

جَمِيعِ أَجْزَائِهِمَا لَأَنَّ الْعَقْلَ سَيِّطَانٌ مُتَابِلٌ فِي ذَلِكَ وَإِذَا تَمَّ الْإِنْفِصَالُ كَانَ جَوْهَرُ  
الْعَقْلِ وَجَوْهَرُ الْعَقْلِ وَاحِدًا فَيَسْتغْنَى الْإِنْسَانُ عَنْ عَقْلِهِ بِوُجُودِ نَفْسِهِ وَهَذَا الْقَوْلُ

(٢) يُرِيدُ هَاهُنَا الْإِذْرَاكَ عَلَى مَا حَدَّهُ الْحُكَمَاءُ بِمُتَابِلَةِ حَقِيقَةِ اشْتِيَاءٍ وَاحِدَةٍ مِنْ غَيْرِ  
حُكْمٍ عَلَيْهِ أَوْ أَتَابَتْ وَبُسْمَى أَيْضًا التَّصَوُّرَ وَهَذَا يَعْنِي كُلَّ حَيْثُ لَا يَخْتَصِرُ إِلَّا بِالْإِنْفِصَالِ

(٣) أَيِ أَنَّ الْعَقْلَ لَا يُمْكِنُ إِدْرَاكَ هَذِهِ الْحَزَنَاتِ كَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُتَلَدِّذَا  
أَوْ أَلْمَا أَوْ مُشْتَبِهًا . لِأَنَّ اللَّذَّةَ وَالْأَمَّ وَالتَّهْوَةَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْمَذْرُوكِ

الْمُسْكِلِينَ : الْعَقْلُ هُوَ حَلَّةٌ كُلُّهُمِ ضَرُورِيَّةٌ . وَهَذَا الْحَدُّ غَيْرُ مَحْصُورٍ  
لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْأَجْمَالِ وَيَتَأَوَّلُهُ مِنَ الْإِحْتِمَالِ . وَلِلْحَدِّ إِنَّمَا هُوَ بَيَانُ  
الْمَحْذُودِ بِمَا يَنْفِي عَنْهُ الْأَجْمَالُ وَالْإِحْتِمَالُ . وَقَالَ آخَرُونَ وَهُوَ الْقَوْلُ  
الصَّحِيحُ : إِنْ الْعَقْلُ هُوَ الْعِلْمُ بِالْمَذْرُكَاتِ الضَّرُورِيَّةِ . وَذَلِكَ تَوْعَانِ :  
أَحَدُهُمَا مَا وَقَعَ عَنْ دَرَكِ الْخَوَاسِ وَالثَّانِي مَا كَانَ مُبْتَدِئًا فِي النُّفُوسِ .  
فَأَمَّا مَا كَانَ وَاقِعًا عَنْ دَرَكِ الْخَوَاسِ فَمِنْهُ الْمُرَيَّاتِ الْمَذْرُكَةِ بِالنَّظَرِ  
وَالْأَصْوَاتِ الْمَذْرُكَةِ بِالسَّمْعِ وَالطُّعُومِ الْمَذْرُكَةِ بِالذَّوْقِ وَالرَّوَائِحِ  
الْمَذْرُكَةِ بِالسَّمِّ وَالْأَجْسَامِ الْمَذْرُكَةِ بِاللَّمْسِ . فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ  
يَمُنُّ لَوْ أَدْرَكَ بِمَجَاسِيهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ تَبَتَ لَهُ هَذَا النَّوعُ مِنَ الْعِلْمِ .  
لِأَنَّهُ خُرُوجُهُ فِي حَالِ تَغْيِيسِ عَيْنِهِ مِنْ أَنْ يَذْرَكَ بِهِمَا وَيَعْلَمَ لَا يَخْرُجُهُ  
مِنْ أَنْ يَكُونَ كَامِلَ الْعَقْلِ مِنْ حَيْثُ عِلْمٌ مِنْ حَالِهِ أَنْ لَوْ أَدْرَكَ  
لَعِلِمَ . وَأَمَّا مَا كَانَ مُبْتَدِئًا فِي النُّفُوسِ فَكَأَلْعِلْمِ بِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يَخْلُو  
مِنْ وُجُودٍ أَوْ عَدَمٍ . وَأَنَّ الوجودَ لَا يَخْلُو مِنْ حَدُوثٍ أَوْ قَدَمٍ .  
وَأَنَّ مِنَ الْحَالِ اتِّجَاعَ الصِّدِّيقِينَ . وَأَنَّ الْوَاحِدَ أَقْلٌ مِنَ الْإِنْتَيْنِ .  
وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْعِلْمِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَنْفِي عَنِ الْعَاقِلِ مَعَ سَلَامَةِ حَالِهِ  
وَكَمَالِ عَقْلِهِ . فَإِذَا صَارَ عَالًا بِالْمَذْرُكَاتِ الضَّرُورِيَّةِ مِنْ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ  
فَهُوَ كَامِلُ الْعَقْلِ

الانساني . ولإدراك العقل يتصحي ان محرّد مادّة غير المحسوسات ومعدا - يصعده  
العقل بالعمل فتنتقل المعرّفات بذلك الى حالة اكليّات

## البحث الرابع في العقل المكتسب ( عن الماوردي )

إِنَّ الْعَقْلَ الْمَكْتَسَبَ هُوَ نَتِيجَةُ الْعَقْلِ الْغَرِيزِيِّ وَهُوَ نَهَايَةُ  
الْعُرْفَةِ وَصَحَّةُ السِّيَاسَةِ وَرَاصَةُ الْفِكْرَةِ وَأَمْسَ لِهَذَا حَدُّ لَانَهُ يُنْسَبُ  
إِنْ اسْتَعْمِلَ وَيَنْقُصُ إِنْ أَهْمِلَ . وَغَاوُهُ يَكُونُ بِأَحَدِ وَجْهَيْنِ :  
( الْوَجْهُ الْأَوَّلُ ) بِكَثْرَةِ الْأَسْتِعْمَالِ إِذَا لَمْ يَتَارَضْهُ مَا نَعَى مِنْ هَوَى  
وَلَا صَادٍّ مِنْ شَهْوَةٍ كَالَّذِي يَنْصَلُّ لِذَوِي الْأَسْنَانِ مِنَ الْحُكْمَةِ وَصَحَّةِ  
الرَّوْيَةِ لِكَثْرَةِ التَّجَارِبِ وَمُمَارَسَةِ الْأُمُورِ . وَلِذَلِكَ حَمَدَتْ الْأَعْرَابُ  
آرَاءَ الشُّيُوخِ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ : الْمَشَاحِجُ أَشْجَارُ الْوَقَرِ . وَنَاجِعُ  
الْأَخْبَارِ . لَا يَطْلِسُ لَهُمْ سَهْمٌ . وَلَا يَسْقُطُ لَهُمْ وَهْمٌ . إِنْ رَأَوْكَ فِي  
قَبِيحِ صَدُوكَ . وَإِنْ أَبْصَرُوكَ عَلَى جَمِيلِ أَمَدُوكَ . وَقِيلَ : عَايَنَكُمُ  
بِأَرَاءِ الشُّيُوخِ فَإِنَّهُمْ إِنْ فَقَدُوا ذِكَاءَ الطَّبَعِ فَقَدْ مَرَّتْ عَلَى عَيْنِهِمْ  
وُجُوهُ الْعَبِيرِ . وَتَصَدَّتْ لِأَسْمَاعِهِمْ آثَارُ الْعَبِيرِ . وَقِيلَ فِي مَثُورِ  
الْحِكْمِ : مَنْ طَالَ عَمْرُهُ نَقَصَتْ قُوَّةُ بَدَنِهِ وَزَادَتْ قُوَّةُ عَقْلِهِ . وَقَالَ  
فِيهِ : لَا تَمُدَّ الْأَيَّامَ جَاهِلًا إِلَّا أَدَبْتُهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :  
كَفَى بِالْتَّجَارِبِ تَأْدِيبًا وَتَقْلِبَ الْأَيَّامِ عِظَةً . وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَلْسَفَةِ :  
الْجُرْبَةُ بَرَاءَةُ الْعَقْلِ . وَالْفِرَةُ ثَمَرَةُ الْجَهْلِ . وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبِيِّينَ :  
كَفَى مُخْجَرًا عَمَّا بَقِيَ مَا مَضَى وَكَفَى عَبْدًا لِأَوَّلِي الْأَلْيَابِ مَا جَرَّبُوا . وَمِنْ  
بَعْضِ الشُّعَرَاءِ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَقْلَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ وَلَكِنَّ تَأَمُّ الْعَقْلِ طَوْلُ الْحُجَارِبِ  
وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا طَالَ عُمُرُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ آفَةٍ أَفَادَتْ لَهُ الْآيَامُ فِي كَرِّهَا عَقْلًا  
(وَأَمَّا الْوَجْهَ الثَّلَاثِي) فَقَدْ يَكُونُ بِفَرْطِ الذِّكَاوِ وَحُسْنِ الْفِعْطَةِ  
وَذَلِكَ جُودَةُ الْحَدْسِ فِي زَمَانٍ غَيْرِ مُهْمَلٍ لِلْحَدْسِ . فَإِذَا أَمْتَرَجَ بِالْعَقْلِ  
الْعَرَبِيَّ صَارَتْ تَنْجِيهُهُمَا نُمُو الْعَقْلِ الْمَكْتَسَبِ . كَالَّذِي يَكُونُ فِي  
الْأَحْدَاثِ مِنْ وَفُورِ الْعَقْلِ وَجُودَةِ الرَّأْيِ حَتَّى قَالَ هَرَمٌ بِنُ قُطْبَةَ حِينَ  
تَنَافَرِ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِيِّ وَعَلَقَمَةُ بْنُ عَلَاتَةَ: عَلَيْكُمْ بِالْحَدِيثِ  
الْتِسَرِّ . الْحَدِيدِ اللَّذِينَ . وَلَقُلْ هَرَمًا أَرَادَ أَنْ يَدْفَعَهُمَا عَنْ نَفْسِهِ  
فَاعْتَذَرَ بِمَا قَالَ . لَكِنْ لَمْ يُنْكِرُوا قَوْلَهُ إِذْ عَانَا لِلْحَقِّ فَصَارَا إِلَى أَبِي  
جَهْلٍ لِحِدَاثَةِ بَيْنِهِ وَحِدَّةِ ذَهَبِهِ . فَأَبَى أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمَا فَوَجَعَا إِلَى  
هَرَمٍ فَحَكَمَ بَيْنَهُمَا . وَفِيهِ قَالَ لَيْدٌ:

يَا هَرَمُ ابْنَ الْأَكْرَمِينَ مَنْصِبًا إِنَّكَ قَدْ أُوتِيتَ حُكْمًا مُغْبِيًا  
وَقَدْ قَالَتِ الْعَرَبُ: عَلَيْكُمْ بِمُشَاوَرَةِ الشَّبَابِ فَإِنَّهُمْ يَتَحَوَّنُونَ  
رَأْيَا لَمْ يَنَاهَ طَوْلُ الْقَدَمِ . وَلَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ رُطُوبَةُ الْهَرَمِ . وَقَدْ  
قَالَ الشَّاعِرُ:

رَأَيْتُ الْعَقْلَ لَمْ يَكُنْ أَتْيَابًا وَلَمْ يُقْسَمْ عَلَى عَدَدِ السِّنِينَ  
وَلَوْ أَنَّ السِّنِينَ تَقَاسَمَتْهُ حَوَى الْأَمَاءُ أَنْصَبَ الْبَيْنَا  
وَحَكَى الْأَضْمَعِي قَالَ: قُلْتُ لِغُلَامٍ حَدَّثَ مِنْ أَوْلَادِ الْعَرَبِ  
كَانَ يُجَادِئُنِي فَأَمْتَعَنِي بِفَصْلَةٍ وَمَلَاخَةٍ: أَيْسُرُكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ

مِثْلُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَنْتَ أَحَقُّ . قَالَ : لَا . قَالَ : قُلْتُ : وَلَمْ . قَالَ :  
 أَخَافُ أَنْ يُخَيِّنَنِي عَلَيَّ حُمَتِي جَنَائَةً تَذْهَبُ بِمَالِي وَيَبْقَى عَلَيَّ حُمَتِي . فَأَنْتَضَرُّ  
 إِلَى هَذَا الصَّبِيِّ كَيْفَ اسْتَحْجَجَ بِفَرْطِ ذِكَايَةِ وَأَسْتَبْطِ بِجُودَةِ قَرِينَتِهِ مَا  
 لَعَلَّهُ يَدِقُّ عَلَيَّ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا وَأَكْثَرُ تَجَرِبَةً . وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا  
 الذِّكَاةِ وَالْفِطْنَةِ مَا حَكَى ابْنُ قُتَيْبَةَ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَرَّ بِصَبِيَّاتٍ  
 يَلْعَبُونَ وَفِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَهَرَّبُوا مِنْهُ . إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ :  
 مَا لَكَ لَا تَهْرُبُ مَعَ أَصْحَابِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَ أَكُنُّ عَلَى  
 رِيَّةٍ فَأَخَافُكَ وَلَمْ يَكُنِ الطَّرِيقُ ضَيِّقًا فَأَوْسَعَ لَكَ . فَأَقْلَرُ مَا تَذَنَّنَهُ  
 هَذَا الْجَوَابُ مِنَ الْفِطْنَةِ وَقُوَّةِ أَلَمَتِهِ وَحُسْنِ الْبَلِيَّةِ كَيْفَ نَفَى عَنْهُ  
 اللَّوْمَ وَاثْبَتَ لَهُ الْفِجْءَ فَلَيْسَ الذِّكَاةُ غَايَةً . وَلَا جُودَةُ أَقْرَبِيَّةٍ نَهَاةً .

### البحث الخامس

## في التصور والتمثل

( من كتاب زجر النفس لهرمس )

يَا نَفْسُ إِنَّ مُبْدِعَ الْأَشْيَاءِ وَمُنْشِئَهَا جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ  
 أَبَدَكَ وَجَعَلَكَ ذَاتَ التَّصَوُّرِ وَالتَّمَثُّلِ . قَامَا أَنْتَ وَرُفْقَاؤُكَ أَشْيَاءٌ  
 عَلَى حَقِيقَةٍ مَا أَبَدَعَهُ مُبْدِعُهُ . وَأَمَّا التَّمَثُّلُ فَتَمَثُّلُكَ مَا خَفِيَ عَنْكَ مِنْ  
 عِلْمِ الْعَقْلِ بِمَا شَهِدْتَهُ فِي عَالَمِ الْحِسِّ مِثْلًا بِشَيْءٍ وَمَعْنَى بِدَعْنَى كَمَا  
 أَنَّ تَدُلُّ ذَاتُ الصُّورَةِ الْمَطْبُوعَةِ فِي الشَّمْعِ عَلَى مَمْنَاهُ وَحَقِيقَتِهِ فِي  
 الطَّابِعِ وَكَمَا تَدُلُّ الصُّورَةُ الْمُمَثَّلَةُ فِي الطَّابِعِ عَلَى مَعْنَى حَقِيقَتِهِ فِي  
 نَفْسٍ مُثَبَّلَةٍ وَمَصَوِّرَهَا وَكَمَا يُؤَثِّرُ أَلَا : فِي الرُّقْمَانِ مَعَانِي حَرَكَاتِهِ وَتَوَجُّهِ

## البحث السادس

### الخيال والخيالي

(عن الحاج خلعاً بتصرف)

(راجع صفحة ٥ من توطئة علم الادب)

لَلْخَيَالِ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى الشَّخْصِ وَعِنْدَ الْحُكَمَاءِ يُطْلَقُ عَلَى إِحْدَى  
الْحَوَاسِ الْبَاطِنَةِ . وَهُوَ قُوَّةٌ تَحْفَظُ الصُّورَ الْمُرْتَبِئَةَ فِي الْحَسِّ الْمَشْتَرَكِ  
إِذَا غَابَتْ تِلْكَ الصُّورُ عَنِ الْحَوَاسِ الْبَاطِنَةِ . وَتَحْتَلُّ مَرَحُورَ التَّجْوِيفِ  
الْأَوَّلِ وَنَ التَّجْوِيفِ الثَّلَاثَةِ لِلدِّمَاغِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ (١) . وَاسْتَدَلُّوا عَلَى  
وُجُودِ الْخَيَالِ بِأَنَّهُ إِذَا شَاهَدْنَا صُورَةً ثُمَّ ذَهَبَتْ عَنْهَا زَمَانًا ثُمَّ نَشَاهَدُ  
مَرَّةً أُخْرَى نَحْكُمُ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي شَاهَدْنَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ . فَلَوْ لَمْ  
تَكُنْ تِلْكَ الصُّورَةُ مَحْفُوظَةً فِينَا زَمَانَ الذُّهُولِ لَأَمْتَنَعَ الْحُكْمُ بِأَنَّهَا  
هِيَ الَّتِي شَاهَدْنَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ . (وَالْخَيَالِي) يُطْلَقُ عَلَى الصُّورَةِ الْمُرْتَبِئَةِ  
فِي الْخَيَالِ الْمُنَازِيَةِ إِلَيْهِ مِنْ طَرَفِ الْحَوَاسِ . وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْمَعْدُومِ  
الَّذِي اخْتَرَعَتْهُ الْفُتَيْلَةُ وَرَكِبَتْهُ مِنَ الْأَوْدِ الْأَخْشُوسَةِ أَيْ الْمُدْرَكَةِ  
بِالْحَوَاسِ الظَّاهِرَةِ . وَبِقَوْلِنَا مِنَ الْأَوْدِ الْأَخْشُوسَةِ خَرَجَ الْوَهْمِي بِمَعْنَى  
مَا اخْتَرَعَتْهُ الْقُوَّةُ الْمُتَخَيِّلَةُ اخْتِرَاعًا صَرَفًا عَلَى تَحْوِ الْأَخْشُوسَاتِ وَبِهَذَا الْمَعْنَى  
يُسْتَعْمَلُ فِي بَابِ التَّشْبِيهِ كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَكَأَنَّ نَحْمَرَ الشَّقِيقِ مِ إِذَا حُصِبَ أَوْ صَعِدَ  
أَعْلَامُ يَاقُوتٍ نُسِرَ نَ عَلَى رِيَّاحٍ مِنْ زَبَرَجَدٍ

(١) ليس هذا الرأي بمتقرر

فَإِنَّ الْأَعْلَامَ الْيَاقُوتِيَّةَ الْمَشْهُورَةَ عَلَى الرِّمَاحِ الزَّيْجَدِيَّةِ . بِمَا لَا  
يُذَرِّكُهُ الْحُسَّ إِلَّا أَنَّ الْحُسَّ إِنَّمَا يُذَرِّكُ مَا هُوَ . مَوْجُودٌ فِي الْمَادَّةِ حَاضِرَةٌ  
عِنْدَ الْمَذَرِّكِ عَلَى هَيْئَاتٍ مَحْصُوسَةٍ تَخْصُوصَةً بِهِ . فَكَيْفَ مَادَّتُهُ الَّتِي  
يَذَرِّكُ هُوَ مِنْهَا كَالْأَعْلَامِ وَالْيَاقُوتِ وَالرِّمَاحِ وَالزَّيْجَدِ كُلِّ وَنَهْكَ  
تَحْسُوسٌ بِالْبَصَرِ

### البحث السابع

### في الحافظة

( عن الماوردي باختصار )

( راجع صفحة ٦٥ من قوطنة علم الادب )

رَبَّمَا اسْتَفْتَلَ الْمُتَعَلِّمُ الدَّرْسَ وَالْحِفْظَ وَاتَّكَلَ بَعْدَ فَهْمِ الْمَعَانِي  
عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ وَالْمُطَالَعَةِ فِيهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا  
كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةً بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِلْتِنَاعِ مِنْهُ فَلَا نَفْعَ  
الْثِقَةِ إِلَّا خَجَلًا وَالتَّفْرِيطُ إِلَّا نَدَمًا . وَهَذِهِ حَالٌ قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ  
ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : الصَّجَرُ مِنْ مُعَانَاةِ الْحِفْظِ وَمُرَاعَاةِ وَطُولِ الْأَمَلِ  
فِي التَّوَقُّفِ عَلَيْهِ عِنْدَ نَشَاطِهِ وَفَسَادِ الرَّأْيِ فِي عَزِيمَتِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ  
الصَّجَرُ خَاطِبٌ وَأَنَّ الطَّوِيلَ الْأَمَلَ مَعْرُودٌ وَأَنَّ الْقَاسِدَ الرَّأْيَ مُصَابٌ .  
وَأَلْعَبُ تَقُولُ فِي أَمثالها : حَرْفٌ فِي قَلْبِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ فِي كَتِفِكَ .  
وَقَالُوا : لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَعْبُرُ مَعَكَ الْوَادِي وَلَا يَعْمُرُ بِكَ الْأَنْدِي .  
وَأَنْشَدْتُ عَنْ الرَّيِّعِ الشَّافِعِيِّ :

عَلَيَّ مَعِيَ حَيْثُ مَا يَمِيتُ يَنْفَعَنِي  
قَلْبِي وَعَاةُ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِي

إِنْ كُنْتُ فِي أَلَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ  
أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

وَرَبَّمَا أَعْتَى التَّلْعِيمُ بِأَلْفِظٍ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ وَلَا فَهْمٍ حَتَّى يَصِيدَ  
حَافِظًا لَا لَفَاطَ الْمَلَانِي قِيًّا بِتِلَاوَتِهَا وَهُوَ لَا يَتَصَوَّرُهَا وَلَا يَفْهَمُ مَا  
تَضَمَّنَهَا يَرَوِي بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ وَيُخْبِرُ عَنْ غَيْرِ خَبَرَةٍ فَهُوَ كَالْكِتَابِ الَّذِي  
لَا يَدْفَعُ شُبُهَةً وَلَا يُؤَيِّدُ حُجَّةً وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : هَمَّةُ الشَّفَاءِ الزَّوَايَةُ .  
وَهَمَّةُ الطَّلَاءِ الزَّعَايَةُ . وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ : كُونُوا لِلْعِلْمِ رُعَاةً . وَلَا  
تَكُونُوا لَهُ رُؤَاةً . فَقَدْ يَرْعَوِي مَنْ لَا يَرَوِي . وَيَرَوِي مَنْ لَا يَرْعَوِي .  
وَحَدَّثَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بِحَدِيثٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا سَعِيدٍ عَمَّنْ .  
قَالَ : مَا تَصْنَعُ بَعْمَنَ . أَمَا أَنْتَ فَقَدْ نَأْتِكَ عِظَتُهُ وَقَامَتْ عَلَيْكَ  
خُجَّتُهُ

وَرَبَّمَا اعْتَمَدَ عَلَى حِفْظِهِ وَتَصَوُّرِهِ وَأَغْفَلَ تَقْيِيدَ الْعِلْمِ فِي كُتُبِهِ  
ثُمَّ بِنَا اسْتَقَرَّ فِي ذَهَبِهِ وَهَذَا خَطَأٌ مِنْهُ لِأَنَّ الشَّكْلَ مُفَرِّضٌ  
وَالنِّسْيَانَ طَارِقٌ . وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ : أَنْجَلَ مَا فِي الْكُتُبِ رَأْسَ  
أَمَالٍ وَمَا فِي الْقُلُوبِ النِّفَقَةَ . وَقَالَ مَهْبُودٌ : لَوْلَا مَا عَقَدَتْهُ الْكُتُبُ  
مِنْ تَجَارِبِ الْأَوَّلِينَ لَأَحْلُتْ مَعَ النِّسْيَانِ عُقُودَ الْآخِرِينَ



## البحث الثامن

### في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان

( مقدمة ابن خلدون )

( راجع صفحة ٦ من توطئة علم الادب )

إِعْلَمُ أَنَّ لَفْظَةَ الذَّوْقِ يَتَدَاوَلُهَا الْمُعْتَمِدُونَ بِضُنُونٍ أَلْيَنَ . وَهَذَا مِنْ  
حُصُولِ مَلَكََةِ الْبَلَاغَةِ لِللِّسَانِ الَّتِي هِيَ مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِمَعْنَى مِنْ  
جَمِيعِ وَجُوهِهِ بِجَوَاصٍ تَقَعُ لِلتَّرَاكِبِ فِي إِفَادَةِ ذَلِكَ . فَأَمَّا كَيْفَ  
لِللِّسَانِ الْعَرَبِ وَاللِّغَةِ فِيهِ يَحْرَى الْهَيْئَةُ الْفَيِّدَةُ بِذَلِكَ عَلَى أَسَاسِ  
الْعَرَبِ وَأَسْمَاءِ مُخَاطَبَتِهِمْ وَيَنْظِمُ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ أَوْجُهُ جِهَدِهِ .  
فَإِذَا اتَّصَلَتْ مَقَامَاتُهُ بِمُخَالَطَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكََةُ فِي  
نَظْمِ الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ أَوْجُهُ وَسَهْلَ عَلَيْهِ أَمْرُ التَّرَاكِبِ حَتَّى لَا يَكْدُ  
يَتَحَوَّرُ فِيهِ غَيْرَ مَتَحْنَى الْبَلَاغَةِ الَّتِي لِلْعَرَبِ . وَإِنْ سَمِعَ تَرْكِيبًا غَيْرَ حَارٍ  
عَلَى ذَلِكَ أَلْمَحْنَى مَجْهُدًا وَنَبَاغَةً سَمِعَهُ بِإِذْنِ فِكْرٍ بَلٍ وَبُزْرٍ فَكَّرَ الْإِنْسَانُ  
أَسْتَفَادَهُ مِنْ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكََةِ . فَإِنَّ الْمَلَكَاتِ إِذَا اسْتَفْرَجَتْ  
وَرَسَّخَتْ فِي مَحَالِّهَا ظَهَرَتْ كَانَتْهَا طَبِيعَةٌ وَجِبَلَةٌ بِذَلِكَ حَسَنٌ . وَإِنْ  
يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفْقِلِينَ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ شَأْنَ الْمَلَكَاتِ أَنَّ الصَّوْبَ  
لِلْعَرَبِ فِي لُغَتِهِمْ إِعْرَابًا وَبَلَاغَةً أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ وَيَقُولُ : كَانَتْ لِعَرَبٍ تَدُلُّ  
بِالطَّبَعِ . وَلَيْسَ كَذَلِكَ . وَإِنَّمَا هِيَ مَلَكََةُ لِسَانِيَّةٍ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ  
تَمَكَّنَتْ وَرَسَّخَتْ فَظَهَرَتْ فِي بَادِي الرَّأْيِ أَنَّهَا جِبَةٌ وَطَبْعٌ وَهَذِهِ

الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على  
السمع واللفظ لحواص تراكيبه . وليست تحصل بمعرفة القوانين  
العِلِّيَّة في ذلك التي استنبطها اهل صناعة اللسان . فان هذه  
القوانين انما تنفذ علما بذلك اللسان ولا تفيده حصول الملكة  
بالفعل في محالها . واذا تقرر ذلك فملكة البلاغة في اللسان تهدي  
البلغ الى وجوه النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب  
في لغتهم ونظم كلامهم . ولو رام صاحب هذه الملكة حيدا عن  
هذه السبل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا واقفه  
عليه اسائه لانه لا يعتاده ولا تهديه اليه ملكته الراشحة عنده . واذا  
عرض عليه الكلام حائدا عن اسلوب العرب وبلاغتهم في نظم  
كلامهم اعرض عنه وبخه وعلم انه ليس من كلام العرب الذين  
مارس كلامهم . وربما ينجز عن الاحتجاج اذلك كما تصنع اهل القوانين  
التحوية والبيان . فان ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفاضة  
بالاستقراء . وهذا امر وجدائي حاصل بممارسة كلام العرب حتى  
يصير كولد منهم . ومثاله لو فرضنا صيا من صبيانهم نشأ ورربي في  
جلبهم فانه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الاغراب والبلاغة فيها حتى  
يستولي على غايتها وليس من العلم المتأوني في شيء . وانما هو بمحصول  
هذه الملكة في لسانه ونطقه . وكذلك تحصل هذه الملكة لمن  
بعد ذلك الحيل بحفظ كلامهم واشعارهم وخطيبهم والمداومة على ذلك  
بحيث يحصل الملكة ويصير كولد من نشأ في جلبهم ورربي بين

أَحْيَاهُمْ. وَالْقَوَائِنُ يَمْرُلُ عَنْ هَذَا. وَاسْتَوْدِعَ لِهَذِهِ الْمَلَكَةَ عِنْدَمَا تَرُخُ  
وَتَسْتَعِيرُ اسْمُ الذَّوْقِ الَّذِي اضْطَلَحَ عَلَيْهِ أَهْلُ صِنَاعَةِ الْبَيَانِ. وَالذَّوْقُ  
إِنَّمَا هُوَ مَوْضِعٌ لِإِدْرَاكِ الطَّعْمِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ مَحَلُّ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي  
اللسانِ مِنْ حَيْثُ انْطَلَقَ بِالْكَلَامِ كَمَا هُوَ مَحَلُّ لِإِدْرَاكِ الطَّعْمِ اسْتَعِيرَ  
لَهَا اسْمُهُ وَآيَظًا فَهُوَ وَجَدَانِي لِّلْسَانٍ كَمَا أَنَّ الطَّعْمَ مُحْسُوسَةٌ لَهُ فَقِيلَ  
لَهُ ذَوْقٌ. وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ ذَلِكَ عَلِمْتَ مِنْهُ أَنَّ الْأَعَاجِمَ الدَّاخِلِينَ فِي  
اللسانِ الْعَرَبِيِّ الطَّارِئِينَ عَلَيْهِ الْمُضْطَرِّينَ إِلَى انْطِلَاقِهِ لِمُخَالَطَةِ أَهْلِهِ  
كَالْفَرَسِ وَالرُّومِ وَالْأَنْدَلُسِيِّ وَالْمَشْرِقِيِّ وَكَالْبَرِّ بِالْمَغْرِبِ فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ  
لَهُمْ هَذَا الذَّوْقُ لِقُصُورِ حَقِّهِمْ فِي هَذِهِ الْمَلَكَةِ الَّتِي قَرَّرْنَا أُمُورَهَا.  
لِأَنَّ قُصَارَاهُمْ بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُمُرِ وَسَبَقَ مَلَكَةُ أُخْرَى إِلَى الْإِنْسَانِ  
وَهِيَ لَعَنَتْهُمْ أَنْ يَتَّقُوا بِمَا يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُ الْمَضَرِّ (١) بَيْنَهُمْ فِي الْمَخَاوِرَةِ وَنِ  
مُفْرَدٍ وَمُرَكَّبٍ لِمَا يَضْطَرُّونَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ الْمَلَكَةُ فَذْ ذَهَبَتْ  
لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَبَدُؤُوا عِهَا كَمَا تَقَدَّمَ. وَإِنَّمَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَلَكَةٌ  
أُخْرَى وَلَيْسَتْ هِيَ مَلَكَةُ الْإِنْسَانِ الْمَطْلُوبَةِ. وَمَنْ عَرَفَ تِلْكَ الْمَلَكَةَ  
مِنَ الْقَوَائِنِ السُّطْرَةِ فِي الْكُتُبِ فَلَيْسَ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَلَكَةِ فِي سَبِيلِ  
إِنَّمَا حُصِّلَ أَحْكَامُهَا كَمَا عَرَفْتَ وَإِنَّمَا تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ بِالْمَارَسَةِ  
وَالْإِعْتْيَادِ وَالتَّكْرُّرِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ. فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مَا تَسْمَعُهُ مِنْ  
أَنَّ سَبِيلِيهِ وَأَنْفَاسِي وَأَلْزَمَ خَشْيِي وَأَمَّا لَهُمْ مِنْ فُورَانِ الْكَلَامِ  
كَانُوا أَنْجَامًا مَعَ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ لَهُمْ فَأَعْلَمُ أَنَّ أَوْلِيكَ قَوْمَ

الَّذِينَ تَسْمَعُ عَنْهُمْ إِذَا كَانُوا عَجَمًا فِي نَسَبِهِمْ فَقَطَّ وَأَمَّا الْمَرْبَى وَالنَّشَاءُ  
فَكَانَتْ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَالْعَرَبِ وَمَنْ تَعَاهَا مِنْهُمْ  
فَأَسْتَوَلُوا بِذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى غَايَةٍ لَا وَرَاءَهَا . وَكَانَتْهُمْ فِي أَوَّلِ  
نَشَأَتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي أَحْيَائِهِمْ (١) حَتَّى أَدْرَكُوا كُنْهَ اللُّغَةِ  
وَصَارُوا مِنْ أَهْلِهَا . فَهُمْ وَإِنْ كَانُوا عَجَمًا فِي النَّسَبِ فَلَيْسُوا بِعَجَمٍ فِي  
اللُّغَةِ وَالْكَلَامِ لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَلْمَلَّةَ فِي عُقُوبَاتِهَا وَاللُّغَةَ فِي شَبَابِهَا وَلَمْ  
تَذْهَبْ أَتَارُ الْمَلَكَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ثُمَّ عَكَفُوا عَلَى الْمُمَارَسَةِ  
وَالْمُدْرَسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ حَتَّى اسْتَوَلُوا عَلَى غَايَتِهِ . وَالْوَلِيدُ الْيَوْمَ مِنْ  
الْعَجَمِ إِذَا خَالَطَ أَهْلَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ بِالْأَمْصَارِ فَأَوَّلُ مَا يَجِدُ تِلْكَ  
الْمَلَكَةَ الْمُتَضَوِّدَةَ مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مُتَحِيَّةً الْآثَارَ وَيَجِدُ مَلِكَتَهُمْ  
لِخَاصَّةٍ بِهِمْ مَلَكَةً أُخْرَى مُخَالَفَةً لِلْمَلَكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ثُمَّ إِذَا وَضَعَا  
أَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الْمُمَارَسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهُمْ بِالْمُدْرَسَةِ وَالْحِفْظِ  
يَسْتَفِيدُ نَحْوِيَّاتِهَا فَقَلَّ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ أَنَّ الْمَلَكَةَ إِذَا  
سَبَقَتْهَا مَلَكَةٌ أُخْرَى فِي التَّحَلُّلِ فَلَا تَحْصُلُ إِلَّا نَاقِصَةً مُخْدَرَةً . وَإِنْ  
فَرَضْنَا عَجَمِيًّا فِي النَّسَبِ سَامٍ مِنْ مُوَاطَّاةِ لِّسَانِ الْعَجَمِيِّ بِالْكَلِمَةِ  
وَذَهَبَ إِلَى تَعَلُّمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِالْحِفْظِ وَالْمُدْرَسَةِ قَرِيبًا يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ  
لَكِنَّهُ مِنَ التَّدْوِيرِ يَجِثُ لَا يَجْتَمِعُ عَلَيْكَ بِمَا تَقَرَّرَ . وَرَبَّمَا يَدْعِي كَثِيرٌ مِمَّنْ  
يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْقَوَائِنِ الْبَيَانِيَّةِ حُصُولَ هَذَا الذَّوْقِ لَهُ بِهَا وَهُوَ غَلَطٌ أَوْ  
مُغَالَاةٌ وَإِنَّمَا حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَةُ إِنْ حَصَلَتْ فِي تِلْكَ الْقَوَائِنِ الْبَيَانِيَّةِ

وَلَيْسَتْ مِنْ مَلَكَهَ الْعِبَادَةِ فِي شَيْءٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

## البحث التاسع

### في المطالعة

(المتل السائر لابي العقي من الاثير الموصلي)

(راجع صفحة ٨ من توطئة علم الادب)

إِنَّ فِي الْأِطْلَاعِ عَلَى كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْمَنَظُومِ وَالْمَشْهُورِ قَوَائِدَ جَمَّةٍ لِأَنَّهُ يُعْلَمُ مِنْهُ غَوَاضِ النَّاسِ وَنَتَائِجُ أَفْكَارِهِمْ وَيُعرفُ بِهِ مَقَاصِدُ كُلِّ فَرِيقٍ وَهُمْ وَالِىَ أَيْنَ تَرَامَتْ بِهِ صَنْعَتُهُ فِي ذَلِكَ . فَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ بِمَا تَشْخِذُ الْقَرِيبَةَ وَتُرْكِيهِ الْفَظِيئَةَ . وَإِذَا كَانَ ذَا حُبِّ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَارِفًا بِهَا تَصِيرُ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْتُ وَتَعَبَ فِي اسْتِخْرَاجِهَا كَالشَّيْءِ الْمَأْتَمَرِ يَنْ يَدِيهِ يَأْخُذُ مِنْهُ مَا أَرَادَ . وَأَيْضًا فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ مُطْلِعًا عَلَى الْمَعَانِي الْمَسْبُوقِ إِلَيْهَا قَدْ يَنْقَلِبُ لَهُ مِنْ بَيْنِهَا مَعْنَى غَرِيبٌ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهِ . وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ خَوَاطِرَ النَّاسِ وَإِنْ كَانَتْ مُتَفَارِقَةً فِي الْجُودَةِ وَالرَّدَاءَةِ فَإِنَّ بَعْضَهَا لَا يَكُونُ عَالِمًا عَلَى بَعْضٍ أَوْ مُخْطِئًا عَنْهُ إِلَّا بِشَيْءٍ يَسِيرٍ . وَكَثِيرًا مَا تَتَسَاوَى الْقَرَائِحُ وَالْأَفْكَارُ فِي الْأَيَّانِ بِالْمَعَانِي حَتَّى إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَأْتِي بِمَعْنَى مَوْضُوعٍ بِالْفِظِ ثُمَّ يَأْتِي الْآخَرُ بَعْدَهُ بِذَلِكَ الْمَعْنَى وَاللَّفْظَ بَيْنَهُمَا وَنَ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُ بِمَا جَاءَ بِهِ الْأَوَّلُ وَهَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ أَرْبَابُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَقَوْسَ الْخَافِرِ عَلَى الْخَافِرِ

## المبحث العاشر

### في الارتياض والممارسة

( المثل السائر والوثي المرقوم لابن الاثير )

( راجع صفحة ٩ و ١٠ من توطئة علم الادب )

اعلم ايها الناظر في كتابي ان مدار علم البيان على حاكم  
الذوق السليم الذي هو آتق من ذوق التعليم . وهذا الكتاب وإن  
كان فيما يليق به اليك استلذا أو اذا سألت عما ينفع به في فنو قيل  
لك هذا فان الدربة والادمان أجدي عليك قعاً واهدى بصراً  
وسمماً . وهما ير ياك أجبر عيماً ويجعلان عسرك من القول إمكاناً  
وكل جارية منك قلباً ولساناً . فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك  
وأستنط نادمك ما أخطاك . وما متلي فيما مهدته لك من هذا  
الطريق الا كن طبع سيفاً ووضعه في يمينك لنقاتل به ونيس عليه  
ان يخاق لك قلباً ان حمل ابحال غير مباشرة القتال

وإنما يأنح الإنسان غيبه ما نحل ماشية بالرحل شلال  
وان صاحب الكتابة لا يرى في امره الا ضغوبة ودعوة  
وطريقاً متكينة المذاهب كثيرة الغيب . فإذا اكوه خاطره على  
سلوكها وشجعه على توردها فما مضى به هنية حتى يستبرئ به الضريق  
ويتضح لديه . وألعب على منازل هلياء إمارة

## البحث الحادي عشر

### في طرائق مختلفة من الممارسة والتحرير

( الملل السائر باختصار )

( راجع صفحة ١٠ من توطئة علم الادب )

هَذَا أَفْضَلُ هُوَ كَثَرُ الْكِتَابَةِ وَنَبْعُهَا وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ فِيهِ بِشَيْءٍ وَلَا حُجَّتَ لِي هَذِهِ الْقَضِيَّةُ وَبِأَمْنِي اللَّهِ مِنْهَا مَا بَاتَنِي وَجَدْتُ الطَّرِيقَ يَنْقَسِمُ فِيهَا إِلَى ثَلَاثِ شُعَبٍ : ( الْأُولَى ) أَنْ يَتَحَفَّظَ الْكَاتِبُ كِتَابَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَيَطَّلِعَ عَلَى أَوْغَايِهِمْ فِي اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي ثُمَّ يَخْذُو حَذْوَهُمْ . وَهَذِهِ أَذْنَى الطَّبَقَاتِ عِنْدِي . ( الثَّانِيَّةُ ) أَنْ يَنْجَحَ كِتَابَةُ الْمُتَقَدِّمِينَ بِمَا يَسْتَحِيدُهُ لِنَفْسِهِ مِنْ زِيَادَةِ حَسَةِ أَمْرِ فِي تَحْسِينِ الْأَلْفَاظِ أَوْ فِي تَحْسِينِ الْمَعَانِي . وَهَذِهِ الطَّبَقَةُ الْوَسْطَى وَهِيَ أَعْلَى مِنْ أَلَّتِي قَبْلَهَا . ( الثَّالِثَةُ ) أَنْ لَا يَتَحَفَّظَ كِتَابَةُ الْمُتَقَدِّمِينَ وَلَا يَطَّلِعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا بَلْ يَصْرِفَ هَمَّهُ إِلَى حِفْظِ الْحَدِيثِ وَالْأَخْبَارِ وَعِدَّةٍ مِنْ دَوَائِرِ قُحُولِ الشُّعْرَاءِ مِمَّنْ غَابَ عَلَى شِعْرِهِمُ الْإِجَادَةُ فِي الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ . ثُمَّ يَأْخُذُ فِي الْإِقْتِسَاسِ مِنْ هَذِهِ فَيَقُومُ وَيَقَعُ وَيَخْطِي وَيُصِيبُ وَيُضِلُّ وَيَهْتَدِي حَتَّى يَسْتَقِمَّ عَلَى طَرِيقِهِ فَيَنْجَحُ نَفْسَهُ . وَأَخْلَقَ بِتِلْكَ الطَّرِيقِ أَنْ تَكُونَ مُبْتَدَعَةً غَوِيَّةً لَا شَرَكَةَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِيهَا . وَهَذِهِ الطَّرِيقُ هِيَ طَرِيقُ الْإِجْتِهَادِ وَصَاحِبُهَا يَهْدِي أَمَامَهُ فِي قَرْنِ الْكِتَابَةِ . إِلَّا أَنَّهُ مُسْتَوْعِرَةٌ جِدًّا وَلَا يَسْتَطِيعُهَا إِلَّا مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ

تَعَالَى إِسَاءَةً هَجَامًا وَخَاطِرًا رَقَامًا وَإِنَّمَا تَكُونُ فَهْلَةُ الْأَشْيَاءِ بِمِزَّةِ حُصُولِهَا  
وَمَشَقَّةِ وَضُوحِهَا :

لَيْسَ خَلْوًا وَجُودُكَ أَلَشْيَاءُ تَبْعِيهِ مِ طِلَابًا حَتَّى يَغْزَى طِلَابُهُ  
وَهَذِهِ الطَّرِيقُ يَجْهَلُهَا كَثِيرٌ مِنْ مُتَعَاظِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَالَّذِي  
يَعْلَمُهَا مِنْهُمْ يَرْضَى بِالْحَوَاشِي وَالْأَطْرَافِ وَيَقْنَعُ مِنْ لَالِيهَا بِمَعْرِفَةِ مَا  
فِي الْأَصْدَافِ . وَلَا أُرِيدُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ مُرْتَبِطًا  
فِي كِتَابَتِهِ بِمَا يَسْتَخْرِجُهُ مِنْ بَيْتٍ أَنَّهُ لَا يَنْشِئُ كِتَابًا إِلَّا مِنْ ذَلِكَ بَلْ  
أُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا حَفِظَ مِمَّا قَدَّمْنَا شَيْئًا ثُمَّ هَبَّ عَنْ ذَلِكَ تَغْيِبَ مَطْلَعُ  
عَلَى مَعَانِيهِ مَعْتَشٍ عَنْ دِفَاقَتِهِ وَقَلْبُهُ ظَهْرًا لِبَطْنِ عَرَفٍ جِينْدٍ مِنْ أَيْنَ  
نَوَكَلُ الْكَتِفِ فِيمَا يَنْشِئُهُ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ وَأَسْتَعَانَ بِالْمَحْفُوظِ عَلَى  
الْعَرِيزَةِ الطَّبِيعِيَةِ . أَلَا تَرَى صَاحِبَ الْأَجْتِهَادِ مِنَ الْفُقَهَاءِ يَفْتَقِرُ إِلَى  
مَعْرِفَةِ أَخْبَارِ الْأَحْكَامِ وَإِلَى مَعْرِفَةِ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحِسَابِ  
مِنْ الْمَعْلُومِ وَالْمَجْهُولِ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي لَكُمْ فِي الْكَاتِبِ إِذَا  
أَحَبَّ التَّرَقِّيَ إِلَى دَرَجَةِ الْأَجْتِهَادِ فِي الْكِتَابَةِ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى أَدَوَاتٍ  
كَثِيرَةٍ سَنَذْكُرُهَا



## فصل في صفة الكاتب وما يحتاج اليه من المعارف

### البحث الاول

#### في صفة الكاتب الظاهرة

( عن ابراهيم الشيباني وآثار الاول للحسن بن عباد )

قِيلَ إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَحْسَنُوا فِي الْكَاتِبِ اُعْتِدَالَ الْقَامَةِ وَصَغَرَ الْعَامَةِ وَخَفَةَ اللَّهَازِمِ وَصِدْقَ الْحِسِّ وَلُطْفَ الْمَذْهَبِ وَحَلَاوَةَ الشَّامِلِ وَحُسْنَ الْإِشَارَةِ وَمَلَاحَةَ الرِّبِّيِّ حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْمَهَابَةِ لَوْلَدِهِ : تَرَيُوا بَرِيَّ الْكُتَّابِ فَإِنَّ فِيهِمْ آدَبَ الْمُلُوكِ وَتَوَاضَعَ السُّوقَةِ . وَقِيلَ : إِنْ مِنْ كَمَالِ آلَةِ الْكِتَابَةِ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ تَقِيَّ الْمَلْبَسِ ظَلِيفَ الْجُلُوسِ ظَاهِرَ الْمُرُوءَةِ دَقِيقَ الذِّهْنِ حَسَنَ الْقَلَمِ وَافِرَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ صَادِقَ الْحِسِّ حَسَنَ الْبَيَانِ صَحِيحَ الرَّأْيِ وَالْعِبَارَةِ مَلِيحَ التَّنَاقُصِ فِي تَظْمِ الْمَعَانِي وَنَثَرَهَا دَقِيقَ حَوَائِثِ اللِّسَانِ حُلُوَ الْإِشَارَةِ مَلِيحَ الْإِسْتِعَارَةِ لَطِيفَ الْمَسَالِكِ مُسْتَقِرَّ التَّزَكِيَةِ . وَلَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ قَدَمُ الْمُنْظَرِ مُتَقَارِبَ الْأَجْزَاءِ مُضْطَرِبَ الْخَطِّ . فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ لَا يَلِيقُ بِصَاحِبِ الذِّكَا وَالْفِطْنَةِ . وَإِنْ اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الْخَطِّ فَهُوَ كَمَالُهُ وَإِلَّا فَيَكُونُ هُوَ الْفُتْنَى وَغَيْرُهُ الْكَاتِبِ . وَظَهَرَ أَحْمَدُ ابْنُ خَصِيبٍ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْكُتَّابِ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ فَقَالَ : لَأَنْ يَكُونَ هَذَا فِطَاسٌ مُرَكَّبٌ أَشْبَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا . قَالَ بَعْضُهُمْ : عَلَيْكَ بِكَاتِبٍ لِقَى رَشِيقٍ ذَكِيٍّ فِي شَمَائِلِهِ حَذَارَةٌ

تُجَاهِهِ بِطَرَفِكَ وَنَ بَعِيدَ فَيَفْهَمُ رَجْعَ لِحَظِّكَ بِالْإِشَارَةِ  
فَإِذَا اجْتَمَعَتِ لِلكَاتِبِ هَذِهِ الْجِلَالُ وَأَنْتَظَمْتَ فِيهِ هَذِهِ الْحِصَالُ  
فِيهِ الْكَاتِبُ الْبَلِغُ وَالْأَدِيبُ الْخَوَّيرُ وَإِنْ قَصُرَتْ بِهِ آلَةٌ مِنْ هَذِهِ  
الْآلَاتِ وَقَعَدَتْ بِهِ آدَاءَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ فَهُوَ مَنَقُوصُ الْجِلَالِ  
مُنْكَسِفُ الْحُسْنِ مَخْخُوسُ النَّصِيبِ

### انبحث الثاني

## في ادوات علم الكتابة

( عن المثل السائر لابن الاثير الموصلي باختصار )

إِعْلَمْ أَنَّ صِنَاعَةَ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ تَفْتَقِرُ  
إِلَى آلَاتٍ كَثِيرَةٍ . وَقَدْ قِيلَ : يَنْبَغِي لِلكَاتِبِ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِكُلِّ عِلْمٍ  
حَتَّى قِيلَ : كُلُّ ذِي عِلْمٍ يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَنْسَبَ نَفْسُهُ إِلَيْهِ فَيَقُولَ : فُلَانٌ  
الْخَوَّيرُ وَفُلَانٌ الْفَقِيرُ وَلَا يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَنْسَبَ نَفْسُهُ إِلَى الْكِتَابَةِ فَيَقُولَ :  
فُلَانُ الْكَاتِبِ وَذَلِكَ لِمَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَوْضِ فِي كُلِّ فَنٍّ . وَمِمَّا لَكَ هَذَا  
كُلِّهِ الطَّبَعُ فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ ثُمَّ طُبِعَ فَإِنَّهُ لَا تُغْنِي تِلْكَ الْآلَاتُ  
شَيْئًا . وَمِثَالُ ذَلِكَ كَمَثَلِ النَّارِ الْكَامِنَةِ فِي أَثَرِ نَادٍ وَآخِذِيْدَةٍ الَّتِي  
يُقَدِّحُ بِهَا . لَا تَرَى أَنَّهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الزَّيَادِ نَادٍ لَا تُهْمِدُ تِلْكَ  
الْحَدِيدَةَ شَيْئًا . وَكَثِيرًا مَا رَأَيْنَا مِنْ غَرَائِبِ الطُّبَّاءِ فِي تَعَلُّمِ الْعُلُومِ  
حَتَّى إِنْ بَعْضَ النَّاسِ يَكُونُ لَهُ نَاقِذٌ فِي تَعَلُّمِ عِلْمٍ مُشْكَلٍ الْمَسْلُوكِ  
صَغْبٍ أَلَّاخِذٍ فَإِذَا كَلِفَ تَعَلُّمَهُ مَا هُوَ دُرَّةٌ مِنْ سَهْلِ الْعُلُومِ نَكَسَ

عَلَى عَقِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ نَفَاذٌ . وَأَغْرَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ  
الطَّبْعِ فِي الْمَنْظُومِ يُجِيدُ فِي الْمَدِيحِ دُونَ الْعِجَاءِ أَوْ فِي الْعِجَاءِ دُونَ  
الْمَدِيحِ أَوْ يُجِيدُ فِي الْمَرَاثِي دُونَ التَّهَانِي أَوْ فِي التَّهَانِي دُونَ الْمَرَاثِي .  
وَكَذَلِكَ صَاحِبُ الطَّبْعِ فِي النُّثُورِ . هَذَا ابْنُ الْحَرِيرِيِّ صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ  
قَدْ كَانَ عَلَى مَا طَهَّرَهُ مِنْ تَشْيِيقِ الْمَقَامَاتِ وَاجِدًا فِي قَبْلِهِ فَلَمَّا  
حَضَرَ بَغْدَادَ وَوَقَفَ عَلَى مَقَامَاتِهِ قِيلَ هَذَا يَنْتَضِلُ لِكِتَابَةِ الْإِنشَاءِ  
فِي دِيوَانِ الْخِلَاقَةِ وَيَحْسُنُ اثَرُهُ فِيهِ . فَلَحْضَرَ وَكَلَّفَ كِتَابَةَ كِتَابِ  
فَاتِحِمٍ وَلَمْ يَجْرِ لِسَانُهُ فِي طَرِيقِهِ وَلَا قَصِيدَةٍ . . . . . وَبَلَغَنِي عَنْ  
السَّيِّحِ أَبِي مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُشَابِ الْخُورِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : ابْنُ  
الْحَرِيرِيِّ رَجُلٌ مَقَامَاتٍ أَيُّهَاً لَمْ يَحْسُنْ مِنْ الْكَلَامِ النُّثُورِ  
يَوْمَهَا وَإِنْ أَتَى بِغَيْرِهَا لَا يَقُولُ شَيْئًا . فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمُتَأَمِّلُ إِلَى هَذَا  
الْتِفَافِ فِي الصَّنَاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكَلَامِ النُّثُورِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ  
قِيلَ : شَيْئَانِ لَا نِهَايَةَ لَهُمَا أَلِيَانٌ وَالْجَمَالُ

### البحث الثالث

فَمَا يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ مَعْرِفَتُهُ

(عَنْ صَانِعَةِ الْقُرْآنِ لِشَاهِدِ الدِّينِ الْحَلِيِّ بِاخْتِصَارِ)

وَمَّا يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَدْرُسَ بِهِ الْكِتَابَةَ قِرَاءَةً مَا يَنْفِقُ مِنْ  
(كُتُبِ الْخَوَالِقِ) الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا الْمَقْصُودُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِجَيْدٍ  
يَنْ طَرَفِي الْكِتَابِ الَّذِي يَرَاهُ وَيَسْتَكْبِلُ اسْتِشْرَاحَهُ وَيَكِبُّ عَلَى

الْإِعْرَابَ وَيُلَازِمُهُ وَيَجْعَلُهُ دَأْبَهُ لِيَرْتَسِمَ فِي فِكْرِهِ وَيَدُورَ عَلَى لِسَانِهِ  
وَيَنْطَلِقَ بِهِ عِقَالُ قَلْبِهِ وَكَلِمَةُ وَبُرُودَ بِهِ أَلْوَهُمْ عَنْ تَحِيَّتِهِ وَيَكُونُ عَلَى  
بَصِيرَةٍ مِنْ عِبَارَتِهِ . فَإِنَّهُ لَوْ لَقِيَ مِنَ الْبَلَاغَةِ بِأَتَمِّ مَا يَكُونُ وَلَحَنَ  
ذَهَبَتْ نَحَاسَنُ مَا آتَى بِهِ وَأَتَهَدَّتْ طَبَقَةُ كَلَامِهِ وَأَتَهَيَّ جَمِيعُ مَا  
يُحْسِنُهُ وَوَقَفَ بِهِ عِنْدَ مَا أَجْهَلَهُ . وَيَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ قِرَاءَةً مَا يَتَّبِعُهَا مِنْ  
مُخْتَصَرَاتِ (كُتُبِ الْبَلَاغَةِ) كَأَنْفَصِيحِ لُحْطٍ وَكِفَايَةِ التَّحْفِظِ وَغَيْرِ ذَلِكَ  
مِنْ كُتُبِ الْأَلْفَاظِ لِيَتَسَّعَ عَلَيْهِ طَاقُ الطُّقَى وَيَتَفَسَّحَ لَهُ مَجَالُ الْعِبَارَةِ  
وَيَنْفَتَحَ لَهُ بَابُ الْأَوْصَافِ فَيَأْتِيحْتَاجُ إِلَى وَصْفِهِ مِنْ خَيْلٍ أَوْ سِلَاحٍ أَوْ  
حَرْبٍ أَوْ سَيْرٍ أَوْ قِتَالٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَى وَصْفِهِ وَيَضْطَرُّ إِلَى  
تَعْتِهِ . وَيَتَّصِلُ بِذَلِكَ حِفْظُ (خُطَبِ الْبَلَاغَةِ) مِنْ الصَّحَاحَةِ وَغَيْرِهِمْ  
وَمُخَاطَبَاتِهِمْ وَمَحَاوِرَاتِهِمْ وَمُرَاجَعَاتِهِمْ وَمَا أَدْعَاهُ كُلُّ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ أَوْ  
لِقَوْمِهِ وَمَا تَقْضِيهِ عَلَيْهِ خَصْمُهُ لَأَبِي ذَلِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ أَلْوَقَاتِهِ بِظَاهِرِهَا  
وَتَلَوِّي الْحَوَادِثِ بِمَا شَاكَهَا وَالْإِقْتِدَاءَ بِطَرِيقَةٍ مَنْ فَلَاحَ عَلَى خَصْمِهِ  
وَأَقْتِنَاءَ آثَارِ مَنْ أَضْطَرَّ إِلَى عُذْرٍ أَوْ إِطْلَالِ دَعْوَى أَوْ إِبْتِهَاجٍ فَلَحَنَ  
بِحُجَّتِهِ وَتَخَاصَّ بِالطُّفِ مَأْخِذِهِ وَدَقَّةَ مَسَلِكِهِ وَحُسْنَ عِبَارَتِهِ . . . .  
فَأَنْظُرْ فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ وَالْحِفْظُ وَنَهْ وَالْإِسْتِثْنَاءُ مِنْ مُطَالَعَتِهِ بِمَا يَشْخَذُ  
الْقُرَاجِحَ وَيَفْتَقِي الْأَذْهَانَ وَيَرْتَسِمُ فِي لُحُوطِهِ وَيَكُونُ فِي الْأَفْكَارِ  
حَتَّى يَفِيضَ مَا غَاضَ مِنْهُ عَلَى لِسَانِهِ الْقَلَمُ وَيَسْدُ مِنْهُ لِكُلِّ وَاقِعَةٍ  
وَنَوَالٍ يُفَسِّحُ عَلَيْهِ وَمِثَالٌ يُنْظَرُ فِي ظَاهِرِ الْأُمُورِ إِلَيْهِ  
ثُمَّ النَّظَرُ فِي (أَيَّامِ الْعَرَبِ) وَوَقَائِعِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ وَتَسْمِيَةِ الْأَيَّامِ

الَّتِي كَانَتْ يَتَّبِعُهُمْ وَمَعْرِفَةً يَوْمَ كُلِّ قَبِيلَةٍ عَلَى الْآخَرَى وَمَا جَرَى  
يَتَّبِعُهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَشْعَارِ وَالْمُنَاقَصَاتِ . لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا  
يُسْتَشْهَدُ بِهِ مِنْ وَاقِعَةٍ قَدِيمَةٍ أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ فِي مَكَاتِبِهِ مِنْ ذِكْرِ أَيَّامٍ  
مَشْهُورَةٍ أَوْ ذِكْرِ فَارِسٍ مُعَيَّنٍ . . . وَأَمثالُ ذَلِكَ فِي تَطَايُرِهِ كَثِيرَةٌ  
فِي النَّظْمِ وَالنَثْرِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَارِفًا بِكُلِّ يَوْمٍ مِنْ  
هَذِهِ الْأَيَّامِ عَالِمًا بِمَا جَرَى فِيهَا لَمْ يَذَرِ كَيْفَ نَجِيبٍ عَمَّا يَرُدُّ إِلَيْهِ مِنْ  
مِثْلِهَا وَلَا مَا يَقُولُ إِذَا سُئِلَ عَنْهَا وَحَسْبُهُ ذَلِكَ نَقْصًا فِي صِنَاعَتِهِ وَقُصُورًا  
عَمَّا يَحْتَمُّ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَحُسْنِ الْجَوَابِ فِيهِ عِنْدَ السُّؤَالِ عَنْهُ

ثُمَّ (النَّظَرُ فِي التَّوَارِيخِ) وَمَعْرِفَةُ أَخْبَارِ الدُّوَلِ مِنَ الْإِطْلَاعِ عَلَى  
سِيَرِ الْمُلُوكِ وَسِيَاسَاتِهِمْ وَذِكْرِ وَقَائِعِهِمْ وَكَائِنِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ وَمَا اتَّفَقَ  
لَهُمْ مِنَ الْجَرَائِبِ الَّتِي بَلَّغُوا بِهَا أَقْصَى الْمَآرِبِ وَعَدَّتْ لِمَنْ بَعَثَهُمْ كَالْمُرَاقَةِ  
الَّتِي تُصَوِّرُ لَهُمْ وَجُودَ التَّذْيِيرِ وَتَرْبِهِمْ مَا اسْتَرَسَتْ سَنَهُمْ مِنْ صَغِيرِ أَحْوَالِهِمْ  
وَالْكَبِيرِ . فَإِنَّهُ قَدْ يُضْطَرُّ إِلَى السُّرَالِ عَنْ أَحْوَالِ مَنْ سَلَفَ مِنْ  
أَوَّلِ الْعَصْرِ وَرَلَى الْآنَ وَيُسْتَحْبَبُ كَيْفَ كَانَ الْأَمْرُ بَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو  
وَكَيْفَ أَنْتَصَرَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ . أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ فِي كِتَابٍ ذَكَرَ وَاقِعَةً  
بَعَيْنَهَا أَوْ يُنْفِخُ عَلَيْهِ بِصُورَةٍ قَدِيمَةٍ فَلَا يَعْرِفُ حَقِيقَتَهَا وَمِنْ مَجَازِهَا وَلَا  
صِدْقَهَا مِنْ مِثْلِهَا

ثُمَّ (حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ) وَمَطَالَعَةُ شُرُوحِهَا وَاسْتِكْشَافُ  
غَوَامِضِهَا وَالتَّوَقُّفُ عَلَى مَا اخْتَارَهُ الْعُلَمَاءُ وَنَهَكَ صَاحِبُهَا  
وَالْمُفَضَّلَاتِ وَالْأَضْمَعَاتِ وَدِيَوَانِ الْمُتَدَلِّينَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ لِمَا فِي

ذَلِكَ وَنُغَرَارَةُ الْمَوَادِّ وَصِحَّةُ الْأَشْهَادِ وَكَثْرَةُ الثَّقَلِ وَصَفْلُ  
مِرَاةِ الثَّقَلِ وَانْتِزَاعِ الْأَمْثَالِ وَالْأَخْذُ فِي اخْتِزَاعِ الْمَعَانِي عَلَى أَصَحِّ  
مَثَالٍ وَالْإِطْلَاعُ عَلَى أَصُولِ الْأَنْوَاعِ وَشَوَاهِدِهَا وَالْإِضْطِلَاعُ وَنُوَادِرُ  
الْعَرَبِيَّةِ وَتَسْوَادِهَا . وَقَدْ كَانَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ يَعْثُونَ بِذَلِكَ غَايَةَ  
الِاتِّقَاءِ . فَذَكَرَ أَنَّ عُمَرَ كَانَ يُقَدِّمُ زُهَيْرَ بْنَ أَبِي سَلَمَى فِي الشَّعْرِ  
قَبِيلَهُ : يَمِ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ عِنْدَكَ . فَقَالَ : كَانَ لَا يُعَاطِلُ بَيْنَ الْقَوْلِ  
وَلَا يَتَّبِعُ حَوَاشِي الْكَلَامِ وَلَا يَحِفُّ الرَّجُلَ إِلَّا بِمَا يَكُونُ فِي الرِّجَالِ .  
فَإِذَا اكْتَدَرَ الْمُرْتَشِعُ لِلْكِتَابَةِ وَنَ حَفِظَ خِيَارَ الشَّعْرِ وَتَدَبَّرَ مَعَانِيَهُ يَسْهَلُ  
عَلَيْهِ حَلُّهُ وَظَهَرَتْ لَهُ مَوَاضِعُ الْأَشْهَادِ بِهِ وَسَاقَهُ الْكَلَامُ إِلَى إِبْرَازِ  
مَا فِي ذَخِيرَةِ حِفْظِهِ وَوَضَعِهِ فِي مَكَانِهِ وَقَلَّ فِي الْأَشْهَادِ أَوْ التَّضْمِينِ  
إِلَى مَا كَانَتْ وَضَعَهُ لَهُ . . . . .

وَكَذَلِكَ حَفِظُ جَانِبٍ جَيِّدٍ مِنْ شِعْرِ الْمُخَدِّثِينَ كَأَبِي تَمَّامٍ وَمُسْلِمٍ  
أَبْنِ الْوَلِيدِ وَالنَّجَّارِيِّ وَأَبْنِ الرُّومِيِّ وَالْمُنْتَنِي لِلطُّفِّ مَا خُذِمَهُ  
وَدَوَّرَانِ الصَّنَاعَةِ فِي كَلَامِهِمْ وَدَقَّةُ تَوَلِيدِ الْمَعَانِي فِي أَشْعَارِهِمْ وَقُرْبُ  
أَسْلُوبِهِمْ وَنُ أَسَاوِبِ أَخْطَابِهِ وَالْكِتَابَةِ وَخُصُوصًا الْمُتَنِي السَّيِّ  
كَانَهُ يَنْطَلِقُ عَنِ أَلْسِنَةِ النَّاسِ فِي مُحَادَرَاتِهِمْ . وَكَثُرَ الْأَشْهَادُ لِشِعْرِهِ  
حَتَّى قَلَّ مَنْ يَجْهَلُهُ وَحَتَّى أَكُنْتُ بِأَلَيْتِ الْوَلِيدِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى  
الْقَصْدِ وَبُلُوغِ الْقَرَضِ فِي الْجَوَابِ كَمَا كَتَبَ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَرَبِ  
إِلَى مَنْ كَرَّرَ كُتُبَهُ وَارْسَلَهُ إِلَيْهِ بِقَوْلِ الْمُتَنِي :  
وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِقَةُ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَيْسُ الْعَرَمَرَمُ

وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي رَسُولِ الْمُتَقَرِّبِينَ دُونَ حِفْظِهَا لِمَا فِي النَّظَرِ فِيهَا  
 مِنْ تَتَبُّعِ أَهْرِيجَةٍ وَإِشَادِ الْخَاطِرِ وَتَسْهِيلِ الطَّرِيقِ وَالْتِمَاسِ عَلَى مَنَوَالِ  
 التَّجِدِّ وَالْإِقْتِدَاءِ بِطَرِيقَةِ التَّحْسِينِ وَاسْتِحْلَاءِ مَا أَنْتَجَبَهُ الْقَرَامِخُ وَنَ  
 أَبْكَارِ الْأَفْكَارِ وَاسْتِحْلَاءِ مَا رَوَّقَتْهُ الْخَوَاطِرُ مِنْ حِيَاضِ الْأَلْفَاظِ  
 وَاسْتِدْرَاكِ مَا فَاتَ الْقَاصِرَ وَالْإِحْذَارِ بِمَا أَظْهَرَهُ النَّقْدُ وَرَدَّ مَا بَرَّجَهُ  
 السَّبْكُ . فَأَمَّا النَّعْيُ عَنْ حِفْظِ ذَلِكَ فَلَيْلًا يَكِلُ الْخَاطِرُ غَمًّا فِي حَاصِلِهِ  
 وَيَسْتَدِ الْفِكْرُ إِلَى مَا فِي مُودَعِهِ وَيَكْتَفِي بِمَا لَيْسَ لَهُ وَيَتَلَبَّسُ بِمَا لَمْ  
 يَنْطِ كَلَابِسٍ قَوْلِي زُورٍ . . . . .

وَكَذَلِكَ (النَّظَرُ فِي كُتُبِ الْأَمْثَالِ) الْوَارِدَةِ عَنِ الْعَرَبِ ظُهُورًا  
 وَثَرًا كَأَمْثَالِ الْمَيْدَانِيِّ وَالْفَضْلِ بْنِ سَلَمَةَ الضَّيِّي وَحَمَزَةَ الْأَضْبَانِيِّ  
 وَغَيْرِهِمْ وَأَمْثَالِ الْمُحَدِّثِينَ الْوَارِدَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ كَأَيِّ الْعَتَاهِيَّةِ وَأَيِّ نَمَامِ  
 وَالْمُتَنَبِّي وَأَمْثَالِ الْمُؤَلِّدِينَ وَالْأَمْثَالِ الْمَوْضُوعَةِ عَلَى أَلْسِنِ الْخِيَوَانِ  
 لِلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ لَيْسَتْ تُشْهِدُ بِالْمَثَلِ فِي مَوْضِعِهِ وَيُورِدُهُ فِي مَكَانِهِ وَيَكُونُ  
 مِنْ وَرَاءِ الْعَرَفَةِ بِأَصْلِهِ وَأَوَّلِ مَنْ أَرْسَلَهُ مَثَلًا وَهُوَ أَنْتَشِدَ بِهِ  
 وَذَكَرَ سَبِيحَهُ . . . . .

وَأَمَّا (الْمَثَلُ بِالشَّعْرِ) فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ تَمَثَّلَ بِهِ يَقُولُ  
 النَّابِغَةُ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَقْبَلِ أَخَا لَا تَأْتُهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرَّجُلِ يَهْدُبُ  
 ثُمَّ قَالَ : لِمَنْ هَذَا قِيلَ لَهُ : النَّابِغَةُ . فَقَالَ : ذَلِكَ أَشْعَرُ شَعَرَ كَلَمٍ .  
 وَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ نَبِيِّ فَأَجَابَهُ عَنْهُ وَغَجِبَ جَوَابُهُ فَقَالَ :

شَيْئَةً أَعْرِفُهَا مِنْ أَحْزَمٍ . وَامْتَالُ ذَلِكَ بِمَا تَمَثَّلُ بِهِ الصَّكَاةُ كَثِيرٌ .  
وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي ( الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ ) فَإِنَّهُ قَدْ يُؤْمَرُ بِأَمْرٍ  
فَيَعْرِفُ بِهَا كَيْفَ يُخْلَصُ قَلَمُهُ عَلَى حُكْمِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ مِنْ وِلَايَةِ  
الْقَضَا . وَالْحَسْبَ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَهَذِهِ أُمُورٌ كُلِّيَّةٌ لَا يَبْدُ لِلْمُتَرَشِّحِ لِهَذِهِ  
الصَّنَاعَةِ مَنْ أَتَصَدَّى لِلْإِطْلَاعِ عَلَيْهَا وَالْإِصْطِبَابِ عَلَى مُطَالَعَتِهَا  
وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا . يَنْفَقُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَادِّ وَيَسْلُكُ فِي الْأَوْصُولِ إِلَى تِلْكَ  
الصَّنَاعَةِ بِذَلِكَ الْجَوَادِّ وَالْأَقْلِعْلَمُ آتَهُ فِي وَادٍ وَالْكِتَابَةُ فِي وَادٍ

وَأَمَّا الْأُمُورُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَرِيدُ مَعْرِفَتَهَا قَدْرَهُ وَبَرِّينُ الْعِلْمِ بِهَا  
قَطْمُهُ وَثَرُهُ فَابْتَهِانُ الْكَيْفِيَّاتِ لِهَذَا الْقَنْ . وَإِنْ لَمْ يَضْطُرَّ إِلَيْهَا ذُو  
الذِّهْنِ الثَّاقِبِ وَالطَّمْعِ السَّامِ وَالْقَرِيحَةِ الْمُطَاوِعَةِ وَالْفِكْرَةِ الْمُنْتَحِةِ  
وَالْبَلِيَّةِ الْحَيَّةِ وَالرَّوِيَّةِ الْمُتَصَرِّقَةِ . لَكِنَّ الْعَالِمَ بِهَا مُتَسَكِّنٌ مِنْ  
أَزْمَةِ الْمَعَانِي يَقُولُ عَنْ عِلْمِهِ وَيَتَصَرَّفُ عَنْ مَعْرِقَةٍ وَيَتَقَدُّ بِحُجَّةٍ وَيَخْتَارُ  
بِدَلِيلٍ وَيَسْتَحْسِنُ بِيَرْهَانٍ وَيَصُوغُ الْكَلَامَ بِإِتْقَانٍ

فَمِنْ ذَلِكَ ( عِلْمُ الْمَعَانِي وَالْيَكُنُ وَالْبَيْعُ ) وَمَا يَلْتَقِي بِهَا وَأَنَا  
أُشِيرُ أَلَا نَ إِلَى نَكْتٍ وَنَهَا تَمَثُّلٍ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِ هَذَا الْعِلْمِ وَعِظَمِ  
أَقْلَانِدِهِ بِهِ وَأَنَّ الْأَدِيبَ وَالْكَاتِبَ الْمَارِيَيْنِ مِثْلَ قَاصِرَانِ عَنْ آدَنِ  
رُتَبِ الْكَمَالِ يُجِيدَانِ وَلَا يَذَرِيَانِ كَيْفَ يُجَيِّبَانِ . فَلَوْ سُئِلَ عَنْ  
عِلْمٍ مَعْنَى اسْتَحْسَنَةٍ أَوْ لَفْظٍ اسْتَحْلَاهُ أَوْ تَرْكِيبٍ اسْتَجَادَهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى  
الْإِتْيَانِ بِدَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَحْكَمْ فِي الشِّعْرِ مَ وَمَا فِيكَ آتَهُ الْحَكَمُ



إِنَّ هَذَا الذِّنَارِ إِلَّا عَلَى الصَّرِّ فِي صَعْبٍ فَكَيْفَ تَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ  
 قَدْ رَأَيْتَكَ لَسْتَ تَفْقَهُ فِي الْأَمِّ شَعَارَ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ  
 وَحَكِي الْأَمَلِ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْخُرَجَانِي قَالَ : رَكِبَ الْكِتَابِيُّ  
 الْمُتَفَلِّسُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَجِدُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ  
 حَشْوًا . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ : فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَجَدْتَ ذَلِكَ . قَالَ :  
 وَجَدْتُ الْعَرَبَ يَقُولُ : عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ . ثُمَّ يَقُولُونَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ .  
 ثُمَّ يَقُولُونَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ . فَأَلَّا لَقَاطُ مُتَكَرِّرَةً وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .  
 فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : بَلَّ الْغَالِي مُحْتَلَّةٌ لِاخْتِلَافِ الْأَلْقَاطِ . فَقَوْلُهُمْ :  
 عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ إِجْبَالٌ عَنْ قِيَامِهِ . وَقَوْلُهُمْ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ جَوَابٌ  
 عَنْ سُؤَالٍ سَائِلٍ . وَقَوْلُهُمْ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ جَوَابٌ عَنْ انْكَارٍ  
 مُنْكَرٍ قِيَامَهُ . فَمَا أَحَادَ الْمُتَفَلِّسُ جَوَابًا . فَإِذَا ذَهَبَ وَشَلَّ هَذَا عَلَى  
 الْكِتَابِيِّ فَمَا الظَّنُّ بِغَيْرِهِ . وَإِنْ كَانَ مِنْ مُحَاسِنِ الْكَلَامِ مَا لَا  
 يَحْكُمُ فِي أَمْرٍ أَجَاهِ بِالْقُلُوبِ غَيْرُ الذَّوْقِ السَّامِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :  
 شَيْءٌ بِهِ فِتْنُ الْوَرَى غَيْرُ الَّذِي يُدْعَى الْجَمَالَ وَأَنْتُ أَدْرِىءُ أَهْوَى  
 لَكِنَّ الْقَالِبَ فِي الْكَلَامِ يَعْلَمُ سَبَبَ تَحْسِينِهِ وَتَعَارُفِ مَوَادِّ  
 تَحْسِينِهِ وَتُجَابُ عَنْ الْعِلَلِ فِي انْحِطَاطِهِ وَأَرْتِقَاةِ وَيُنْصَرُّ الْغَنَى فِي  
 أَرْتِقَاةِ مِنْ حَضِيضِ الْقَوْلِ إِلَى آفَاقِهِ



# الجزء الأول

في علم الانشاء

## بحث في تعريف الانشاء

( عن ابي الخير وعن آداب المنشي لابن صدر الدين )

( راجع الجزء الاول من علم الادب صفحة ١ )

ان الإنشاء علم يُبحث فيه عن المنشورون حيث إنه يبلغ وقصيح وهو مشتبه على الآداب المعتبرة عندهم في العبارات المستحسنه والآتيه بالقام . وموضوعه وغرضه وغايته ظاهرة بما ذكر ومبادئه مأخوذة من تتبع الخطب والرسائل بل له استمداد من جميع العلوم سيما الحكمة العملية والعلوم الشرعية وسير الملوك وصايا العقلاء وغير ذلك من الأمور التي هي المتأهية . هذا ما ذكره أبو الخير . ويندرج فيه ما أورده في علم سبأى الإنشاء وأدواته فلا وجه لجله علما آخر . وأما ابن صدر الدين فإنه لم يذكر سوى معرفة الحكين والمعايير ونبذة من آداب المنشي . وزبدة كلامه أن للنثر من حيث إنه نثر محاسن ومعايير يجب على المنشي أن يفرق بينهما فيحترز عن المعايير . ولا بد أن يكون أعلى كعبا في العربية محترزا عن استعمال الألفاظ العربية وما يخل له بفهم المراد ويوجب

صُعُوبَتُهُ وَأَنْ يَحْزَنَ عَنِ التَّكَرُّارِ وَلَنْ يَجْعَلَ الْإِلْفَاظَ تَابِعَةً لِلْمَعْنَى  
 دُونَ الْعَكْسِ . إِذَا أَلْعَانِي إِذَا تَرَكْتُ عَلَى سَاحَتِهَا طَلَبْتُ لِأَهْلِهَا  
 الْإِلْفَاظَ تَلِيْقَ بِهَا فَيَحْسُنُ الْإِلْفَظُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا . وَأَمَّا جَعْلُ الْإِلْفَاظِ  
 مُتَكَلِّفَةً وَالْمَعْنَى تَابِعَةً لَهَا فَهُوَ كَلِيَّاسٌ مَلِيحٌ عَلَى مَنْظَرٍ قَبِيحٍ فَتَجِبُ  
 أَنْ يَجْتَنِبَ عَمَّا يَعْلَمُ بَعْضُ مَنْ لَمْ شَغَفَ بِإِرَادَتِهِ . مِنَ الْمُحْسِنَاتِ  
 الْإِلْفَظِيَّةِ فَيُضَرِّفُونَ الْعِنَايَةَ إِلَى الْمُحْسِنَاتِ وَيَجْعَلُونَ الْكَلَامَ كَأَنَّهُ غَيْرُ  
 سَوِيٍّ لِإِقَادَةِ الْمَعْنَى فَلَا يُبَالُونَ بِخِفَاءِ الدَّلَالَاتِ وَرَكَاكَةِ الْمَعْنَى .  
 وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَلِيْقُ لِمَنْ يَتَعَاطَى الْإِنْشَاءَ أَنْ يَكْتُبَ مَا يُرَادُ لِمَا  
 يُرِيدُ . كَمَا قِيلَ فِي الصَّاحِبِ وَالصَّابِي : إِنْ الصَّابِي يَكْتُبُ مَا يُرَادُ  
 وَالصَّاحِبُ يَكْتُبُ مَا يُرِيدُ . وَلَا بُدَّ أَنْ يُلَاحَظَ فِي كِتَابِ التَّنْظِيرِ حَالُ  
 الْمُرْسَلِ وَالْمُرْسَلِ إِلَيْهِ وَيُعْنَوْنَ الْكِتَابُ بِمَا يُنَاسِبُ الْمَقَامَ

# الفصل الاول

في الفصاحة

البحث الاول

في تحديد الفصاحة

( عن الفصاحة والبلاغة للامام السيوطي باختصار )

( راجع صفحة ٣ من الجزء الاول من علم الادب )

الْفَصَاحَةُ لُغَةٌ تُنْبِئُ عَنِ الْإِبَاقَةِ وَالظُّهُورِ يُقَالُ : فَضَحَ الْأَعْجَبِيُّ  
وَأَفْضَحَ إِذَا أَضَلَّقَ لِسَانَهُ وَخَلَصَتْ لُغَتُهُ مِنَ الْأَلَكَةِ وَجَادَتْ فَلَمْ  
يَلْحَنَ . وَأَفْضَحَ بِهِ أَيَّ صَرَخَ . وَعِنْدَ أَهْلِ أَلَمَّا نِي تُطْلَقُ عَلَى مَعَانٍ  
مِنْهَا : وَصَفٌ فِي الْكَلَامِ بِهِ يَفْعُ التَّفَاضُلُ وَيُثَبِّتُ الْإِعْجَازَ . قَالَ  
الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ : أَعْلَمُ أَنَّ الْفَصَاحَةَ خُلُوصُ الْكَلَامِ وَنَ  
الْتَفِيدُ . وَأَضْلَاهَا مِنْ قَوْلِهِمْ : أَفْضَحَ اللَّبَنُ إِذَا ذَهَبَتْ عَنْهُ الرِّغْوَةُ .  
وَهِيَ بِالْأَضْطِلَاحِ : عِبَارَةٌ عَنِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَظَاهِرُ التَّبَادُّرَ إِلَى  
أَفْهَمِ وَالْمَأْنُوسَةِ الْأَسْتِعْمَالِ لِمَكَانٍ حَسَنًا

البحث الثاني

في الفرق بين الفصاحة والبلاغة وموضوعهما

( عن كتاب الصنائع والكتابة والانشاء لابي ملال العسكري باختصار )

الْبَلَاغَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ : بَلَغْتُ أَلْفَايَةَ إِذَا أَتَيْتُ إِلَيْهَا وَبَلَغْتُهَا

غَيْرِي. وَمَبْلَغُ الشَّيْءِ مُسْتَهَامُهُ. وَالْمَبْلَغَةُ فِي الشَّيْءِ الْإِتْمَاءُ إِلَى غَايَتِهِ.  
فَسُمِّيَتْ الْمَبْلَغَةُ بِلَاغَةً لِأَنَّهَا تُنْهِي الْمَعْنَى إِلَى قَلْبِ السَّمْعِ فِيهِمُ  
وَسُمِّيَتْ الْمَبْلَغَةُ بِلَغَةً لِأَنَّكَ تَبْلُغُ بِهَا فَتَنْهِي بِكَ إِلَى مَا قُوَّتِهَا وَهِيَ  
الْمَبْلَغُ أَيْضًا. وَيُقَالُ: الدُّنْيَا بِلَاغٌ لِأَنَّهَا تُؤَدِّيكَ إِلَى الْآخِرَةِ. وَالْمَبْلَغُ  
أَيْضًا التَّبْلِيغُ. وَمَوْهُ: هَذَا بِلَاغٌ لِلنَّاسِ أَيِ تَبْلِيغٌ. وَيُقَالُ: بَلَغَ أَرَجُلٌ  
بِلَاغَةً إِذَا صَارَ بَلِيغًا كَمَا يُقَالُ نَبْلٌ بِنَاءَةٌ إِذَا صَارَ نَبِيلاً. وَكَلَامٌ بَلِيغٌ  
وَبَلِيغٌ (بِالْفَتْحِ) كَمَا يُقَالُ وَجِيذٌ وَوَجِيْزٌ. وَرَجُلٌ بَلِيغٌ (بِالْكَسْرِ) بَلِيغٌ مَا  
يُرِيدُ وَفِي مَثَلٍ لَهُمْ: أَحَقُّ بَلِيغٌ. وَيُقَالُ: أَبْلَغْتَ فِي كَلَامِكَ إِذَا  
أَتَيْتَ بِالْمَبْلَغَةِ فِيهِ كَمَا تَقُولُ: أَخْرَجْتَ إِذَا أَيْتَ الْبَرَاءَةَ وَغَوَّ  
الْأَمْرَ الْجَسِيمَ. وَالْمَبْلَغَةُ مِنْ صِفَةِ الْمُتَكَلِّمِ فَلِهَذَا لَا يُقَالُ: بَلَغَ  
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ بَلِيغٌ إِذَا لَا يُجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِصِفَةٍ كَمَا وَضَعَهَا  
لِلْكَلَامِ وَتَسَمَّيْنَا الْمُتَكَلِّمَ اللَّهُ أَبْلَغُ نَسَمَةٍ وَخَفَضْنَاهُ بِكَلَامِهِ  
بَلِيغٌ كَمَا تَقُولُ: فَلَانُ رَجُلٌ مُحْكَمٌ وَتَعْنِي بِهَذَا نَفْسُهُ بِهَذَا  
وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الْأِسْتِعْمَالِ جَعَلَتْ نَسَمَةَ مُتَكَلِّمٍ بَلِيغٌ  
كَالْحَقِيقَةِ

أَمَّا الْفَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ قَوْمٌ نَهَى عَنْ قَوْلِهِ: فَصَحَّ قَوْلُهُ  
فِي نَفْسِهِ إِذَا أَظْهَرَهُ. وَالشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْعَرَبُ  
أَفْصَحُ الصَّنَجِ إِذَا أَضَاءَ وَفَصَحَّ يَدٌ وَفَصَحَّ رَجُلٌ إِذَا  
بَدَأَ أَنْ لَا يَكُنْ يَبِينٌ وَفَصَحَّ حَيْدٌ وَفَصَحَّ حَيْدٌ وَفَصَحَّ  
عَلَى جِهَةِ الصَّوَابِ ذُو أَحْطَابٍ. وَفَصَحَّ فَرَسٌ إِذَا فَصَحَّ

وَالْبَلَاغَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ إِذَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِنَّمَا هُوَ الْإِبَاطَةُ عَنْ  
الْمَعْنَى وَالْإِظْهَارُ لَهُ . وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا : الْقَصَاحَةُ تَمَامُ آلَةِ الْبَيَانِ .  
فَلِهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى فَصِيحًا إِذَا كَانَتْ الْقَصَاحَةُ تَتَضَمَّنُ  
مَعْنَى الْآلَةِ وَلَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْآلَةُ . وَيُوصَفُ كَلَامُهُ بِالْقَصَاحَةِ  
لَمَّا يَتَضَمَّنُ مِنْ تَمَامِ الْبَيَانِ . وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْأَلْفَظَ وَالْأَسْمَاءَ  
لَا يُسَمَّيَانِ فَصِيحَيْنِ لِقُصَانِ آتِيَهُمَا عَنْ إِقَامَةِ الْحُرُوفِ . وَقِيلَ : زِيَادُ  
الْأَعْجَمِ . لِتَضَمُّنِ آلَةِ طَلْقِهِ عَنْ إِقَامَةِ الْحُرُوفِ وَكَانَ يُعْبَرُ عَنْ الْحِمَارِ  
بِالْهَارِ فَهُوَ أَعْجَمُ وَشَعْرُهُ فَصِيحٌ لِتَمَامِ بَيَانِهِ . فَعَلَى هَذَا تَكُونُ  
الْقَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ مُخْتَلِفَتَيْنِ وَذَلِكَ أَنَّ الْقَصَاحَةَ تَمَامُ آلَةِ الْبَيَانِ فِيهِ  
مَقْصُورَةٌ عَلَى الْلفْظِ لِأَنَّ الْآلَةَ تَتَعَلَّقُ بِالْلفْظِ دُونَ الْمَعْنَى . وَالْبَلَاغَةُ  
إِنَّمَا هِيَ انْتِهَاءُ الْمَعْنَى فِي الْقَلْبِ فَكَانَتْهَا مَقْصُورَةٌ عَلَى الْمَعْنَى . وَمِنْ  
الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْقَصَاحَةَ تَتَضَمَّنُ الْلفْظَ وَالْبَلَاغَةُ تَتَنَاوَلُ الْمَعْنَى  
أَنَّ الْبَيَانَ يُسَمَّى فَصِيحًا وَلَا يُسَمَّى بَلِيغًا إِذَا هُوَ مُقِيمٌ الْحُرُوفِ وَلَيْسَ  
لَهُ قَصْدٌ إِلَى الْمَعْنَى الَّتِي يُؤَدِّيهِ . وَقَدْ يَجُوزُ مَعَ هَذَا أَنْ يُسَمَّى الْكَلَامُ  
الْوَاحِدُ فَصِيحًا بَلِيغًا إِذَا كَانَ وَاضِحَ الْمَعْنَى سَهْلَ الْلفْظِ وَجِدَّ السَّبْكِ  
غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ فَحِ . وَلَا مُتَكَلِّفٍ وَخَمٍ وَلَا يَنْعُهُ مِنْ أَحَدِ الْأَسْمَاءِ  
شَيْءٌ : لَمَّا فِيهِ مِنْ إِضْاحِ الْمَعْنَى وَتَقْوِيمِ الْحُرُوفِ . وَشَهِدَتْ قَوْمًا  
يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ لَا يُسَمَّى فَصِيحًا حَتَّى يَجْمَعَ مَعَ هَذِهِ الثُّلُوتِ  
فَحَامَةٌ وَسَدَّةٌ جَزْأً لَّهُ فَيَكُونُ مِثْلَ كَلَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ : إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ  
الْأَمْوَالِ وَالَّذِينَ آغَرُوا عَلَى السِّنَنِمْ يُحَوِّطُونَ مَا دَرَّتْ بِهِ مَعَايِشُهُمْ فَإِذَا

تَحْصُوا بِالْإِتِّلَاءِ قُلَّ الدَّيَّانُونَ . وَمَثَلُ الْمَنْظُومِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :  
 تَرَى غَابَةَ الْحَلِيِّ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ كَمَا اشْرَقَتْ فَوْقَ الصُّوَارِقِ قُرُونُهَا  
 (قَالُوا) وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ يَجْمَعُ نُفُوتَ الْجُودَةِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ  
 فُحْلَمَةٌ وَقَضْلُ جَزَالَةٍ سُبَيَّ يَلِينَا ثُمَّ فَصِيحًا كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ وَقَدْ سَنَسِلَ  
 عَنْ حَالِهِ عِنْدَ الْوَفَاةِ فَقَالَ : مَا حَالُ مَنْ يُرِيدُ مَقَرًّا بَعِيدًا بِلا زَادٍ  
 وَيُقَدِّمُ عَلَى مَلِكٍ عَادِلٍ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَيَسْكُنُ قَبْرًا مُوجِشًا بِلا اُنْيَسَ .  
 وَقَوْلِ آخِرِ لَاحِ لَه : مَدَدَتْ إِلَى الْمَوَدَّةِ يَدَا فَشَكَرْنَاكَ وَشَفَعَتْ  
 ذَلِكَ بِشَيْءٍ مِنْ الْجَفَاءِ فَصَدَرْنَاكَ وَالرَّجُوعُ إِلَى مُحَمَّدٍ آلُودَ أَوْلَى بِكَ  
 مِنَ الْقَامِ عَلَى مَكْرُوهِ الصَّدِّ . وَأَسْتَدْلُوا عَلَى حِقَّةِ هَذَا الْمَنْهَبِ بِقَوْلِ  
 الْعَلَايِيِّ بْنِ عَدِيٍّ : الشَّجَاعَةُ قَلْبُ رَكِينٍ وَالْفَصَاحَةُ لِسَانُ رَزِينٍ .  
 وَاللِّسَانُ هَاهُنَا الْكَلَامُ . وَالرَّزِينُ الَّذِي فِيهِ فُحْلَمَةٌ وَجَزَالَةٌ وَائِسَ  
 الْغَرَضُ فِي هَذَا الْكِتَابِ سُؤْلُكَ مَنْهَبَ الْمُتَكَلِّمِينَ . وَأَمَّا قَصْدُ  
 فِيهِ مَقْصِدَ صُنَاعِ الْكَلَامِ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ فِلِهْدَالِمْ أَطْلُ  
 الْكَلَامِ فِي هَذَا الْفَصْلِ

### البحث الثالث

### في حقيقة الفصاحة

( عن المثل السائر )

( راجع صفحة ٣ من عام الادب )

إِعْلَمَنَّ أَنَّ هَذَا بَابٌ مُتَعَذِّرٌ عَلَى الْوَالِحِ وَمَسَلَّتْهُ تَوَعَّرٌ عَلَى

النَّاسِ وَلَمْ يَزَلِ الْعُلَمَاءُ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ يُكَثِّرُونَ الْقَوْلَ فِيهِ  
وَالْجُحْتَ عَنْهُ وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذَلِكَ مَا يَعُولُ عَلَيْهِ إِلَّا الْقَلِيلَ . وَغَايَةُ  
مَا يَقَالُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ الْقَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْيَانُ فِي أَصْلِ  
الْوَضْعِ الْأَمَوِيِّ يَقَالُ : أَفْصَحَ الصَّبِيُّ إِذَا ظَهَرَ ثُمَّ انْتَهَمَ يَقُونُ عِنْدَ  
ذَلِكَ وَلَا يَكْشِفُونَ عَنِ السِّرِّ فِيهِ . وَبِهَذَا الْقَوْلِ لَا تَبَيَّنَ حَقِيقَةُ  
الْقَصَاحَةِ لِأَنَّهُ يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ بِوُجُوهِ مِنَ الْأَعْتَرِاضَاتِ . (أَحَدُهَا) : أَنَّهُ  
إِذَا لَمْ يَكُنْ الْأَنْظَرُ ظَاهِرًا يَتَأَلَّمُ يَكُنْ فَصِيحًا ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ  
صَارَ فَصِيحًا . (الْوَجْهُ الثَّانِي) : أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ الْقَصِيحُ هُوَ الظَّاهِرُ  
الْبَيِّنُ فَقَدْ صَارَ ذَلِكَ بِالنِّسْبِ وَالْإِضَامَاتِ إِلَى الْأَشْخَاصِ فَإِنَّ اللَّفْظَ  
قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا زَيْدٌ وَلَا يَكُونُ ظَاهِرًا لِعَمْرٍو فَهُوَ أَذَنْ فَصِيحٌ عِنْدَ  
هَذَا وَغَيْرُ فَصِيحٌ عِنْدَ هَذَا . وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْقَصِيحُ هُوَ فَصِيحٌ  
عِنْدَ الْجَمِيعِ لَا خِلَافَ فِيهِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ حَدُّ  
الْقَصَاحَةِ وَعُرِفَ مَا هِيَ لَمْ يَبْقَ فِي اللَّفْظِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ خِلَافٌ .  
(الْوَجْهُ الثَّلَاثُ) : أَنَّهُ إِذَا جِيءَ بِالْفِظِ قَبِيحٍ يَتَّبِعُهُ السَّمْعُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ  
ظَاهِرٌ بَيِّنٌ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فَصِيحًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَصَاحَةَ  
وَصَفَّ حُسْنَ اللَّفْظِ لَا وَصَفَ قُبْحِهِ . فَهَذِهِ الْأَعْتَرِاضَاتُ الثَّلَاثَةُ وَارِدَةٌ  
عَلَى قَوْلِ الْقَائِلِ أَنَّ اللَّفْظَ الْقَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ .  
وَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى أَقْوَالِ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ مَلَكَتْنِي الْحَيْرَةُ فِيهَا وَلَمْ  
يَتَبَيَّنْ عِنْدِي مِنْهَا مَا أَعُولُ عَلَيْهِ وَلِكَثْرَةِ مُلَابَسَتِي هَذَا أَلْقَنَ  
وَمُعَارَكَتِي إِيَّاهُ أَنْ كَشَفَ لِي السِّرُّ فِيهِ وَسَاوَضَنِي فِي كِتَابِي هَذَا



وَأَحَقُّ الْقَوْلَ فِيهِ فَأَقُولُ : إِنَّ الْكَلَامَ الْقَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ  
وَأَعْيَنِي بِالظَّاهِرِ الْبَيِّنِ أَنْ تَكُونَ الْفَاعِلُ مَفْهُومَةٌ لَا يُحْتَاجُ فِي فَهْمِهَا  
إِلَى اسْتِخْرَاجٍ مِنْ كِتَابٍ لَفَةً . وَأَمَّا كَانَتْ يَهْدِيهِ الصِّفَةُ لِأَنَّهَا تَكُونُ  
مَأْلُوقَةً الْإِسْتِعْمَالِ بَيْنَ أَرْبَابِ النِّظَمِ وَالنَّثْرِ دَائِرَةٌ فِي كَلَامِهِمْ . وَأَمَّا  
كَانَتْ مَأْلُوقَةً الْإِسْتِعْمَالِ دَائِرَةٌ فِي الْكَلَامِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ  
لَمَّا كَانَ حُسْنُهَا . وَذَلِكَ أَنَّ أَرْبَابَ النِّظَمِ وَالنَّثْرِ غَرَبُوا اللَّفْظَ بِإِعْتِبَارِ  
الْفَاعِلِ وَسَبَدُوا وَقَسَمُوا فَخْتَارُوا الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَاظِ فَاسْتَعْمَلُوهُ  
وَقَرُّوا الْقَصِيحَ مِنْهَا فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ فَحَسُنُ الْإِسْتِعْمَالِ سَبَبُ اسْتِعْمَالِهَا  
دُونَ غَيْرِهَا وَاسْتِعْمَالُهَا سَبَبُ ظُهُورِهَا وَيَبَانِهَا . فَالْقَصِيحُ إِذَنْ مِنْ  
الْأَلْفَاظِ هُوَ الْحَسَنُ . فَإِنْ قِيلَ : مِنْ أَيِّ وَجْهِ عِلْمِ أَرْبَابِ النِّظَمِ  
وَالنَّثْرِ الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَاظِ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهُ وَعَلِمُوا الْقَصِيحَ مِنْهَا حَتَّى قَرُّوا  
وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ . قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : إِنَّ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْخُصُوسَةِ  
الَّتِي شَاهِدُهَا بَيْنَ نَفْسِهَا لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ دَلِيلَةً فِي حَيْثُ الْأَصْوَاتِ فَأَئِذِي  
يَسْتَلِذُّ السَّمْعُ مِنْهَا وَيَعْمَلُ إِلَيْهِ هُوَ الْحَسَنُ وَالَّذِي يَكْرَهُهُ وَيَنْفِرُ عَنْهُ  
الْقَصِيحُ . أَلَا تَرَى أَنَّ السَّمْعَ يَسْتَلِذُّ صَوْتَ الْبَلْبَلِ مِنَ الطَّيْرِ وَصَوْتَ الشَّجَرِ  
وَيَعْمَلُ إِلَيْهَا وَيَكْرَهُ صَوْتَ الْغُرَابِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ وَكَذَلِكَ يَكْرَهُ نَبِيْقَ  
الْحِمَارِ وَلَا يَجِدُ ذَلِكَ فِي صَهْلِ الْقَرَسِ . وَالْأَلْفَاظُ جَارِيَةٌ هَذَا الْحِجْرِي  
فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ لَفْظَةَ الْمَرْتَةِ وَالْأَدِيمَةَ حَسَنَةٌ يَسْتَلِذُّهَا السَّمْعُ . وَأَنَّ  
لَفْظَةَ الْبَلْعَاقِ قَبِيحَةٌ يَكْرَهُهَا السَّمْعُ . وَهَذِهِ اللفظَاتُ أَثَلَاثٌ مِنْ صِفَةِ  
الطَّرِ وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ . وَمَعَ هَذَا فَإِنَّكَ تَرَى لَفْظَتِي الْمَرْتَةِ

وَالَّذِي وَمَا جَرَى نَجْرَاهُمَا أَلُوفِي الْأَسْتِعْمَالِ وَتَرَى لَفْظَ الْبَعْقِ وَمَا  
 جَرَى نَجْرَاهُ . تَرَوْكَ لَا يَسْتَعْمِلُ . وَإِنْ اسْتَعْمِلَ فَإِنَّمَا يَسْتَعْمِلُهُ جَاهِلٌ  
 بِحَقِيقَةِ الْقَصَاحَةِ أَوْ ذَوْقُهُ غَيْرُ ذَوْقِ سَلِيمٍ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا مُخَضًّا مِنْ  
 الْجَاهِلِيَةِ الْأَقْدَمِينَ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ إِذَا عَلِمْتَ وَجِبَ الْوُقُوفُ  
 عِنْدَهَا وَلَمْ يَخْرُجْ عَلَى مَا خَرَجَ شَيْءًا . وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الْقَصِيحَ مِنْ  
 الْأَلْفَاظِ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ وَإِنَّمَا كَانَ ظَاهِرًا بَيِّنًا لِأَنَّهُ مَأْلُوفُ الْأَسْتِعْمَالِ  
 وَإِنَّمَا كَانَ مَأْلُوفُ الْأَسْتِعْمَالِ لِمَكَانِ حُسْنِهِ وَحُسْنِهِ يُدْرِكُ بِالسَّمْعِ .  
 وَالَّذِي يُدْرِكُ السَّمْعُ إِنَّمَا هُوَ الْفَرْقُ لِأَنَّهُ صَوْتٌ يَأْتِي عَنْ تَخَارُجِ  
 الْحُرُوفِ فَمَا اسْتَأْذَنَ السَّمْعُ مِنْهُ فَهُوَ أَحْسَنُ وَمَا كَوْنُهُ فَهُوَ الْقَصِيحُ  
 وَالْحَسَنُ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالْقَصَاحَةِ وَالْقَصِيحُ غَيْرُ مَوْصُوفٍ بِقَصَاحَةٍ لِأَنَّهُ  
 ضِدُّهَا لِمَكَانِ قَبْحِهِ . وَقَدْ مَثَلَتْ أَلِفُ التَّقْدِيمِ بِلَفْظَةِ الْمُرْتَبَةِ  
 وَالَّذِي وَلَفْظَةِ الْعَاقِ وَلَوْ كَانَتْ لِقَصَاحَةٍ لِأَمْرٍ يَرْجِعُ إِلَى الْمَعْنَى  
 لَكَانَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ سَوَاءً لَيْسَ وَهِيَ حَسَنٌ وَهِيَ  
 قَبِيحٌ . وَلَا يُمْكِنُ كَذَلِكَ عِلْمًا أَنَّهَا تَحْصِي الْأَلْفَاظَ دُونَ الْمَعْنَى .  
 وَلَيْسَ بِمَثَلِ هَذَا أَنْ يَقُولَ لَا لَفْظَ إِلَّا بِمَعْنَى فَكَيْفَ فَصَلَتْ أَنْتَ  
 بَيْنَ الْفَرْقِ وَالْمَعْنَى . ثَابِتٌ : لَمْ أَفْصَحْ بَيْنَهُمَا وَإِنَّمَا أَحْصَيْتُ الْأَلْفَاظَ  
 بِعَيْنَةٍ هِيَ لَهُ وَالْمَعْنَى يَحْيِي فِيهِ ضَمْنًا وَتَبَعًا

## البحث الرابع

### في احكام القصاحة وشروطها

( عن المثل السائر )

( راجع صفحة ٤٣ من علم الادب )

اعلم انه يحتاج صاحب هذه الصناعة في تأليفه الى ثلاثة اشياء : ( الاول ) ونها اختيار الالفاظ المفردة . وحكم ذلك حكم اللالي البندة فلانها تختار وتنقى قبل النظم . ( الثاني ) نظم كل كلمة مع اختيارها في المسألة لما يلائمي الكلام قلنا نافرا عن مواضعه وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه باختيار المسألة لما . ( الثالث ) تعرض المقصودون ذلك الكلام على اختلاف انواعه وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل اكليلا على الرأس وتارة يجعل قلادة في العنق وتارة يجعل شفا في الأذن ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تحضه . فلهذا ثلاثة اشياء لابد للخطيب والشاعر من العناية بها وهي الاصل المعتمد عليه في تأليف الكلام ونظم والنثر . فالاول والثاني من هذه الثلاثة المذكورة هما المراد بالقصاحة . والثلاثة مجملتها هي المراد بالبلغة . وهذا الموضع يضل في سلوك طريقه العلماء بصناعة صوغ الكلام ونظم والنثر فكيف الجهال الذين لم تتفتحهم راحة . ومن

الَّذِي يُؤْتِيهِ اللَّهُ فِطْرَةَ نَاصِيَةٍ يَكَادُ رِيتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ  
حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى مَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ الْأَلْقَاطِ فَيَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا  
وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ تَقَدَّمَ عَنِّي مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ لِلْأَلْقَاطِ الْمَفْرَدَةِ خَصَائِصَ  
وَهَيْئَاتٍ تَتَصِفُ بِهَا وَتَخْتَلِفُ فِي ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَ أَحَدُهُمْ شَيْئًا فُخْرِفَ  
فِيهِ وَكَذَلِكَ اسْتَشْجَحَ الْآخَرُ شَيْئًا فُخْرِفَ فِيهِ . وَلَوْ حَقَّقُوا النَّظَرَ وَوَقَّعُوا  
عَلَى السِّرِّ فِي اتِّصَافِ بَعْضِ الْأَلْقَاطِ بِالْحُسْنِ وَبَعْضِهَا بِالْقُبْحِ لَمَا كَانَ  
يَلْتَمِزُ خِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنْهَا

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ أَجْهَالٍ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ إِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةُ  
حَسَنَةٌ وَهَذِهِ قَبِيحَةٌ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ : كُلُّ الْأَلْقَاطِ حَسَنٌ وَالْوَاضِعُ لَمْ  
يَضَعْ إِلَّا حَسَنًا . وَمَنْ يَبْلُغُ جَهْلَهُ إِلَى أَنْ لَا يَفْرُقَ بَيْنَ لَفْظَةِ الْحُسْنِ  
وَلَفْظَةِ الْعُسْوَاجِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْمُدَامَةِ وَلَفْظَةِ الْإِسْفِنِطِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ  
السَّيْفِ وَلَفْظَةِ الْحَسَالِيلِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْأَسَدِ وَلَفْظَةِ الْفَدَوْكِرِ فَلَا  
يَتَنَبَّيْ أَنْ يُخَاطَبَ بِمُخَاطَبٍ وَبِحَاوَبٍ بِجَوَابٍ

وَقَدْ بَقِيََتْ هُنَاكَ أَوْصَافٌ أُخَرُ يَتَنَبَّيْ أَنْ يَنْبَهَ عَلَيْهَا . فَمِنْهَا أَنْ  
لَا تَكُونَ الْكَلِمَةُ وَحْشِيَّةً . وَقَدْ خَفِيَ الْوَحْشِيُّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَسَيِّينَ  
إِلَى صِنَاعَةِ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ وَظَنُّوهُ الْمُسْتَشْجَحَ مِنَ الْأَلْقَاطِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
بَلِ الْوَحْشِيُّ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا غَرِيبٌ حَسَنٌ وَالْآخَرُ غَرِيبٌ  
قَبِيحٌ . وَذَلِكَ أَنَّهُ مُنْسَوْبٌ إِلَى اسْمِ الْوَحْشِ الَّذِي يَسْكُنُ الْقِفَارَ وَلَيْسَ  
بِأَيْسَ . وَكَذَلِكَ الْأَلْقَاطُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مُؤَنَّةً لِإِسْتِعْمَالٍ . وَلَيْسَ  
مِنْ شَرْطِ الْوَحْشِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَشْجِحًا بَلِ أَنْ يَكُونَ نَافِرًا لَا يَأْلَفُ

الْأَنْسَ فَتَارَةً يَكُونُ حُسْنًا وَتَارَةً يَكُونُ قَبِيحًا . وَعَلَى هَذَا فَلَنْ أَحَدٌ  
 قَسَمَ الْوَحْشِيَّ وَهُوَ الْغَرِيبُ الْحَسَنُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَسْبَابِ  
 وَالْإِضَافَاتِ . وَأَمَّا الْقِسْمُ الْآخَرُ مِنَ الْوَحْشِيِّ السَّيِّئِ هُوَ قَبِيحٌ فَإِنْ  
 النَّاسَ فِي اسْتِقْبَالِهِ سَوَاءٌ وَلَا يَخْتَلِفُ بِهِ عَرَبِيٌّ بِلَادٍ وَلَا قُرَوِيٌّ مُنْخَصَرٌّ .  
 وَأَحْسَنُ الْأَلْفَافِ مَا كَانَ مَأْلُوفًا مُتَدَاوِلًا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَأْلُوفًا مُتَدَاوِلًا  
 إِلَّا لِكَانِ حُسْنِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي بَابِ التَّمْصَاحَةِ .  
 فَإِنْ أَرَبَابُ الْحَطَايَةِ وَالشَّعْرِ ظَنُّوا إِلَى الْأَلْفَافِ وَنَقَّبُوا عَنْهَا ثُمَّ عَدَلُوا  
 إِلَى الْأَحْسَنِ مِنْهَا فَاسْتَعْمَلُوهُ وَتَرَكُوا مَا سِوَاهُ وَهُوَ أَيْضًا يَتَفَاوَتُ فِي  
 دَرَجَاتِ حُسْنِهِ فَأَلْفَافٌ إِذَنْ تَنْقَسِمُ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ : قِسْمَانِ حَسَنَانِ  
 وَقِسْمٌ قَبِيحٌ . فَأَلْفَسِمَانِ الْحَسَنَانِ أَحَدُهُمَا مَا تَدَاوَلِ اسْتِعْمَالُهُ الْأَوَّلُ  
 وَالْآخِرُ مِنَ الزَّمَنِ الْقَدِيمِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا وَلَا يُطْلَقُ سِوَاهُ أَنَّهُ وَحْشِيٌّ .  
 وَالْآخَرُ مَا تَدَاوَلِ اسْتِعْمَالُهُ الْأَوَّلُ دُونَ الْآخِرِ وَيَخْتَلِفُ فِي اسْتِعْمَالِهِ  
 بِالنِّسْبَةِ إِلَى الزَّمَنِ وَأَهْلِهِ وَهَذَا هُوَ الَّذِي لَا يُعَابِ اسْتِعْمَالُهُ عِنْدَ  
 الْعَرَبِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ وَحْشِيًّا وَهُوَ عِنْدَنَا وَحْشِيٌّ

وَلَا يَنْبَغُ وَهْمُكَ لِيَا الْمُتَأَمِّلُ إِلَى قَوْلِ أَهْلَائِ الْأَنْدَلِ غَابَ عَلَيْهِ  
 غِلْظُ الطَّبَعِ وَفُجَاءَةُ الذِّهْنِ بِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ مِنَ الْأَلْفَافِ  
 كَذًّا وَكَذًّا هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ . بَلَى يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ  
 الَّذِي تَسْتَحْسِنُهُ نَحْنُ فِي زَمَانِنَا هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ  
 مُسْتَحْسَنًا وَالَّذِي تَسْتَحْسِنُهُ هُوَ الَّذِي كَانَ عَنْدهُمْ مُسْتَحْسَنًا . رَأَيْتُ اسْتِعْمَالَ  
 لَيْسَ بِدَلِيلٍ عَلَى الْحُسْنِ فَإِنَّا نَحْنُ نَسْتَعْمِلُ الْآنَ مِنَ الْكَلَامِ مَا

نيس بحسن وإنما تستعمله لضرورة فليس استعمال الحسن بممكن في كل الأحوال . وهذا طريق يضل به العارف بمسالكه ومن لم يعرف صناعة النظم وأثر وما يجده صاحبها من الكلفة في صوغ الألفاظ واختيارها فإنه مذكور في أن يقول ما قال :

لا يعرف الحزن الأمن يكابده ولا الصباة إلا من يعانيها  
ومع هذا فإن قول القائل : بأن العرب كانت تستعمل من  
الألفاظ كذا وكذا وهذا دليل على أنه حسن قول قاسد لا يصدر  
إلا عن جاهل . فإن استحسان الألفاظ واستقبالها لا يؤخذ بالتقليد من  
العرب لأنه شيء ليس التقليد فيه مجال وإنما هو شيء له خصائص  
وهيئات وعلامات إذا وجدت علم حسنه من فحجه . وأما الذي نقاد  
العرب فيه من الألفاظ فأنما هو الاستشهاد بأشعارها على ما ينقل من  
نعتها وأخذ بأقوالها في الأوضاع الخفية في رفع القائل ونصب  
المفعول وجز الخفاف إليه وجزم الشرط وآشابه ذلك وما عداه  
فلا . وحسن الألفاظ وفحجها ليس إضافيا إلى زيد دون عمرو أو إلى  
عمرو دون زيد لأنه وصف ذوي لا يتغير إلا بالإضافة . ألا ترى  
أن لفظة المزة متلاحسة عند الناس كافة من العرب وغيرهم  
وهام جرا لا يختلف أحد في حسنها . وكذلك لفظة البعاق فإنها  
قيمة عند الناس كافة من العرب وغيرهم فإذا استعملتها العرب  
لا يكون استعمالهم إياها نخرجا لها عن النج ولا يلتفت إذن إلى  
استعمالهم إياها بل يهاب استعمالها ويغافل له النكير حيث استعمالها

فَلَا تَهْنُ أَنْ الْوَحْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَافِ مَا يَكْرَهُهُ سَمْعُكَ وَيَثْقُلُ  
عَلَيْكَ النُّطْقُ بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ الْعَرِيبُ الَّذِي يَهْلُ اسْتِعْمَالُهُ فَتَارَةً يَخْفُ  
عَلَى سَمْعِكَ وَلَا تَجِدُ بِهِ كَرَاهَةً وَتَارَةً يَثْقُلُ عَلَى سَمْعِكَ وَتَجِدُ مِنْهُ  
الْكَرَاهَةَ. وَذَلِكَ فِي الْفَلْظِ عَيَانٍ : (أَحَدُهُمَا) أَنَّهُ غَرِيبُ الْاسْتِعْمَالِ  
(وَالْآخَرُ) أَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَى السَّمْعِ كَرِهَهُ عَلَى الذَّوْقِ. وَإِذَا كَانَ الْفَلْظُ  
يَهْدُو الضِّقَّةَ فَلَا مَزِيدَ عَلَى فَظَاطَتِهِ وَغَلَاطَتِهِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى  
الْوَحْشِيَّ الْقَلِيطَ وَيُسَمَّى أَيْضًا الْمُتَوَعَّرَ وَلَيْسَ وَرَاءَهُ فِي الْقَبْحِ دَرَجَةٌ  
أُخْرَى وَلَا يَسْتَعْمَلُهُ إِلَّا لَجَهْلِ النَّاسِ بِمَنْ لَمْ يَخْطُرْ بِإِلَالِهِ شَيْءٌ مِنْ  
مَعْرِفَةِ هَذَا الْقَهْرِ أَصْلًا. فَإِنْ قِيلَ : فَأَمَّا هَذَا النَّوعُ مِنَ الْأَلْفَافِ قَالَتْ :  
قَدْ بَيَّنْتُ لَكَ أَنَّهُ مَا كَرِهَهُ سَمْعُكَ وَثَقُلَ عَلَى لِسَانِكَ النُّطْقُ بِهِ .  
وَسَأَضْرِبُ لَكَ فِي ذَلِكَ مِثَالًا فَمِنْهُ مَا وَرَدَ مُتَابِعًا شَرًّا فِي كِتَابِ  
الْحَاسَةِ :

يَظَلُّ بِمَوَاقِفٍ وَيَمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرِوْرِي ظُهُورَ نَسَائِكَ  
فَإِنَّ لَفْظَةَ (جَحِيشٍ) مِنَ الْأَلْفَافِ الْمُنْكَرَةِ الْقَبِيحَةِ . وَإِلَهُ الْعَجَبِ  
أَلَيْسَ أَنَّهَا بِمَعْنَى (فَرِيدٍ) وَفَرِيدٌ لَفْظَةٌ حَسَنَةٌ رَائِعَةٌ وَلَوْ وَضَعْتَ فِي هَذَا  
الْبَيِّنَةِ مَوْضِعَ جَحِيشٍ لَمَا اخْتَلَفَ شَيْئًا مِنْ وَرْدِهِ . فَتَابِعْ شَرًّا مَا وَرَدَ  
وَجْهَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ اسْتَعْمِلَ الْقَبِيحَ. وَالْآخَرُ أَنَّهُ كَانَتْ  
لَهُ مَنَدُوحَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِهِ فَلَمْ يَسْجُدْ عَنْهُ . وَمِمَّا هُوَ أَقْبَحُ مِنْهَا : مَا وَرَدَ  
لَا يَلِي تَأْمِ قَوْلُهُ :

قَدْ قَالَتْ لَمَّا أَطْلَحْتُمُ الْأَمْرَ وَأَنْبَعَثَ عَشْرَاءُ قَالَتْ غَيْبًا دَهَارِيهَ

فَلَفْظَةُ (اَطْلَحْ) مِنَ الْاَلْفَاظِ الْمَكْرُوهَةِ الَّتِي جَمَعَتِ الْوُصْفَيْنِ السَّيِّئَيْنِ  
فِي اَنهَا غَرِيبَةٌ وَاَنهَا غَلِيظَةٌ فِي السَّمْعِ كَرِيحَةٌ عَلَى الذُّوقِ وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ  
(دَهَارِيسَ) اَيْضًا . وَعَلَى هَذَا وَرَدَّ قَوْلُهُ مِنْ آيَاتِ يَصِفُ قَوْمًا مِنْ  
جَمَلِيَّهَا :

نَعَمْ مَتَاعُ الدُّنْيَا حَبَالٌ بِهِ اَرْوَعُ لَا جَيْدَرُ وَلَا جَبَسُ  
فَلَفْظَةُ (جَيْدَرُ) غَلِيظَةٌ . وَاعْلَظْ مِنْهَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُسْتَسِي :  
جَحَّتْ وَهُمْ لَا يَخْتَفُونَ بِهَا يَهُمُ شَيْئًا عَلَى الْحَسَبِ الْاَغْرَ دَلَالًا  
فَاِنَّ لَفْظَةَ (جَحَّتْ) ذُرَّةُ الطَّعْمِ وَادَا مَرَّتْ عَلَى السَّمْعِ اَقْشَرُ مِنْهَا  
وَاَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِهَا كَأَسْتِعْمَالِ تَابَطَ شَرًّا لَفْظَةً جَحِيشَ . فَاِنَّ  
تَابَطَ شَرًّا كَانَتْ لَهُ مَدْوَدَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِ تِلْكَ الْاَلْفَظَةِ كَمَا اَشْرَفْنَا  
فِيمَا تَقَدَّمَ . وَكَذَلِكَ اَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الْاَلْفَظَةِ الَّتِي هِيَ  
جَحَّتْ فَاِنَّ مَعْنَاهَا فَحَرَتْ وَالْجَمْعُ الْقَحْرُ يُقَالُ : جَحَّ فُلَانٌ اِذَا فَحَرَ . وَلَوْ  
اسْتَعْمَلَ عَوْضًا عَنْ جَحَّتْ فَحَرَتْ لَأَسْتَقَامَ الْبَيْتُ وَحَظِيَ فِي اسْتِعْمَالِهِ  
بِالْأَحْسَنِ . وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَنْهَبُ هَذَا وَامْتَنَاهُ عَلَى وَثَلِ هَوَلَاءِ  
الْفُحُولِ مِنَ الشُّعْرَاءِ . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتَهُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنَ الْاَلْفَاظِ  
هُوَ الْوَحْشِيُّ الْقَلِيظُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَا يُدَانِيهِ فِي فَجْهِهِ وَكَرَاهَتِهِ . وَهَذِهِ  
الْأَمَثَلَةُ دَلِيلٌ عَلَى مَا أوردناه . وَالْعَرَبُ إِذَنْ لَا تُتْلَمُ عَلَى اسْتِعْمَالِ  
الْعَرِيبِ الْحَسَنِ مِنَ الْاَلْفَاظِ وَإِنَّمَا تُتْلَمُ عَلَى الْعَرِيبِ الْقَبِيحِ . وَهَذَا  
الْحَضَرِيُّ فَإِنَّهُ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْقِسْمَيْنِ مَعًا وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَشَدُّ مَلَامَةً  
مِنْهُ فِي الْآخَرِ



## البحث الخامس

### في الالفاظ المترادفة والاسماء المشتركة

( عن المثل السائر لابن الاثير )

( راجع صفحة ٦ من علم الادب )

وَيَقْتَرُ مُؤَلَّفُ الْكَلَامِ إِلَى مَعْرِفَةِ عِدَّةِ أَسْمَاءٍ لَا يَقَعُ اسْتِعْمَالُهُ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ لِجِدِّ إِذَا ضَاقَ بِهِ مَوْضِعٌ فِي كَلَامِهِ بِإِيرادِ بَعْضِ الْأَلْفَاظِ فِيهِ الْعُدُولَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ بِمَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ . وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ تُسَمَّى الْمُرَادِفَةَ وَهِيَ اتِّحَادُ الْمُسَمَّى وَاخْتِلَافُ أَسْمَاءِهِ كَقَوْلِنَا : الْخَمْرُ وَالرَّاحُ وَالْمَدَامُ . فَإِنَّ الْمُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَأَسْمَاؤُهُ كَثِيرَةٌ . وَكَذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَسْمَاءِ الْمَشْتَرَكَةِ اسْتِعْمَالِهَا عَلَى اسْتِعْمَالِ التَّجْنِيسِ فِي كَلَامِهِ وَهِيَ اتِّحَادُ الْأَسْمَاءِ وَاخْتِلَافُ الْمُسَمَّيَاتِ . كَالْعَيْنِ فَإِنَّهَا تُطْلَقُ عَلَى الْعَيْنِ النَّاطِرَةِ وَعَلَى يَتْبُوعِهَا . وَعَلَى الْمَطَرِ وَغَيْرِهِ . إِلَّا أَنَّ الْمَشْتَرَكَةَ تَقْتَرُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ إِلَى قَرِينَةٍ تُخَصِّصُهَا كَمَا لَا تَكُونُ مُبْهَمَةً . لِأَنَّ إِذَا قُلْنَا : عَيْنٌ . ثُمَّ سَكَنَّا وَقَعَ ذَلِكَ عَلَى مُحْتَمَلَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعَيْنِ النَّاطِرَةِ وَالْعَيْنِ الْتَابِعَةِ وَالْمَطَرِ وَغَيْرِهِ بِمَا هُوَ مَوْضُوعٌ بِإِزاءِ هَذَا الْأَسْمَاءِ . وَإِذَا قُرِنَ إِلَيْهِ قَرِينَةٌ تُخَصِّصُهُ نَالَ ذَلِكَ الْأَلِهَامَ بِأَن تَقُولَ : عَيْنٌ حَسَنَةٌ أَوْ عَيْنٌ نَضَاجَةٌ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ . وَهَذَا مَوْضِعٌ لِلْعُلَمَاءِ فِيهِ مُجَادَابَاتٌ جَدَلِيَّةٌ . فَمِنْهُمْ مَنْ يُسَكِّرُ أَنَّ الْفَلْظَ الْمَشْتَرَكَ حَقِيقَةٌ فِي الْأَعْيُنِ جَمِيعًا وَيَقُولُ

إِنَّ ذَلِكَ يُجِلُّ بِفَائِدَةٍ وَضَعُ اللَّغَةِ لِأَنَّ اللَّغَةَ إِنَّمَا هِيَ وَضَعُ الْأَلْفَافِ  
فِي دَلَالَتِهَا عَلَى الْمَعْنَى أَيْ وَضَعُ الْأَسْمَاءِ عَلَى التَّسْمِيَّاتِ لِتَكُونَ  
مُنْبَتَّةً عَنْهَا عِنْدَ إِطْلَاقِ الْفَلْظِ وَالْإِشْتِرَاكِ لَا يَبْكَانَ فِيهِ وَإِنَّمَا هُوَ ضِدُّ  
أَلْيَانٍ. لَكِنْ طَرِيقَ أَلْيَانٍ أَنْ يُجْمَلَ أَحَدُ الْمَعْنَيْنِ فِي الْفَلْظِ الْمَشْتَرِكِ  
حَقِيقَةً وَالْآخَرُ مُجَازِيًا. فَإِذَا قُلْنَا هَذِهِ كَلِمَةٌ. وَأَطْلَقْنَا الْقَوْلَ فُهِمَ رَنَّةُ  
الْفَلْظَةِ الْوَاحِدَةِ. وَإِذَا قِيلَ لَنَا الْفَلْظُ فَقُلْنَا هَذِهِ كَلِمَةٌ شَاعِرَةٌ. فُهِمَ مِنْهُ  
الْقَصِيدَةُ الْقَصِيدَةُ مِنَ الشَّعْرِ وَهِيَ تَجْمُوعُ كَلِمَاتٍ كَثِيرَةٍ. وَلَوْ أَطْلَقْنَا  
وَنَ غَيْرَ تَقْيِيدٍ وَارَدْنَا الْقَصِيدَةَ وَنَ الشَّعْرَ لَمَا فُهِمَ مُرَادُنَا أَلْبَسَهُ .  
هَذَا خِلَافٌ. وَانْهَبَ إِلَيْهِ مَنْ يَنْكُرُ وَقُوعَ الْفَلْظِ الْمَشْتَرِكِ فِي الْمَعْنَيْنِ  
حَقِيقَةً. وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ . وَمَا يَنْبَغِي مَا يَدْخُلُهُ مِنَ الْخَلَلِ فَأَقُولُ فِي  
الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ مَا اسْتَحْجَجْتُهُ فِكْرِي وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيهِ قَوْلٌ وَنَ  
قَبْلِي وَهُوَ : أَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّ فَائِدَةَ وَضَعِ اللَّغَةِ إِنَّمَا هُوَ أَلْيَانٌ عِنْدَ  
إِطْلَاقِ الْفَلْظِ وَالْفَلْظُ الْمَشْتَرِكُ يُجِلُّ بِهِذِهِ الْفَائِدَةُ . فَهَذَا غَيْرُ مُسَلَّمٍ

بَلْ فَائِدَةُ وَضَعِ اللَّغَةِ هُوَ أَلْيَانٌ وَالتَّحْسِينُ

( أَمَّا أَلْيَانٌ ) فَقَدْ وَفَى الْأَسْمَاءُ التَّسْمِيَّةَ الَّتِي كُلُّ اسْمٍ وَاحِدٍ  
دَلَّ عَلَى مَسْمًى وَاحِدٍ . فَإِذَا أُطْلِقَ الْفَلْظُ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ كَانَ بَيْنَنَا  
مَفْهُومًا لَا يَحْتَاجُ إِلَى قَرِينَةٍ وَلَوْ لَمْ يَضَعِ الْوَاضِعُ مِنَ الْأَسْمَاءِ شَيْئًا  
غَيْرَهَا لَكَانَ كَافِيًا فِي أَلْيَانٍ

( وَأَمَّا التَّحْسِينُ ) فَإِنَّ الْوَاضِعَ لِهَذِهِ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ  
اللُّغَاتِ ظَهَرَ إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَرْبَابُ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ فِيمَا يَصُغُّوهُ

مِنْ قَلَمٍ وَنَدَّ وَرَأَى أَنَّ مِنْ مُهِمَّاتِ ذَلِكَ التَّحْنِيسَ وَلَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا  
الْأَسْمَاءُ الْمُشْتَرِكَةُ الَّتِي هِيَ كُلُّ أَسْمٍ وَاجِدٍ دَلَّ عَلَى مُسَمَّيْنِ فَصَاعِدًا  
قَوْضَعًا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ يُجَادُّهُ جَانِبَانِ يَرْجِعُ أَحَدُهُمَا  
عَلَى الْآخَرِ . وَبَيَّاهُ أَنَّ التَّحْنِيسَ يَقْضِي بَوْضِعَ الْأَسْمَاءِ الْمُشْتَرِكَةِ  
وَوَضْعَهَا يَتَهَبُ بِفَائِدَةِ الْبَيَانِ عِنْدَ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ . وَعَلَى هَذَا فَإِنْ  
وَضَعَهَا الْوَاضِعُ ذَهَبَ بِفَائِدَةِ الْبَيَانِ وَإِنْ لَمْ يَضَعْ ذَهَبَ بِفَائِدَةِ  
التَّحْنِيسِ . لَكِنَّهُ إِنْ وَضَعَ اسْتَدْرَكَ مَا ذَهَبَ مِنْ فَائِدَةِ الْبَيَانِ بِالْقَرِينَةِ  
وَأَنْ لَمْ يَضَعْ لَمْ يَسْتَدْرِكْ مَا ذَهَبَ مِنْ فَائِدَةِ التَّحْنِيسِ فَتَرْجِعُ جَمِيعًا  
جَانِبَ الْوَضْعِ قَوْضَعًا

### البحث السادس

## في فصاحة المفرد وفصاحة المركب

( من شرح بديعة العميان لابن جابر الاندلسي باختصار )

( راجع صفحة ٤٠٥ من علم الادب )

الْفَصَاحَةُ فِي الْفَرْدِ هِيَ أَنْ تَكُونَ بِمَا اسْتَمَلَّتِ أَعْرَابُ النَّاسِ  
كَثِيرًا وَدَارَ عَلَى السَّلْبِ فَلَيْسَ مِنْ سِتَّةِ أَشْيَاءَ . ( دَوَلِ ) : أَنْ  
لَا يَذْكُرَ مِنْ حُرُوفٍ مُسَافِرَةٍ كَلَفْظَةِ (الْعَصْح) وَهُوَ نَبْتُ مَسَلِ اعْرَابِي  
عَنْ نَاقَتِهِ فَقَالَ : تَرَكْتُهَا تَرعى الْعَصْحَ . وَإِنَّمَا تَنَافَرَتْ حُرُوفُ هـ هـ  
الْكَلِمَةِ لِكُونِهَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ وَهُوَ لِطَلْقِ . ( لُيْنِي ) : أَنْ  
لَا تَتَوَلَّى فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ حَرَكَتَيْنِ يَحْدُثُ بِسَبَبِهِمَا نَقْصٌ . ( كَاتِ ) :

أَنْ لَا يَكُونَ مُتَاحِيَا فِي كَثْرَةِ الْحُرُوفِ بِلَا زِيَادَةٍ مَعْنَى نَحْوِ :  
خَنْدَرِيْس . وَلَا فِي قَلْبِهَا نَحْوِ : جِدَّ عَنْ ذَا الْمَرْءِ . وَخَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا  
وَهُوَ الثَّلَاثِي إِذَا لَا فَضْلَةَ فِيهِ نَحْوُ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ حَرْفِ الْإِبْتِدَاءِ  
وَحَرْفِ الْوَقْفِ وَحَرْفِ فَاصِلٍ بَيْنَ الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ . أَمَّا لَوْ كَانَتْ  
زِيَادَةُ الْحُرُوفِ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى زَائِدٍ لَكَانَتْ اللَّفْظَةُ فَصِيحَةً نَحْوِ :  
أَخْشَوْسَنَ . مَعْنَاهُ أَزِيدُ مِنْ خَشَنَ . (الرَّابِعُ) : أَنْ لَا يَكُونَ وَخْشِيَا  
غَيْرَ . أَلُوفِ نَحْوِ : الْإِسْفِنْطُ لِلْخَمْرِ وَالْخَنْسَالِيلُ لِلسَّيْفِ وَالْقُدُوسُ  
لِلْأَسَدِ . فَهَذِهِ الْأَقْلَاطُ غَرِيبَةٌ يَجُوبُهَا الطَّبَعُ وَلَا يُطْلَعُ عَلَى مَنَاهَا إِلَّا  
بَعْدَ تَجَنُّبٍ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ . (الْخَامِسُ) : أَنْ لَا يَكُونَ مَبْذُولًا وَذَلِكَ  
نَحْوُ أَنْ يُخْرَجَ اللَّفْظُ عَنْ أَصْلٍ وَضَعِهِ وَيَسْتَعْمَلُ فِي شَيْءٍ مُسْتَشْبَهٍ .  
(الْسَّادِسُ) : أَنْ لَا يَكُونَ مُشْتَرَكًا بَيْنَ مَعْنَيْنِ أَحَدُهُمَا مَكْرُوهٌ كَمَا لَوْ  
قَالَتْ : لَقِيتُ فَلَانًا فَعَزَزْتُهُ . فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ الْإِكْرَامَ وَالْأَهَانَةَ . فَلَوْ كَانَ فِي  
الْكَلَامِ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْحَسَنِ لَكَانَ اللَّفْظُ فَصِيحًا كَقَوْلِكَ :  
لَقِيتُ فَلَانًا فَعَزَزْتُهُ وَنَصَرْتُهُ . فَانْظُرْ (نَصَرْتُهُ) يَعْنِي فِيهِ الْمَعْنَى الْحَسَنَ .  
وَعَلَيْهِ يَكُونُ اللَّفْظُ حَسَنًا فِي نَفْسِهِ فَيَعْدُ قَبِيحًا بِسَبَبِ مُحَاوَلَةِ الْكَلَامِ  
وَمَوْقِعِهِ مِنْهُ

وَأَمَّا الْقَصَاحَةُ فِي التَّرْكِيبِ فَهِيَ أَنْ يَسْلَمَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ .  
(الْأَوَّلُ) : سَلَاةٌ مُفْرَدَاتِهِ وَنَ السِّتَةِ الْأَشْيَاءِ الْمَتَقَدِّمَةِ الَّتِي تُخْرِفُ فِي  
الْمُفْرَدِ لِأَنَّ لِلْمُرَكَّبِ حُكْمًا مَا تَرَكَّبَ مِنْهُ . (الثَّانِي) : أَنْ يَسْلَمَ مِنْ  
ضَمَنِ التَّأْلِيفِ وَهُوَ خُرُوجُهُ عَنْ قَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ كَقَوْلِهِ :

جَزَاءَ رَبِّهِ عَنِّي بَنِي حَاتِمٍ جَزَاءَ الْكِلَابِ أَعْلَوِيَّاتٍ وَقَدْ فَعَلَ  
فَائِدَةٌ خَالَفَ الْقِيَاسَ فِي إِعَادَةِ الضَّمِيرِ فِي (رَبِّهِ) إِلَى عَنِّي  
وَهُوَ مُتَأَخِّرٌ لَفْظًا وَمَعْنَى . وَالْقَاعِدَةُ الْعَرَبِيَّةُ أَنَّ يَعُودَ الضَّمِيرُ عَلَى مَا  
قَبْلَهُ أَوْ عَلَى مَا بَعْدَهُ لَفْظًا لَا مَعْنَى . (الثَّالِثُ) : أَنْ يَسْلَمَ مِنْ  
تَنَافُرِ الْكَلِمَةِ وَذَلِكَ أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَةُ حَالِ الْإِفْرَادِ غَيْرَ مُتَنَافِرَةٍ  
فَإِذَا رُكِبَتْ حَصَلَ التَّنَافُرُ تَحْوِ قَوْلِهِ :

وَقَدْ حَرَبَ (١) يُمْكِنُ قَفْرُ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرٍ حَرْبٌ فَبَزْ  
قِيلَ : إِنَّ هَذَا أَلْبَيْتَ لَا يُمَكِّنُ إِنْشَادُهُ فِي الْعَالِبِ ثَلَاثَ  
مَرَّاتٍ مُتَوَالِيَةٍ إِلَّا وَيَغْلُطُ الْإِنْشَادُ فِيهِ لِأَنَّ نَفْسَ اجْتِمَاعِ الْكَلَامِ  
وَالْقُرْبَ فِي الْحَرَكِ يُجِدَّانِ ثَقَلًا . وَإِذَا كَانَ السَّافِرُ فِي حُرُوفِ  
الْكَلِمَةِ فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى عَدَمِ فَصَاحَةِ الْفَرْدِ وَلَا يَسْلَمُ الْمُرْكَبُ مِنْ  
التَّنَافُرِ مَتَى تَسَلَّمَ مُفْرَدَاتُهُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحُهُ أَمَدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِي وَإِذَا مَا شِئْتُ لَمُنْتُ وَنَسِي  
فَالْتَّنَافُرُ فِيهِ مِنْ وَجْهِ تَكَرُّارِ (أَمَدَحُهُ) لِأَنَّ وَجْهَ أَلِ حُرُوفِ  
(أَمَدَحُهُ) مُتَنَافِرَةٌ لِاجْتِمَاعِ حَرَافِي الْخَلْقِ . (الرَّابِعُ) : أَنْ يَسْلَمَ  
مِنْ التَّنْعِيدِ وَهُوَ إِيرادُ كَلَامٍ خَفِيَ الدَّلَالَةُ عَلَى مَعْنَاهُ وَهُوَ مِنْ جِهَةِ  
الْلَفْظِ وَمِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى . فَمِنْ جِهَةِ الْلَفْظِ كِتَابُ خَيْرِ الْأَنْعَاطِ وَ :  
عَلَى مَوَاضِعِهَا وَحُصُولِ الْفَضْلِ إِذْ ذَاكَ يَتَنَبَّهُ الْأَسْيَاءُ بِإِبْلَاقِ  
الْفَرْدِ يَدْعُو إِبْرَاهِيمَ خَالَ هُشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا الْمَلِكُ أَبُو أُمِّهِ حَتَّى أَبَوْهُ يُقَارِبُهُ (١)  
 التَّعْدِيرُ: وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَتَّى يُقَارِبُهُ فِي الشَّرَفِ إِلَّا الْمَلِكُ أَبُو  
 أُمِّ ذَلِكَ الْمَلِكِ أَبُو هَذَا الْمَدُوحِ. قَالُوا: مَا فِيهِ مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ  
 الْمَوْذُونِ بِالتَّعْقِيدِ اللَّفْظِيِّ. وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى فَهُوَ أَنْ يُرِيدَ  
 أَنْ تَكَلَّمَ الدَّلَالَةُ فِي اللَّفْظِ عَلَى لَازِمِ مَعْنَاهُ فِي اعْتِقَادِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
 فِي الْمَشْهُورِ مِنْ كَلَامِ أَفْصَحَاءِ كَقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :

سَاطِبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لَتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمْعُوعَ لِحَمْدِ (٢)  
 فَجَعَلَ سَكْبَ الدَّمْعِوعِ كِنَايَةً عَمَّا يَلْزَمُ فِرَاقُ الْأَحْيَةِ مِنَ الْكِبَالَةِ  
 وَالْحُزْنِ وَأَصَابَ. لَكِنَّهُ أَخْطَأَ فِي جَعْلِ حُجُودِ الْعَيْنِ كِنَايَةً عَمَّا يُوجِبُهُ  
 دَوَامُ التَّلَاقِ مِنَ الْفَرَحِ وَالشُّرُورِ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ الشُّرُورَ يَمَعْنِي الْجُودَ.  
 لِأَنَّ جُودَ الْعَيْنِ عِنْدَ أَفْصَحَاءِ إِنَّمَا يَلْزَمُ تَجَلُّهَا بِالْأَفْصَحِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ  
 لَا الشُّرُورَ. وَأَعْلَمَ أَنَّ شَرَفَ الدِّينِ الطَّيْسِيِّ جَعَلَ يَتَى الْعَبَّاسِ  
 (سَاطِبُ بَعْدَ الدَّارِ) مِنَ الْمُطَابَقَةِ الْحَسَنَةِ وَلَيْسَ فِيهِ عِنْدَهُ تَعْقِيدٌ  
 وَمَعْنَوِيٌّ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ سَكْبَ الدَّمْعِوعِ فِي الْبَيْتِ عِبَارَةٌ عَنِ الْحُزْنِ.  
 وَالْجُودُ عِبَارَةٌ عَنِ الشُّرُورِ فَحَصَلَتْ بَيْنَهُمَا مُطَابَقَةٌ بِهَذَا اللَّفْظِ. وَجَعَلَ  
 التَّعْقِيدَ اللَّفْظِيَّ فِيمَا يَحْدُثُ مِنَ الْفِعْلِ مِنْ تَوَلَّى الْمُضَافَاتِ وَالضَّائِرِ  
 وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ مِنْ غَيْرِ عَطْفٍ وَتَكَرَّرِ الْأَفْظَارِ وَمَا جَرَى مَجْرَى

(١) أي ليس في الناس مثل المدوح حتى يقاربه إلا أناس اختاره وهو همام

الملك أي المعلى الملك

(٢) المعنى أي أطيعت معاً بالعبد والعراق وأوطها على مقاساة الحر

واقترح عصاً تبصر لأهلها المدوع من عني إلى أن يأتي حد العسر يسر

ذَلِكَ . (الخامس) أَنْ يَسْلَمَ مِنَ التَّكْرَارِ الْمَوْجِبِ فِي الْبَقْلِ كَتَّارُ  
الْفِظَةِ ذَاتِهَا وَتَوَالِي الْأَضَافَاتِ وَالصِّفَاتِ وَلَا يُجِلُّ بِالْفَصَاحَةِ قَطْعًا تَكَرُّرُ  
الْفِظَةِ لِلتَّوَكِيدِ وَإِنَّمَا يُعَابُ قُبْحُ التَّكْرَارِ بِلَا فائدة كَقَوْلِهِمْ بَعْضُهُمْ :  
كُنْتُ كُنْتُ كُنْتُ التَّيَرَكُنْتُ كَمَا

كُنَّا وَكُنْتُ وَلَكِنْ ذَاكَ لَمْ يَكُنْ

فَجَاءَتْ الْحُرُوفُ قَلَّةً مَكْنُودَةً غَيْرَ مَتَمَكِّنَةٍ فِي وَاقِعِهَا . (وَتَبَايَعُ  
الْأَضَافَاتِ) مِثْلُ قَوْلِ أَبِي قَالِدٍ :

حَمَلَةٌ جَرَعًا حَوْمَةً الْجَدَلُ أَنْجَبِي فَأَنْتِ بَرَايَ مِنْ سَعَادٍ وَهَسْبِي (١)  
فَقِيهِ إِضَافَةُ حَمَلَةٍ إِلَى جَرَعًا وَجَرَعًا إِلَى حَوْمَةٍ وَحَوْمَةٍ إِلَى الْجَدَلِ .  
وَلَيْسَ هَذَا بِفَصِيحٍ مَا نُوَسَّ

(وَتَوَالِي الصِّفَاتِ) ذَكَرَهُ الطَّبِيبِيُّ ذَلِكَ يَمَا يُجِدُّ فِي الْكَلَامِ  
ثِقَلًا وَأَسْتَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ الْمُتَنَبِّئِيِّ :  
دَانٍ بَعِيدٌ مَحَبٌّ مُبْغِضٌ بِهِمْ أَعَزُّ حُلُومٍ لَيْلٍ خَرَسُ

(١) الحرة تخفيف الحزماء وموت الأحرع وهي أرض ذات رمل لا تست  
تبقا، والحومة معطم الشيء . والجدل أرض ذات حجارة يقول : اسمها يا حاملة أرض  
قفرة سبعة فان سعاد تراك وتسمعك

## الفصل الثاني

في البلاغة

البحث الأول

في الابانة عن حد البلاغة

( من كتاب الصاعدين للمسكري )

( راجع صفحة ٩ من علم الادب )

الْبَلَاغَةُ كُلُّ مَا تُبْلَغُ بِهِ الْمَعْنَى قَلْبَ السَّمْعِ فَمُكِنُّهُ فِي نَفْسِهِ  
كَتْمُكِنِّهِ فِي نَفْسِكَ مَعَ صُورَةٍ مَقْبُولَةٍ وَمَعْرِضٍ حَسَنٍ . وَإِنَّمَا جَعَلْنَا  
حُسْنَ الْمَعْرِضِ وَقَبُولَ الصُّورَةِ شَرْطًا فِي الْبَلَاغَةِ لِأَنَّ الْكَلَامَ إِذَا  
كَانَتْ عِبَارَتُهُ رَئِثَةً وَمَعْرِضُهُ خَلَقًا لَمْ يُسَمَّ بَلِيغًا وَإِنْ كَانَ مَفْهُومُ الْمَعْنَى  
مَكْشُوفَ الْمَعْرِضِ . أَلَا تَرَى إِلَى مَعْنَى الْكَاتِبِ الَّذِي كَتَبَ إِلَى  
بَعْضِ مُعَاوِلِيهِ : ( قَدْ تَأَخَّرَ الْأَمْرُ فِيمَا وَعَدْتُ خَلَّةَ ضُخْوَةِ النَّهَارِ  
وَأَلْقَوْهُمْ غَيْرَ مُقِيمِينَ لَيْسَ لَهُمْ صَبْرٌ . فَإِنْ رَأَيْتَ فِي إِزَاحَةِ الْعِلَّةِ مَعَ  
الْجَهْدِ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ) . فَمَعْنَاهُ مَفْهُومٌ وَمَعْرِضُهُ مَعْلُومٌ وَلَيْسَ كَلَامُهُ  
بِلَيِّغٍ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْ شَرْطِ الْبَلَاغَةِ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى مَفْهُومًا  
وَاللَّفْظُ مَقْبُولًا عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ . وَمَنْ قَالَ إِنَّ الْبَلَاغَةَ إِنَّمَا هِيَ إِفْهَامُ  
الْمَعْنَى فَقَطْ فَقَدْ جَعَلَ الْفَصَاحَةَ وَاللُّكْنَةَ وَالْخَطَأَ وَالصَّوَابَ وَالْإِغْلَاقَ



وَالْإِبَاطَةُ سَوَاءٌ . وَآيُضًا فَلَوْ كَانَ الْكَلَامُ الْوَاضِحُ السَّهْلُ وَالْقَرِيبُ  
السَّيْسُ لَطُؤُ بَلِيغًا وَمَا خَالَفَهُ مِنَ الْكَلَامِ الْمُسْتَهْجِ الْمُسْتَقَلِّ  
وَالْمُسْكَفِ الْمُتَعَدِّ آيُضًا بَلِيغًا لَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ مُحْمُودًا وَمَمْدُوحًا  
مَقْبُولًا لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ أَمْرٌ يُمدَحُ بِهِ الْكَلَامُ . فَلَمَّا رَأَيْنَا أَحَدَهُمَا  
مُسْتَهْجَنًا وَالْآخَرَ مُسْتَهْجَأً عَلَيْنَا أَنَّ الَّذِي يُسْتَهْجَنُ هُوَ الْبَلِيغُ وَالَّذِي  
يُسْتَهْجَنُ لَيْسَ بِبَلِيغٍ . وَقَالَ الْعِتَابِيُّ : كُلُّ مَنْ أَفْهَكَ حَاجَتَهُ فَهُوَ  
بَلِيغٌ . وَإِنَّمَا عَنَى أَنَّ مَنْ أَفْهَكَ حَاجَتَهُ بِالْأَلْفَافِ الْحَسَنَةِ وَالْعِبَارَةِ  
الْقَصْدَةِ فَهُوَ بَلِيغٌ . وَلَوْ حَمَلْنَا هَذَا الْكَلَامَ عَلَى ظَاهِرِهِ لَلَزِمَ أَنَّ  
يَكُونُ الْأَلَكَنُ بَلِيغًا لِأَنَّهُ يَفْهَمُنَا حَاجَتَهُ بَلَى يَلْزَمُ أَنَّ يَكُونَ كُلُّ  
النَّاسِ بُلُقَاءَ حَتَّى الْأَطْفَالُ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ لَا يَعْدَمُ إِنْ يَدُلَّ عَلَى غُرْضِهِ  
بِفِجْمَتِهِ وَلَكِنَّتِهِ وَإِيمَانِهِ وَإِشَارَتِهِ بَلَى لَزِمَ أَنَّ يَكُونَ السُّنُورُ بَلِيغًا  
لِأَنَّا نَسْتَدِلُّ بِضَمَانِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ إِرَادَتِهِ وَهَذَا ظَاهِرُ الْأَحَالَةِ .  
وَنَحْنُ نَقُومُ رِطَانَةَ السُّوْقِيِّ وَجِجْمَةَ الْأَنْجَمِيِّ لِلْعَادَةِ الَّتِي جَرَتْ لَنَا فِي  
سَمَاعِهَا لِأَنَّ تِلْكَ بَلَاغَةٌ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَعْرَابِيَّ إِنْ سَمِعَ ذَلِكَ لَمْ  
يَفْهَمْهُ إِذْ لَا عَادَةَ لَهُ بِسَمَاعِهِ . وَكَأَرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَسْأَلَ بَعْضَ الْأَعْرَابِ  
عَنْ أَهْلِهِ فَقَالَ : كَيْفَ أَهْلُكَ ( بِالْكَسْرِ ) . فَقَالَ لَهُ الْبَلَاغِيُّ :  
صَابًا . إِذْ لَمْ يَشْكُ أَنَّهُ . إِنَّمَا يَسْأَلُهُ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي يَبْلُغُ بِهِ . وَسَمِعَ  
أَعْرَابِيٌّ قَصِيدَةَ أَبِي تَمَّامٍ فِي خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ :

طَلَّلَ أَجْمَعٍ لَقَدْ عَفَتْ حَمِيدًا

فَقَالَ : إِنَّ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَشْيَاءَ أَفْهَمِيًا وَأَشْيَاءَ لَا أَفْهَمِيًا

فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ قَائِلَهَا أَشْعَرُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ  
النَّاسِ أَشْعَرُ مِنْهُ . وَتَحْنُ فَهْمُ مَعَانِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِأَسْرَافِ إِعَادَتِنَا  
إِسْمَاعِ وَمِثْلِهَا لَا لِأَنَّا نَعْرِفُ بِالْكَلَامِ مِنَ الْأَعْرَابِ . وَمِمَّا يُؤَيِّدُ مَا  
قُلْنَا مِنْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ إِنَّمَا هِيَ إِيضَاحُ الْمَعْنَى وَتَحْسِينُ اللَّفْظِ قَوْلُ بَعْضِ  
الْحُكَمَاءِ : الْبَلَاغَةُ تَضَحِيحُ الْأَقْسَامِ وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .  
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَفِيَّةِ : الْبَلَاغَةُ قَوْلٌ يَضْطَرُّ الْعُقُولَ إِلَى فَهْمِهِ بِأَسْهَلِ  
الْعِبَارَةِ . وَقَوْلُهُ : ( يَضْطَرُّ الْعُقُولَ إِلَى فَهْمِهِ ) عِبَارَةٌ عَنْ إِيضَاحِ الْمَعْنَى .  
وَقَوْلُهُ : ( بِأَسْهَلِ الْعِبَارَةِ ) تَنْبِيهُ عَلَى تَسْلِيسِ اللَّفْظِ وَتَرْكِ تَنْجِيهِهِ

### البحث الثاني

### اقوال في تحديد البلاغة

( ملخص عن زهر الاداب المصري وكتاب الصنائع للمصري )

قَالَ أَعْرَابِيٌّ : الْبَلَاغَةُ الْقُرْبُ مِنَ الْبَعِيدِ وَالْتِبَاعُ مِنَ الْكَائِفِ  
وَالدَّلَالَةُ بِقَلِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ . قَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يُحْيَى : الْبَلَاغَةُ تَقْرِيرُ  
الْمَعْنَى فِي الْأَفْهَامِ مِنْ أَقْرَبِ وَجْهِ الْكَلَامِ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :  
الْبَلَاغَةُ الْبُلُوغُ إِلَى الْمَعْنَى وَلَمْ يَطْلُ سَفَرُ الْكَلَامِ . قَالَ سَهْلُ بْنُ  
هَارُونَ : أَلْيَانُ تَرْجُمَانِ الْقَوْلِ وَرَوْضُ الْقُلُوبِ . وَقَالَ آيُضًا : أَلْعَقْنُ  
رَأْدُ الرُّوحِ وَالْعِلْمُ رَأْدُ الْعَقْلِ وَأَلْيَانُ تَرْجُمَانِ الْعِلْمِ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
الْإِمَامُ : يَكْفِي مِنْ الْبَلَاغَةِ أَنْ لَا يُؤْتِيَ السَّامِعُ مِنْ سُوءِ فَهْمٍ النَّاطِقِ  
وَلَا يُؤْتِيَ النَّاطِقُ مِنْ سُوءِ فَهْمٍ السَّامِعِ . قَالَ الْإِمْتَانِيُّ : الْبَلَاغَةُ مَدُّ

الْكَلَامُ بِمَعْنَاهِ إِذَا قُصِرَ وَحُسِّنُ التَّأْلِيفِ إِذَا طَالَ . قَالَ أَعْرَابِي :  
 أَلْبَلَاغَةُ إِيجَازٌ فِي غَيْرِ عَجْزٍ وَاطْنَابٌ فِي غَيْرِ خَطَلٍ . وَقَدْ قِيلَ لِلْيُونَانِيِّ :  
 مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : تَضَمُّنُ الْأَقْسَامِ وَتَخْتِيارُ الْكَلَامِ . وَقِيلَ لِلرُّومِيِّ :  
 مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : حُسْنُ الْإِقْتِضَابِ عِنْدَ أَلْبَدَاهَةِ وَالْفُزَارَةِ يَوْمَ  
 الْأُطْلَاقِ . وَقِيلَ لِلْهِنْدِيِّ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَأَنْتَ لَمْ  
 أَفْرَصَ وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقِيلَ لِلْفَارِسِيِّ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : مَعْرِفَةُ  
 الْفَصْلِ مِنَ الْوَصْلِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَائِيُّ : أَلْبَلَاغَةُ إِيْصَالُ  
 الْمَعْنَى إِلَى الْقَلْبِ فِي حُسْنِ صُورَةٍ مِنَ اللفظ . وَسَلَّ بَعْضُهُمْ عَنْ  
 أَلْبَلَاغَةٍ قَالَ : أَبْلَغَ الْكَلَامَ مَا حَسَّنَ إِيجَازَهُ . وَقَالَ مَجَازُهُ . وَكَذَلِكَ  
 إِيجَازُهُ . وَتَنَاسَبَتْ صُورُهُ وَأَعْجَازُهُ . وَقِيلَ لِمُجْعَرِ بْنِ خَالِدٍ : مَا  
 أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : اتَّقَرُّبُ مِنَ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ وَالْأَدْلَاةُ بِالْقَبِيلِ عَلَى  
 الْكَثِيرِ . وَقِيلَ لِآخَرٍ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : تَطْوِيلُ أَتَصْيِيرُ وَتَقْصِيرُ  
 الطَّرِيقِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : حَذْفُ الْمَضْمُونِ  
 وَتَقَرُّبُ الْبَعِيدِ وَحُسْنُ الْأَسْتِعَارَةِ . وَقِيلَ لِحَالِيسُوسَ : مَا أَلْبَلَاغَةُ .  
 قَالَ : إِيضَاحُ الْمُضْطَرِّ وَفَكُّ الْمَشْكِلِ . وَقِيلَ لِلْحَلِيلِيِّ بْنِ حَمْدَةَ : مَا  
 أَلْبَلَاغَةُ . فَقَالَ : مَا قَرَّبَ طَرَفَاهُ وَبَعَدَ نَتَبَهُ . وَقِيلَ لِجَالِيسُوسَ بْنِ صَنُوانَ :  
 مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : إِصَابَةُ الْمَعْنَى وَاتَّقَصُّدُ لِي نَجْجَةٍ . وَقِيلَ لِآخَرٍ :  
 مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : تَصْوِيرُ الْحَقِّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ وَتَصْوِيرُ الْبَاطِلِ فِي  
 صُورَةِ الْحَقِّ (١) . وَقِيلَ لِأَبِيهِمْ أَلِهَامَ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . فَقَالَ : تَحْزِينُ وَإِصَابَةُ

(١) لا يجوز ذلك إلا على طريقة المعبرة في الأمور فائدة مسح وسم

قَالَ إِنْ حَاقُ بْنُ حَسَانَ : لَمْ يَفْسِرْ أَحَدُ الْبَلَاغَةِ تَفْسِيرَ ابْنِ الْمَقْعَمِ  
إِذْ قَالَ : الْبَلَاغَةُ لِمَا نَحْمِلُ فِي وَجْهِهِ كَثِيرَةٌ : فَيَنْهَا مَا يَكُونُ فِي  
الْإِشَارَةِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْحَدِيثِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْإِسْتِيعَارِ  
وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْإِنْجَاحِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ شِعْرًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ  
أَتِدَاءً . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ جَوَابًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ سَجْعًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ  
خُطْبًا . وَمِنْهَا رُبَّمَا كَانَتْ رَسَائِلَ . فَتَأْيِهُ ( ١ ) هَذِهِ الْأَبْوَابُ الْوَحْيُ  
فِيهَا وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْمَعْنَى الْمُبْلَغُ وَالْإِنْجَاحُ هُوَ الْبَلَاغَةُ . فَالْسُّكُوتُ يُسَمَّى  
بَلَاغَةً مَجَازًا وَهُوَ فِي حَالَةٍ لَا يَجْمَعُ فِيهَا الْقَوْلُ وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا إِقَامَةُ  
الْتَّجْمِيعِ . إِمَّا عِنْدَ جَاهِلٍ لَا يَفْهَمُ الْخُطَابَ أَوْ عِنْدَ وَضِيعٍ لَا يَرْهَبُ  
الْجَوَابَ . أَوْ ظَالِمٍ سَلِيطٍ يَحْكُمُ بِالْهَوَى وَلَا يَرْتَدِعُ بِكَلِمَةِ التَّقْوَى  
وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ يُعْرَى مِنْ تَخْفِيرٍ أَوْ تَحْلِيلٍ الشَّرُّ فَالْسُّكُوتُ أَوْلَى  
كَمَا قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

مَا كُلُّ نَظْمٍ لَهُ جَوَابٌ جَوَابُ مَا يُكْرَهُ السُّكُوتُ  
وَرُبَّمَا كَانَ صَمْتُكَ فِي حَالٍ أَرْفَقَ مِنْ كَلَامِكَ وَلَهُ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ  
قَوْلُهُمْ : كُلُّ صَامِتٍ نَاطِقٌ مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ دَلَالَةَ الصَّنِيعَةِ  
فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَاضِحَةٌ . وَالْمَوْعِظَةُ فِيهَا قَائِمَةٌ . وَقَدْ قَالَ الرَّقَائِبِيُّ :  
سَلِ الْأَرْضَ مِنْ شَقِّ أَنْهَارِكَ وَغَرَسِ أَشْجَارَكَ وَجَنِّ عِمَارَكَ . فَإِنْ لَمْ  
تُجِيبْ حِوَارَا أَجَابَتِكَ أَعْتَادًا . وَقَوْلُ ابْنِ الْمَقْعَمِ : ( رُبَّمَا كَانَتْ  
الْبَلَاغَةُ بِالْإِسْتِيعَارِ ) فَلِئِنْ التَّخَاطَبَ إِذَا لَمْ يُجِيسِ الْإِسْتِيعَارَ لَمْ

يَتَفَتَّ عَلَى الْمَعْنَى الْمَوْدِي إِلَى الْحَطَابِ . فَلَا سَمَاعَ لِحَسَنٍ عَوْنُ  
لِلْبَلِيغِ عَلَى إِفْهَامِ الْمَعْنَى

وَقَدْ جَاءَ لِلْبَلَاغَةِ تَعْرِيفَاتٌ أُخْرَى مِنْهَا قَوْلُ بَعْضِ حُكَمَاءِ أَهْلِئِد :  
جَمَاعُ الْبَلَاغَةِ الْبَصَرُ بِالْحُجَّةِ وَالْعُرْفَةُ بِمَوَاقِعِ الْقُرْصَةِ وَنَ الْبَصَرُ بِالْحُجَّةِ  
أَنْ تَدْعَ الْإِفْصَاحَ بِهَا إِلَى الْكِينَاةِ عَنْهَا إِذَا كَانَ طَرِيقُ الْإِفْصَاحِ  
وَعَرًّا وَكَانَتِ الْكِينَاةُ أَحْضَرَ نَفْعًا . قَالَ آخَرُ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا  
يُؤْنِسُ مَسْمَعَهُ . وَيُؤْنِسُ مَصْنَعُهُ . وَالْبَلِيغُ مَنْ يَجْتَنِي مِنَ الْإِلَاطِ أَوَارَهَا .  
وَمِنْ الْمَعَانِي ثَمَارَهَا . لَيْسَتْ الْبَلَاغَةُ أَنْ يُطَالَ عَنَانُ الْقَلَمِ أَوْ سَنَانُ .  
أَوْ يُبَسِّطَ رِهَانُ الْقَوْلِ وَمِيدَانُهُ . بَلْ هِيَ أَنْ يَبْلُغَ أَسَدُ الْمُرَادِ  
بِالْفَاطِ أَعْيَانِ وَمَعَانِ أَفْرَادٍ مِنْ حَيْثُ لَا يُرِيدُ عَلَى الْحَاجَةِ وَلَا إِخْلَالُ  
يُقْضَى إِلَى الْفَاقَةِ . وَصَفَ بَعْضُهُمُ الْبَلَاغَةَ قَالَ : هِيَ مِيدَانُ لَا يَقْطَعُ  
إِلَّا بِسَوَاقِي الْأَذْهَانِ . وَلَا يَسْلُكُ إِلَّا بِصَافِرِ الْبَيَانِ . يَسْتُ صَاحِبَهَا  
بِالْكَلَامِ . وَيَقُودُهُ بِاللَّيْنِ زَمَامُ . حَتَّى كَانَ الْإِلَاطُ تَحَاسُدِي تَتَافِي إِلَى  
خَوَاطِرِهِ وَالْمَعَانِي تَتَغَايَرُ فِي الْأَنْثِيَالِ عَلَى أَنَّهُ إِكْفُورٌ فِي نِزْمِ الْبَلَاغَةِ :  
تَغَايَرُ الشَّعْرِ فِيهِ إِذْ سَهَرَتْ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوْفِيهِ مَسْقُوتًا  
وَقِيلَ فِي بَلِيغٍ : فَلَانٌ مَشْرِقِي الْمَشْرِقِ . وَدَايِرِي فِي الْمَشْرِقِ .  
أَلْيَاكُنْ أَضْفَرُ صِفَاتِهِ . وَالْبَلَاغَةُ عَفْوُ خَطَرَاتِهِ . كَأَنَّهُ أَوْجِي بِأَتْرَفِي أَوْ  
صَدْرِهِ . وَحَسَنُ الصَّوَابُ بَيْنَ طَبْعِهِ وَفِكْرِهِ . يَجْزِي مَفْضُلُ كَلَامِهِ .  
وَيَسْتَقِي فِيهَا إِلَى دَرْكِ الْمُرَامِ . كَأَنَّمَا جَمَعَ الْكَلَامَ حَوَاحِي حَتَّى نَسْتَقِي وَنَتَقِي  
وَأَنْتَجَبَ . وَتَتَاوَلَ وَهُوَ مَا طَالَ . وَتَرَكَّ بِهِ ذَاتُ . وَتَرَكَّ بِهِ ذَاتُ . وَتَرَكَّ بِهِ ذَاتُ .

وَأَجْسَادًا لَا تُهْوَى . وَقِيلَ فِي آخَرٍ : يَرْضَى بِغَوْرِ الطَّبَعِ . وَيَقْنَعُ بِمَا  
خَفَّ عَلَى السَّمْعِ . وَيُوجِزُ فَلَا يُجِلُّ . وَيُطِيبُ فَلَا يُعِلُّ . فَلِلَّهِ فَلَانٌ أَخَذَ  
بِأَرْمَةِ الْقَوْلِ يَقُودَهَا كَيْفَ أَرَادَ وَيَجْذِبُهَا إِلَى شَاءٍ فَلَا تَقْصِيهِ  
بَيْنَ الصَّغْبِ وَالذَّلُولِ . وَلَا تُسْلِمُهُ عِنْدَ الْحُزْنِ وَالسُّهُولِ . كَلَامُهُ  
يَشْتَدُّ مَرَّةً حَتَّى تَقُولَ : الصَّخْرُ الْأَمْلَسُ . وَيَلِينُ تَارَةً حَتَّى تَقُولَ : أَلْمَاءُ  
أَوْ أَسْلَسُ . يَقُولُ : قَيْصُولُ . وَنَحِيبُ قَيْصِيبُ . وَيَكْتَسِبُ فَيْطِقُ الْمَفْصِلَ .  
وَيَسْتَقِ الدَّرَّ الْمَفْصَلَ . وَيَرِدُ مَشَارِعَ الْكَلَامِ وَهِيَ صَافِيَةٌ لَمْ تُطْرَقْ .  
وَجَامَةٌ لَمْ تُرْتَقِ . خَاطِرُهُ الْبَرَقُ أَوْ أَسْرَعُ لَمَعَا . وَالسَّيْفُ أَوْ أَحَدُ قِطْعَاهُ .  
وَأَلْمَاءُ أَوْ أَسْلَسُ جَرَاءً . وَالْفَلَكَ أَوْ أَقَوْمٌ هَدْيًا . يَسْهَلُ الْكَلَامُ عَلَى  
لَفْظِهِ وَتَتَرَاخَمُ أَلْمَاعَانِي عَلَى طَبْعِهِ فَيَتَنَاوَلُ الْمُرْتَمَى الْبَعِيدَ بِقَرِيبٍ سَعِيهِ .  
وَيَسْتَسْبِطُ الْمَشْرَعَ الْعَمِيقَ بِبَسِيرٍ جَرِيهِ . لِسَانُهُ يَتَّقِي الصُّخُورَ . وَيُفِيضُ  
الْبُحُورَ . خَطِيبٌ لَا تَنَالُهُ حُبْسَةٌ وَلَا تَرْتَهِنُهُ لُكْمَةٌ وَلَا تَحْفِيفُ يَبَانُهُ عُجْبَةٌ  
وَلَا تَغَارِضُ لِسَانُهُ عُقْدَةٌ تُجْنِسُ السَّفَارَةَ . وَيَسْتَرْفِي الْعِبَارَةَ . وَيُؤَدِّي  
الْأَلْقَاطَ . وَيَسْتَعْرِقُ الْأَغْرَاضَ . قَالَ حَتَّى قَالَ الْكَلَامُ : لَوْ أَعْنَيْتَ .  
وَكُتِبَ حَتَّى قَالَتْ الْأَقْلَامُ : قَدْ أَحْفَيْتَ

### البحث الثالث

في أوصاف البلاغات على السنة اقوام من اهل البلاغات

(عن زهر الاداب للقيرواني)

قَالَ بَعْضُ مَنْ وُلِدَ عَقَائِلُ هَذَا الْمَشُورِ . وَالْفِ فَوَاصِلُ هَذِهِ

الشُّدُورِ: تَجَمَّعَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الصَّنَاعَاتِ فَوَصَفُوا بِلَاغَاتِهِمْ مِنْ طَرِيقِ  
صِنَاعَاتِهِمْ . ( قَالُ الْجَوْهَرِيُّ ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ عِظَامًا مَا نَقَبَتْهُ  
يَدُ الْفِكْرَةِ وَظَلَمَتْهُ الْفِطْنَةُ وَوَصَلَ جَوْهَرُ مَعَانِيهِ فِي سُوطِ الْقَاظِهِ  
فَاحْتَمَلَتْهُ نُحُورُ الرُّوَاةِ . ( وَقَالَ الطَّائِرُ ) : أَطْيَبُ الْكَلَامِ مَا عُجِنَ  
عَنْدَ الْقَاظِهِ بِمِسْكٍ مَعَانِيهِ فَفَاحَ نَسِيمُ نَشْقِهِ . وَسَطَمَتْ رَائِحَتُهُ عَيْقَهُ .  
فَتَعَالَتْ بِهِ الرُّوَاةُ وَتَهَطَّرَتْ بِهِ الشُّرَاةُ . ( وَقَالَ الصَّائِغُ ) : خَيْرُ الْكَلَامِ  
مَا أَحْمَيْتَهُ بِكِبَرِ الْفِكْرِ . وَسَبَكْتَهُ بِمَشَاعِلِ النَّظَرِ . وَخَاصَّتَهُ مِنْ خَبَثِ  
الْإِطْنَابِ قَبْذُ بُرُودِ الْإِبْرِيزِ . فِي مَعْنَى وَجِيزٍ . ( وَقَالَ الصَّيْرَفِيُّ ) :  
خَيْرُ الْكَلَامِ مَا نَقَدَتْهُ يَدُ الْبَصِيرَةِ وَجَلَّتْهُ عَيْنُ الرُّوِيَةِ وَوَزَنَتْهُ بِمِيزَانِ  
الْقَصَاحَةِ فَلَا ظَرْفَ يُرِيقُهُ وَلَا سَمَاعَ يَبْهَرُجُهُ . ( وَقَالَ الْحَدَّادُ ) : أَحْسَنُ  
الْكَلَامِ مَا نَصَبْتَ عَلَيْهِ مِنْقَحَةَ الْقَرِيحَةِ وَأَشَعَلْتَ عَلَيْهِ نَارَ الْبَصِيرَةِ  
ثُمَّ أَخْرَجْتَهُ مِنْ قَحْمِ الْإِفْحَامِ . وَرَفَقْتَهُ بِفَيْطَلِ الْإِفْهَامِ . ( وَقَالَ  
الْحَجَّارُ ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا أَحْكَمْتَ تَجَرُّ مَعْنَاهُ بِقُدُومِ التَّقْدِيرِ . وَأَشْرَفَتْهُ  
بِمَنْشَارِ التَّذْيِيرِ . فَصَادَ بِأَبَا لَيْتِ الْبَيَانِ . وَعَارِضَتْهُ إِسْقَفُ اللَّيْسَانِ .  
( وَقَالَ الْجَمَّادُ ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا لَطَفَتْ رِقَافُ الْقَاظِهِ وَحَسُنَتْ  
سَطَارِحُ مَعَانِيهِ فَتَرَهَّتْ فِي ذَرَائِي مُحَاسِنِهِ عُيُونُ النَّاطِرِينَ . وَوَصَّاحَتْ  
لِنَارِقِ بَهْجَتِهِ أَذَانُ السَّائِعِينَ . ( وَقَالَ الْمَاتِحُ ) : آيِنُ الْكَلَامِ مَا  
عَلَقَتْ وَذَمَّ الْقَاظِهِ بِكَرَةِ مَعَانِيهِ ثُمَّ أَرْسَلَتْهُ فِي قَلْبِ الْفِطْنِ رِيَا  
فَأَمْتَحَتْ بِهِ سِقَا . يَكْشِفُ الشُّبُهَاتِ . وَأَسْتَبْطَتْ بِهِ مَعْنَى يُرْوِي مِنْ  
ظُلَمِ الْأَشْكِالَاتِ . ( وَقَالَ الْحَيَّاطُ ) : الْبَلَاغَةُ رِدَاءُ فُجْرَانَةِ الْبَيَانِ

وَجِبَتْ الْمَعْرِفَةُ وَكَانَتْ الْوَجَّازَةُ وَدَخَارِيصُهُ الْإِفْهَامُ وَدُرُودُهُ الْحَلَاوَةُ  
وَلَا يَسُهُ جَسَدُ اللَّفْظِ وَدُرُوحُ الْمَعْنَى . ( وَقَالَ الصَّبَّاحُ ) : أَحْسَنُ  
الْكَلَامِ مَا لَمْ تَخْضَ بِهِجْهُ إِيحَاذِهِ . وَلَمْ تُكْشِفْ صَبْغَةَ إِيحَاذِهِ .  
قَدْ صَقَّاهُ يَدُ الرُّوِيَّةِ مِنْ كُنُودِ الْأَشْكَالِ فَرَاعَ كَوَاعِبَ الْأَدَابِ .  
وَالْفَ عَذَارَى الْأَلْبَابِ . ( وَقَالَ لُطَاكُ ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا  
أَتَصَلَّتْ لِحَاةُ الْقَاطِظِ بِسَدَى مَعَانِيهِ تَحْجُجُ مُفَوَّقًا مُنِيرًا وَمُوشَى مُجَبِّرًا .  
( وَقَالَ الْبَزَّازُ ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا صَدَقَ رَقْمُ الْقَاطِظِ وَحَسُنَ  
تَشْرُ مَعَانِيهِ فَلَمْ يُسْتَجْمَعْ عَلَيْكَ تَشْرُ وَلَمْ يُسْتَبْهَمْ عَلَيْكَ طِي . ( وَقَالَ  
الرَّاغِبُ ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا لَمْ يُخْرِجْ عَنْ حَدِّ التَّحْلِيلِ إِلَى بَزْلَةِ التَّقْرِيبِ إِلَّا  
بَعْدَ الرِّيَاضَةِ وَكَانَ كَالْمُهَرِّ الَّذِي أَطْمَعَ أَوَّلُ رِيَاضَتِهِ فِي تَمَامِ ثِقَاتِهِ .  
( وَقَالَ الْجَمَالُ ) : أَلْيَغُ مَنْ أَخَذَ بِخِطَامِ كَلَامِهِ قَائِلُهُ فِي مَبْرَكِ الْمَعْنَى  
ثُمَّ جَعَلَ الْإِخْتِصَارَ لَهُ عِقَالًا وَالْإِيحَاذَ لَهُ مَجَالًا . فَلَمْ يَبْدَعْ عَنِ الْأَذَانِ . وَلَمْ  
يَشُدَّ عَنِ الْأَذْهَانِ . ( وَقَالَ الْحَارِثُ ) : أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا طَلَبَتْهُ مَرَاغِلُ  
الْعِلْمِ وَصَفَادُ رَاوِقِ الْفَهْمِ وَضَمَّتْهُ دِنَانُ الْحِكْمَةِ فَتَسَّتْ فِي  
الْفَاصِلِ عُذُوبَتَهُ وَفِي الْأَفْكَارِ دِقَّتُهُ وَفِي الْعُقُولِ جِدَّتُهُ . ( وَقَالَ  
الْفَقَّاعِيُّ ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا رَوَّحَتْ الْقَاطِظُ غَاوَةَ الشَّكِّ وَدَفَعَتْ  
دِقَّتَهُ قَطَاظَةَ الْجَهْلِ قَطَابَ جَسَاءٍ يَطْبُهُ وَعَذَبَ مَصُّ جُرْعِهِ . ( وَقَالَ  
الطَّبِيبُ ) : خَيْرُ الصَّلَامِ مَا إِذَا بَاشَرَ دَوَاءً يَبَاغِي سُفْهَ الشُّبْهَةِ  
أَسْطَاقَتْ طَبِيعَةُ أَنْبَاوَةِ فَشَفَى مِنْ سُوءِ الْفَهْمِ وَأَوْرَثَ حَيَاةَ التَّوَهُّمِ .  
( قَالَ الْكَمَّالُ ) : كَمَا أَنَّ الرَّهْدَ قَدَى الْأَبْصَارِ فَالشُّبْهَةُ قَدَى الْأَبْصَارِ



فَأَحْلَ عَيْنَ الْكُنْزِ عَمِلَ الْبَلَاغَةِ وَأَجْلُ رَمَضٍ الْفَلَقِ يَمُودُ الْيَقْظَةُ.  
( ثُمَّ قَالَ ) : أَحْمُوا كُلَّهُمْ عَلَى أَنَّ أَبْلَغَ الْكَلَامِ مَا إِذَا اشْرَقَتْ  
شَمْسُهُ أُنْكَشَفَ لَبْسُهُ وَإِذَا صَدَقَتْ أَنْوَاؤُهُ لُخْصِرَتْ أَحْمَاؤُهُ

## الفصل الثالث

في المعاني

البحث الأول

في حقيقة المعاني

( عن كشاف اصطلاحات الفنون بتصرف )

( راجع صفحة ١٠ من علم الادب )

الْمَعْنَى لُغَةً الْمَقْصُودُ وَفِي الْأَصْطِلَاحِ هُوَ الصُّورَةُ النَّهْيِيَّةُ مِنْ  
حَيْثُ إِنَّهُ وَضِعَ بِإِزَائِهَا اللَّفْظُ أَيُّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تُقْصَدُ بِهِ . وَذَلِكَ  
إِنَّمَا يَكُونُ بِالْوَضْعِ فَإِنْ عُبِّرَ عَنْهَا بِلَفْظٍ مُفْرَدٍ يُسَمَّى مَعْنَى مُفْرَدًا .  
وَأَنْ عُبِّرَ عَنْهَا بِلَفْظٍ مُرَكَّبٍ مُسَمًّى مَعْنَى مُرَكَّبًا . فَلَا فِرَادَ وَاتِّرَكِبُ  
صِفَتَانِ لِلْأَلْفَاظِ حَقِيقَةٌ وَيُوصَفُ بِهِنَّ الْمَعْنَى تَبَعًا . وَعِلْمُ الْمَعْنَى عِلْمٌ  
يُخْتَرِزُ بِهِ عَنِ الْخَطِّ فِي تَأْدِيَةِ الْمُرَادِ وَتُعْرَفُ أَحْوَالُ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ  
الَّتِي بِهَا يُطَابِقُ اللَّفْظُ مُتَقَضًى الْحَالِ وَهُوَ مِنْ أُصُولِ الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ  
يَبْحَثُ عَنِ الْمُرَكَّبَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِاعْتِبَارِ إِفَادَتِهَا لِمَعَانٍ زَائِدَةٍ عَلَى  
أَصْلِ الْمَعْنَى . قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْنَى : الْكَلَامُ الَّذِي يُوصَفُ

بِالْبَلَاغَةِ هُوَ الَّذِي يَدُلُّ بِلَفْظِهِ عَلَى مَعْنَاهُ الْأَعْرَبِي أَوْ الْعَرَفِي أَوْ  
الْشَّرْعِي . ثُمَّ نَحْدُ لِذَلِكَ الْمَعْنَى دَلَالَةً ثَانِيَةً عَلَى الْمَعْنَى الْمُقْصُودِ  
الَّذِي يُرِيدُ الْمُسْكِلُ اثْبَاتَهُ أَوْ نَقْيَهُ فَهَذَا الْفَاعِلُ وَمَعْنَى أَوَّلُ وَمَعْنَى  
ثَوَانٍ . فَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ هِيَ مَذْلُولَاتُ الْأَتْرَاكِيبِ وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي  
تُسَمَّى فِي عِلْمِ النَّحْوِ أَصْلَ الْمَعْنَى . وَالْمَعْنَى الثَّوَانِي الْأَعْرَاضُ الَّتِي  
يُسَمَّى لَهَا الْكَلَامُ . وَلِذَا قِيلَ : مُقْتَضَى الْحَالِ هُوَ الْمَعْنَى الثَّانِي .  
كَرَّرَ الْأَنْكَارَ وَدَفَعَ الشُّكَّ مَثَلًا إِذَا قُلْنَا : إِنَّ زَيْدًا قَاتِمٌ . فَالْمَعْنَى  
الْأَوَّلُ هُوَ الْقِيَامُ الْمَوْكَّدُ وَالْمَعْنَى الثَّانِي رَدُّ الْأِنْكَارِ وَدَفْعُ الشُّكِّ .  
وَإِذَا قُلْنَا : هُوَ أَسَدٌ فِي ضُورَةٍ أَلَا نَسَانِ . فَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ هُوَ مَذْلُولُ هَذَا  
الْكَلَامِ وَالْمَعْنَى الثَّانِي هُوَ أَنَّهُ شَجَاعٌ . فَالْمَعْنَى الثَّانِي هُوَ الَّذِي يُرَادُّ  
إِيرَادُهُ فِي الطَّرِيقِ الْمُخْتَلَفَةِ وَالْمَفْهُومُ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ .  
وَتَسْمِيَتُهُ بِالْمَعْنَى الثَّانِي لِكَوْنِ اللَّفْظِ دَالًّا عَلَيْهِ بِوَاسِطَةِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ .  
فَدَلَالَةُ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ عَلَى الثَّانِي عَقْلِيَّةٌ قَطْعًا وَأَمَّا دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى  
الْمَعْنَى الْأَوَّلِ فَقَدْ تَكُونُ وَضْعِيَّةٌ وَقَدْ تَكُونُ عَقْلِيَّةٌ . وَقَدْ تُسَمَّى  
الْمَعْنَى الْأَوَّلُ بِالْخُصُوصِيَّاتِ وَالْكَفَيَّاتِ الرَّائِدَةِ عَلَى أَصْلِ الْمَعْنَى  
وَبِالضُّوَرِ وَالْخُصَاصِ وَآخِرًا بِأَيَّامَ حَاجَزًا . إِنَّهُمْ سَمَوْا تَرْتِيبَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ  
وَكَذَا الْمَعْنَى الْأَوَّلِ الْفَاعِلَ . وَفَضِيلَةُ الْكَلَامِ بِاعْتِبَارِ هَذَا التَّرْتِيبِ  
لِكَوْنِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ مَحَلَّ الْفَضِيلَةِ لِأَنَّ تَرْتِيبَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّةِ فِي  
النَّفْسِ ثُمَّ تَرْتِيبَ الْأَلْفَاظِ فِي النُّطْقِ عَلَى حَذْوِهَا عَلَى وَجْهِ يَنْتَقِلُ مِنْهَا  
الذَّهْنُ بِتَوَسُّطِهَا إِلَى الْخُصَاصِ فِي الْإِفَادَةِ بِلَا إِخْلَالٍ وَلَا تَعْقِيدٍ هُوَ

الْبَلَاغَةُ فَيَكُونُ تَرْتِيبُ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ عَلَى الْوَجْهِ الْمُخْصَرِ مَنَاسِبًا  
الْفَضِيلَةَ وَمَنَاطُ الْبَرَاغَةِ بِلَا شَكٍّ . قَالَ الشَّيْخُ : وَلَمَّا كَانَتْ الْمَعْنَى  
تَتَبَّنُ بِالْأَلْفَاظِ وَلَمْ يَكُنْ لِتَرْتِيبِ الْمَعْنَى سَبِيلٌ إِلَّا بِتَرْتِيبِ الْأَلْفَاظِ  
فِي الْأَنْطِقِ تَجَوُّزًا فَعَبَّرُوا عَنْ تَرْتِيبِ الْمَعْنَى بِتَرْتِيبِ الْأَلْفَاظِ ثُمَّ  
بِالْأَلْفَاظِ بِجَدْفِ التَّرْتِيبِ . وَإِذَا وَضَعُوا اللفظَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى تَفْخِيمِهِ  
كَانَ يُقَالُ الْبَلَاغَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى اللفظِ . أَوْ هُوَ مَحَلُّ الْفَضِيلَةِ الَّتِي هِيَ  
يَسْتَحِقُّ الْإِتِّصَافَ بِالْفَصَاحَةِ وَتَحْوِيلَهَا لَمْ يُرِيدُوا اللفظَ الْمَنْطُوقَ وَلَكِنْ  
أَرَادُوا مَعْنَى اللفظِ الَّذِي دَلَّ عَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي

## البحث الثاني

### في صحة المعاني

( عن ادب الدنيا والدين للماوردي )

( راجع صفحة ١١١ من علم الادب )

أَمَّا صِحَّةُ الْمَعْنَى فَتَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ : ( أَحَدُهَا ) إِضَاحُ  
تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا تَكُونَ مُشْكِلَةً وَلَا مُجْمَلَةً . ( وَالثَّانِي ) اسْتِيفَانَا : تَقْسِيمُهَا  
حَتَّى لَا يَدْخُلَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا وَلَا يَخْرُجَ عَنْهَا مَا هُوَ فِيهَا . ( وَالثَّلَاثُ )  
صِحَّةُ مُقَابَلَتِهَا . وَالْمُقَابَلَةُ تَكُونُ مِنْ وَجْهَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) مُقَابَلَةُ الْمَعْنَى بِمَا  
يُؤَافِقُهُ وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْمُقَابَلَةِ لِأَنَّ الْمَعْنَى قَصِيرٌ مُتَشَابِهَةٌ . وَالثَّانِي  
مُقَابَلَتُهُ بِمَا يُضَادُّهُ وَهُوَ حَقِيقَةُ الْمُقَابَلَةِ . وَلَيْسَ لِلْمُقَابَلَةِ إِلَّا أَحَدُ هَذَيْنِ  
الْوَجْهَيْنِ : الْمَوَافَقَةُ فِي الْإِتِّبَالِ وَالْمُضَادَّةُ مَعَ الْإِخْتِلَافِ . فَأَمَّا فَصَاحَةُ

الْأَلْفَاظِ فَتَكُونُ ثَلَاثَةً أَوَّجِهَ : ( أَحَدُهَا ) مُجَانِبَةُ الْغَرِيبِ الْوَحْشِيِّ  
 حَتَّى لَا يَجُتَّحِ سَمْعٌ وَلَا يَنْفِرَ مِنْهُ طَبْعٌ . ( وَالثَّانِي ) تَنَكُّبُ الْأَلْفَظِ الْمُبْتَدَلِ  
 وَالْعُدُولُ عَنِ الْكَلَامِ الْمُسْتَرْدَلِ حَتَّى لَا يَسْتَسْقِطَ خَاصِيٌّ وَلَا يَلْبُو  
 عَنْهُ فَهَمَّ عَامِيٌّ كَمَا قَالَ الْجَلِيزِيُّ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ : أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَرِ  
 قَوْمًا أَمَلُوا طَرِيقَهُ فِي الْبَلَاغَةِ بَيْنَ الْكُتَّابِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدِ انْتَسَوْا  
 مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعَّرًا وَحْشِيًّا وَلَا سَاقِطًا عَامِيًّا . ( وَالثَّلَاثُ )  
 أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَمَعَانِيهَا مُنَاسَبَةٌ وَمُطَابَقَةٌ . أَمَّا الْمُطَابَقَةُ  
 فَهِيَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ كَالْقَوَالِبِ لِمَعَانِيهَا فَلَا تَرِيدُ عَلَيْهَا وَلَا  
 تَنْقُصُ عَنْهَا . وَقَالَ بِشَرُّ بْنُ الْعُتَيْرِ فِي وَصِيَّتِهِ فِي الْبَلَاغَةِ : إِذَا لَمْ  
 تَجِدِ اللَّفْظَةَ وَاقِعَةً مَوْقِعَهَا وَلَا صَارَةً إِلَى مُسْتَقَرِّهَا وَلَا حَاقَةً فِي  
 مَرْكَزِهَا بَلْ وَجَدْتَهَا قَلْبَةً فِي مَكَلِّهَا نَافِرَةً عَنْ مَوْضِعِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى  
 الْقَرَارِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَاطَ قَرْضَ الشَّعْرِ الْمَوْزُونِ  
 وَلَمْ تَتَكَلَّفِ اخْتِيَارَ الْمَشُورِ لَمْ يَبْعَكَ بِتَرْكِ ذَلِكَ أَحَدٌ وَإِذَا أَنْتَ  
 تَكَلَّفْتَهُمَا وَلَمْ تَكُنْ حَاقِدًا فَهَيْمًا عَابَكَ مَنْ أَنْتَ أَقْلٌ عِيًّا مِنْهُ  
 وَأَزْدَى عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ قَوَّةٌ . وَأَمَّا الْمُنَاسَبَةُ فَهِيَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى  
 يَلِيقُ بِبَعْضِ الْأَلْفَاظِ إِمَّا يُعْرَفُ مُسْتَعْمَلٍ أَوْ لَا تَفَاقٍ مُسْتَحْسَنٍ حَتَّى  
 إِذَا دُرِّتَ تِلْكَ الْمَعْنَى بِبَيِّنٍ تَأْكُ الْأَلْفَاظُ كَانَتْ نَافِرَةً عَنْهَا وَإِنْ  
 كَانَتْ أَفْصَحَ وَأَوْضَحَ لِإِعْيَادِ مَا سَوَاهَا . وَقَالَ بَعْضُ الْبَلَّغَاءِ :  
 لَا يَكُونُ الْبَلِغُ بَلِغًا حَتَّى يَكُونَ مَعْنَى كَلَامِهِ أَسْبَقَ إِلَى فَهْمِكَ مِنْ  
 لَفْظِهِ إِلَى سَمْعِكَ . وَأَمَّا مُطَابَقَةُ الْأَعْرَابِ وَتَجَنُّبُ الظَّنِّ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ

صِفَاتِ الصَّوَابِ . وَالْبَلَاغَةُ أَعْلَى مِنْهُ رُبَّةً وَأَشْرَفُ مَثَلَةٍ وَلَيْسَ لِمَنْ  
لَحَنَ فِي كَلَامِهِ مَدْخَلٌ فِي الْأَدْبَاءِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ فِي عِدَادِ  
الْبُلَّغَاءِ

### البحث الثالث

### في انواع المعاني

( ملخص عن زهر الاداب للتبرواني )

( راجع صفحة ١٢ من علم الادب )

قَالَ أَبُو عُمَانَ عَمْرُو بْنُ نُجَيْرٍ الْجَلِيطُ: قَالَ بَعْضُ جَمَاهِدَةٍ الْأَلْفَاظِ  
وَنَقَادِ الْمَعَانِي: الْمَعَانِي الْقَائِمَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ الْمَتَّصِرَةُ فِي أَذْهَانِهِمْ  
الْمُخْتَلِجَةُ فِي قُورِهِمْ الْمُتَّصِلَةُ بِجَوَاطِرِهِمْ وَالْحَادِثَةُ عَنْ فِكْرِهِمْ  
مَسْتَوْرَةٌ خَفِيَّةٌ وَبَعِيدَةٌ وَحَشِيَّةٌ وَخَجُوبَةٌ مَكْنُونَةٌ وَمَوْجُودَةٌ فِي مَعْنَى  
مَعْدُومَةٌ لَا يَعْرِفُ إِلَّا النَّسَانُ ضَمِيرَ صَاحِبِهِ وَلَا حَاجَةَ أَخِيهِ وَخَلِيطِهِ وَلَا  
مَعْنَى شَرِيكِهِ وَالْمُعَاوِنِ لَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَعَلَى مَا لَا يَبْلُغُهُ مِنْ حَاجَاتِ نَفْسِهِ  
إِلَّا بِغَيْرِهِ . وَإِنَّمَا يُجْنِي تِلْكَ الْمَعَانِي ذِكْرُهَا لَهَا وَإِخْبَارُهَا عَنْهَا  
وَأَسْتِعْمَالُهَا أَيَّاهَا . وَهَذِهِ الْخِصَالُ هِيَ الَّتِي تُقَرِّبُنَا مِنْ أَلْفِهِمْ وَتَحُلُّوهَُا  
لِلْعَقْلِ وَتَجْعَلُ الْخَفِيِّ مِنْهَا ظَاهِرًا وَالْقَائِبَ شَاهِدًا وَالنَّعِيدَ قَرِيبًا . وَهِيَ  
الَّتِي تُلْخِصُ الْمَتَنِسَ وَتَحُلُّ الْمُنْعَدَ وَتَجْعَلُ الْمُهْمَلَ مُقِيدًا وَالْمُقِيدَ مُطَاقًا  
وَالْمَجْهُولَ مَعْرُوفًا وَالْوَحْشِيَّ مَأْلُوفًا . وَعَلَى قَدْرِ وَضُوحِ الدَّلَالَةِ وَصَوَابِ  
الْإِشَارَةِ وَحُسْنِ الْإِحْتِصَارِ وَرِقَّةِ الْمَدْخَلِ يَكُونُ ظُهُورُ الْمَعْنَى وَكَمَا

كَانَتْ الدَّلَالَةُ أَوْضَحَ وَأَفْصَحَ وَكَانَتْ الْإِشَارَةُ آيِنَ وَأَنُورَ كَانَتْ  
 أَنْقَعَ وَأَنْجَعَ فِي الْبَيَانِ . ثُمَّ أَعْلَمَ حِفْظَكَ اللَّهُ أَنَّ مُحْكَمَ أَلْعَانِي خِلَافُ  
 مُحْكَمِ الْأَلْفَاظِ لِأَنَّ أَلْعَانِي مَبْسُوطَةٌ إِلَى غَايَةٍ وَمُمْتَدَّةٌ إِلَى غَيْرِهَا وَنَمَاءُ  
 أَلْعَانِي مَحْضُورَةٌ مَعْدُودَةٌ وَمُحْصَلَةٌ مَحْدُودَةٌ . وَجَمِيعُ أَصْنَافِ الدَّلَالَةِ عَلَى  
 أَلْعَانِي مِنْ لَفْظٍ أَوْ غَيْرِ لَفْظٍ خَمْسَةٌ أَشْيَاءٌ لَا تَنْقُصُ وَلَا تَزِيدُ : أَوَّلُهَا  
 اللَّفْظُ . ثُمَّ الْإِشَارَةُ . ثُمَّ الْقَدْرُ . ثُمَّ الْخَطُّ . ثُمَّ الْحَالُ الَّتِي تَسْمَى نَصْبَةً . وَالنَّصْبَةُ  
 هِيَ الْحَالُ الدَّالَّةُ الَّتِي تَقُومُ مَقَامَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ وَلَا تَقْصُرُ عَنْ تِلْكَ  
 الدَّلَالَاتِ . وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الدَّلَالَاتِ لِحَمْسَةِ صُورَةٍ بَاقِيَةٍ مِنْ  
 صُورَةٍ صَاحِبَتِهَا وَحِلْيَةٍ مُخَالِفَةٍ لِحِلْيَةِ أُخْتِهَا . وَهِيَ الَّتِي تَكْشِفُ لَكَ عَنْ  
 أَعْيَانِ أَلْعَانِي فِي الْجُمْلَةِ وَعَنْ حَقَائِقِهَا فِي التَّفْسِيرِ وَعَنْ أَجْنَاسِهَا  
 وَأَقْدَارِهَا وَعَنْ خَاصِّهَا وَعَامِّهَا وَعَنْ طَبَقَاتِهَا فِي السَّارِ وَالزَّارِ وَعَمَّا  
 يَكُونُ مِنْهَا لَهَا مَبْهَرَجًا وَسَاطِعًا مُطْرَحًا . وَفِي تَحْوِيلِ أَبِي عُمَانَ  
 (إِنَّ أَلْعَانِي غَيْرَ مَقْصُورَةٍ وَلَا مَحْضُورَةٍ ) يَقُولُ أَبُو نَعْمَانَ الطَّائِي لِأَيِّ  
 ذَلْفَ بْنِ عَيْسَى الْهَجَلِيِّ :

وَلَوْ كَانَ يَفْقَى الشَّرَافَتَهُ مَا قَرَّتْ حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْعُصُورِ الذَّوَاهِبِ  
 وَلَكِنَّهُ فَيَضُ الْعُقُولَ إِذَا تَلَجَّتْ سَحَابٌ مِنْهُ أُغْبِتَتْ بِسَحَابِ  
 وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُعْتَرِ : لِحْظَةُ الْقَلْبِ أَمْرٌ مِنْ لِحْظَةِ  
 أَلَيْنِ وَابْتَدَأَ بِجَلَالِهَا وَهِيَ أَمَّا نَصَبٌ فِي أَعْمَاقِ أَوْدِيَةِ الْفِكْرِ وَالْمَنَامَةِ  
 لَوْجُوهِ الْعَوَاقِبِ وَالْجَامِعَةِ بَيْنَ مَا غَابَ وَحَضَرَ وَالْمِيزَانَ الشَّاهِدِ عَلَى  
 مَا نَقَعَ وَحَضَرَ . وَالْقَلْبُ كَالْمِلْحِيِّ لِلْكَلَامِ عَلَى اللِّسَانِ إِذَا نَطَقَ وَالْيَدُ

إِذَا كَبَّتْ . وَالْأَقْلُ يَكْسُو الْمَعَانِي وَشَى الْكَلَامُ فِي قَلْبِهِ ثُمَّ  
يُنْدِيهَا بِالْفَاطِ كِرَاسٍ فِي أَحْسَنِ زِينَةٍ . وَالْأَهْلُ يَسْتَعِجِلُ بِإِظْهَارِ  
الْمَعَانِي قَبْلَ الْعِنَايَةِ بِدَرَجَاتٍ مَعَارِضِهَا وَاسْتِكْمَالِ مُحَاسِنِهَا . قِيلَ ابْشَارِ  
أَنْ بَرِدَ : مَا قُتَّتْ أَهْلُ عَمْرِكَ وَسَبَقَتْ أَهْلُ عَصْرِكَ فِي حُسْنِ مَعَانِي  
الشَّعْرِ وَتَهْذِيبِ الْفَاطِ . قَالَ : لِأَنِّي لَمْ أَنْبَلُ كُلَّ مَا تَوَرَّدَهُ عَلَيَّ  
تَرْجِيحِي وَيُتَاجِجِي بِهِ طَبْعِي وَيَعْنُهُ فِكْرِي . وَنَظَرْتُ إِلَى مَعَارِسِ  
الْفِطَنِ وَمَعَادِنِ الْحَقَائِقِ وَلَطَائِفِ التَّشْبِihَاتِ فَسَبَقْتُ إِلَيْهَا بِفَهْمِ  
جَيِّدٍ وَغَرِيزَةٍ قَوِيَّةٍ فَأَحْكَمْتُ سِرَّهَا وَاتَّقَيْتُ حُرَّهَا وَكَشَفْتُ عَنْ حَقَائِقِهَا  
وَأَعْدَرْتُ مِنْ مُتَكَلِّفِهَا وَمَا مَلَكَ قِيَادِي قَطُّ إِلَّا عَجَابُ بَشِيءٍ بِمَا  
آتَى بِهِ

### المبحث الرابع

### في الحكم على المعاني

( من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف )

فَائِدَةُ هَذَا الْفَصْلِ الْإِحَاطَةُ بِأَسَالِبِ الْمَعَانِي عَلَى اخْتِلَافِهَا  
وَقِيَامِهَا . وَصَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مُقْتَرِفٌ إِلَى هَذَا الْفَصْلِ وَالَّذِي يَأْتِيهِ  
بِخِلَافٍ غَيْرِهِمَا مِنْ هَذِهِ الْفُصُولِ الْمَذْكُورَةِ لَا سِيَّمَا مُفَسِّرِي الْأَشْعَارِ  
فَانَّهُمْ بِهِ أَغْنَى . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْمَعْنَى أَنْ يُجْمَلَ عَلَى ظَاهِرِ  
لَفْظِهِ وَمَنْ يَذْهَبُ إِلَى التَّأْوِيلِ يَفْتَقِرُ إِلَى دَلِيلِ كَقَوْلِهِ أَتَقَابِلُ :  
وَيُثَابِتُكَ فَطَوْرُهُ . فَالظَّاهِرُ مِنْ لَفْظِ (الْقِيَابِ) هُوَ مَا يُبَاسُ وَمَنْ تَأَوَّلَ  
ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ الْقَلْبُ لَا الْمَلْبُوسُ . وَهَذَا لَا بُدَّ مِنْ

دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ . وكذلك ورد عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال : إذا أردت أن تصلي فأدخل بيتك وأغلق بابك . فالظاهر من هذا هو البيت والباب . ومن تأول ذهب إلى أنه أراد أنك تجمع عليك هم قلبك وتنع أن يخطر به سوى أمر الصلاة . فبعد عن القلب بالبيت وعن منع الخواطر التي تخطر له بإغلاق الباب . وهذا يحتاج إلى دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ . فالمعنى المحمول على ظاهره لا يقع في تفسيره خلاف والمعنى المعدول عن ظاهره إلى التأويل يقع فيه اختلاف إذ باب التأويل غير محصور . والعلماء متفاوتون في هذا فإنه قد يأخذ بعضهم وجهاً ضعيفاً من التأويل فيكسوه بسارته قوة تميزه على غيره من الوجوه القوية فإن السيف بضاربه

إن السيوف مع الذين قلوبهم كفؤين إذا التقى الجمعان تلقى الحسام على جراحة حده . ومثل أحيان يكف كل جبان وهذا الفصل الذي نحن بصدده ذكره هاهنا يرجع أكثره إلى التأويل لأنه أدق ولا يخلو تأويل المعنى من ثلاث أقسام : إما أن يفهم منه شيء واحد لا يحمّل غيره . وإما أن يحمّل الشيء غيره . وتلك الغيرية إما أن تكون ضدّاً أو لا تكون ضدّاً وليس لنا قسم رابع . ( فالأول ) يقع عليه أكثر الأشعار ولا يجري في الدقة والطلاقة مجرى القسمين الآخرين . ( وأما القسم الثاني ) فإنه قليل الوجود جداً وهو من التأويلات المغوية . لأن



دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى وَضِدُّهُ أَغْرَبُ مِنْ دَلَالَتِهِ عَلَى الْمَعْنَى وَغَيْرِهِ .  
فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ : إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَأَضَعْ مَا شِئْتَ . وَهَذَا يَشْتَمِلُ عَلَى  
مَعْنَيْنِ ضِدَّيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِذَا لَمْ تَفْعَلْ فَعَلًا تَسْتَحِي  
مِنْهُ فَأَفْعَلْ مَا شِئْتَ . ( وَالْآخَرُ ) أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ  
حَيَاءٌ يَدْرَعُكَ عَنْ فِعْلِ مَا يُسْتَحَى مِنْهُ فَأَفْعَلْ مَا شِئْتَ . وَهَذَانِ  
مَعْنَيَانِ ضِدَّانِ أَحَدُهُمَا مَدْحٌ وَالْآخَرُ ذَمٌّ . وَيَجْرِي عَلَى هَذَا التَّفْهِيمِ مِنْ  
الشَّعْرِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ فِي قَصِيدَةٍ يمدحُ بِهَا كَافُورًا :

وَإِظْلَمَ أَهْلُ الظُّلَمِ مِنْ بَاتٍ حَاسِدًا لِمَنْ بَاتَ فِي نَعَابِهِ يَتَقَلَّبُ  
وَهَذَا أَلْيَتُ يُسْتَحْجُ مِنْهُ مَعْنَيَانِ ضِدَّانِ : ( أَحَدُهُمَا ) أَنَّ الْمُنْعَمَ  
عَلَيْهِ يُحْسِدُ الْمُنْعَمَ . ( وَالْآخَرُ ) أَنَّ الْمُنْعَمَ يُحْسِدُ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ  
وَرَدَّ قَوْلُهُ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ يمدحه :

فَإِنْ نِلْتُ مَا أَمَلْتُ وَنَكَ قُرْبًا شَرِيتُ بِمَا يُعْجِزُ الطَّلِيذَ وَرَدَّهُ  
فَإِنَّ هَذَا أَلْيَتُ يَحْتَمِلُ مَدْحًا وَذَمًّا وَإِذَا أُخِذَ بِمُفْرَدِهِ مِنْ غَيْرِ  
نَظَرِ إِلَى مَا قَبْلَهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ بِالذَّمِّ أَوَّلَى مِنْهُ بِالْمَدْحِ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ  
وَصْفَ نَوَالِهِ بِالْبُعْدِ وَالشَّدْوِذِ وَصَدْرُ أَلْيَتِ مُفْتَتِحِ ( بِإِنْ ) الشَّرْطِيَّةِ وَقَدْ  
أُجِيبَ بِالْفُظَّةِ ( رَبِّ ) الَّتِي مَعْنَاهَا التَّقْيِيلُ أَيْ : لَسْتُ مِنْ نَوَالِكَ عَلَى  
يَقِينٍ فَإِنَّ نِلْتَهُ قُرْبًا وَصَلْتُ إِلَى مَوْرِدٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ الطَّيْرُ ابْعُدْهُ .  
وَإِذَا نُظِرَ إِلَى مَا قَبْلَ هَذَا أَلْيَتِ دَلَّ عَلَى الْمَدْحِ خَاصَّةً لِأَنَّ تَبَاطُحَ  
بِالْمَعْنَى الَّذِي قَبْلَهُ . وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَقْصِدُ الْمُسْتَسْتَعِي هَذَا الْقِسْمَ فِي شِعْرِهِ  
كَقَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

عَدُوَّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ  
وَاللَّهُ سِرٌّ فِي عِلَّاكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعِدَى ضَرْبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ  
ثُمَّ قَالَ :

قَالَكَ تَغْنِي بِالْأَيْسَةِ وَالْقَنَاءِ وَجَدَّكَ طَعَانٌ بِغَيْرِ سِنَانٍ  
فَإِنْ هَذَا بِالذَّمِّ أَشْبَهُ مِنْهُ بِالذَّمِّ لِأَنَّهُ يَقُولُ : لَمْ تَبْلُغْ مَا بَلَغَتْهُ  
بِسَعْيِكَ وَاهْتِمَامِكَ بَلْ يَجِدُ سَعَادَةً . وَهَذَا لَأَفْضَلُ فِيهِ لِأَنَّ السَّعَادَةَ  
تَنَالُ الْخَائِلُ وَالْجَاهِدُ وَمَنْ لَا يَسْتَحْيِيهَا . وَكَثُرَ مَا كَانَ الْمُسْتَحْيِي  
يَسْتَعِيلُ هَذَا الْقِسْمَ فِي قَصَائِدِهِ الْكَافُورِيَّاتِ . . . . . وَهَذَا الْقِسْمُ مِنَ  
الْكَلَامِ يُسَمَّى الْمَوْجَهَ أَيْ لَهُ وَجْهَانِ وَهُوَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى بَرَاءَةِ الشَّاعِرِ  
وَحُسْنِ تَأْيِيهِ . ( وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ ) فَإِنَّهُ يَكُونُ أَكْثَرَ وَقُوعًا مِنْ  
الْقِسْمِ الثَّانِي وَهُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ . لِأَنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ كَثِيرُ  
الْوُقُوعِ . وَالْقِسْمَ الثَّانِي قَلِيلُ الْوُقُوعِ . وَهَذَا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ وَسَطٌ  
بَيْنَهُمَا فَمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ : وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ . فَإِنَّ هَذَا لَهُ وَجْهَانِ  
وَمِنْ التَّأْوِيلِ أَحَدُهُمَا الْقَتْلُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي هُوَ مَعْرُوفٌ وَالْآخَرُ هُوَ  
الْقَتْلُ الْحِجَازِيُّ وَهُوَ الْإِكْبَابُ عَلَى الْعَاصِي فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَكَبَّ  
عَلَى الْعَاصِي قَتَلَ نَفْسَهُ فِي الْآخِرَةِ . . . . . وَمِمَّا يُجْرِي عَلَى هَذَا التَّفْهِيمِ  
مَا يُحْكِي عَنْ أَفْلَاطُونٍ أَنَّهُ قَالَ : تَرَكْ الدَّوَاءَ دَوَاءً . فَذَهَبَ بَعْضُ  
الْأَطِبَّاءِ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ : إِنْ لَطَفَ الزَّجَّاجُ وَانْتَهَى إِلَى غَايَةِ لَا يَحْتَمِلُ  
الدَّوَاءَ فَتَرَكَهُ حِينَئِذٍ وَالْإِضْرَابُ عَنْهُ دَوَاءً . وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ  
أَرَادَ بِالتَّرِكِ الْوَضْعَ أَيْ : وَضَعَ الدَّوَاءَ عَلَى الدَّاءِ دَوَاءً . يُسِيرُ بِذَلِكَ

إِلَى جَذْقِ الطَّيِّبِ فِي أَوْقَاتِ عِلَاجِهِ . وَمِثْلُهُ فِي الشَّعْرِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :  
 إِذَا جَعَفْتُ مَرَّتْ عَلَى هَضْبَةِ الْحَمَى قَدْ لَحَذَ الْأَحْيَاءُ وَنَهَا قُبُورُهَا  
 وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) دَمُ الْأَحْيَاءِ وَالْآخَرُ دَمُ الْأَمْوَاتِ .  
 أَمَّا ( دَمُ الْأَحْيَاءِ ) فَهُوَ أَنَّهُمْ خَذَلُوا الْأَمْوَاتَ يُرِيدُ أَنَّهُمْ تَلَاقَوْا قَتَلَهُمْ  
 وَقَوْمًا آخَرِينَ قَفَرِ الْأَحْيَاءُ عَنَّهُمْ وَأَسْلَمُوهُمْ أَوْ إِنَّهُمْ اسْتَجْبَدُوهُمْ فَلَمْ  
 يُجِبْهُمْ . وَأَمَّا ( دَمُ الْأَمْوَاتِ ) فَهُوَ أَنَّ لَهُمْ مَحَازِي وَفَضَائِحَ تُجِبُّ عَارًا  
 وَشَتَارًا فَهُمْ يَعْدُونَ بِهَا الْأَحْيَاءَ وَيُلْصِقُونَهَا بِهِمْ . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ  
 أَبِي تَمَّامٍ :

بِالشَّعْرِ طُولٌ إِذَا أَصْطَكَّتْ قَصَائِدُهُ

فِي مَعْشَرٍ وَبِهِ عَنْ مَعْشَرٍ قِصْرُ  
 فَهَذَا أَلْبَيْتُ يُجْتَمِلُ تَأْوِيلَيْنِ . ( أَحَدُهُمَا ) أَنَّ الشَّعْرَ يَتَسَعُّ مَجَالَهُ  
 بِمَدْحِكَ وَيَضِيقُ بِمَدْحِ غَيْرِكَ . يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ مَآثِرَهُ كَثِيرَةٌ وَمَآثِرُ  
 غَيْرِهِ قَلِيلَةٌ . ( وَالْآخَرُ ) أَنَّ الشَّعْرَ يَكُونُ ذَا فَخْرٍ وَنَبَاهَةٍ بِمَدْحِكَ وَذَا  
 حَوْلٍ بِمَدْحِ غَيْرِكَ . فَلَفْظَةُ الطُّولِ : فَيُفْهَمُ مِنْهَا ضِدُّ الْقِصْرِ وَيُفْهَمُ مِنْهَا  
 الْفَخْرُ مِنْ قَوْلِنَا : طَالَ ثُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ أَيْ فُخِرَ عَلَيْهِ . وَمِمَّا يَنْتَظِمُ  
 بِهَذَا السِّلَكِ قَوْلُ أَبِي كَبِيرٍ الْهَنْدَلِيِّ :

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَّا أَقْضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ  
 وَهَذَا يُجْتَمِلُ وَجْهَيْنِ مِنَ التَّأْوِيلِ . ( أَحَدُهُمَا ) أَنَّهُ أَرَادَ بِسَعْيِ  
 الدَّهْرِ سُرْعَةَ تَقَعُّبِي الْأَوْقَاتِ مَدَّةَ الْوَصَالِ . فَلَمَّا أَقْضَى الْوَصْلَ عَادَ  
 الدَّهْرُ إِلَى حَالِهِ فِي السُّكُونِ وَالْبَطْءِ . ( وَالْآخَرُ ) أَنَّهُ أَرَادَ بِسَعْيِ

الدَّهْرُ بِالنَّائِمِ وَالْوَشَايَاتِ فَلَمَّا انْقَضَى مَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْوَصْلِ  
سَكَنُوا أَوْ تَرَكَوا السَّعْيَةَ . وَهَذَا مِنْ بَابِ وَضَعِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَكَانَ  
الْمُضَافِ كَقَوْلِهِ : وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ أَيَّ أَهْلِ الْقَرْيَةِ . وَمِنْ الدَّقِيقِ  
الْمَعْنَى فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُسْتَبَيِّ فِي عَصْدِ الدَّوْلَةِ وَنُ  
جُمْلَةٍ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا ( أَوْهُ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلِي وَلَهَا ) فَقَالَ :

لَوْ قَطَنْتُ خَيْلَهُ لِنَائِلِهِ لَمْ يُرْضَهَا أَنْ تَرَاهُ يُرْضَاهَا  
وَهَذَا يُسْتَبْطِئُ مِنْهُ مَعْنَانِ . ( أَحَدُهُمَا ) أَنَّ خَيْلَهُ لَوْ عَلِمَتْ  
مِقْدَارَ عَطَايَاهُ الْفَيْسَةِ لَمَا رَضِيَتْ لَهُ بِأَنْ تَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ عَطَايَاهُ لِأَنَّ  
عَطَايَاهُ أَتَمُّ مِنْهَا . ( الْآخَرُ ) أَنَّ خَيْلَهُ لَوْ عَلِمَتْ أَنَّ يَسْبِهَا مِنْ جُمْلَةِ  
عَطَايَاهُ لَمَا رَضِيَتْ ذَلِكَ إِذْ تَكْرَهُ خُرُوجَهَا عَنْ مَلِكِهِ . وَهَذَانِ الْوَجْهَانِ  
أَنَا ذَكَرْتُهَا وَأَنَا الْمَذْكُورُ مِنْهَا أَحَدُهُمَا . وَهَذَا الَّذِي أَشْرْتُ إِلَيْهِ  
وَمِنْ الْكَلَامِ عَلَى الْمَعَانِي وَتَأْوِيلَاتِهَا كَلَفَ لِمَنْ عِنْدَهُ دَوَقٌ وَلَهُ قُوَّةٌ  
عَلَى حَمَلِهَا عَلَى أَشْبَاهِهَا وَظَاهِرِهَا

### البحث الخامس

### في الترجيح بين المعاني

( عن المثل السائر باختصار )

هَذَا الْفَضْلُ هُوَ وَبِزَانُ الْخَوَاطِرِ الَّذِي يُوزَنُ بِهِ نَقْدُ دِرْهَمَيْهَا  
وَدِينَارِهَا بِلِ الْيَحْكُ الَّذِي يَعْلَمُ مِنْهُ وَمِقْدَارُ عِيَارِهَا وَلَا يَزِنُ بِهِ إِلَّا دُو  
فِكْرَةٌ مُتَقَدَّةٌ وَنَحْوُهَا مُتَقَدَّةٌ . فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ حَمَلَ وَبِزَانَا سَبِي صَرَفًا .

وَلَا كُلُّ مَنْ وَدَّنَ بِهِ سُمِّيَ عَرَفًا . وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا التَّرْجِيحِ وَالتَّرْجِيحِ  
الْفِقْهِيِّ أَنَّ هُنَاكَ يُرْجَحُ بَيْنَ دَلِيلِي الْخُصْمَيْنِ فِي مُحْكَمٍ شَرْعِيٍّ وَهَيْئًا  
يُرْجَحُ بَيْنَ جَانِبَيْ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ فِي الْفَاعِلِ وَمَعَانٍ خَطَأِيَّةٍ . وَيَسَانُ  
ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ التَّرْجِيحِ الْفِقْهِيِّ يُرْجَحُ بَيْنَ خَبَرِ التَّوَاتُرِ . مُثَلًّا وَبَيْنَ  
خَبَرِ الْإِحَادِ أَوْ بَيْنَ الْمُسْتَدِّ وَالْمُرْسَلِ أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْجَرَى . وَهَذَا  
لَا يُعْرَضُ إِلَيْهِ صَاحِبُ عِلْمٍ أَلْيَانٍ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ وَلَكِنْ الَّذِي  
هُوَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُرْجَحَ بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ أَوْ بَيْنَ حَقِيقَتَيْنِ أَوْ بَيْنَ  
مَجَازَيْنِ وَيَكُونُ نَظِيرًا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى الصَّنَاعَةِ الْخَطَأِيَّةِ . وَلَرُبَّمَا  
اتَّفَقَ هُوَ وَصَاحِبُ التَّرْجِيحِ الْفِقْهِيِّ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ كَالْتَّرْجِيحِ بَيْنَ  
عَامٍّ وَخَاصٍّ أَوْ مَا شَابَهُ ذَلِكَ . وَكُنَّا قَدْ قَدَّمْنَا الْقَوْلَ فِي الْحُكْمِ  
عَلَى الْمَعَانِي وَأَهْسَامِهَا . وَلَتَبَيَّنَ فِي هَذَا الْقَضَاءِ وَاضِعَ التَّرْجِيحِ بَيْنَ  
وُجُوهٍ تَأْوِيلَاتِهَا فَقُولُ : ( أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ ) مِنْ الْمَعَانِي فَلَا تَعْلُقُ  
لِلتَّرْجِيحِ بِهِ إِذْ مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِهِ لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا  
فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي شَيْءٍ . وَالتَّرْجِيحُ إِنَّمَا يَقَعُ بَيْنَ مَعْنَيْنِ يَدُلُّ  
عَلَيْهِمَا لَفْظٌ وَاحِدٌ وَلَا يَخْلُو التَّرْجِيحُ بَيْنَهُمَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَنْسَاءٍ إِمَّا أَنْ  
يَكُونَ اللَّفْظُ حَقِيقَةً فِي أَحَدِهِمَا مَجَازًا فِي الْآخَرِ . أَوْ حَقِيقَةً فِيهِمَا جَمِيعًا  
أَوْ مَجَازًا فِيهِمَا جَمِيعًا وَلَيْسَ لَنَا قِسْمٌ رَابِعٌ . وَالتَّرْجِيحُ بَيْنَ الْحَقِيقَتَيْنِ أَوْ  
بَيْنَ الْمَجَازَيْنِ يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ . ( وَأَمَّا التَّرْجِيحُ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ )  
فَإِنَّهُ يُعْلَمُ بِبَيِّنَةٍ النَّظَرِ لِمَكَانِ الْإِخْتِلَافِ بَيْنَهُمَا . وَالسَّيِّدَانِ الْمُخْتَلِفَانِ  
يُظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا بِخِلَافِ مَا يَظْهَرُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ الْمُسْتَشْبَهَيْنِ . . . .

(وَأَمَّا مِثَالُ الْمَعْنَيْنِ) إِذَا كَانَا حَقِيقَتَيْنِ فَقَوْلُهُ : أَلْتَسُوا الرِّزْقَ فِي خَبَايَا الْأَرْضِ وَلِلْخَبَايَا حَقِيقَةٌ وَهُوَ كُلُّ مَا يُخْبَأُ كَأَنَّ مَا كَانَ . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) الْكُنُوزُ الْحَبْوَةُ فِي بُطُونِ الْأَرْضِ . ( وَالْآخَرُ ) الْحَرْثُ وَالْغُرَاسُ . وَجَانِبُ الْحَرْثِ وَالْغُرَاسِ أَرْجَعُ لِأَنَّ مَوَاضِعَ الْكُنُوزِ لَا تُعْلَمُ حَتَّى تُلْتَمَسَ وَهُوَ لَا يَأْمُرُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ شَيْءٌ مَجْهُولٌ غَيْرُ مَعْلُومٍ فَيَقْبِي الْمُرَادُ بِخَبَايَا الْأَرْضِ مَا يُحْرَثُ وَيُغْرَسُ . (وَأَمَّا مِثَالُ الْحَاجَرَيْنِ) فَقَوْلُ أَبِي نَعَامٍ :

قَدْ بَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ حَدِيثًا      وَبَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ قَدِيمًا  
وَوَرَدَنَاهُ سَاحِلًا وَقَلْبِيًّا      وَرَعَيْنَاهُ بَارِضًا وَجَمِيًّا  
فَعَلِمْنَا أَنْ لَيْسَ إِلَّا بِشَقِيمٍ      النَّفْسُ صَارَ الْكَرِيمُ يَدْعَى كَرِيمًا  
فَالسَّاحِلُ وَالْقَلْبِيُّ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُمَا      تَأْوِيلَانِ مَجَازِيَانِ : ( أَحَدُهُمَا )  
أَنَّهُ أَرَادَ بِهِمَا الْكَثِيرَ وَالْقَلِيلَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّاحِلِ وَالْقَلْبِيِّ .  
( وَالْآخَرُ ) أَنَّهُ أَرَادَ بِهِمَا السَّبَبَ وَغَيْرَ السَّبَبِ . فَإِنَّ السَّاحِلَ  
لَا يُحْتَاجُ فِي وَرْدِهِ إِلَى سَبَبٍ وَالْقَلْبِيُّ يُحْتَاجُ فِي وَرْدِهِ إِلَى سَبَبٍ .  
وَكِلَاهُمَا هَذَيْنِ الْمَعْنَيْنِ مَجَازٌ . فَإِنَّ حَقِيقَةَ السَّاحِلِ وَالْقَلْبِيِّ غَيْرُهُمَا  
وَالْوَجْهَ هُوَ الثَّانِي لِأَنَّهُ هُوَ أَدْلُ عَلَى بَلَاغَةِ الْقَائِلِ وَمَدْحِ الْمَقُولِ فِيهِ .  
أَمَّا بَلَاغَةُ الْقَائِلِ فَالسَّلَامَةُ مِنْ هَجْتِهِ التَّكْرِيرِ بِالْمُخَالَفَةِ يَنْصَدِرُ  
أَلَيْتٍ وَعَجْزِهِ . فَإِنَّ عَجْزَهُ يَدُلُّ عَلَى الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ لِأَنَّ الْبَارِضَ  
هُوَ أَوَّلُ التَّلَبُّتِ حِينَ يَبْدُو فَإِذَا كَثُرَ وَتَكَاثَفَ سُمِّيَ حِمِيمًا . فَكَأَنَّهُ  
قَالَ : أَخَذْنَا مِنْهُ تَبَرَعًا وَمَسْئَلَةً وَقَلِيلًا وَكَثِيرًا . وَأَمَّا مَدْحُ الْمَقُولِ

فِيهِ فَلْتَعَدَّ حَالَاتِهِ الْأَرْبَعُ فِي تَبَرُّعِهِ وَسُوءِهِ وَكَثْرَتِهِ وَاقْتِلَالِهِ وَمَا  
فِي مُعَانَاةٍ هَذِهِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْمَشَاقِّ . فَهَذَا إِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالسُّرُوحِ  
الْبَلَاغِيَّةِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ وَبَيْنَ الْحِجَازِ وَالْحِجَازِ وَبَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْحِجَازِ

## البحث السادس

### في الفصل والوصل

(عن صناعة القمشل لشهاب الدين الحلبي باختصار)

(راجع صفحة ١٨ من علم الادب)

الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ هُوَ الْعِلْمُ بِتَوَاضِعِ الْعَطْفِ وَالْأَسْتِنَافِ وَالْمُهْدَى  
إِلَى كَيْفِيَّةِ إِتْمَاعِ حُرُوفِ الْعَطْفِ فِي مَوَاضِعِهَا وَهِيَ مِنْ أَكْثَرِ أَرْكَانِ  
الْبَلَاغَةِ حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ حَدَّ الْبَلَاغَةَ بِأَنَّهَا مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ . وَقَالَ  
عَبْدُ الْقَاهِرِ : إِنَّهُ لَا يَكْمُلُ لِإِخْرَازِ الْقَضِيَّةِ فِيهِ أَحَدًا إِلَّا كَمَلِ لِسَانُ  
مَعَانِي الْبَلَاغَةِ . إِنْ عَلِمَ أَنَّ قَائِدَةَ الْعَطْفِ الشَّرِيكَ بَيْنَ الْمُعْطُوفِ  
وَالْمُعْطُوفِ عَلَيْهِ . ثُمَّ مِنْ حُرُوفِ الْعَاطِفَةِ مَا لَا يُفِيدُ إِلَّا هَذَا التَّمْذِيرَ  
وَهُوَ أَلْوَاوُ . وَمِنْهَا مَا يُفِيدُ قَائِدَةَ زَائِدَةَ كَالْأَوِ . وَغَرَضُنَا هَذَا  
تَعَلُّقُ بِمَا لَا يُفِيدُ إِلَّا الْإِشْتِرَاكَ فَقَوْلُ : الْعَطْفُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي  
الْمُفْرَدَاتِ كَقَوْلِكَ : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ خَلَقَهُ حَسَنٌ وَخَلَقَهُ قَبِيحٌ . فَقَدْ  
أَشْرَكَتَ بَيْنَهُمَا فِي الْأَعْرَابِ وَالْمَعْنَى لِإِشْتِرَاكِهِمَا فِي كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ  
نَهْمًا مُقْتَبِدًا لِلْمَوْصُوفِ . وَلَا يَتَحَوَّرُ أَنْ يَكُونَ هَذَا هَذَا بِمَعْنَى ذَلِكَ  
الْإِشْتِرَاكَ فِيهِ وَحَتَّى يَكُونَا كَالْظُلُمَيْنِ وَالشَّرِيكَيْنِ بَعْدَ إِذَا عُرِفَ

السَّامِعُ حَالَهُ الْأَوَّلَ عَسَاهُ يَعْرِفُ حَالَهُ الثَّانِي . يَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا عَطَفْتَ عَلَى الْأَوَّلِ شَيْئًا لَيْسَ مِنْهُ سَبَبٌ وَلَا هُوَ بِمَا يُذَكَّرُ بِذِكْرِهِ لَمْ يَسْتَقِم . فَلَوْ قُلْتَ : ( خَرَجْتُ الْيَوْمَ مِنْ دَارِي وَأَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ بَيِّنَتَ كَذَا ) قُلْتَ مَا يُضْحَكُ مِنْهُ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قُوَّةِ الْفَرْدِ فَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ : ( الْأَوَّلُ ) أَنْ يَكُونَ مَعْنَى أَحَدَى الْجُمْلَتَيْنِ لِذَاتِهِ مُتَعَلِّقًا بِمَعْنَى الْأُخْرَى كَمَا إِذَا كَانَتْ كَالْتَوْكِيدِ لَهَا أَوْ كَالصِّفَةِ فَلَا يَجُوزُ إِدْخَالُ الْأَعْطَافِ عَلَيْهِ لِأَنَّ التَّوْكِيدَ وَالصِّفَةَ مُتَعَلِّقَانِ بِالْمَوْكَّدِ وَالْمَوْصُوفِ لِذَاتَيْهِمَا . وَالتَّعْلُقُ الذَّاتِيُّ يُغْنِي عَنْ لَفْظِ يَدُلُّ عَلَى التَّعْلُقِ . فَمَثَلُ التَّوْكِيدِ قَوْلُهُ : وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُبَادِعُونَ اللَّهَ . وَلَمْ يَقُلْ : ( وَيُخَادِعُونَ ) لِأَنَّ الْخَادِعَةَ لَيْسَتْ شَيْئًا غَيْرَ قَوْلِهِمْ : آمَنَّا مَعَ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ . وَمِمَّا جَاءَ فِيهِ الْإِثْبَاتُ ( بَيِّنَ وَالْآ ) عَلَى هَذَا الْحَدِّ قَوْلُهُ : إِنَّ هُوَ إِلَّا وَخِي يُوحَى . فَلَا إِثْبَاتَ فِي قَوْلِهِ تَأْكِيدٌ لِنَفْيِ مَا يُنْفَى . ( الْقِسْمُ الثَّانِي ) أَنْ يَكُونَ يَدُلُّ الْجُمْلَتَيْنِ تَعْلُقُ ذَاتِي فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ فَيَجِبُ تَرْكُ الْأَعْطَافِ أَيْضًا لِأَنَّ الْأَعْطَافَ لِلتَّشْرِيكِ وَلَا تَشْرِيكَ . وَمِنْ هَاهُنَا عَابُوا عَلَى أَبِي تَمَّامٍ قَوْلُهُ :

لَا وَالَّذِي عَالِمٌ أَنَّ التَّوَى مَرُّ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ  
إِذْ لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ مَرَارَةِ التَّوَى وَبَيْنَ كَرَمِ أَبِي الْحُسَيْنِ . وَلِذَلِكَ لَمْ يُجْحِزْ جَوَازَ الْأَعْطَافِ . وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ فَمَا أَنْ يَكُونَ بِالَّذِي أُخْبِرَ بِهَا أَوْ بِالَّذِي أُخْبِرَ عَنْهَا أَوْ بِمَا كِلَيْهِمَا . وَهَذَا الْآخِرُ



هُوَ الْمُعْتَبَرُ فِي السُّطْرِ وَمَعْنَى الْمُنَاسَبَةِ أَنْ يَكُونَ مُتَشَابِهِينَ كَقَوْلِكَ :  
زَيْدٌ كَاتِبٌ وَعَمْرُو. أَوْ مُتَضَادِّينَ تَضَادًّا عَلَى الْخُصُوصِ كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ  
طَوِيلٌ وَعَمْرُو قَصِيدٌ . وَكَقَوْلِكَ : أَلْعِلْمُ حَسَنٌ وَالْجَهْلُ قَبِيحٌ . فَلَوْ  
قُلْتَ : زَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرُو شَاعِرٌ اخْتَلَفَ إِذَا لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ طُولِ الْقَامَةِ  
وَالشَّعْرِ . وَإِنْ كَانَ اخْتَلَفَتْ عَنْهُ فِي الْجُمْلَتَيْنِ شَيْئًا وَاحِدًا كَقَوْلِكَ :  
فُلَانٌ يَقُولُ وَيَفْعَلُ وَيَضُرُّ وَيَنْفَعُ وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيُسَيِّئُ وَيُحْسِنُ . يَجِبُ  
إِدْخَالُ الْعَاطِفِ فَإِنَّهُ أَلْفَرَضَ جَعَلَهُ فَأَعْلَا لِلْأَمْرَيْنِ . فَلَوْ قُلْتَ : يَقُولُ  
يَفْعَلُ بِلَا عَاطِفٍ لَتَوَهَّمَ أَنَّ الثَّانِي رُجُوعٌ عَنِ الْأَوَّلِ . وَإِذَا أَقَادَ  
الْعَاطِفُ الْاجْتِمَاعَ أَزْدَادَ الْأَشْتِرَاكِ كَقَوْلِكَ : الْعَجَبُ مِنْ أَنَّكَ أَحْسَنْتَ  
وَأَسَأْتَ . وَالْعَجَبُ مِنْ أَنَّكَ تَمْنَى عَنْ شَيْءٍ تَأْتِي مِثْلُهُ . وَكَقَوْلِهِ :  
لَا تَطْمَعُوا أَنْ تُهَيِّنُوا وَتُنْكِرَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَكْفَ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُوْذِنَا  
فَإِنَّ الْمَعْنَى جَعَلَ الْفِعْلَيْنِ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ أَيْ لَا تَطْمَعُوا أَنْ  
تَرَوْا إِكْرَامَنَا إِيَّاكُمْ يُوجِدُ مَعَ إِهَانَتِكُمْ إِيَّانَا . وَأَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ يَجِبُ  
إِسْقَاطُ الْعَاطِفِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ لِإِحْتِلَالِ الْمَعْنَى عِنْدَ إِنْجَاكِ  
كَقَوْلِهِ : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا : إِنَّمَا نَحْنُ  
مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ . قَقَوْلُهُ : (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) كَلَامٌ  
مُسْتَأْتَفٌ وَهُوَ إِخْبَارٌ مِثْلُهُ . فَلَوْ أَتَى بِالْوَاوِ لَكَانَ إِخْبَارًا عَنِ الْيَهُودِ  
بِأَنَّهُمْ وَصَفُوا أَنفُسَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُفْسِدُونَ فَتَجَلَّى الْمَعْنَى . قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ :  
وَإِذَا اسْتَقْرَيْتَ وَجَدْتَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتَ لَكَ مِنْ تَبَرُّلِهِمُ الْكَلَامَ  
إِذَا جَاءَ بِعَقِبِ مَا يَقْتَضِي سُؤْلًا تَرْتَلَهُ إِذَا صُرِّحَ بِذَلِكَ سُؤَالًا

كثيراً. فمن لطيف ذلك قوله :

رَعِمَ الْاَعْوَالُ اَتَيْتَنِي فِي غَمْرَةٍ صَدَّقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تَحْبِلُنِي  
لَمَّا حَكَى عَنِ الْاَعْوَالِ قَوْلَهُمْ اِنَّهُ فِي غَمْرَةٍ وَكَانَ ذَلِكَ بِمَا يُحْرِكُ  
السَّامِعَ عَلَى اَنْ يَسْأَلَهُ : فَاَجَابَكَ عَنْ ذَلِكَ . اَخْرَجَ الْكَلَامَ مُخْرَجَهُ  
اِذَا كَانَ قَدْ قِيلَ فَقَالَ : اَقُولُ صَدَّقُوا . اَنَا كَمَا قَالُوا وَلَكِنْ لَا مَطْمَعَ  
لَهُمْ فِي فَلَاحِي . وَلَوْ قَالَ : وَصَدَّقُوا لَكِنْ لَمْ يَضَعْ نَفْسَهُ فِي آهٍ  
مَسْئُولٌ . وَامثالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ . وَاِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ اِلَى  
الْعَاطِفِ بِخِلَافِ قَوْلِهِ : يُخَادِعُونَ اَللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ . وَمَكْرُوا وَمَكَرَ  
اَللهُ : فَاِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْجَمْعَيْنِ خَبْرٌ

( وَبِمَا يَحِبُّ ) ذِكْرُهُ هَاهُنَا الْجُمْلَةُ اِذَا وَقَعَتْ حَالًا فَلَهَا تَحْيِيٌّ مَعَ الْاَوَا  
تَارَةً وَيَدُونِهَا أُخْرَى . فَقَوْلُ الْجُمْلَةِ اِذَا وَقَعَتْ حَالًا فَلَا بُدَّ اَنْ تَكُونَ  
خَبَرِيَّةً تَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ وَهُوَ عَلَى قَسَمَيْنِ : ( الْاَوَّلُ ) وَلَهُ  
اَحْوَالٌ : ( الْاَوَّلَى ) اَنْ يَجْمَعَ لَهَا بَيْنَ الْاَوَا وَضَمِيرِ صَاحِبِ الْحَالِ كَقَوْلِكَ :  
جَاءَ زَيْدٌ وَمَعَهُ غُلَاهُ وَلَقِيتُ زَيْدًا وَفَرَسَهُ سَابِقُهُ . وَهَذِهِ الْاَوَا تُسَمَّى  
وَاَوَ الْحَالِ . ( الثَّانِيَةُ ) اَنْ تَحْيِيَ بِالضَّمِيرِ مِنْ غَيْرِ وَاَوْ كَقَوْلِكَ :  
كَلِمَتُهُ قُوَّةٌ لِي فِي . وَهُوَ فِي مَعْنَى مُشَاقَّهَا وَالرَّابِطُ الضَّمِيرُ . ( الثَّلَاثَةُ )  
اَنْ تَحْيِيَ بِالْاَوَا مِنْ غَيْرِ ضَمِيرٍ وَهُوَ كَثِيرٌ كَقَوْلِكَ : لَقِيتُكَ وَالْحَيْشُ  
قَادِمٌ . وَزَرْتَنَا وَالشِّتَاءُ خَارِجٌ . قَالَ اَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

وَقَدْ اَعْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا يُجْجِدُ قَيْدَ الْاَوَا بِدِهْيَ كُلِّ  
وَيُجْزُ اَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ حَالَيْنِ مُفْرَدٍ وَجَمْعٍ . اِذَا اَجْرْنَا وَتَوَعَّ حَالَيْنِ

كَقَوْلِكَ : لَقِيتُكَ رَاكِبًا وَالْحَسَنُ قَادِمٌ . فَلِجُمْلَةِ حَالٍ مِنْ أَلْتَاءِ أَوْ  
مِنْ أَلْكَافِ وَالْعَامِلُ فِيهَا (لَقِيتُ) أَوْ مِنْ صَمِيرٍ (رَاكِبٍ) وَرَاكِبٌ  
هُوَ الْعَامِلُ فِيهَا . (الْقِسْمُ الثَّانِي) الْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ . وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ  
مَاضِيًا أَوْ مُضَارِعًا . أَمَّا الْمَاضِي فَلَا بُدَّ مَعَهُ مِنَ الْإِثْنَانِ بِالْوَاوِ وَقَدْ  
أَوْ بِأَحَدِهِمَا كَقَوْلِكَ : نَكَلَمْتُ وَقَدْ عَجَلْتُ . وَجَاءَ زَيْدٌ قَدْ ضَرَبَ  
عَمْرًا . وَجِئْتُ وَاسْرَعْتُ فِي الْعَجْزِ . وَلَمْ يُجْزِ الْمَضْرُوبُونَ خُلُوهَ عَنْهَا  
وَقَالُوا فِي قَوْلِ أَبِي صَخْرٍ الْمُهَلَّبِيِّ :

وَلَا تَنُورُنِي لِذِكْرِكَ هِزَّةً كَمَا انْتَفَضَ الْعَصْفُورُ بِاللَّهِ انْقَطَرُ  
إِنَّ (قَدْ) مُعْتَدَّةٌ فِيهَا فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا عُرِفَ مَوْضِعُهُ جَازَ حَذْفُهُ .  
وَأَمَّا الْمُضَارِعُ فَإِنْ كَانَ مُوجِبًا فَلَا يُؤْتَى مَعَهُ بِالْوَاوِ تَقُولُ : جَاءَ بِي زَيْدٌ  
يَضْحَكُ وَجَاءَ عَمْرُو يُسْرِعُ وَجَلَسَ يُحَدِّثُنَا (بِالرَّفْعِ) أَيِ مُحَدِّثَانَا  
يَجْرِدُوهُ عَمَّا يُعْتَدِ مَعْنَاهُ أَشْبَهَ أَسْمَ الْفَعْلِ إِذَا وَقَعَ حَالًا . وَإِنْ كَانَ  
مَنْفِيًا جَازَ حَذْفُ الْوَاوِ مُرَاعَاةً لِأَصْلِ الْفِعْلِ الَّذِي هُوَ الْأَحَابُ وَحَازَ  
إِثْبَاتَهَا لِأَنَّ الْفِعْلَ لَيْسَ هُوَ الْحَالُ . فَإِنْ مَعْنَى قَوْلِكَ : (جَلَسَ رَبُّ  
وَلَمْ يَتَكَلَّمْ) جَلَسَ زَيْدٌ غَيْرُهُ تَكَلَّمَ . فَجَرَى مَجْرَى جُمْلَةِ الْأَسْمِيَةِ .  
فَالْحَذْفُ كَقَوْلِكَ : جَاءَ زَيْدٌ مَا يَقُوهُ بَيْنَتْ سَفَةً . كَقَوْلِهِ : لَحَانَا  
دَارَ الْمَلَأَمَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمْسَنَا فِيهَا نَضَبٌ وَلَا يَمْسَا فِيهَا نَعُوبٌ . فَقَوْلُهُ :  
(لَا يَمْسَنَا) فِي مَوْضِعِهِ نَضَبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ صَمِيرٍ الْمَرْفُوعِ فِي أَحَالِهَا .  
وَالْإِثْبَاتُ كَقَوْلِكَ : جَلَسَ زَيْدٌ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ . وَقَالَ . أَفَلَا يَرَوْنَ  
أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ خَرًّا وَلَا تَعَا . وَشَبَّهِوا الْفِعْلَ

الْمَاضِي قَالُوا : جَاءَ زَيْدٌ مَا ضَرَبَ عُمَرَا . وَجَاءَ زَيْدٌ وَمَا ضَرَبَ عُمَرَا

### البحث السابع

في تأكيد الكلام وقصره وتعزيزه باناً وانما

( عن صناعة الترمذ أيضاً )

( راجع صفحة ١٩ من علم الادب )

أَمَّا ( إِنْ ) فَلَهَا قَوَائِدُ : ( الْأُولَى ) أَنَّهَا تَرِبُّهُ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَّةُ  
بِالْأُولَى وَيَسَبِّهَا يَحْصُلُ التَّأْلِيفُ بَيْنَهُمَا حَتَّى كَانَ الْكَلَامَيْنِ أُفْرَاغًا  
إِفْرَاغًا وَاحِدًا وَلَوْ أَسْقَطْنَا كَانَ الثَّانِي تَأْنِيًا عَنِ الْأَوَّلِ كَقَوْلِهِ :  
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . ( الثَّانِيَةُ )  
أَنَّكَ تَرَى إِضْيِيرَ الشَّانِ وَالْقَصَّةَ فِي الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ مَعَ ( إِنْ ) مِنْ  
الْحُسْنِ وَاللُّطْفِ مَا لَا تَرَاهُ إِذَا هِيَ لَمْ تَنْخُلْ عَلَيْهَا كَقَوْلِهِ : إِنَّهُ  
مَنْ يَتَّقِ وَيُضِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ . ( الثَّلَاثَةُ ) أَنَّهَا  
تَهْتِ السَّكْرَةَ وَفَضْلُهَا لِأَن يُجَدِّثَ عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ السَّكْرَةُ مَوْضُوعَةً  
جَاذَحَدَفَهَا وَلَكِنْ دَخَلَهَا أَصْلَحَ كَقَوْلِ حَسَّانِ :

إِنْ دَهَرَا يَلْفُ شَمْلِي بِجُمْلٍ لَزَمَانُ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ

( الرَّابِعَةُ ) أَنَّهَا تُغْنِي عَنِ الْخَبَرِ كَمَا إِذَا قِيلَ لَكَ : النَّاسُ

الْبُؤَا عَلَىكُمْ فَهَلْ لَكُمْ أَحَدٌ . قُلْتَ : إِنْ زَيْدًا أَوْ إِنْ عُمَرَا .  
أَيُّ لَنَا . قَالَ الْآعَشَى :

إِنْ مَحَلًّا وَإِنْ مُنْجِلًا وَإِنْ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلًا

(الْحَامِسَةُ) قَالَ الْمُرَدُّ إِذَا قُلْتَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ . فَهُوَ  
جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ سَائِلٍ . فَإِذَا قُلْتَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ . فَهُوَ جَوَابٌ  
عَنْ انْكَارٍ تُنْكِرُ لِقَائِمِهِ سَوَاءٌ كَانَ الْمُنْكَرُ هُوَ السَّائِلُ أَوِ الْخَاضِعُ  
(وَأَمَّا إِنَّمَا) فَتَارَةٌ تَحْيِي لِلتَّخَصُّصِ بِمَعْنَى أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ لَا يُوجَدُ فِي  
غَيْرِ الْمَذْكُورِ وَهُوَ بِمِثْلِهِ (لَيْسَ إِلَّا) كَقَوْلِهِ : إِنَّمَا يَنْسَحِبُ الَّذِينَ  
يَنْسَحُونَ . وَقَوْلِهِ : إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنْ أَتَعَ الذِّكْرَ . وَقَوْلِهِ : إِنَّمَا أَنْتَ  
مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا . وَتَارَةٌ تَحْيِي لِيَكُنَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ ظَاهِرٌ عِنْدَ كُلِّ  
أَحَدٍ سَوَاءٌ كَانَ كَذَلِكَ أَوْ فِي زَعْمِ الْمُتَكَلِّمِ . وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :  
إِنَّمَا مُضَعَبٌ شَبَابٌ مِنْ اللَّهِ م تَجَلَّتْ مِنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَا :  
مُدْعِيًا أَنَّ ذَلِكَ بِمَا لَا يَنْكِرُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ . (فَائِدَةٌ) إِذَا  
دَخَلَ (مَا وَإِلَّا) عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُشْتَبِهَةِ عَلَى الْمَنْصُوبِ كَانَ الْقَصْدُ بِالذِّكْرِ  
مَا اتَّصَلَ (بِإِلَّا) مُتَأَخِّرًا عَنْهُ . فَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ عَمْرًا إِلَّا زَيْدٌ .  
فَالْقَصْدُ الَّرُّفُوعَ . وَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ زَيْدٌ إِلَّا عَمْرًا . فَالْقَصْدُ  
الْمَنْصُوبَ . وَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ زَيْدٌ إِلَّا عَمْرًا . فَالْإِخْتِصَاصُ بِالضَّارِبِ .  
وَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ إِلَّا زَيْدًا عَمْرًا . فَالْإِخْتِصَاصُ بِالْمَضْرُوبِ . وَإِذَا  
قُلْتَ : لَمْ أَكْسُ إِلَّا زَيْدًا جَبَّةً . فَالْمَعْنَى تَحْصِصُ سُنُوءَةِ الْجَبَّةِ بَيْنَ  
النَّاسِ بِزَيْدٍ . وَكَذَلِكَ الْحُكْمُ حَيْثُ يَكُونُ يَدُلُّ أَحَدُ الْمَفْعُولَيْنِ جَارًا  
وَمَجْرُورًا كَقَوْلِ السَّيِّدِ الْحَمِيرِيِّ :

لَوْ خَيْرَ الْمَنْبَرِ فَرَسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسًا  
وَكَذَلِكَ حُكْمُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ وَالْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ كَقَوْلِكَ : مَا

زَيْدٌ إِلَّا قَاتِمٌ وَمَا قَاتِمٌ إِلَّا زَيْدٌ. وَأَمَّا ( إِنَّمَا ) فَلَا اخْتِصَاصُ فِيهَا مَعَ مَعَ  
الْمُتَأَخِّرِ. فَإِذَا قُلْتَ: إِنَّمَا ضَرَبَ زَيْدًا عَمْرُو. فَلَا اخْتِصَاصُ فِي الضَّارِبِ.  
وَقَوْلُهُ: ( إِنَّمَا يُخَشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) فَالْفَرْعُ بَيَانُ الْمَرْفُوعِ  
وَهُوَ أَنَّ الْخَاشِينَ هُمُ الْعُلَمَاءُ. وَلَوْ قُدِّمَ الْمَرْفُوعُ لَصَارَ الْمَقْصُودُ بَيَانُ  
الْخُشْيَةِ مِنْهُ فَالْأَوَّلُ أَتَمُّ. وَمِنْهُ قَوْلُ الْقُرْطُبِيِّ:

أَنَا أَلَرَأَيْدُ الْخَلَاءِ الْمَمَارِ وَأَمَّا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي  
فَإِنَّ غَرَضَهُ أَنْ يَحْصُرَ الْمُدَافِعَ بِأَنَّهُ هُوَ لَا الْمُدَافِعُ عَنْهُ. وَلَوْ قَالَ:  
إِنَّمَا أَنَا أَدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ. تَوَحَّه التَّخْصِصُ إِلَى الْمُدَافِعِ عَنْهُ. إِذَا  
أَدْخَلْتَ عَلَيْهِمَا ( إِنَّمَا ) فَإِنَّ قَدِّمْتَ الْخَبَرَ فَلَا اخْتِصَاصَ لِلْمُبْتَدَأِ. وَإِنْ  
لَمْ تُقَدِّمَهُ فَلِلْخَبَرِ. فَإِذَا قُلْتَ: إِنَّمَا هَذَا لَكَ فَلَا اخْتِصَاصَ فِي ( لَكَ )  
بِدَلِيلِ أَمَّا نَقُولُ بَعْدَهُ: لَا لِعَيْرِكَ. وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّمَا لَكَ هَذَا.  
فَلَا اخْتِصَاصَ فِي هَذَا بِدَلِيلِ أَمَّا نَقُولُ بَعْدَهُ لَأَذَلِكَ. ثُمَّ قَدْ يَجْتَمِعُ  
مَعَهُ حَرْفُ النَّفْيِ إِمَّا مُتَأَخِّرًا كَقَوْلِكَ: إِنَّمَا يَحْيَى زَيْدٌ لَا عَمْرُو. وَقَالَ  
أَيْبُ:

وَإِذَا جُوزِيَتْ قَرَضًا فَلْجَزِهِ إِنَّمَا يَجْزِي أَلْفَتِي لَيْسَ الْحَمْلُ  
وَأَمَّا مُقَدِّمًا عَلَيْهِ كَقَوْلِكَ: مَا جَاءَ فِي زَيْدٍ وَإِنَّمَا جَاءَ فِي عَمْرُو.  
فَهَا هُنَا لَوْ لَمْ تَقُلْ: ( إِنَّمَا ). وَقُلْتَ: مَا جَاءَ فِي زَيْدٍ وَجَاءَ فِي عَمْرُو.  
لَكَانَ الْكَلَامُ مَعَ مَنْ ظَنَّ أَنَّهُمَا جَاءَ أَجْمَعًا. وَإِذَا أَدْخَلْتَهَا كَانَ  
الْكَلَامُ مَعَ مَنْ غَلِطَ فِي الْجُلُوبِ أَنَّهُ زَيْدٌ لَا عَمْرُو. وَأَعْلَمَ أَنَّ أَقْوَى مَا  
يَكُونُ إِنَّمَا إِذَا كَانَ لَا يَرَادُ بِالْكَلَامِ الَّذِي بَعْدَهَا نَفْسُ مَعْنَاهَا

وَلَكِنَّ التَّعْرِيزَ بِأَمْرٍ هُوَ مُقْتَضَاهُ . وَهَذَا اقْتِرَاضٌ لَا يَحْصُلُ بِدُونِ  
( إِنَّمَا ) لِأَنَّ مِنْ إِثْبَاتِهَا تَضْمِينُ الْكَلَامِ مَعْنَى الثَّنْيِ بَعْدَ الْإِثْبَاتِ .  
فَإِذَا أَسْقَطْتَ وَلَمْ يَتَّقِ الْإِثْبَاتُ الْحُكْمَ لِلْمَذْكُورِينَ فَلَا يَسْدُلُ  
عَلَى تَقْيِيهِ غَيْرِهِمْ إِلَّا أَنْ يُذَكَّرَ فِي مَعْرِضٍ يَدْحِ الْإِنْسَانِ بِالتَّنْقِيطِ  
وَالْكَرَمِ وَامْتِلِهُمَا كَمَا يُقَالُ : كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْعَاقِلُ وَهَكَذَا يَفْعَلُ  
الْكَرِيمُ

### المبحث الثامن

### في التقديم والتأخير

( عن صناعة القوم أيضاً )

( راجع علم الادب صفحة ١٩ )

إِذَا قُدِّمَ الشَّيْءُ عَلَى غَيْرِهِ فَمَا أَنْ يَكُونَ فِي نِيَّةِ التَّأْخِيرِ كَمَا  
إِذَا قُدِّمَ الْخَبَرُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ . وَفَمَا أَنْ يَكُونَ فِي نِيَّةِ التَّأْخِيرِ وَلَكِنْ  
أَنْتَقَلَ الشَّيْءُ مِنْ حُكْمٍ إِلَى لُغْوٍ . كَمَا إِذَا جِئْتَ إِلَى أَسْمَيْنِ جَازَ أَنْ  
يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُبْتَدَأً فَجَعَلْتَ أَحَدَهُمَا مُبْتَدَأً كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ  
أَنْتَظِرُكَ وَأَنْتَظِرُ زَيْدٌ . قَالَ الْحَرْجَاجِيُّ : كَانَتْهُمْ يَقْتَمُونَ الَّذِي يَبْأَنُهُ  
لَهُمْ هُمْ وَهُمْ بَيِّنَاتُهُ أَعْنَى وَإِنْ كَانَا جَمِيعاً يُؤْمَانُهُمْ وَيَعْنِيَانِيهِ . وَمَثَلُهُ  
إِنَّ النَّاسَ إِذَا تَلَقَّوْا غَرَضَهُمْ بِقَتْلِ خَارِجِيٍّ مُفْسِدٍ وَلَا يَعْلَمُونَ مَنْ  
صَدَرَ الْقَتْلُ مِنْهُ وَارَادَ مُرِيدُ الْأَخْبَارِ بِذَلِكَ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ ذِكْرَ الْخَارِجِيِّ  
فَيَقُولُ : قَتَلَ الْخَارِجِيَّ زَيْدٌ . وَلَا يَقُولُ : قَتَلَ زَيْدٌ الْخَارِجِيَّ . لِأَنَّهُ يَعْلَمُ

أَنَّ قَتْلَ الْخَارِجِيِّ هُوَ الَّذِي يَغْنَبُهُمْ . وَإِنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ قَتْلُ وَنَ  
رَجُلٍ يَبْعُدُ فِي اعْتِقَادِ النَّاسِ وَقُوعُ الْقَتْلِ مِنْ مِثْلِهِ قَدْ أَمَّ الْخَبْرُ ذِكْرُ  
الْفَاعِلِ فَيَقُولُ : قَتَلَ زَيْدٌ رَجُلًا . لِاعْتِقَادِ النَّاسِ فِي أَلَدِ كُورٍ خِلَافَ  
ذَلِكَ ( اهـ ) . وَلِذِكْرٍ مِنْهُ ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ يُعْرَفُ بِهَا مَا لَمْ يُذَكَّرْ :  
( الْأَوَّلُ الْإِسْتِفْهَامُ ) فَإِذَا ادْخَلْتَهُ عَلَى الْفِعْلِ وَقُلْتَ : أَضْرَبْتَ  
زَيْدًا . كَانَ الشُّكُّ فِي وَجُودِ الْفِعْلِ مُحْتَمًا وَالشُّكُّ فِي تَسْيِينِ الْفَاعِلِ  
وَهَكَذَا حُكْمُ التَّكْرِيرِ . فَإِذَا قُلْتَ : أَجَاءَكَ رَجُلٌ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ  
هَلْ وَجَدَ الْحَيَّ مِنْ رَجُلٍ . فَإِذَا قُلْتَ : أَرَجُلٌ جَاءَكَ كَانَ ذَلِكَ  
سُوءَ الْإِنْسَانِ عَنْ جِنْسٍ مَنْ جَاءَ بَعْدَ الْحُكْمِ بِوُجُودِ الْحَيِّ مِنْ إِنْسَانٍ .  
وَقَسَّ عَلَيْهِ الْخَبْرُ فِي قَوْلِكَ : ضَرَبْتَ زَيْدًا وَزَيْدًا ضَرَبْتَ . وَجَاءَ نِي  
رَجُلٌ نَيْمِي . وَرَجُلٌ نَيْمِي جَاءَ نِي . ثُمَّ الْإِسْتِفْهَامُ قَدْ يَجِيءُ لِلْإِنْكَارِ :  
وَهُوَ إِمَّا لِلتَّخْيِيرِ وَالتَّوْبِيخِ وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ : أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا . وَإِمَّا  
لِلْإِنْكَارِ أَنَّهُ الْفَاعِلُ مَعَ تَحْقِيقِ الْفِعْلِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ أَتَحَلَّ شِعْرًا :  
أَنْتَ قُلْتَ هَذَا . وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ مُضَارِعًا فَإِنَّ ادْخَالَ حَرْفِ  
الْإِسْتِفْهَامِ عَلَيْهِ كَانَ إِمَّا لِلْإِنْكَارِ وَجُودِهِ كَقَوْلِهِ : أَتَلَزُمُكُمْ هَا وَأَنْتُمْ لَهَا  
كَارِهُونَ . أَوْ لِلْإِنْكَارِ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى الْفِعْلِ كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :  
أَيَقْتُلْنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ ذُرْقُ كَأَيْتَابِ أَعْوَالِ  
أَوْ لِإِزَالَةِ طَعَمٍ مِنْ طَعِمَ فِي أَمْرٍ لَا يَكُونُ قِيَمَتُهُ فِي طَعِمِهِ  
كَقَوْلِكَ : أَيْضَى عَنْكَ فَلَانٌ وَأَنْتَ عَلَى مَا يَكْرَهُ . أَوْ لِتَعْيِيفِ مَنْ  
يُضِيعُ أَلْحَى كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :



أَتَرَكُ إِن قُلْتُ دَرَلِهِمْ خَالِدٍ زِيَارَتَهُ إِنِّي إِذَا لَلَيْمُ  
 أَوْ لِقْدِيمِ الْفِعْلِ كَمَا تَقُولُ لِنَ يَرْكَبُ الْخَطَرَ : أَتَرَكَبُ فِي هَذَا  
 الْوَقْتِ . وَإِن أَدَخَلْتَهُ عَلَى الْإِسْمِ فَهُوَ لَا نِكَارَ صُدُورِ الْفِعْلِ وَنَ  
 ذَلِكَ الْفَاعِلِ إِمَّا لِاسْتِحْقَاقِ كَقَوْلِكَ : أَأَنْتَ تَمْنَعُنِي . أَوْ لِتَعْظِيمِ  
 كَقَوْلِكَ : لَهْوٌ يَسَالُ النَّاسَ . أَوْ لِلْبَيَانَةِ إِمَّا فِي كَرَمِهِ كَقَوْلِكَ :  
 أَهْوُ يَمْنَعُ سَائِلَهُ . وَإِمَّا فِي خَسَاسَتِهِ كَقَوْلِكَ : أَهْوُ يَنْسَحُ بِمِثْلِ هَذَا .  
 وَقَدْ يَكُونُ لِبَيَانِ اسْتِحْكَالِهِ فِعْلٍ ظَنُّ مِمَّا كَقَوْلِهِ : أَفَأَنْتَ تُسَيِّئُ  
 أَلْظَمٌ أَوْ تَهْدِي الْعَمَى . وَكَذَلِكَ إِذَا أَدَخَلْتَهُ عَلَى الْمَقْعُولِ كَقَوْلِهِ :  
 أَغَيَّرَ اللَّهُ مُحَمَّدٌ وَلِيًّا وَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ . وَأَبْشَرْنَا مِنَّا وَاجِدًا تَلْبَعُهُ .  
 بَنَوْا كُفْرَهُمْ عَلَى أَنَّ الْبَشَرَ لَيْسَ بِمَخْلُوقَةٍ أَنْ يَتَّبِعَ وَيُطَاعَ

( فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِي النَّفْيِ ) إِذَا أَدَخَلْتَ النَّفْيَ عَلَى الْفِعْلِ  
 قُلْتُ : مَا ضَرَبْتُ زَيْدًا . فَقَدْ نَفَيْتَ عَنْ زَيْدٍ ضَرْبًا وَاقْعَا بِزَيْدٍ وَهَذَا  
 لَا يَقْتَضِي كَوْنَ زَيْدٍ مَضْرُوبًا . وَإِذَا أَدَخَلْتَهُ عَلَى الْإِسْمِ قُلْتُ : مَا  
 أَنَا ضَرَبْتُ زَيْدًا . أَقْتَضَى مِنْ بَابِ دَلِيلِ الْخَطَابِ كَوْنَ زَيْدٍ مَضْرُوبًا  
 وَعَلَيْهِ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي :

وَمَا أَمَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشَّعْرِ كُلَّهُ وَلَكِنْ لَشَعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شَعْرٌ  
 وَكَذَلِكَ ( حُكْمُ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ وَحُكْمُ الْمَقْعُولِ ) . فَأَذَا قُلْتُ : مَا  
 أَمَرْتُكَ بِهَذَا . لَمْ يَقْتَضِ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَمَرْتَهُ بِشَيْءٍ غَيْرِ هَذَا . وَإِذَا  
 قُلْتُ : مَا هَذَا أَمَرْتُكَ . أَقْتَضَاهُ . وَإِذَا قُلْتُ : صِفَةُ الْعُمُومِ عَلَى  
 السَّلْبِ وَقُلْتُ : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ أَفْعَلْهُ بِرَفْعِ ( كُلِّ ) كَانَ فَيَا عَامَا

وَيَبْقِضُهُ الْإِبْرَافُ الْخَاصُّ. فَلَوْ فَعَلْتَ بَعْضَهُ كَذِبًا. وَإِنْ قَدِمْتَ  
السُّبْبَ وَقُلْتَ: لَمْ أَفْعَلْ كُلَّ ذَلِكَ. كَانَ هَذَا لِلْعُصْمِ وَلَا يُنْكَرُ فِي  
الْإِبْرَافِ الْخَاصِّ فَلَوْ فَعَلْتَ بَعْضَهُ لَمْ تَكُنْ كَذِبًا. (الثَّالِثُ فِي التَّقْدِيمِ  
وَالْتَّأْخِيرِ فِي الْخَبَرِ الْمَثْبُتِ) مَا تَقَدَّمَ فِي الْإِسْتِفْهَامِ وَالْتَفَتِي قَائِمٌ هَاهُنَا  
فَإِذَا قَدِمْتَ الْإِسْمَ وَقُلْتَ: زَيْدٌ فَعَلَ وَأَنَا فَعَلْتُ. فَأَقْصِدُ أَنَّ  
الْفَاعِلَ إِمَّا لِلتَّخْصِصِ ذَلِكَ الْفِعْلَ بِهِ كَقَوْلِكَ: أَنَا شَفَعْتُ فِي شَأْنِهِ  
مُدْعِيًا الْإِفْرَادَ بِذَلِكَ. أَوْ لِلتَّكْثِيرِ إِبْرَافِ الْفِعْلِ لَهُ لَا لِلتَّخْصِصِ  
كَقَوْلِكَ: هُوَ يُعْطِي الْجَزِيلَ. لِيَتِمَّكَنَ فِي هَسِّ السَّامِعِ أَنَّ ذَلِكَ  
دَابَّةٌ دُونَ نَفْسِهِ عَنْ غَيْرِهِ كَقَوْلِ دَرْنَا بِنْتِ عَشْعَشَةٍ:

هُمَا يَلْبَسَانِ الْحَبْدَ أَحْسَنَ لَيْسَةٍ شَحِيحَانِ مَا أَسْطَاعَا عَلَيْهِ كِلَاهُمَا  
وَالسَّبَبُ فِي هَذَا التَّكْثِيرِ إِذَا قُلْتَ مَثَلًا: (زَيْدٌ). فَقَدْ أَشْعَرْتَ  
بِأَنَّكَ تُرِيدُ الْحَدِيثَ عَنْهُ فَيُفْصَلُ لِلْسَّامِعِ تَشْوِيقٌ إِلَى مَعْرِفَتِهِ. فَإِذَا  
ذَكَرْتَهُ قِيلَتْهُ النَّفْسُ قَبُولَ الصَّدِيقِ صَدِيقَهُ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي  
الْحَقِيقِ وَهِيَ الشُّكُّ وَالشُّبْهَةُ. وَلِهَذَا تَقُولُ لِمَنْ تَعِدُّهُ: أَنَا أُعْطِيكَ.  
أَنَا أَكْفِيكَ. أَنَا أَقُومُ بِهَذَا الْأَمْرِ. وَذَلِكَ إِذَا كَانَ مِنْ شَأْنٍ هُنَّ  
سَبَقَ لَهُ وَعَدٌ أَنْ يَبْعَثَهُ الشُّكُّ فِي وَفَائِهِ. وَلِذَلِكَ يُقَالُ فِي الْمَدْحِ:  
أَنْتَ تُعْطِي الْجَزِيلَ. أَنْتَ تَجُودُ جَيْنَ لَا يَجُودُ أَحَدٌ. وَمِنْ هَاهُنَا  
تُعرفُ التَّخَالُفَ فِي الْجَمْلِ الَّتِي فِيهَا خِيَرَةُ الشَّانِ وَالْعِصَّةُ كَقَوْلِهِ: فَإِنَّهَا  
لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ. وَكَقَوْلِهِ:  
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ. (وَأَنَّهَا) فِيهَا مَا لَيْسَ فِي قَوْلِكَ: فَإِنَّ

أَلَا بَصَارَ لَا تَعْمَى وَإِنَّ الْكَافِرِينَ لَا يَهْتَدُونَ . وَهَذَا الْكَلَامُ فِي الْحَبْرِ  
الْمُنْعِي . فَإِذَا قُلْتَ . أَنْتَ لَا تُحْسِنُ هَذَا . كُنْ أَبْلَغَ مِنْ أَنْ تَقُولَ :  
لَا تُحْسِنُ هَذَا . فَإِلَّا أَوَّلُ لِمَنْ هُوَ أَشَدُّ إِعْجَابًا بِنَفْسِهِ وَأَكْثَرُ دَعْوَى  
بِأَنَّهُ يُحْسِنُ . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ تَقْدِيمُ الْأَسْمِ كَاللَّازِمِ وَهُوَ :  
( كَمِثْلِ ) فِي نَحْوِ قَوْلِهِ :

يَا عَانِي دَعْنِي مِنْ عَذْلِكَ مِثْلِي لَا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِكَ  
وَقَوْلِ الْمُسْتَنِي :

مِثْلُكَ يَشْنِي الْخُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرْدُّ الدَّمْعَ عَنْ غُرْبِهِ  
وَكَقَوْلِ النَّاسِ : مِثْلُكَ يَدْعِي الْحَيَّ وَالْحُرْمَةَ . وَمَا أَشَبَّ ذَلِكَ بِمَا  
لَا يَقْصِدُ فِيهِ الْإِنْسَانُ سِوَى الَّذِي أُضِيفَ إِلَيْهِ وَحِيٍّ بِهِ لِلْبَالِغَةِ .  
وَالْمَعْنَى إِنْ مَنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي لَطَالٍ وَالصِّفَةِ كَانَ مِنْ مُقْتَضَى الْقِيَاسِ  
أَنْ يَقُولَ مَا ذَكَرَ فَكَيْفَ بِهِ . وَقَدْ عُبِّرَ الْمُسْتَنِي عَنْ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :  
وَلَمْ أَقُلْ وَمِثْلُكَ لَعْنِي بِهِ سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشَبِّهٍ

وَكَذَلِكَ لِحُكْمِ ( غَيْرِ ) إِذَا سَاكَ فِيهِ هَذَا أَسْلَكَ كَقَوْلِ الْمُسْتَنِي :  
غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَخْدَعُ إِنْ قَاتَلُوا جَبَنُوا أَوْ حَدَثُوا شَجَبُوا  
أَيُّ لَسْتُ يَمْنُ يَخْدَعُ وَيَعْتَرُ . وَلَوْ لَمْ يَقْدَمُ ( وَثَلَا وَنَيْرَا ) فِي  
هَذِهِ الصُّورِ لَمْ يُرْذَ هَذَا الْمَعْنَى

( أَمَّا مَوَاضِعُ التَّقْدِيمِ وَالْتَأْخِيرِ ) فَقَدْ يُحْسِنُ التَّقْدِيمُ فِي مَوَاضِعَ :  
( الْأَوَّلُ ) أَنْ تَكُونَ الْحَاجَةُ إِلَى ذِكْرِهِ أَشَدَّ كَقَوْلِكَ : قَطَعَ الْأَصْ  
الْأَوَّلُ . ( الثَّانِي ) أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَلْيَقَ بِمَا قَبْلَهُ مِنْ أَلْكَلامٍ أَوْ

بِمَا بَعْدَهُ كَقَوْلِهِ: وَتَعَشَّى وَجُوهَهُمُ النَّارُ. فَإِنَّهُ أَشْكَلُ بِمَا بَعْدَهُ.  
وَهُوَ قَوْلُهُ: إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. وَبِمَا قَبْلَهُ وَهُوَ: مُقَرَّنِينَ فِي  
الْأَصْفَادِ. (الثَّالِثُ) أَنْ يَكُونَ أَعْرَفَ أَوْ أَشَدَّ تَعَلُّقًا بِمَا بَعْدَهُ  
كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ قَامَ. وَقَامَ زَيْدٌ. وَزَيْدٌ الطَّوِيلُ. (الرَّابِعُ) أَنْ  
يَكُونَ مِنَ الْخُرُوفِ الَّتِي لَهَا صَدْرُ الْكَلَامِ كَخُرُوفِ الْأِسْتِفْهَامِ وَالنَّفْيِ  
فَإِنَّ الْأِسْتِفْهَامَ طَلَبُ فَهْمِ الشَّيْءِ وَهُوَ حَالَةٌ إِضَافِيَّةٌ فَلَا تَسْتَقْبَلُ  
بِالْمَفْهُومِيَّةِ فَيَشْتَدُّ اتِّصَالُهُ بِمَا بَعْدَهُ. (الخَامِسُ) تَقْدِيمُ الْكُلِّيِّ  
عَلَى جُزْئِيَّاتِهِ. فَإِنَّ الشَّيْءَ كُلَّمَا كَانَ أَكْثَرَ عُمُومًا كَانَ أَعْرَفَ فَإِنَّ  
الْوُجُودَ لَمَّا كَانَ أَعَمَّ الْأُمُورِ كَانَ أَعْرَفَهَا عِنْدَ الْعَقْلِ. (السَّادِسُ)  
تَقْدِيمُ الدَّلِيلِ عَلَى الْمَدْلُولِ

وَأَمَّا التَّأْخِيرُ فَيَحْسُنُ فِي مَوَاضِعَ: (الْأَوَّلُ) تَأْمُّ الْأِسْمِ كَالصَّلَاةِ  
وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ. (الثَّانِي) تَوَابِعُ الْأَسْمَاءِ. (الثَّالِثُ) الْفَاعِلُ.  
(الرَّابِعُ) الْمَضَرُّ وَهُوَ إِنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا لَفْظًا وَتَقْدِيرًا كَقَوْلِكَ:  
ضَرَبَ زَيْدٌ غُلَامَهُ. أَوْ: وَخَرَّأَ فِي اللَّفْظِ مُقَدِّمًا فِي الْمَعْنَى كَقَوْلِهِ: وَإِذَا  
أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ. أَوْ بِالْعَكْسِ كَقَوْلِكَ: ضَرَبَ غُلَامَهُ زَيْدٌ. جَازَ.  
وَأَنْ تَقْدَّمَ لَفْظًا وَمَعْنَى لَمْ يَخْزُ كَقَوْلِكَ: ضَرَبَ غُلَامَهُ زَيْدًا.  
(الخَامِسُ) مَا يُقْضَى إِلَى اللَّبْسِ كَقَوْلِكَ: ضَرَبَ مُوسَى عِيسَى. وَآكْرَمَ  
هَذَا هَذَا. فَجَبَّ فِيهِ تَقْدِيمُ الْفَاعِلِ. (السَّادِسُ) الْعَامِلُ الَّذِي يَضَعُ  
عَمَلَهُ كَالصِّفَةِ الْمَشَبِّهَةِ وَالتَّمْيِيزِ وَمَا عَمِلَ فِيهِ حَرْفٌ أَوْ مَعْنَى كَقَوْلِكَ: هُوَ  
حَسَنٌ وَجَبًا. وَكَرِيمٌ أَبًا. وَتَصَبَّبَ عَرَقًا. وَخَسَّةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا وَإِنَّ

زَيْدًا قَائِمًا . وَفِي الدَّارِ سَعْدٌ جَالِسٌ . وَلَا يُجُوزُ الْفَصْلُ بَيْنَ الْعَاوِلِ  
وَالْمَعْمُولِ بِمَا لَيْسَ مِنْهُ فَلَا تَقُولُ : كَانَتْ زَيْدًا الْحَيَّ تَأْخُذُ . إِذَا  
رَفَعْتَ الْحَيَّ بِكَانَتْ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْعَاوِلِ وَمَا عَمِلَ فِيهِ . فَإِنْ  
أَضْرَبْتَ الْحَيَّ فِي كَانَتْ صَحَّتِ الْمَسْئَلَةُ

### البحث التاسع

### في الحذف والاضمار

( عن صاعقة التدرسل ايضاً )

( راجع صفحة ٢٠ من علم الادب )

اعْلَمْ أَنَّ الْأَفْصَالَ الْمُتَعَدِّيَةَ الَّتِي يُتْرَكُ ذِكْرُ مَفْعُولَاتِهَا عَلَى قِسْمَيْنِ :  
( الْأَوَّلُ ) أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مَفْعُولٌ مُعَيَّنٌ فَقَدْ يُتْرَكُ مَفْعُولُهُ لَفْظًا  
وَتَقْدِيرًا وَيُجْعَلُ حَالُهُ كَحَالِ غَيْرِ الْمُتَعَدِّيِّ كَقَوْلِهِمْ : فَلَانٌ يُحِلُّ وَيَعْقِدُ  
وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيَضُرُّ وَيَنْفَعُ . وَالْمَقْصُودُ اثْبَاتُ الْمَعْنَى فِي نَفْسِهِ الشَّيْءِ  
مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِجَدِثِ الْمَفْعُولِ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ : بِجَيْثُ يَكُونُ مِنْهُ  
حَلٌّ وَعَقْدٌ وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ وَضَرٌّ وَنَفْعٌ . وَبِالْجُمْلَةِ مَتَى كَانَ الْفَرْضُ يَبَانَ  
حَالُ الْفَاعِلِ فَقَطَّ فَلَا تُعَدُّ الْفِعْلُ فَإِنْ تَعَدِّيَتُهُ تَنْقُصُ الْفَرْضُ . أَلَا  
تَرَى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : فَلَانٌ يُعْطِي الدَّانِيَةَ كَانَ الْمَقْصُودُ بَيَانُ  
جِنْسِ مَا تَنَاوَلَهُ الْإِعْطَاءُ : لَا يَبَانَ حَالُ كَوْنِهِ مُعْطِيًا . ( الثَّانِي ) أَنْ  
يَكُونَ لَهُ مَفْعُولٌ مَعْلُومٌ إِلَّا أَنَّهُ يُحْذَفُ مِنَ الْفَلْظِ لِإِعْرَاضِ : ( الْأَوَّلُ )  
أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بَيَانُ حَالِ الْفَاعِلِ وَأَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلُ دَائِبُهُ لَا يَبَانَ

الْمَفْعُولُ كَقَوْلِ طُفِيلٍ :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَفْرًا حِينَ ارْتَلْتِ      بِنَا تَمَلْنَا فِي الْوِاطِينَ فَوَاتِ  
 آيُوا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمْنَا      تُلَاقِي الَّذِي لَاقُوهُ مِنَّا لَمَتِ  
 هُمْ خَلَطُونَا بِالنُّفُوسِ وَاجْلَاوَا      إِلَى حُجْرَاتِ أَدْفَاتِ وَأَظَلَّتِ  
 وَالْأَصْلُ أَنْ يَقُولَ : لَمَتْنَا وَاجْلَاوَا وَأَدْفَاتْنَا وَأَظَلَّتْنَا فَحَذَفَ  
 الْمَفْعُولَ الْمُعَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْأَرْبَعَةِ وَكَأَنَّهُ قَدْ أُبْهِمَ وَلَمْ يُقْصَدِ  
 قَصْدُ شَيْءٍ يَهْمُ عَلَيْهِ كَمَا تَقُولُ : قَدْ مَلَ فُلَانٌ . تُرِيدُ قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ  
 اللَّيْلُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَحْصَ شَيْئًا بَلْ لَا تُرِيدُ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ اللَّيْلَ مِنْ  
 صِفَتِهِ . فَكَذَلِكَ الشَّاعِرُ جَعَلَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مِنْ ذَاتِهِمْ وَلَوْ أَضَافَ  
 إِلَى مَفْعُولٍ مُعَيَّنٍ لَبَطَلَ هَذَا الْقَرَضُ . (الثَّانِي) أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ ذِكْرُهُ  
 إِلَّا إِنَّكَ لَا تَذْكُرُهُ إِهَامًا لِأَنَّكَ لَا تُقْصِدُ ذِكْرَهُ كَقَوْلِ الْبُخَّارِيِّ :  
 شَجَرٌ حَسَادِي وَغَيْظُ عِدَائِهِ      أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ وَاعٍ  
 الْمَعْنَى أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ مُحَاسِنُهُ وَأَنْ يَسْمَعَ وَاعٍ أَخْبَارَهُ . وَلَكِنَّهُ  
 نَقَالَ عَنْ ذَلِكَ إِذَا بَانَ فَضَائِلُهُ يَكْفِي فِيهَا أَنْ يَقَعَ عَلَيْهَا بَصَرٌ  
 وَيَعْبَاهَا سَمْعٌ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْفَضَائِلِ فَلَيْسَ لِحَسَادِهِ وَعِدَائِهِ  
 أَشْيَى مِنْ عَلَيْهِمْ بَانَ هَاهُنَا مُبْصِرًا وَسَامِعًا . (الثَّالِثُ) أَنْ يُحْذَفَ  
 لِكُونِهِ بَيْنَا كَقَوْلِهِمْ : أَضَعَيْتُ إِلَيْكَ . أَيِ لُذْنِي . وَلَغَضَيْتُ عَلَيْكَ .  
 أَيِ جَفْنِي

( فَضْلٌ فِي حَذْفِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ ) قَدْ يُحْسَنُ حَذْفُ الْمُبْتَدَأِ حَيْثُ

يَكُونُ الْقَرَضُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ فِي اسْتِحْقَاقِ الْوَصْفِ بِمَا جُعِلَ وَضْعًا لَهُ

إِلَى حَيْثُ يُعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا لَهُ سَوَاءٌ كَانَ فِي نَفْسِهِ  
كَذَلِكَ أَوْ بِحَسَبِ دَعْوَى الشَّاعِرِ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ فَذِكْرُهُ يُبْطِلُ  
هَذَا التَّرْغُصَ. وَلِهَذَا قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : مَا مِنْ أُنْثَى يُحْدَفُ فِي الْحَالَةِ  
يَتَّبِعِي أَنْ يُحْدَفَ فِيهَا إِلَّا وَحْدَهُ أَحْسَنُ مِنْ ذِكْرِهِ فَمَنْ حَذَفَ  
الْمُبْتَدَأَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَا يَنْبَغِي اللَّهُ التَّلَبُّبَ مَ وَالْعَادَاتِ إِذْ قَالَ لَحْيِيسُ نَعَمْ  
أَيُّ هَذِهِ نَعَمْ . قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : وَمِنْ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَطْرُقُ  
فِيهَا حَذْفُ الْمُبْتَدَأِ بِالْقَطْعِ وَالِاسْتِنْفَافِ أَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ بِذِكْرِ الرَّجُلِ  
وَيَقْدِمُونَ بَعْضَ أَمْرِهِ ثُمَّ يَدْعُونَ الْكَلَامَ الْأَوَّلَ فَيَسْتَأْفُونَ كَلَامًا  
آخَرَ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ اتَّوَا فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ بِجَهْدٍ مِنْ غَيْرِ مُبْتَدَأٍ مِثَالُ ذَلِكَ :  
وَعَلِمْتُ أَيُّ يَوْمَ ذَا لَكَ مُنَازِلَ كَعْبًا وَنَهْدًا  
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ مَ تَنَمَّرُوا حَلَفًا وَقَدًّا  
وَقَوْلُ الْحَظِيئَةِ :

هُمْ حُلَاوَا مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى وَمِنْ حَسَبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا  
أَسَاةُ مَكَارِمٍ وَأَسَاةُ كَلَمٍ دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ  
وَأَمِثْلُهُ كَثِيرَةٌ . وَفِي حَذْفِ الْخَبَرِ قَوْلُهُ : لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا  
مُؤْمِنِينَ أَيُّ لَوْلَا أَنتُمْ مُضِلُّونَا . وَقَوْلُ عُمَرَ : لَوْلَا عَلِيٌّ لَهْلَكَ عُمَرُ . أَيُّ  
لَوْلَا عَلِيٌّ حَاضِرٌ أَوْ غَافٍ . وَمِمَّا يَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ قَوْلُهُ : طَاعَةٌ وَقَوْلُ  
مَعْرُوفٍ . وَقَوْلُهُ : فَصَبْرٌ وَجَمِيلٌ

الْإِضَارَةُ عَلَى شَرِطَةِ التَّنْفِيدِ كَقَوْلِكَ : أَكْرَمَنِي وَأَكْرَمْتَ عَبْدَ اللَّهِ أَيُّ

أَكْرَمَنِي عَبْدُ اللَّهِ وَاسْكُرْتُمْ عَبْدَ اللَّهِ. وَمِمَّا يُشْبِهُ ذَلِكَ مَقْعُولُ الْمَشِيئَةِ إِذَا  
جَاءَتْ بَعْدَ (لَوْ). فَإِنْ كَانَ مَقْعُولُهَا عَظِيمًا أَوْ غَرِيبًا فَلَا لَوِي ذِكْرُهُ كَقَوْلِهِ :  
وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دِمَاءَ بَكِيَّتِهِ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاعَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ  
فَإِنْ بُكَاءُ الْإِنْسَانِ دِمَاءٌ عَجِيبٌ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَا لَوِي  
حَذْفُهُ كَقَوْلِهِ : وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى. وَالتَّعْدِيرُ : وَلَوْ شَاءَ  
اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى لَجَمَعَهُمْ. وَأَعْلَمُهُ أَنَّهُ قَدْ تَرَكَ الْكِنَايَةَ  
إِلَى التَّصْرِيحِ لِأَنَّهُ فِيهِ مِنْ زِيَادَةِ التَّحَامَةِ كَقَوْلِ الْبُخَّارِيِّ :

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّودِ دُودَ وَالتَّجْدِ وَالصَّارِمِ مِثْلًا  
الْمَعْنَى قَدْ طَلَبْنَا لَكَ مِثْلًا. ثُمَّ حُذِفَ لِأَنَّ هَذَا الْمَدْحَ إِنَّمَا يَمُوتُ بِنَبِيِّ  
الْمِثْلِ فَلَوْ قَالَ : قَدْ طَلَبْنَا لَكَ مِثْلًا فِي السُّودِ وَالتَّجْدِ فَلَمْ نَجِدْ  
لَكَ لَكَانَ قَدْ أَوْقَعَ فِي الْوُجُودِ عَلَى ضَمِيرِ (الْمِثْلِ) فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنْ  
الْمُبَالَغَةِ مَا إِذَا أَوْقَعَهُ عَلَى صَرِيحِ الْمِثْلِ. فَإِنَّ الْكِنَايَةَ لَا تَبْلُغُ مَبْلَغَ  
الصَّرِيحِ. وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَعَصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

### البعث العاشر

### في جوامع الكلم

( عَنْ الْمَثَلِ السَّائِرِ لِابْنِ الْأَثِيرِ بِاخْتِصَارٍ )

إِنَّ الْكَلِمَ جَمْعُ كَلِمَةٍ. وَالْجَوَامِعُ جَمْعُ جَامِعَةٍ. وَالْجَامِعَةُ اسْمُ  
فَاعِلَةٍ مِنْ جَمَعَتْ فَهِيَ جَامِعَةٌ. كَمَا يُقَالُ فِي الذِّكْرِ جَمْعٌ فَهُوَ جَامِعٌ



وَالْمُرَادُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ الْجَوَامِعُ لِلْمَعَانِي. وَهُوَ عِنْدِي يَنْقَسِمُ  
 قِسْمَيْنِ : ( الْقِسْمُ الْأَوَّلُ ) مِنْهُمَا هُوَ مَا اسْتُخْرِجَتْ وَنَبَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ  
 يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيهِ قَوْلٌ سَابِقٌ وَهُوَ أَنَّ لَنَا أَلْفَاظًا تَتَضَمَّنُ مِنَ اللَّغَى  
 مَا لَا تَتَضَمَّنُهُ أَخَوَاتُهَا بِمَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي مَكَانِهَا . فَمِنْ  
 ذَلِكَ مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحِجَازِ . وَمِمَّا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحَقِيقَةِ .  
 وَقَدْ وَرَدَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ الْمُفَلِّقِينَ . وَهَذَا تَصَفَّتْ  
 الْأَشْعَارُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا وَحَفِظَتْ مَا حَفِظَتْ وَنَبَتْ إِذَا مَرَرْتُ  
 بِظَرْيٍ فِي دِيوَانٍ مِنَ الدَّرَوِينِ وَيُلُوحُّ لِي فِيهِ مِثْلُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ أَحَدُ  
 لَهَا نَشْوَةٌ كَنَشْوَةِ الْخَمْرِ وَطَرَبًا كَطَرَبِ الْأَلْحَانِ . وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَنَاطِينِ  
 وَالتَّنَائِينِ يُمْرُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَتَقَطَّنُ لَهُ سِوَى أَنَّهُ يَسْتَحْسِنُهُ مِنْ غَيْرِ  
 ظَرْفٍ فَإِذَا ظَنَرْتُ أَنَا فِيهِ وَيَظُنُّهُ كَثِيرُهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسَنَةِ .  
 فَمَآ جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّارٍ :

كَمْ صَارِمٍ نَضِبَ آثَافَ عَلَى قَعَا مِنْهُمْ لِأَعْبَاءِ الْوَعَى حَمَالِ  
 سَبَقَ الشَّيْبَ إِلَيْهِ حَتَّى أَبْدَهُ وَطَنُ الْتَهَى مِنْ مَفْرَقٍ وَقَدَالِ  
 قَوْلُهُ : ( وَطَنُ الْتَهَى ) مِنَ الْكَلِمَاتِ الْجَلَامَةِ وَهِيَ عِبَارَةٌ  
 عَنْ الرَّأْسِ وَلَا يُجَاءُ بِمِثْلِهَا فِي مَعْنَاهَا بِمَا يَسُدُّ مَسَدَهَا . وَكَذَلِكَ وَرَدَ  
 قَوْلُ النُّجْدِيِّ :

قَلْبٌ يُطِلُّ عَلَى أَفْكَارِهِ وَيَدُّ تَحْضِي الْأَمْرِ وَرَقَسٌ لَهَا وَهَا التَّعَبُ  
 قَوْلُهُ : ( قَلْبٌ يُطِلُّ عَلَى أَفْكَارِهِ ) مِنَ الْكَلِمَاتِ الْجَوَامِعِ .  
 وَمُرَادُهُ بِذَلِكَ أَنَّ قَلْبَهُ لَا تَمْلَأُهُ الْأَفْكَارُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ عَالٍ

عَلَيْهَا يَصِفُ بِذَلِكَ عَدَمَ احْتِفَالِهِ بِالْقَوَادِحِ وَقِلَّةَ مُبَالَاتِهِ بِالْمُحْطُوبِ  
الَّتِي تُحْدِثُ أَفْكَارًا تَسْتَعْرِقُ الْقُلُوبَ وَهَذِهِ عِبَارَةٌ عَجِيبَةٌ لَا يُؤْتِي بِمِثْلِهَا  
مِمَّا يَسُدُّ مَسَدَهَا . (وَأَمَّا) مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحَقِيقَةِ فَكَقَوْلِ ابْنِ  
الرُّومِيِّ :

سَمَى اللَّهُ أَوْتَارًا لَنَا وَمَارِبًا      تَقَطَّعَ مِنْ أَقْرَانِهَا مَا تَقَطَّعَا  
لِيلٍ تُتَسَيَّنِي اللَّيَالِي حِسَابًا      بُلْهِيَّةٌ أَقْضِي بِهَا الْحَوْلَ أَجْمَعَا  
سِوَى عِزَّةٍ لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ بِأَسْمِهِ      وَأَعْمَلُ فِيهِ اللَّهُ مَرَأًى وَمُسْمَعَا

فَقَوْلُهُ : ( لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ بِأَسْمِهِ ) مِنْ أَلَكَلِمَاتِ الْجَامِعَةِ أَيِ  
إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ بِاللَّذَاتِ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَلَوْ وَصَفَ  
أَشْتَبَعَالَهُ بِاللَّذَاتِ مَهْمَا وَصَفَ لَمْ يَأْتِ بِمِثْلِ قَوْلِهِ : ( لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ  
بِأَسْمِهِ ) . ( وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثِي ) مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ فَلَمَرَادُ بِهِ الْإِيحَاذُ  
الَّذِي يُدَلُّ بِهِ بِالْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ عَلَى الْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ أَيِ تَكُونُ  
الْأَلْفَاظُ جَامِعَةً لِلْمَعَانِي الْمَقْصُودَةِ عَلَى إِيجَازِهَا وَلَخْتِصَارِهَا . وَسَيَأْتِي  
فِي بَابِ الْإِيحَازِ مِنْهُ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَهَقْعٌ . ( فَإِنْ قِيلَ ) : فَمَا أَلْفَرَقُ بَيْنَ  
هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْتَهُمَا فَلْتَنْظُرْ سَوَاءً . ( قُلْتُ فِي  
الْجَوَابِ ) : إِنَّ الْإِيحَازَ هُوَ أَنْ يُؤْتَى بِالْأَلْفَاظِ دَلَالَةً عَلَى مَعْنَى مِنْ غَيْرِ  
أَنْ يَرِيدَ عَلَى ذَلِكَ أَلْمَعْنَى وَلَا يُشْتَرَطُ فِي تِلْكَ الْأَلْفَاظِ أَنَّهَا لَا ظَهَرَ  
لَهَا فَإِنَّهَا تَكُونُ قَدْ اتَّصَفَتْ بِوَصْفِ آخَرَ خَارِجٍ عَنْ وَصْفِ الْإِيحَازِ .  
وَحِينَئِذٍ يَكُونُ إِيجَازًا أَوْ زِيَادَةً . وَأَمَّا هَذَا الْقِسْمُ الْآخَرُ فَإِنَّهُ الْأَلْفَاظُ  
أَفْرَادٌ فِي حُسْنِهَا لَا ظَهَرَ لَهَا . فَتَارَةً تَكُونُ مُوجِزَةً وَتَارَةً لَا تَكُونُ

مَوْجَزَةً . وَلَيْسَ الْفَرْصُ مِنْهَا إِلَّا يَحْكَزُ وَاتِمَّا أَفْرَضُ مَكَلَّتْهَا مِنْ الْحُسْنِ  
الَّذِي لَا ظَيْرَ لَهَا فِيهِ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ : ( وَطَنَ الْتَهَى )  
فَإِنَّ ذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنِ الرَّأْسِ وَلَا شَكَّ أَنَّ الرَّأْسَ أَوْجَزُ لِأَنَّ الرَّأْسَ  
لَفُظَةٌ وَاحِدَةٌ . وَوَطَنَ الْتَهَى لَفْظَانِ . إِلَّا إِنْ ( وَطَنَ الْتَهَى ) أَحْسَنُ فِي  
الْتَمِيدِ عَنِ الرَّأْسِ . فَإِنَّ هَذَا أَنَّ أَحَدَ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ غَيْرُ الْآخَرِ

### البحث الحادي عشر

#### في الانسجام

( عن شرح بديعة البيان لابن جابر وبديعة الحموي )

( راجع صفحة ٢١ من علم الادب )

الْأَنْسِجَامُ لُفْظٌ جَرِيانُ الْمَاءِ وَعِنْدَ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ هُوَ أَنْ يَأْتِيَ  
الْأَلْفَاظُ أَوْ النَّأْيُ بِكَلَامٍ خَالٍ مِنَ التَّعْتِيدِ الْفُظِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ بِسَيْطَا  
مَفْهُومًا دَقِيقَ الْأَلْفَاظِ جَلِيلٍ أَلْفَنَى لَا تَكْلُفَ فِيهِ وَلَا تَعُسْفَ يَتَحَدَّرُ  
كَمَحْدَرِ الْمَاءِ الْمُنْسَجِمِ فَيَكَادُ لِسُهُوْلَةٍ تَرْكِيْبِهِ وَعَذُوبَةٍ أَلْفَاظِهِ أَنْ يَسِيلَ  
رِقَّةً . وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي مَنْ هُوَ مَطْبُوعٌ عَلَى سَلَامَةِ الذَّوْقِ  
وَتَوْقُذِ الْفِكْرَةِ وَبَرَاةِ الْإِنْشَاءِ وَحُسْنِ الْأَسَالِيْبِ . فَإِنْ كَانَ  
ضَعُوفًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فِيهِ غَالِيًا مَا يُظْهِرُ صِنَاعَتَهُ مَعَ مُقَابَلَتِهِ بِغَيْرِهِ  
مِنْ نَفْسٍ صَانِعِهِ . وَإِنْ حَوَّلَ هَذَا الْمَيْدَانَ مَا أَتَقَاوَا كَاهِلَ سُهُوْلَتِهِ  
بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ عَثْوًا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ .  
وَعَلَى هَذَا أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْبَدِيعِ فِي حَدِّ هَذَا النَّوعِ فَإِنَّهُمْ قَرَّرُوا : أَنْ  
يَكُونَ بَعِيدًا فِي التَّصْنُوعِ خَالِيًا مِنَ الْأَنْوَاعِ الْبَدِيعِيَّةِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ

فِي ضَمَنِ السَّهْوَةِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَإِنْ كَانَ الْإِتِّسَامُ فِي الْاَثَرِ تَكُونُ  
غَالِبُ قَرَاتِهِ مَوْزُونَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لِقُوَّةِ اِتِّسَامِهِ . وَإِنْ كَانَ فِي  
النَّظْمِ فَكَأَذْ اَلْآيَاتِ أَنْ تَسِيلَ رِقَّةٌ وَعَذُوبَةٌ . وَرَبَّمَا دَخَلَتْ فِي  
الْمُطَرِّبِ وَالْمُرْقِصِ .

### البحث الثاني عشر

### في القول في النظم

( عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار )

( راجع صفحة ٢٤ من علم الادب )

النَّظْمُ عِبَادَةٌ عَنْ تَوَاحِي مَعَانِي النَّحْوِ فِيمَا بَيْنَ الْكَلَامِ . وَذَلِكَ  
أَنْ تَضَعَ كَلَامَكَ الْوَضْعَ الَّذِي يَنْتَضِبُ عَلَيْهِ النَّحْوُ بِأَنْ تَنْظُرَ فِي  
كُلِّ نَابٍ إِلَى قَوَائِنِهِ وَالثَّرَوَاتِ الَّتِي بَيْنَ مَعَانِي اخْتِلَافِ صِيغِهِ وَتَضَعَ  
الْحُرُوفَ مَوَاضِعَهَا وَتُرَاعِي سَرَائِطَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ وَمَوَاضِعَ الْفَضْلِ  
وَالْوَصْلِ وَمَوَاضِعَ حُرُوفِ الْعُطْفِ عَلَى اخْتِلَافِ مَعَانِيهَا وَتَقْتَرِبَ  
اَلْإِصَابَةَ فِي طَرِيقِ التَّشْيِيعِ وَالتَّشْيِيلِ . وَقَدْ أَطَبَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَخْطِيمِ  
شَأْنِ النَّظْمِ وَأَنْ لَا قُضِلَ مَعَهُ عَدَمُهُ وَلَوْ بَلَغَ الْكَلَامُ فِي غَرَايِهِ مَعْنَاهُ  
إِلَى مَا بَلَغَ . وَإِنْ سَبَبَ فُسَادِهِ تَرْكُ الْعَمَلِ بِقَوَائِنِ النَّحْوِ وَاسْتِعْمَالُ  
شَيْءٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . ثُمَّ الْجَمْلُ الْكَبِيرَةُ إِذَا ظَنِمَتْ ظَنْمًا وَاحِدًا  
فَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ : ( الْأَوَّلُ ) أَنْ يَتَعَلَّقَ الْبَعْضُ بِالْبَعْضِ فَلَا يَحْتَاجُ  
وَاضِعُهُ إِلَى فِكْرٍ وَدَوِيَّةٍ فِي اسْتِحْرَاجِهِ بَلْ هُوَ كَمَنْ عَمَدَ إِلَى الْأَلَايِ

يَنْظُمُهَا فِي سِلَكٍ . وَمِثَالُهُ قَوْلُ الْجَلِيزِ : جَنَّبَكَ اللَّهُ الشُّبُهَةَ وَعَصَمَكَ  
 مِنَ الْخَيْرَةِ وَجَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَعْرُوفِ نَسَبًا وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ الصِّدْقِ  
 سَبِيحًا . وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ لِلنُّعْمَانِ : يُفَاخِرُكَ ابْنُ أَبِي جَفْنَةَ وَإِنَّ لَقَعَاكَ  
 خَيْدٌ مِنْ وَجْهِهِ وَلَشِمَالُكَ خَيْدٌ مِنْ يَمِينِهِ وَلَا تَخْصُصْكَ خَيْدٌ مِنْ رَأْسِهِ  
 وَخَطَاكَ خَيْدٌ مِنْ صَوَابِهِ وَلَخَدُّكَ خَيْدٌ مِنْ قُوِّهِ . وَهَذَا النِّظْمُ لَا يَسْتَحِقُّ  
 الْفَضْلَ إِلَّا بِسَلَامَةِ مَعْنَاهُ وَسَلَامَةِ الْقَائِلِ إِذْ لَيْسَ فِيهِ مَعْنَى دَقِيقٌ  
 لَا يُبْدِيكَ إِلَّا بِثَابِتِ الْفِكْرِ . وَرَبَّمَا ظَنَّ بِالْكَلَامِ أَنَّهُ مِنْ هَذَا  
 الْجِنْسِ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُ . ( الثَّانِي ) أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ الْمَذْكُورَةُ  
 يَتَعَلَّقُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَهَنَّاكَ قَطَرُ قُوَّةِ الطَّبَعِ وَجُودَةُ الْقَرِيحَةِ وَاسْتِقَامَةُ  
 الذِّهْنِ . ثُمَّ لَيْسَ لِهَذَا أَلْبَابٌ قَائِمٌ يُحْفَظُ قَائِمًا يُجِي : عَلَى وَجْهِهِ شَيْءٌ :  
 ( فِتْنَةُ الْإِيحَاذِ ) وَهُوَ التَّعْيِيدُ عَنِ الْفَرَضِ بِأَقْلٍ مَا يُمْكِنُ مِنْ  
 الْحُرُوفِ وَهُوَ عَلَى ضَرِيئَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) إِيحَاذٌ قَصْرٌ وَهُوَ تَقْوِيلُ اللَّفْظِ  
 وَتَكْثِيرُ الْمَعْنَى . ( وَالثَّانِي ) إِيحَاذٌ حَذْفٌ وَهُوَ الْإِسْتِغْنَاءُ بِالْمَذْكُورِ  
 عَمَّا لَمْ يُذَكَّرْ . ( وَمِنْهَا التَّأْكِيدُ ) وَهُوَ تَقْوِيَةُ الْمَعْنَى وَتَقْرِيرُهُ إِمَّا  
 بِإِظْهَارِ الْبَرْهَانِ كَقَوْلِ قَابُوسَ :

يَا ذَا الَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنَا      هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ الْإِمْنَ لَهُ خَطَرُ  
 أَمَا تَرَى الْبَحْرَ يَمْلَأُ قُوَّةَ حَيْفٍ      وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرُ  
 وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ غَيْرُ ذِي عَدَدٍ      وَلَيْسَ يُكْشَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ  
 ( أَوْ بِالْعَزِيمَةِ ) كَقَوْلِهِ : فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ .  
 ( أَوْ بِالتَّكْرَارِ ) كَقَوْلِهِمْ : اللَّهُ اللَّهُ وَالْأَسَدَ الْأَسَدَ

# الفصل الرابع

في البيان

البحث الأول

في تحديد البيان على وجه الاجمال

( من كتاب البيان والتبيين للجاحظ وغرر الخصائص للوطواط بتصرف )

( راجع صفحة ٢٧ و ٢٨ من علم الادب )

البيان اسم لكل شيء كشف لك على بيان المعنى ومعك  
لك العجب دون الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته ويهجم على  
مخضو له كأنما ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل .  
لان مدار الامر والفاية التي تجري اليها القائل والسامع انما هو  
الفهم والافهام فباي شيء بلغت الافهام واوضحت عن المعنى  
فذلك هو البيان في ذلك الموضع . وقيل لجعفر بن يحيى البرمكي :  
ما البيان . قال : ان يكون الاسم يحيط بمعناك ويكشف عن  
غزائك ويخرجك من الشبهة ولا يستعان عليه بالفكرة ويكون سليما  
من التكلف بعيدا من الصنعة بريئا من التعقيد غنيا عن التأويل .  
وقالوا : البيان بصري والبي غمي كما ان العلم بصري والجهل غمي  
والبيان من نتائج العلم والبي من نتائج الجهل . وقالوا : حياة  
المروءة الصديق وحياة الروح العفاف وحياة الخلم العلم وحياة العلم

أَلْيَانُ . وَقَالَ ابْنُ التَّوَّامِ : الرُّوحُ عِمَادُ الْبَدَنِ وَالْعِلْمُ عِمَادُ الرُّوحِ  
وَأَلْيَانُ عِمَادُ الْعِلْمِ . وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَثُرَ  
عَنْ قَدْرِ الْحَلِيقَةِ وَزَادَ عَلَى حَدِّ الْكِفَايَةِ وَكَانَ صَوَابًا لَا يَشُوهُ خَطَأُ  
وَسَلِيمًا لَا يَنْقُصُهُ ذَلَّلُ فَهُوَ أَلْيَانٌ وَالْتِجَرُ الْحَالُلُ . (وَفِي كُتُبِ  
الْحُكَمَاءِ) : أَلْيَانٌ هُوَ أَنْ يُجَسِّنَ الْعِبَارَةَ عَنِ الْمَعْنَى الَّتِي تَهَيَّسُ  
فِي الضَّمِيرِ فَتُجْتَاجُ إِلَى تَقْلِيلِ صُورِهَا الْمُحْتَمِلَةِ أَوْ الْمُعْتَوَّلَةِ إِلَى ضَمِيرٍ مَنْ  
يُجَاطَبُهُ . وَقَالَ آخَرُ : خِذْ أَلْيَانَ مَا كَانَ مَصْرَحًا عَنْ الْمَعْنَى لِيُسْرِعَ  
إِلَى أَفْقِهِمْ تَلَقُّنَهُ وَمَوْجِزَ الْبَحْثِ عَلَى اللِّسَانِ تَعَاهِدُهُ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَدِلِ :  
أَلْيَانٌ تَرْجَمَانُ الْهُدُوبِ وَصِغْلُ الْقَوْلِ . وَقَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ :  
أَلْيَانٌ تَرْجَمَانُ اللِّسَانِ وَرَوْضُ الْقُلُوبِ

### البحث الثاني

#### في تعريف علم البيان

(عن الكتابات للتهاتوي وكشف الطوبى للحاج خلعا)

( راجع صفحة ٢٧ من علم الادب )

أَلْيَانٌ لَفْظُ الْكَشْفِ وَالتَّوَضُّعِ وَالظُّهُورِ وَهُوَ فِي الْأَصْطِلَاحِ  
عِبَارَةٌ عَنِ الْمُنَاطِقِ الْقَصِيحِ الْمُعْتَدِ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ . وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ  
بِمَعْنَى الْإِتْبَاتِ بِالْذَّلِيلِ . وَقِيلَ : الْفَرْقُ بَيْنَ أَلْيَانٍ وَأَلْيَانٍ بَانَ  
أَلْيَانٌ هُوَ إِظْهَارُ الْمُرَادِ . وَأَلْيَانٌ يَحْتَوِي عَلَى كَدِّ الْخَاطِرِ وَأَعْمَالِ  
الْقَلْبِ . وَقَرِيبٌ مِنْهُ مَا قِيلَ : أَلْيَانٌ يَبَانُ مَعَ دَلِيلٍ وَبَرَهَانٍ .

وَالْيَانُ عِنْدَ الْبُلْغَاءِ : هُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ إِيرَادُ الْمَعْنَى الْوَاحِدِ  
بِأَكْسَبِ مُخْتَلَفَةٍ فِي وَضُوحِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ بِأَنْ يَكُونَ دَلَالَةً  
بَعْضُهَا أَجْلَى مِنْ بَعْضٍ . وَهُوَ اللَّفْظُ الْبَلِيغُ مِنْ حَيْثُ وَضُوحُ  
الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ . وَغَرَضُهُ تَحْصِيلُ مَلَكَهَ الْإِفَادَةِ بِالدَّلَالَةِ  
الْعَقْلِيَّةِ وَفَهْمِ مَدْلُولَاتِهَا . وَغَايَتُهُ الْإِحْتِرَازُ عَنِ الْخَطَا فِي تَعْيِينِ الْمَعْنَى  
الْمُرَادِ . وَمَبَادِئُهُ بَعْضُهَا عَقْلِيَّةٌ كَأَقْسَامِ الدَّلَالَةِ وَالتَّشْبِيهَاتِ وَالْعِلَاقَاتِ .  
وَبَعْضُهَا وَجْدَانِيَّةٌ ذَوْقِيَّةٌ كَوُجُوهِ التَّشْبِيهَاتِ وَأَقْسَامِ الْأِسْتِعَارَاتِ  
وَكَيْفِيَّةِ حُسْنِهَا . وَإِنَّمَا اخْتَارُوا فِي عِلْمِ الْيَانِ وَضُوحَ الدَّلَالَةِ لِأَنَّ  
بَحْثَهُمْ لَمَّا اقتصَرَ عَلَى الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَغْنَى التَّضْيِينَةَ وَالْإِلْتِرَاقِيَّةَ  
وَكَانَتْ تِلْكَ الدَّلَالَةُ خَفِيَّةً سِيَّيَا إِذَا كَانَ اللَّزُومُ بِحَسَبِ الْعَادَاتِ  
وَالطَّبَائِعِ فَوَجَبَ التَّعْدِيرُ عَنْهَا بِلَفْظٍ أَوْضَحَ . ثَلَاثًا : إِذَا كَانَ الْمُرْتَبِ  
دَقِيقًا فِي الْغَايَةِ تَحْتَاجُ لِحَاسَةً فِي إِبْصَارِهَا إِلَى شُعَاعٍ قَوِيٍّ مُخْتَلَفٍ  
الْمُرْتَبِ إِذَا كَانَ جَلِيلًا . وَكَذَا الْحَالُ فِي الرُّوْيَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَغْنَى الْفَهْمَ  
وَالْإِذْرَاكَ . وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِي عِلْمِ الْيَانِ دِقَّةُ الْمَعْنَى الْمُعْتَبَرَةِ  
فِيهَا مِنَ الْأِسْتِعَارَاتِ وَالْكِنَايَاتِ مَعَ وَضُوحِ الْأَلْفَاظِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهَا





### المبحث الثالث

### في الحقيقة والمجاز

( من الملل الساتر لابن الأثير )

( راجع صفحة ٢٩ من علم الادب )

هَذَا الْفَضْلُ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْ مُهْمَاتِ عِلْمِ الْبَيَانِ لَا بَلْ هُوَ عِلْمُ  
الْبَيَانِ بِأَحْمِهِ . فَإِنَّ فِي تَصْرِيفِ الْعِبَارَاتِ عَلَى الْأَسْلُوبِ الْحِجَازِيِّ  
فَوَائِدَ كَثِيرَةً . وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى جَمَلَتِهَا دُونَ تَفْصِيلِهَا .  
فَأَمَّا الْحَقِيقَةُ فَهِيَ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى بَوْضُوعِهِ الْأَصْلِيِّ . وَأَمَّا الْحِجَازُ  
فَهُوَ مَا أُريدَ بِهِ غَيْرُ الْمَعْنَى الْمَوْضُوعِ لَهُ مِنْ أَصْلِ اللَّفْظِ وَهُوَ مَا أُخِذَ  
مِنْ جَاذٍ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ إِذَا تَحَطَّاهُ إِلَيْهِ . فَالْحِجَازُ  
إِذَا أُنِصِفَ لِلْمَكَانِ الَّذِي يُجَازَى فِيهِ كَالْمَلْعَجِ وَالزَّارِ وَأَشْبَاهِهِمَا . وَحَقِيقَتُهُ  
هِيَ الْإِنْتِقَالُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ . فَجَعَلَ ذَلِكَ لِنَقْلِ الْأَلْفَازِ مِنْ  
مَحَلٍّ إِلَى مَحَلٍّ كَقَوْلِنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . فَإِنَّ زَيْدًا إِنْسَانٌ وَالْأَسَدُ هُوَ  
هَذَا الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ . وَقَدْ جُزْنَا مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى الْأَسَدِيَّةِ . أَيْ  
عَبَرْنَا مِنْ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ لِوُضْعِهِ بَيْنَهُمَا وَتِلْكَ الْوُضْعَةُ هِيَ صِفَةُ الشَّجَاعَةِ .  
وَقَدْ يَكُونُ الْعُبُورُ لِعَبَرِ وَضْعَةٍ . وَذَلِكَ هُوَ الْإِتْسَاعُ كَقَوْلِهِمْ فِي كِتَابِ  
كَلِيمَةٍ وَدِمْنَةٍ : قَالَ الْأَسَدُ . قَالَ الْقَتْلَبُ . فَإِنَّ الْقَوْلَ لَا وَضْعَةَ  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَيْنِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ . وَإِنَّمَا أُجْرِيَ عَلَيْهَا إِتْسَاعًا مُحْضًا  
لَا غَيْرُ . . . . . وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ كُلَّهُ حَقِيقَةٌ لَا حِجَازَ  
فِيهِ . وَذَهَبَ آخَرُونَ : إِلَى أَنَّهُ كُلُّهُ حِجَازٌ لِحَقِيقَةٍ فِيهِ . وَكِلَاهُمَا

الْمَنْهَيْنِ فَاسِدٌ عِنْدِي. وَسَاجِبُ لَحْمٍ عَمَّا ادَّعَاهُ فِيهَا فَأَقُولُ : مَحَلُّ  
الْبَزَاجِ هُوَ إِنْ أَلْفَعَهُ كُلُّهَا حَقِيقَةً أَوْ إِنَّمَا كُلُّهَا مَجَازٌ. وَلَا فَرْقَ عِنْدِي  
بَيْنَ قَوْلِكَ إِنَّمَا كُلُّهَا حَقِيقَةً أَوْ إِنَّمَا مَجَازٌ. فَإِنْ كِلَا الطَّرَفَيْنِ عِنْدِي  
سَوَاءٌ. لِأَنَّ مُنْكَرَهُمَا غَيْرُ مُسْلِمٍ لَهَا. وَأَنَا بِصَدَدٍ أَنْ أُبَيِّنَ أَنَّ فِي  
أَلْفَعِهِ حَقِيقَةً وَمَجَازًا. وَالْحَقِيقَةُ أَلْفَعِيَّةٌ هِيَ حَقِيقَةُ الْأَلْفَاطِ فِي دَلَالَتِهَا  
عَلَى الْمَعْنَى وَلَيْسَتْ بِالْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ ذَاتُ الشَّيْءِ أَيْ نَفْسُهُ وَعَيْنُهُ.  
فَالْحَقِيقَةُ اللَّفْظِيَّةُ إِذَا هِيَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى الْمَوْضُوعِ لَهُ فِي أَصْلِ  
أَلْفَعِهِ. وَالْمَجَازُ هُوَ نَقْلُ الْمَعْنَى عَنِ اللَّفْظِ الْمَوْضُوعِ لَهُ إِلَى لَفْظٍ آخَرَ  
غَيْرِهِ. وَتَقْرِيرُ ذَلِكَ بِأَنْ أَقُولَ : الْحَقُوقَاتُ كُلُّهَا تَقْتَضِي إِلَى آتَمَا  
يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَيْهَا لِيَعْرِفَ كُلُّ مَنْهَا بِاسْمِهِ مِنْ أَجْلِ التَّفَاهُمِ بَيْنَ  
النَّاسِ. وَهَذَا يَقَعُ ضَرُورَةً لَا بُدَّ مِنْهَا. فَالْإِسْمُ الْمَوْضُوعُ بِإِزَاءِ الْمُسَمَّى  
هُوَ حَقِيقَةٌ لَهُ فَإِذَا نُقِلَ إِلَى غَيْرِهِ صَارَ مَجَازًا. وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَا إِذَا  
قُلْنَا : شَمْسٌ. أَرَدْنَا بِهِ هَذَا الْكَوْكَبَ الْعَظِيمَ الْكَثِيرَ الضَّوءِ.  
وَهَذَا الْإِسْمُ لَهُ حَقِيقَةٌ لِأَنَّهُ وَضِعَ بِإِزَائِهِ. وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْنَا : بَحْرٌ.  
أَرَدْنَا بِهِ هَذَا الْمَاءَ الْعَظِيمَ الْمُجْتَمِعَ الَّذِي طَعْمُهُ مِلْحٌ. وَهَذَا الْإِسْمُ  
لَهُ حَقِيقَةٌ لِأَنَّهُ وَضِعَ بِإِزَائِهِ. فَإِذَا هَلَّلْنَا الشَّمْسَ إِلَى أَلْوَجِهِ السَّلْبِ  
اسْتِعَارَةً كَانَ لَهُ ذَلِكَ مَجَازًا لِاحْتِيقَةِ. وَكَذَلِكَ إِذَا نَقَلْنَا الْبَحْرَ إِلَى  
الرَّجُلِ الْجَوَادِ اسْتِعْلَافَةً كَانَ ذَلِكَ لَهُ مَجَازًا لِاحْتِيقَةِ. (فَإِنْ قِيلَ) :  
إِنَّ أَلْوَجَهُ السَّلْبِ يُقَالُ لَهُ شَمْسٌ وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِ. وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِلرَّجُلِ  
الْجَوَادِ بَحْرٌ وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِ. (فَالْجَوَابُ) عَنْ ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ : (أَحَدُهُمَا)

نَظَرِي وَالْآخَرُ وَضَعِي . ( أَمَّا النَّظَرِي ) فَهُوَ أَنَّ الْأَلْفَاظَ إِنَّمَا جُعِلَتْ  
أَدَلَّةً عَلَى إِفْهَامِ أَلْمَعْنَى وَلَوْ كَانَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ صَحِيحًا لَكَانَ  
التَّجَرُّ يُطْلَقُ عَلَى هَذَا أَلْمَاءِ الْعَظِيمِ الْمِلْحِ وَعَلَى الرَّجُلِ الْجَوَادِ بِالِاشْتِرَاكِ .  
وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ أَيْضًا فَإِنَّمَا كَانَتْ تُطْلَقُ عَلَى هَذَا الْكَوْكَبِ الْعَظِيمِ  
الْكَثِيرِ الضَّوِّ وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْمِلْحِ بِالِاشْتِرَاكِ . وَجِنْدٌ فَإِذَا وَرَدَ  
أَحَدُ هَذَيْنِ الْأَلْفَظَيْنِ مُطْلَقًا بِغَيْرِ قَرِينَةٍ تَحْصِصُهُ فَلَا يُفْهَمُ الْمُرَادُ بِهِ مَا  
هُوَ مِنْ أَحَدِ الْمَعْنَيْنِ الْمُشْتَرَكَيْنِ الْمُنْتَدِجَيْنِ تَحْتَهُ وَتَحْنُ نَرَى الْأَمْرَ  
يُخْلَفُ ذَلِكَ فَإِنَّمَا إِذَا قُلْنَا شَمْسٌ أَوْ تَجَرُّ . وَاطْلَقْنَا الْقَوْلَ لَا يُفْهَمُ  
مِنْ ذَلِكَ وَجْهٌ مِلْحٌ وَلَا رَجُلٌ جَوَادٌ . وَإِنَّمَا يُفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ الْكَوْكَبُ  
أَلْمَاءُ وَمِنْ ذَلِكَ أَلْمَاءُ الْمَعْلُومُ لَا غَيْرُ فَبَطَلَ إِذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بِمَا يَنْبَأُهُ  
وَأَوْضَحْنَاهُ . ( فَإِنْ قُلْتَ ) : إِنَّ الْعَرَفَ يُخَالِفُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فَإِنَّ مِنْ  
الْأَلْفَاظِ مَا إِذَا أُطْلِقَ لَمْ يَذْهَبَ أَقْفَهُمْ مِنْهُ إِلَّا إِلَى الْحِجَازِ ذَوْنَ  
الْحَقِيقَةِ . ( قُلْتُ فِي الْجَوَابِ ) : هَذَا شَيْءٌ ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ وَلَيْسَ  
الْأَمْرُ كَمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ . لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ إِطْلَاقُ اللَّفْظِ فِيهِ بَيْنَ عِلْمَةِ  
النَّاسِ فَهُوَ لِأَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ إِلَّا الْمَعْنَى الْحِجَازِيَّ . لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَصْلَ  
وَضْعِ الْكَلِمَةِ . وَأَمَّا خَاصَّةُ النَّاسِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَصْلَ الْوَضْعِ  
فَانْتَبَهُمْ لَا يَفْهَمُونَ عِنْدَ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ إِلَّا الْحَقِيقَةَ لَا غَيْرَ . . . ( وَأَمَّا  
الْوَجْهُ الْوَضْعِي ) فَهُوَ أَنَّ الْمَرْجَحَ فِي هَذَا وَمَا يَجْرِي تَجَرُّهُ إِلَى أَصْلِ  
اللُّغَةِ الَّتِي هِيَ وَضَعُ الْأَسْمَاءِ عَلَى الْمُسَمَّيَاتِ وَلَمْ يَوْجَدْ فِيهَا أَنَّ الْوَجْهَ  
الْمِلْحَ يُسَمَّى شَمْسًا وَلَا أَنَّ الرَّجُلَ الْجَوَادَ يُسَمَّى تَجَرًّا . وَإِنَّمَا أَهْلُ

الخطابة والشعر توسعوا في الأساليب المعنوية فقلوا الحقيقة إلى المجاز  
ولم يكن ذلك من واضع اللغة في أصل الوضع ولهذا اختص كل  
ونهم بشيء اخترعه في التوسعات المجازية . هذا أمر أليس  
قد اخترع شيئاً لم يكن قبله . فمن ذلك أنه أول من عبد عن أقرس  
يقوله : ( قيد الأوايد ) . ولم يسمع ذلك لأحد من قبله . . .  
وواضع اللغة ما ذكر شيئاً من ذلك قلنا حينئذ أن من اللغة  
حقيقة بوضعه ومجازاً بتوسعات أهل الخطابة والشعر . وفي زماننا هذا  
قد يجترعون أشياء من المجاز على حكم الاستعارة لم تكن من  
قبل . ولو كان هذا موقوفاً من جهة واضع اللغة لما اخترعه أحد  
من بعده ولا زيد فيه ولا نقص منه . وأما الفرق بينه وبين الحقيقة  
فهو أن الحقيقة جارية على العموم في ظاهره . ألا ترى إذا قلنا :  
فلان عالم . صدق على كل ذي علم . بخلاف ( وأسأل القرية ) . لأنه  
لا يصح إلا في بعض الجمادات دون بعض إذ المراد أهل القرية  
لأنهم ممن يصح السؤال لهم . ولا يجوز أن يقال : وأسأل الحجر  
والأثراب . وقد يحسن أن يقال : وأسأل الزيم والطلل . ( وأعلم )  
أن كل مجاز فله حقيقة لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا  
عن حقيقة موضوعه . إذ المجاز هو اسم للموضوع الذي ينتقل فيه  
من مكان إلى مكان فيحل ذلك لثقل الألفاظ من الحقيقة إلى  
غيرها . وإذا كان كل مجاز لا بد أنه من حقيقة نقل عنها إلى حالة  
المجازية فكذلك ليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز . فإن

مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا لَا حِجَازَ لَهُ كَأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ لِأَنَّهَا وَضِعَتْ لِلْفَرْقِ بَيْنَ  
الذَّوَاتِ لَا لِلْفَرْقِ بَيْنَ الصِّفَاتِ

وَكَذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْحِجَازَ أَوَّلَى بِالِاسْتِعْمَالِ مِنَ الْحَقِيقَةِ فِي بَابِ  
الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَكَانَتْ الْحَقِيقَةُ الَّتِي هِيَ  
الْأَصْلُ أَوَّلَى مِنْهُ حَيْثُ هُوَ فَرَعٌ عَلَيْهَا . وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ  
بُتَّ وَتَحَقَّقَ أَنَّ فَائِدَةَ الْكَلَامِ لِحُطْلِيٍّ هُوَ اثْبَاتُ الْغَرَضِ الْمُقْصُودِ  
فِي نَفْسِ السَّامِعِ بِالتَّخْيِيلِ وَالتَّصْوِيرِ حَتَّى يَكَادُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ عِيَانًا . أَلَا  
تَرَى أَنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . هِيَ قَوْلُنَا : زَيْدٌ شَجَاعٌ . لَكِنْ  
فُوقَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فِي التَّصْوِيرِ وَالتَّخْيِيلِ وَاثْبَاتِ الْغَرَضِ الْمُقْصُودِ فِي  
نَفْسِ السَّامِعِ . لِأَنَّ قَوْلَنَا : زَيْدٌ شَجَاعٌ . لَا يَتَخَيَّلُ مِنْهُ السَّامِعُ سِوَى  
أَنَّهُ رَجُلٌ جَوْرِيٌّ مُقْدَامٌ . فَإِذَا قُلْنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . يُخَيَّلُ عِنْدَ ذَلِكَ  
صُورَةَ الْأَسَدِ وَهَيْئَتَهُ وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الْبَطْشِ وَالْقُوَّةِ وَدَقِّ الْقَرَائِسِ .  
وَقَوْلُ أَمْرِي أَتَقِيسُ فِي الْقَرَسِ : ( قَيْدُ الْأَوَابِدِ ) هُوَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِ  
لَوْ قَالَ : مَا نَعِ الْأَوَابِدُ عَنِ الذِّهَابِ وَالْأَفْلَاتِ . وَأَلْقَيْدُ مِنْ أَعْلَى  
مَرَاتِبِ الْمَنَعِ عَنِ التَّصَرُّفِ لِأَنَّكَ تُشَاهِدُ مَا فِي الْقَيْدِ مِنَ الْمَنَعِ فَلَا  
تَشْكُ فِيهِ . وَكَعَرْلَهُمْ : هَذَا مِيزَانُ الْقِيَاسِ أَيُّ تَعْدِيلِهِ . وَالْحِجَازُ  
أَبْلَغُ لِأَنَّ الْمِيزَانَ يَصُورُ لَكَ التَّعْدِيلَ حَتَّى تُبَيِّنَهُ وَلِلْيَمَانِ فَضْلٌ عَلَى  
مَا سِوَاهُ . وَكَذَلِكَ : الْغَرَضُ مِيزَانُ الشَّعْرِ أَيُّ حَقِيقَةٍ تَقْوِيهِ . وَهَذَا  
لَا يَرْتَاعُ فِيهِ . وَاعْجَبْ مَا فِي الْعِبَارَةِ الْحِجَازِيَّةِ إِنَّهَا تَقْلُ السَّامِعَ  
عَنْ خُلُقِهِ الطَّبِيعِيِّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ حَتَّى إِنَّهَا يَسْمَعُ بِهَا التَّخْيِيلَ

وَيُسَجِّعُ بِهَا الْجَبَانُ وَيُحْكِمُ بِهَا الطَّائِشُ التَّسَرُّعُ وَيَجِدُ الْمُحَاطَبُ بِهَا  
عِنْدَ سَمَاعِهَا نَشْوَةَ كُنْشَوَةِ الْخَمْرِ حَتَّى إِذَا قُطِعَ عِنْدَ ذَلِكَ الْكَلَامِ  
أَفَاقَ وَتَدِمَ عَلَى مَا كَانَ وَثَمَ مِنْ بَدَلِ مَالٍ . أَوْ تَرَكَ عُقُوبَةً . أَوْ  
إِقْدَامَ عَلَى أَمْرٍ مُهْلٍ وَهَذَا هُوَ فَحْوَى السَّخْرِ الْخَلَالِ الْمُسْتَعْنِي مِنْ  
إِهْلَاءِ الْعَصَا وَالْجَبَالِ . ( وَاعْلَمْ ) اللَّهُ إِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كَلَامٌ . يُجَوِّزُ أَنْ  
يُحْمَلَ مَعْنَاهُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ وَعَلَى طَرِيقِ الْجَوَازِ بِاخْتِلَافِ لَفْظِهِ  
فَانْظُرْ فَإِنْ كَانَ لَا مَرْتَبَةَ لِمَعْنَاهُ فِي حِمْلِهِ عَلَى طَرِيقِ الْجَوَازِ فَلَا يَتَّبِعِي  
أَنْ يُحْمَلَ إِلَّا عَلَى طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ لِأَنَّهَا هِيَ الْأَصْلُ وَالْجَوَازُ هُوَ الْفَرْعُ  
وَلَا يُعْدَلُ عَنِ الْأَصْلِ إِلَى الْفَرْعِ إِلَّا الْفَائِدَةُ

### البحث الرابع

### في الاستعارة

( عن صناعة الترسُّل لتهاب الدين الحلبي باختصار )

( راجع صفحة ٢٩ من علم الادب )

هِيَ أَدْعَاءُ . مَعْنَى الْحَقِيقَةِ فِي الشَّيْءِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي التَّشْبِيهِ مَعَ طَرَحِ  
ذِكْرِ الْمَشَبِّهِ وَنَ الْبَيْنِ لَفْظًا وَتَقْدِيرًا . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : هُوَ جَعَلَ  
الشَّيْءَ لِلشَّيْءِ لِأَجْلِ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّشْبِيهِ . فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِكَ : لَقِيتُ  
أَسَدًا نَعْنِي الرَّجُلَ الشَّجَاعَ . وَالثَّانِي كَقَوْلِ لَيْدٍ :  
إِذَا أَضْبَحْتَ يَدِ السَّمَالِ زِمَامَهَا

أَثَبَ أَيْدِ الشَّامِ مُبَالَغَةً فِي تَشْبِيهِهَا بِالْعَادِرِ فِي التَّصَرُّفِ فِيهِ .  
وَحَدَّ الرُّمَانِي الْأِسْتِعَارَةَ قَال : هِيَ تَعْلِيْقُ الْعِبَارَةِ عَلَى غَيْرِ مَا وُضِعَتْ  
لَهُ فِي أَصْلِ اللَّفْظِ عَلَى سَبِيلِ التَّنْقِيلِ لِلإِبَارَةِ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ : هِيَ  
اِسْتِعَارَةُ الْكَلِمَةِ مِنْ شَيْءٍ قَدْ عُرِفَ بِهَا إِلَى شَيْءٍ لَمْ يُعْرَفْ بِهَا .  
وَذَكَرَ الْخَفَاجِيُّ كَلَامَ الرُّمَانِي وَقَالَ : وَتَفْسِيرُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَنَّ قَوْلَهُ مَثَلًا :  
(وَأَشْتَلَّ الرَّأْسُ شَيْئًا) . اِسْتِعَارَةُ لِأَنَّ اِلِشْتِعَالَ النَّارِ وَلَمْ تُوَضَّعْ فِي أَصْلِ  
الْأَفْظِ لِلشَّيْبِ فَلَمَّا هَبَلَ إِلَيْهِ بَانَ الْمَعْنَى لِمَا اكْتَسَبَهُ مِنَ التَّشْبِيهِ .  
لِأَنَّ أَشْيَبَ لَمَّا كَانَ نَافِذًا فِي الرَّأْسِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى تُجِيلَهُ إِلَى غَيْرِ  
لَوْنِهِ الْأَوَّلِ كَانَ بِمِثْلِهِ النَّارُ الَّتِي تَسْرِي فِي الخَشَبِ حَتَّى تُجِيلَهُ إِلَى  
غَيْرِ حَالَتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ . فَهَذَا مِنْ نَقْلِ الْعِبَارَةِ عَنِ الْحَقِيقَةِ فِي الْوَضْعِ  
لِلْبَيَانِ وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَوْضَحَ مِنَ الْحَقِيقَةِ لِأَجْلِ التَّشْبِيهِ الْعَارِضِ  
فِيهَا . لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ لَوْ قَالَتْ مَقَامَهَا لَكَانَتْ أَوَّلَى بِهَا لِأَنَّهَا الْأَصْلُ  
وَلَيْسَ يَحْتَاجُ عَلَى التَّمْلِيزِ أَنَّ قَوْلَهُ : (وَأَشْتَلَّ الرَّأْسُ شَيْئًا) . أَبْلَغُ مِنْ :  
كَثُرَ شَيْبُ الرَّأْسِ . وَهُوَ حَقِيقَةُ هَذَا الْمَعْنَى . وَقَوْلُهُ : (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ  
سَاقٍ) . أَحْسَنُ وَأَبْلَغُ فِي مَا قُصِدَ لَهُ مِنْ قَوْلِهِ لَوْ قَالَ : يَوْمَ يُكْشَفُ  
عَنْ ثِيَابِهِ الْأَمْرُ . وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى وَاحِدًا . الْآخِرَى أَنَّكَ تَقُولُ  
لَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْجِدِّ فِي أَمْرِهِ : شَيْءٌ عَنْ سَاقِكَ . فَيَكُونُ هَذَا الْقَوْلُ  
بِمَنْكَ أَزْكَرَ فِي نَفْسِهِ مِنْ قَوْلِكَ : جِدَّ فِي أَمْرِكَ . وَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ  
الْصِّمَّةِ :

كَبَيْتِ الْأَرَادَ خَارِجُ خُفِّ سَاقِهِ صَبُورٌ عَلَى الْفُرَّاءِ طَلَّاعُ أَنْجَدِ

وَقَالَ الْهَذَلِيُّ :

وَكُنْتُ إِذَا جَارَ دَعَا يُسْوِوهِ أَشْبَحْتُ بِنِصْفِ السَّاقِ وَمِثْرِي  
وَلَا بَدْ لِلْإِسْتِعَارَةِ مِنْ حَقِيقَةٍ هِيَ أَضَاهَا وَهِيَ مُسْتَعَارٌ مِنْهُ .  
وَمُسْتَعَارٌ بِهِ . وَمُسْتَعَارٌ لَهُ . فَالْتَّارُ فِي قَوْلِهِ : ( أَشْتَلَّ الرَّأْسُ شَيْئًا ) .  
مُسْتَعَارٌ مِنْهَا . وَالْإِشْتَالُ مُسْتَعَارٌ . وَالشَّيْبُ مُسْتَعَارٌ لَهُ . وَأَمَّا قَوْلُنَا : ( مَعَ  
طَرَحِ ذِكْرِ الشَّيْءِ ) . فَاعْلَمْ أَنَّنَا إِذَا طَرَحْنَاهُ كَقَوْلِنَا : رَأَيْتُ أَسَدًا .  
وَأَرَدْنَا الرَّجُلَ الشَّجَاعَ فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ بِالْإِتْفَاقِ وَإِنْ ذَكَّرْنَا مَعَ الشَّيْءِ  
وَقُلْنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . فَالْمُخْتَارُ أَنَّهُ لَيْسَ بِاسْتِعَارَةٍ إِذْ فِي اللفظِ مَا يَدُلُّ  
عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِأَسَدٍ فَلَمْ تَحْصُلِ الْمُبَالَغَةُ . وَإِذَا قُلْتَ : زَيْدٌ الْأَسَدُ .  
فَهُوَ أَبَدٌ عَنِ الْإِسْتِعَارَةِ فَإِنَّ الْأَوَّلَ خَرَجَ بِالتَّكْثِيرِ مِنْ أَنْ يَحْسُنَ  
فِيهِ كَافُ الشَّيْءِ . فَإِنَّ قَوْلَكَ : زَيْدٌ كَاسِدٌ . كَلَامٌ نَازِلٌ بِخِلَافِ  
الْثَّانِي . قَالَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ : وَهَذَا الشَّيْءُ الْمُضَرُّ الْأَدَاةُ  
قَدْ خَلَطُوهُ بِالْإِسْتِعَارَةِ وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَهُمَا وَذَلِكَ خَطَأٌ مُحْضٌ . وَسَأَوْضِحُ وَجْهَ  
الْخَطَأِ فِيهِ وَأَحْتَقُّ الْقَوْلَ فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا فَأَقُولُ : إِنَّ الشَّيْءَ  
الْمُظْهَرَ الْأَدَاةَ فَلَا حَاجَةَ لِيَبَانِ ذِكْرِهِ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ فِيهِ وَلَكِنْ  
نَذَكَّرُ الشَّيْءَ الْمُضَرَّ الْأَدَاةَ فَقَوْلُ : إِذَا ذُكِرَ الْمَقُولُ وَالْمَقُولُ  
إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ الْمُضَرُّ الْأَدَاةُ قِيلَ فِيهِ : زَيْدٌ أَسَدٌ . أَيْ كَالْأَسَدِ .  
فَأَدَاةُ الشَّيْءِ فِيهِ مُضَرَّةٌ مُقَدَّرَةٌ . وَإِذَا أُظْهِرَتْ حُسْنُ ظُهُورِهَا  
وَلَمْ تَقْدَحْ فِي الْكَلَامِ الَّذِي أُظْهِرَتْ فِيهِ وَلَمْ يُزَلَّ عَنْهُ فَصَاحَتُهُ وَبَلَاغَتُهُ  
وَهَذَا بِخِلَافِ مَا إِذَا ذُكِرَ الْمَقُولُ إِلَيْهِ دُونَ الْمَقُولِ فَإِنَّهُ لَا يَحْسُنُ



فِيهِ ظُهُورُ آدَاةِ التَّشْبِيهِ وَإِذَا أَظْهَرْتَ أَزَالْتَ عَنْ ذَلِكَ الْكَلَامَ مَا  
كَانَ مُتَّصِفًا بِهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْقَصَاحَةِ... فَالْفَرْقُ إِذَا بَيْنَ التَّشْبِيهِ  
الْمُضَرِّرِ الْآدَاةِ وَبَيْنَ الْإِسْتِعَارَةِ أَنَّ التَّشْبِيهِ الْمُضَرَّ الْآدَاةُ يَحْسُنُ  
إِظْهَارُ آدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ وَالْإِسْتِعَارَةُ لَا يَحْسُنُ ذَلِكَ فِيهَا . وَالْإِسْتِعَارَةُ  
أَخْصُ مِنَ الْعَجَازِ إِذَا قَصِدَ الْمُبَالَاغَةُ شَرْطٌ فِي الْإِسْتِعَارَةِ دُونَ الْعَجَازِ .  
وَأَيْضًا فَكُلُّ اسْتِعَارَةٍ مِنَ الْبَدِيعِ وَلَيْسَ كُلُّ عَجَازٍ مِنْهُ وَالْحَقُّ أَنَّ  
الْمَعْنَى يُعَارَى أَوَّلًا ثُمَّ يَوَاسِطُهَا يُعَارَى اللفظ . وَلَا يَحْسُنُ الْإِسْتِعَارَةُ إِلَّا  
حَيْثُ كَانَ التَّشْبِيهُ مُقَرَّرًا بَيْنَهُمَا ظَاهِرًا أَوَّلًا فَلَا بُدَّ مِنَ التَّضَرُّجِ  
بِالتَّشْبِيهِ . فَالْوَقْتُ : رَأَيْتُ حُلَّةً أَوْ خَامَةً . وَأَنْتَ تُرِيدُ مَوْثِقًا إِشَارَةً  
إِلَى قَوْلِهِ : مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْحُلَّةِ أَوْ مَثَلِ الْخَامَةِ . لَكُنْتُ  
كَالْمُغِيرِ أَتَارِكٍ لِمَا يُفْهَمُ وَكُلَّمَا زَادَ التَّشْبِيهُ خَفَاءَ زَادَتْ الْإِسْتِعَارَةُ  
حُسْنًا حَيْثُ يَكُونُ الْطَفُّ مِنَ التَّضَرُّجِ بِالتَّشْبِيهِ وَرَبَّمَا جُمِعَ بَيْنَ عِدَّةٍ  
اسْتِعَارَاتٍ إِحَاقًا لِلشَّكْلِ بِالشَّكْلِ لِإِتِّمَامِ التَّشْبِيهِ فَتُرِيدُ الْإِسْتِعَارَةَ  
بِهِ حُسْنًا كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي صِفَةِ اللَّيْلِ :

قُلْتُ لَهُ لَمَّا تَحَلَّى بِصُلْبِهِ وَارْدَفَ عَجَازًا وَأَوَاءَ بِكُلِّ كَلٍّ  
وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَيْضًا مِنْ مَعْنَى يَشْتَرِكُ بَيْنَ الْمُسْتَعَارِ وَالْمُسْتَعَارِ  
مِنْهُ . فَالْمَعْنَى الْمَشْتَرِكُ بَيْنَ قَيْدِ الْأَوَابِدِ مَثَلًا وَمَانِعِ الْأَوَابِدِ هُوَ  
الْحُسْنُ وَعَدَمُ الْإِفْلَاتِ . وَبَيْنَ مِيزَانِ الْقِيَاسِ وَتَحْدِيدِ حُصُولِ الْإِسْتِعَامَةِ  
هُوَ ارْتِفَاعُ الْحَيْفِ وَالتَّأْيِيلِ إِلَى أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ . وَهَكَذَا جَمِيعُ  
الْإِسْتِعَارَاتِ وَالْعَجَازَاتِ

## البحث الخامس

### فيما تدخله الاستعارة وما لا تدخله

( عن صناعة الترسيل أيضاً )

الْأَعْلَامُ لَا يَسْتَعَارُهَا إِلَّا سِتْعَارَةُ لِمَا تَقَدَّمَ فِي الْحِجَازِ . وَأَمَّا الْفِعْلُ  
فَالْإِسْتِعَارَةُ تَقَعُ أَوَّلًا فِي الْمَصْدَرِ ثُمَّ تَقَعُ بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ فِي الْفِعْلِ .  
فَإِذَا قُلْتَ : طَلَقَ الْحَالُ بِكَذَا . فَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ لِأَنَّكَ وَجَدْتَ الْحَالَ  
شَاطِئَةً لِلنُّطْقِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الشَّيْءِ فَلَا جَرَمَ اسْتَعَرْتَ النُّطْقَ لِكَذَا  
حَالَهُ ثُمَّ نَقَلْتَهُ إِلَى الْفِعْلِ . وَالْأَنَّمَا الْمُسْتَعَارُ فِي ذَلِكَ كَالْفِعْلِ . فَظَهَرَ  
أَنَّ الْإِسْتِعَارَةَ إِنَّمَا تَقَعُ وَقُومًا أَوَّلًا فِي أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ . ثُمَّ الْفِعْلُ  
إِذَا كَانَ مُسْتَعَارًا فَاسْتِعَارَةُ إِمَّا مِنْ جِهَةِ فَاعِلِهِ كَقَوْلِهِ : طَلَقَ الْحَالُ  
بِكَذَا أَوْ لَبِيتَ بِهِ الْمُسُومُ . وَكَقَوْلِ جَرِيرٍ :

يَخْشَى الرُّوَامِسَ رُبْعَهَا فَحِذُّهُ      بَعْدَ اللَّيْلِ وَغَيْثُهُ الْأَمْطَارُ

أَوْ مِنْ جِهَةِ مَفْعُولِهِ كَقَوْلِ ابْنِ الْمَعْتَدِ :

جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ      تَمَلَّ الْجُورَ وَأَحْيَا السَّمَا

أَوْ مِنْ جِهَةِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ كَقَوْلِهِ : يَكَادُ السَّبَقُ يَخْطِفُ  
أَبْصَارَهُمْ . وَيَتَّصِلُ بِهَذَا تَرْشِيحُ الْإِسْتِعَارَةِ وَتَجْرِيدُهَا . أَمَّا تَرْشِيحُهَا فَهُوَ  
أَنْ تَنْظُرَ فِيهَا إِلَى الْمُسْتَعَارِ وَتَرَاهِيَ جَانِبَهُ وَتَوَلِيَهُ مَا تَسْتَدْعِيهِ وَتَضُمُّ  
إِلَيْهِ مَا تَقْتَضِيهِ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَصَدْرُ أَزَاحِ اللَّيْلِ عَازِبٌ هَبَّهِ      تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

الْمُسْتَعَارُ فِيهِ وَهُوَ الْأَذَاخَةُ مَنْظُورٌ إِلَيْهِ فِي لَفْظِ الْعَارِضِ . وَأَمَّا  
تَجْرِيدُهَا فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَعَارُ لَهُ مَنْظُورٌ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ : فَأَذَاقَهَا اللَّهُ  
لِيَاسَ الْجُلُوعِ وَالْخَوْفِ . فَإِنَّ الْأَذَاخَةَ وَقَعَتْ عِبَارَةً عَمَّا يُدْرِكُ مِنْ  
أَثَرِ الضَّرَرِ وَالْأَلَمِ تَشْبِيهاً لَهُ بِمَا يُدْرِكُ مِنْ طَعْمِ الْمَرِّ الشَّبَعِ وَاللِّبَاسِ  
عِبَارَةً عَمَّا يَنْشَى مِنْهَا وَيَلْبَسُ فَكَأَنَّهُ قَالَ : فَأَذَاتَهَا مَا غَشِيَهَا مِنْ  
أَلَمِ الْجُلُوعِ وَالْخَوْفِ . وَكَقَوْلِ زُهَيْرٍ :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِيَ السِّلَاحِ مُقَدِّفٍ لَهُ لَبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُعْلَمِ  
فَوَظَرَ إِلَى الْمُسْتَعَارِ لِقَالَ : لَدَى أَسَدٍ دَائِمِي أَوْ دَائِمِي الْبَرَاثِ  
ثَلَاثًا . وَظَرَ زُهَيْرٌ فِي آخِرِ أَلَيْتِ إِلَى الْمُسْتَعَارِ . وَمِنْهُ قَوْلُ كَثِيرٍ :  
غَمْرُ الزِّدَاءِ إِذَا بَسَمَ ضَاحِكًا غَلَقَتْ لِصَحْكَيْهِ رِقَابُ أُمَالِ  
إِسْتِعَارَ الزِّدَاءِ لِلْمَعْرُوفِ لِأَنَّهُ يَصُونُ عِرْضَ صَاحِبِهِ صَوْنَ الزِّدَاءِ  
لَمَا يُلْقَى عَلَيْهِ . وَوَصَفَهُ بِالْعَمْرِ الَّذِي هُوَ وَصْفُ الْمَعْرُوفِ وَالْأَوَالِ لَا  
وَصْفُ الزِّدَاءِ

وَيَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْإِسْتِعَارَةُ بِالْكِنَايَةِ وَهُوَ أَنْ لَا يُصْرَحَ بِذِكْرِ  
الْمُسْتَعَارِ بَلْ يَذْكُرُ بَعْضَ لَوَازِيهِ تَنْبِيهاً بِهِ كَقَوْلِهِ : شَجَاعٌ يَفْتَرِسُ  
أَقْرَانَهُ وَعَلِمٌ يَفْتَرِفُ مِنْهُ النَّاسُ . وَكَقَوْلِ أَبِي ذُوَيْبٍ :  
وَإِذَا الْمِنَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَقْبَتِ كُلَّ نَمِيَّةٍ لَا تَنْفَعُ  
تَنْبِيهاً عَلَى أَنَّ الشَّجَاعَ أَسَدٌ وَالْعَالِمُ بِحَجْرٍ وَالْمِنَّةُ سَبْعٌ . وَهَذَا  
وَإِنْ كَانَ يُشَبِّهُ الْإِسْتِعَارَةَ الْحُجْرَةَ إِلَّا أَنَّهُ أَغْرَبُ وَأَعْجَبُ . وَيَقْرَبُ  
مِنْهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

وَمَنْ يَنْصُرْ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رَدَّيْتِ كُلَّ لَهْذَمٍ  
أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : مَنْ لَمْ يَرْضَ بِأَحْكَامِ الظُّلَمِ رَضِيَ بِأَحْكَامِ  
الْحَرْبِ أَيْ أَشْرَعُوا الْأَسِنَّةَ وَأَخْرَوْا الرِّمَاحَ . وَقَدْ يُسَمَّى هَذَا التَّنَوُّعُ  
الْمَمَالَّةَ أَيْضًا . وَقَدْ يُنْزَلُونَ الْإِسْتِعَارَةَ مَثَرَةً لِلْحَقِيقَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ  
يَسْتَعِيرُونَ الْوَصْفَ الْحَسَّاسَ لِلشَّيْءِ الْمَقْذُولِ . وَيَجْعَلُونَ كَأَنَّ تِلْكَ  
الْصِفَةَ كَاتِبَةٌ لِذَلِكَ الشَّيْءِ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَنَّ الْإِسْتِعَارَةَ لَمْ تُوَجَدْ أَعْلًا .  
مِثَالُهُ اسْتِعَارَتُهُمُ الْعُلُوَّ لِإِيَادَةِ الرَّجُلِ عَلَى غَيْرِهِ فِي الْفَضْلِ وَالْقَدْرِ  
وَالسُّلْطَانِ ثُمَّ وَضَعَهُمُ الْكَلَامَ وَضَعَهُمْ مِنْ يَدِ كَرِّ عُلُوًّا مَكَانِيًا .  
كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

وَيَصْغَدُ حَتَّى يَطْنَ الْحُسُودُ      بَانَ لَهُ حَاجَةٌ فِي السَّمَاءِ  
وَكَقَوْلِهِ أَيْضًا :

مَكَارِمُ لَجَّتْ فِي عُلُوِّ كَانَمَا      تُحَاوِلُ نَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ

### البحث السادس

### في اقسام الاستعارة

( عن صامعة الترمذ ايضا )

( راجع صفحة ٣٢ من علم الادب )

هِيَ عَلَى تَوْعَيْنٍ : ( الْأَوَّلُ ) أَنْ يُعْتَمَدَ نَفْسُ التَّشْبِيهِ وَهُوَ أَنْ  
يَشْتَرِكَ شَيْئَانِ فِي وَصْفٍ وَاحِدُهُمَا أَنْقَصُ مِنَ الْآخَرِ . فَيُعْطَى النَّاقِصُ

أَسْمَ الرَّاغِبِ مُبَالَغَةً فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ الْوَصْفِ لَهُ كَقَوْلِكَ : رَأَيْتُ أَسَدًا .  
وَأَنْتَ تَعْنِي رَجُلًا مُجَنَّمًا . (وَالثَّانِي) تُعْتَدُ لَوَازِمُهُ عِنْدَمَا يَكُونُ جِهَةً  
الِاسْتِرَاكِ وَصَفًا وَرَأْمًا ثَبَتَ كَمَالُهُ فِي الْمُسْتَعَارِ فِي وَاسِطَةِ شَيْءٍ آخَرَ  
فَقُتِبَ ذَلِكَ الشَّيْءُ الْمُسْتَعَارَ لَهُ مُبَالَغَةً فِي إِثْبَاتِ الْمُشْتَرَكِ . كَقَوْلِ  
كَاطِبٍ شَرًّا :

إِذَا هَزَّهَ فِي عَظَمِ قُرْنٍ تَهَلَّتْ      نَوَاجِدُ أَقْوَامِ الْمَنَايَا الضَّوَاكِ  
لَأَشْبَهَ الْمَنَايَا عِنْدَ هَزِّ السَّيْفِ بِالسُّرُورِ وَكَمَالِ الْقُرَحِ وَالسُّرُورِ  
رَأْمًا يَظْهَرُ بِالصَّحِيحِ الَّذِي يَتَهَلَّلُ بِهِ النَّوَاجِدُ أَثْبَتَهُ تَحْقِيقًا لِلْوَصْفِ  
الْمَقْصُودِ وَالْأَقْلَى لِلْمَنَايَا مَا يُنْقَلُ إِلَيْهِ أَسْمُ النَّوَاجِدِ . وَهَكَذَا  
الْكَلَامُ فِي قَوْلِ الْحَمَاسِيِّ :

سَعَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إِذَا سُلَّ أَوْ مَضَتْ      إِلَيْهِ مَنَايَا أَلْوَتْ مِنْ كُلِّ مَرْقَبٍ  
وَمِنْ هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِهِمْ : فَلَانُ مَرْخَى الْعَيْنَانِ وَمَلَقَى الرِّمَامِ .  
وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْقِسْمَيْنِ أَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ فِي الْأَوَّلِ إِلَى الْأَشْبَهِ الَّذِي  
هُوَ الْقَصْدُ مِنْ كُلِّ اسْتِعَارَةٍ مُقَيَّدَةٌ وَجَدْتَهُ يَأْتِيكَ عَفْوًا كَقَوْلِكَ :  
رَأَيْتُ رَجُلًا كَالْأَسَدِ أَوْ مِثْلَهُ أَوْ شَبَهُهُ . وَإِنْ رُدُّتَهُ فِي الثَّانِي لَأَيُّوَاتِكَ  
تِلْكَ الْمَوَاقِفُ إِذَا لَا وَجْهَ أَنْ تَقُولَ : شَيْءٌ مِثْلُ أَلِيدٍ لِلشَّجَالِ . وَرَأْمًا  
تَهْيَأُ لَكَ الْأَشْبَهِ بَعْدَ أَنْ تَحْرُقَ إِلَيْهِ سِتْرًا أَوْ تَعْمَلَ تَأْمُلًا وَفَكْرًا .  
وَفِي إِغْفَالِ هَذَا الْأَصْلِ وَقُوعٌ فِي الْأَشْبَهِ . وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ وَضَعَ فِي  
نَفْسِهِ أَنْ كُلُّ أَسْمٍ يُسْتَعَارُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ شَيْءٌ يُمْكِنُ  
الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ تَتَنَاوَلُهُ فِي حَالِهِ الْحَاجَزِ كَمَا تَتَنَاوَلُ مُسَمَّاهُ فِي حَالِهِ

الْحَقِيقَةُ . ثُمَّ ظَهَرَ إِلَى قَوْلِهِ : وَلَتَضَعَنَّ عَلَى عَيْنِي . وَقَوْلُهُ : تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا .  
 أَرَبْتَكَ فِي الشَّكِّ وَحَامَ حَوْلَ الظَّاهِرِ وَوَقَعَ فِي التَّشْبِيهِ الَّذِي هُوَ  
 الضَّلَالُ الْبَعِيدُ . فَبَيَّ مَعْرِفَةَ هَذَا إِخْلَاصُ وَنَ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ وَيُسَمَّى  
 هَذَا النَّوْعَ اسْتِعَارَةً تَحْيِلِيَّةً وَهُوَ كَأَنَّهَا الْجَنَاحَ لِلذَّلِّ فِي قَوْلِهِ :  
 وَأَخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ . إِذَا عُرِفَ هَذَا فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ  
 عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : ( الْأَوَّلُ ) أَنْ يُسْتَعَارَ الْحَسَنُ لِلْحَسَنِ .  
 وَذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَشْتَرِكَ فِي الذَّاتِ وَيُخْتَلَفُ فِي الصِّفَاتِ كَاسْتِعَارَةِ  
 الطَّيْرَانِ لِغَيْرِ ذِي جَنَاحٍ فِي السَّرْعَةِ . فَإِنَّ الطَّيْرَانِ وَالْأَدْوَّ يَشْتَرِكَانِ  
 فِي الْحَقِيقَةِ وَهِيَ الْحَرَكَةُ الْمَكَانِيَّةُ إِلَّا أَنَّ الطَّيْرَانِ أَسْرَعُ . أَوْ يَأْنِ  
 يَخْتَلِفُ فِي الذَّاتِ وَيَشْتَرِكُ فِي صِفَةٍ إِمَّا مُحْسُوسَةٍ كَقَوْلِهِمْ : رَأَيْتُ شَيْئًا .  
 وَيُرِيدُونَ إِنْسَانًا يَهْلُ وَجْهُهُ . وَكَقَوْلِهِ : وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا .  
 فَأَلْتَسْتَعَارُ مِنْهُ النَّارُ . وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ الشَّيْبُ . وَالْجَامِعُ الْإِفْسَاطُ وَلَكِنَّهُ  
 فِي النَّارِ أَقْوَى . وَإِمَّا غَيْرَ مُحْسُوسَةٍ كَقَوْلِهِ : إِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ  
 الْعَقِيمَ . الْمُسْتَعَارُ لَهُ الرِّيحُ وَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ الْمَرْءُ وَالْجَامِعُ الْمَنْعُ مِنْ ظُهُورِ  
 النَّسِيجَةِ . ( الثَّانِي ) أَنْ يُسْتَعَارَ شَيْءٌ مَعْقُولٌ لِشَيْءٍ مَعْقُولٍ لِأَشْرَافِهِمَا  
 فِي وَصْفٍ عَدَمِيٍّ أَوْ ثُبُوتِيٍّ وَاحِدُهُمَا أَكْمَلُ مِنْ ذَلِكَ الْوَصْفِ  
 فَيُذَلُّ النَّاقِصُ مَذَلَّةَ الْكَلِمِ كَاسْتِعَارَةِ لَمِ الْعَدَمِ لِلْوُجُودِ إِذَا  
 أَشْتَرَكَ فِي عَدَمِ الْفَائِدَةِ أَوْ اسْتِعَارَةِ أَمِ الْوُجُودِ لِلْعَدَمِ إِذَا بَقِيَتْ  
 آثَارُهُ الْمَطْلُوبَةُ مِنْهُ كَتَشْبِيهِ الْجَهْلِ بِالْمَوْتِ لِأَشْرَافِكِ الْمَوْصُوفِ بِهِمَا فِي  
 عَدَمِ الْإِدْرَاكِ وَالْمَقْلِ . وَكَقَوْلِهِمْ : فَلَنْ لَقِيَ الْمَوْتَ إِذَا لَقِيَ

السَّائِدَ لِشَرِّكِهَا فِي الْمَكْرُوهِيَّةِ . وَقَوْلِهِ : وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى  
الْغَضَبُ . وَالسُّكُوتُ وَالزُّوَالُ أَمْرَانِ مَعْقُولَانِ . ( اَلثَّالِثُ ) أَنْ  
يُسْتَعَارَ الْمُخْشَوْسُ لِلْمَعْقُولِ كَمَا سْتَعَارَ الثُّورُ الَّذِي هُوَ مُخْشَوْسٌ  
وَأَسْتَعَارَ الْقِسْطَاسُ لِلْعَدْلِ . وَكَقَوْلِهِ : بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ  
فَيَدْمَغُهُ . فَأَلْهَذُفُ وَاللَّدَغُ مُسْتَعَارَانِ . وَقَوْلِهِ : فَبَدَّوْهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ .  
وَقَوْلِهِ : أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ . الْوَادِي وَالْهَيْمَانُ  
مُسْتَعَارَانِ . ( الرَّابِعُ ) أَنْ يُسْتَعَارَ أَمْرُ الْمَعْقُولِ لِلْمُخْشَوْسِ عَلَى التَّأْوِيلِ  
الْمَذْكُورِ فِي التَّشْبِيهِ كَقَوْلِهِ : إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ  
تَكَادُ تَمُوتُ مِنْ الْغَيْظِ . فَالْشَّهِيقُ وَالْغَيْظُ مُسْتَعَارَانِ . وَقَوْلِهِ : حَتَّى  
تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا

### البحث السابع

#### في جيد الاستعارة وورديتها ومتوسطها

( عن كتاب الصناعتين وصناعة الترمذ )

قَالَ مُحَمَّدٌ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ الْخَفَاجِيُّ : وَقَدْ اخْتَارَ أَبُو الْقَاسِمِ  
أَبْنُ بِشْرِ الْأَمِيئِيُّ مِنْ جَمَلَةِ الْأَسْتِعَارَةِ قَوْلَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :  
قُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَلَّى بِصُلْبِهِ وَارْدَفَ أَعْجَازًا وَهَاءَ بِكُلِّكَلٍ  
وَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْأَسْتِعَارَةَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ . لِأَنَّهُ إِنَّمَا قَصَدَ  
وَصَفَ أَحْوَالَ اللَّيْلِ فَذَكَرَ لَمْتِدَادَ وَسْطِهِ وَدَّاقِلَ صَدْرِهِ لِلزَّهَابِ  
وَالْإِنْبِعَاطِ وَتَرَدَّفَ أَعْجَازِهِ وَأَوَاحِرُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا . وَقَالَ الْخَفَاجِيُّ :

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ لَا أَرْضَى بِهِ غَايَةَ الرِّضَى وَلَوْ كُنْتُ  
 أَسْكُنُ إِلَى تَقْلِيدِ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لَقَلَدْتُهُ لِحَسَنِ  
 ظَنِّهِ وَصِحَّةِ فِكْرِهِ وَهُوَ عِنْدِي مِنَ الْوَسْطِ لَيْسَ مِنْ جَيْدِ الْإِسْتِعَارَةِ  
 وَلَا مِنْ رَدِيئِهَا . وَأَنَا قُلْتُ ذَلِكَ لِأَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ أَفْضَحَ بِأَنَّهُ  
 أَمَرَ الْقَيْسَ أَلَّا جَعَلَ لِلَّيْلِ وَسْطًا وَخَجَزًا اسْتِعَارَةً لَهُ أَسْمَ الصُّلْبِ  
 وَجَعَلَهُ تُسْطِيًا مِنْ أَجْلِ اتِّبَادِهِ وَجَعَلَ الْكَائِكَ كُلَّ مِنْ أَجْلِ  
 نَهْوِهِ وَكُلُّ هَذَا إِنَّمَا يَحْسُنُ بَعْضُهُ لِأَجْلِ بَعْضٍ . قَدْ ذَكَرَ الصُّلْبُ إِنَّمَا  
 حَسُنَ لِأَجْلِ الْعَجْزِ . وَالتُّسْطِي لِأَجْلِ الصُّلْبِ . وَالْكَائِكَ لِتَجْمُوعِ  
 ذَلِكَ . وَهَذِهِ الْإِسْتِعَارَةُ الْمُبْنِيَّةُ عَلَى غَيْرِهَا فَذَلِكَ لَمْ أَرِ أَنْ تَجْعَلَ مِنْ  
 أَلْبَغِ الْإِسْتِعَارَاتِ وَكَانَتْ اسْتِعَارَةُ طُفِيلِ الْعُيُوفِ فِي قَوْلِهِ :  
 وَجَعَلْتُ رَحْلِي قَوْقَ نَاحِيهِ يَهْتَاتُ نَحْمَةً سَنَامِهَا الرَّحْلُ  
 أَوْفَقَ وَأَوْضَحَ . لِأَنَّهَا غِيَّةٌ بِنَفْسِهَا غَيَّةٌ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى مُقَدَّمَةٍ حَلِيَّتِهَا .  
 (وَقَالَ) وَقَدْ كُنْتُ مَثَلْتُ فِي بَعْضِ مَوَاضِعِ الْإِسْتِعَارَةِ الْمَحْصُودَةِ  
 وَالْمُثَمِّمَةِ بَيْنَيْنِ أَحَدُهُمَا قَوْلَ ابْنِ بَنَاتَةَ :

حَتَّى إِذَا بَرُوا الْآبَاطِجَ وَأَثَرَى فَظَرُّوا إِلَيْكَ بِأَعْيُنِ الثَّوَارِ  
 فَظَرُّ أَعْيُنِ الثَّوَارِ مِنْ أَشْبِهِ الْإِسْتِعَارَاتِ وَالْيَقِينَا . لِأَنَّ الثَّوَارَ  
 يُشَبِّهُ الْعُيُونَ إِذَا كَانَ مُقَابِلًا لِمَنْ يُؤْمَرُ بِهِ كَأَنَّهُ مُنَاطِرُ إِلَيْهِ . وَأَلْبَيْتُ  
 الثَّلَاثِي يَتُ أَيْ غَام :

قَوَّتْ بِهَزَانِ عَيْنِ الدِّينِ وَأَسْتَوَّتْ بِالْأَشْرَافِ عِيُونَ الشَّرِكِ فَاصْطَلَحَا  
 وَقَرَّةُ عَيْنِ الدِّينِ وَأَسْتَارُ عِيُونَ الشَّرِكِ مِنْ أَفْجِ الْإِسْتِعَارَاتِ



لِعَدَمِ الشَّيْءِ الَّذِي لَاحِظُهُ جَعَلَ لِلشَّرِكِ عُيُونًا. وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَيْنِ الْبَيِّنَتَيْنِ  
لَا يَفْهَمُ مَعْنَى الْإِسْتِعَارَةِ لِأَنَّ الثُّوَارَ وَالشَّرِكَ لَا عُيُونَ لَهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ.  
وَقَدْ قُبِحتِ اسْتِعَارَةُ الْعُيُونِ لِأَحَدِيهِمَا وَحَسُنَتْ لِلْآخَرِ. وَالْعِلَّةُ فِيهِ أَنَّ  
الثُّوَارَ يُشَبَّهُ الْعُيُونَ. وَالَّذِينَ وَالشَّرِكُ لَيْسَ فِيهَا مَا يُشَبِّهُهَا وَلَا يُقَارِبُهَا.  
وَمِنْ أَحْسَنِ الْإِسْتِعَارَاتِ كَقَوْلِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ :

رَمَا اللَّسِيمُ بِوَادِيكُمْ وَلَا يَرْحَتُ حَوَامِلُ الْمَزْنِ فِي أَجْدَائِكُمْ قَضَعُ  
وَلَا يَزَالُ جَنِينُ الثَّبَتِ يُرْضِعُهُ عَلَى قُبُورِكُمْ الْعَرَاصَةُ الَّتِي هَمَّ  
لِأَنَّ الْمَزْنَ تَحْمِلُ الْمَاءَ وَإِذَا حَمَلَتْ قَضَعُهُ فَاسْتِعَارَةُ الْحَمْلِ لَهَا  
وَالْوَضْعُ الْمَعْرُوفَيْنِ مِنْ أَقْرَبِ شَيْءٍ وَأَشْبَهِهِ. وَكَذَلِكَ جَنِينُ الثَّبَتِ  
لِأَنَّ الْحَيَّانَ الْمَسْتَوْرَ مَأْخُودٌ مِنَ الْجُبَّةِ. وَإِذَا كَانَ الثَّبَتُ مَسْتَوْرًا  
وَأَلْقَيْتُ يَسْقِيهِ كَانَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الرِّغَاعِ

وَأَمثالُ الْحَامِسِينَ فِي ذَلِكَ وَالْمَسَاوِي كَثِيرَةٌ وَقَدْ أَخَذَ الْقَوْلُ  
فِي هَذَا الْبَابِ حَقَّهُ. مَعَ أَنَّ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ بِذَا الْقَنْ فِيهِ أَكْثَرُ  
مِنْ ذَلِكَ



## البحث الثامن

### في ما جاء من الاستعارات في كلام العرب

( عن كتاب الصناعتين للسكري وسر العربية للثعالبي )

وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الْعَرَبِ مِنَ الْأِسْتِعَارَاتِ فَكَثِيرٌ مِنْهُ  
 قَوْلُهُمْ : هَذَا رَأْسُ الْأَمْرِ وَوَجْهُهُ وَرَأْسُ أَمَلٍ . وَهَذَا الْأَمْرُ فِي جَنْبِ  
 غَيْرِهِ يَسِيرٌ . وَيَقُولُونَ : هَذَا جَنَاحُ الْحَرْبِ وَقَلْبُهَا وَجَنَاحُ الطَّرِيقِ .  
 وَهَؤُلَاءِ رُؤُوسُ الْقَوْمِ وَحَاجَتُهُمْ وَعُيُونُهُمْ . وَقُلَانُ ظَهَرَ فُلَانٌ وَلِسَانُ  
 قَوْمِهِ وَنَاهِيَهُمْ وَعَضْدُهُمْ . وَهَذَا كَلَامٌ لَهُ ظَهَرٌ وَبَطْنٌ . وَفِي الْعَرَبِ :  
 الْجَمَاحِمُ . وَالْقَبَائِلُ . وَالْأَحْكَادُ . وَالْبُطُونُ . وَخَرَجَ عَلَيْنَا عُتُقٌ مِنْ أَنْتَاسٍ  
 وَلَهُ عِنْدِي يَدٌ يَتَضَاءُ . وَهَذِهِ عَيْنُ الْمَاءِ . وَحَاجِبُ الشَّمْسِ . وَلِسَانُ  
 النَّارِ . وَهَذَا أَنْفُ الْجَبَلِ . وَبَطْنُ الْوَادِي . وَكَبِدُ السَّمَاءِ . وَسَاقُ  
 الشَّجَرَةِ . وَيَقُولُونَ فِي التَّنْقِرِ : أَنْشَقَّتْ عَصَاهُمْ . وَشَلَّتْ نَعَامَتُهُمْ .  
 وَمَرُّوا بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا . وَكَفَّوْلُهُمْ فِي أَشْتِدَادِ الْأَمْرِ :  
 كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا . أَبْدَى الشَّرُّ فَاكِدِيهِ . حَمَى الْوَطِيسُ .  
 دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ . وَكَفَّوْلُهُمْ فِي ذِكْرِ الْأَنْهَارِ الْعُلُويَّةِ : أَوْتَرَ الصُّنْحُ  
 عَنْ نَوَاجِدِهِ . ضَرَبَ بِعُمُودِهِ . سَلَّ سَيْفُ الصُّنْحِ مِنْ عِمْدِ الظَّلَامِ .  
 نَمَرَ الصُّنْحُ فِي قَعَا اللَّيْلِ . بَاحَ الصَّاحِ بِسِرِّهِ . وَهِيَ خَطَاةُ الْجُوزَاءِ .  
 احْطَطَ قَنَدِيلُ الثُّرَيَّا . ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ . ارْتَقَعَ النَّهَارُ . تَرَجَّلَتِ  
 الشَّمْسُ بِحِجْرَاتِ الظُّهَيْرَةِ . بَقَلَ وَجْهُ النَّهَارِ . خَفَقَتْ رَايَاتُ الظَّلَامِ .

مَوَّرَتْ حَدَانِي الْجَوَّ . شَابَ رَأْسُ اللَّيْلِ . لَيْسَتْ الشَّمْسُ جِلْبَابَهَا . قَامَ  
 خَطِيبُ الرَّعْدِ . خَفَقَ قَلْبُ الْبَرْقِ . اِحْلَلَّ عِشْدُ الْمَاءِ . وَهِيَ عِشْدُ  
 الْأَنْدَاءِ . انْقَطَعَ شِرْيَانُ الْقَعَمَامِ . تَفَقَّسَ الرِّيعُ . تَعَطَّرَ النَّسِيمُ .  
 تَبَرَّجَتِ الْأَرْضُ . قَوِيَ سُلْطَانُ الْحَرِّ . أَنَّ أَنْ يَحْيِشَ مِرْجَلُهُ . وَيُثَوِّرَ  
 قَسْطَلُهُ . اِحْصَرَ قِنَاعُ الصَّيْفِ . جَاشَتْ جِيُوشُ الْحَرْفِ . حَلَّتِ الشَّمْسُ  
 أَلْيَازَانَ . وَعَدَلَ الزَّمَانُ . دَبَّتْ عَقَابِبُ الْبَرْدِ . أَقْدَمَ الشِّتَاءُ كُلَّكَلَّةً .  
 شَابَتْ غَارِقُ الْجِبَالِ . يَوْمَ عَبُوسٍ قَمَطِرٍ . كَثُرَ عَنْ قَابِ الزَّمَرِ .  
 وَكَفَّوْلَهُمْ فِي مُحَاسِنِ الْكَلَامِ : الْأَدَبُ غِذَاءُ الرُّوحِ . الشَّبَابُ  
 بَاكُورَةُ الْحَيَاةِ . النَّارُ فَاكِهَةُ الشِّتَاءِ . الْيَمَالُ سُوسُ الْمَالِ . الْبَيْدُ كَيْسِيَاءُ  
 الْفَرَحِ . الْوَحْدَةُ قَبْدُ الْحَيِّ . الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الْفَرَجِ . الدِّينُ دَاءُ الْكِرَامِ .  
 النَّسَامُ جِسْرُ الشَّرِّ . الْأَرْجَافُ زَنْدُ الْفِتْنَةِ . الشُّكْرُ نَسِيمُ النَّعِيمِ .  
 الرِّيعُ شَبَابُ الزَّمَانِ . الْوَلَدُ رِيحَانَةُ الرُّوحِ . الشَّمْسُ قَطِيقَةُ الْمَسَاكِينِ .  
 الطَّيْبُ لِسَانُ الْمَرْوَةِ . وَيَسْبُونُ الْبَكَتُ نَوَا . قَالَ : وَجَفَّ أَنْوَاءُ  
 السَّحَابِ . أَيَّ جَفَّ أَتَبَلُّ . وَيَقُولُونَ لِلْمَطَرِ سَمَاءً . قَالَ الشَّاعِرُ :  
 إِذَا سَقَطَ الْمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهَا وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا  
 وَيَقُولُونَ : ضَحِكَتِ الْأَرْضُ إِذَا أَنْبَتَ لِأَنْهَا تُبْدِي عَنْ حُسْنِ  
 النَّبَاتِ كَمَا يَهْتَرُ الضَّاحِكُ عَنْ الشَّغْرِ . وَيُقَالُ : ضَحِكَتِ الظُّلْمَةُ .  
 وَالتَّوَرُّ يُضَاحِكُ الشَّمْسَ . قَالَ الْأَعَشَى :  
 يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهُ كَوَكَبٌ مُشْرِقٌ  
 مَوَّرَتْ لَعِيمِ أَلْبَتِ مُصْطَهَلُ

وَيَقُولُونَ : صَحِيحُ السَّحَابِ بِالْبَرْقِ وَحَنٌّ بِالرَّعْدِ وَبَكْيٌ بِالطَّلْرِ .  
وَيَقُولُونَ : لَقِيتُ مِنْ فُلَانٍ عَرَقَ الْفَرَةِ أَيْ شِدَّةَ وَمَشَقَّةَ . (وَأَصْلُ  
هَذَا أَنَّ حَامِلَ الْفَرَةِ يَتَّعِبُ مِنْ ثِقَلِهَا حَتَّى يَعْرِقَ) . وَيَقُولُونَ أَيْضًا :  
لَقِيتُ مِنْهُ عَرَقَ الْجَيْنِ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : بِأَرْضِ فُلَانٍ شَجَرٌ قَدْ صَاحَ .  
وَذَلِكَ إِذَا طَالَ قَتْنٌ لِلنَّاطِلِ بِطَوِيلِهِ وَدَلَّ عَلَى نَفْسِهِ لِأَنَّ الصَّالِحَ  
يَدُلُّ عَلَى نَفْسِهِ بِصَوْتِهِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْحَاجِّ :

كَالْكَرَمِ إِذَا نَادَى مِنَ الْكَافُورِ

وَمِمَّا جَاءَ أَيْضًا فِي هَذَا الْبَابِ فِي الْقُرْآنِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ  
وغيرِهِمْ مَا نَصَّهُ : الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالنَّطِقِ . وَقَوْلُهُ : أَذْكُرُوا هَادِمَ  
الْأَلْدَاتِ . وَقَوْلُهُ : اخْضِ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ . وَقَوْلُهُ :  
أَذَاتَهَا اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ . وَقَوْلُهُ : أَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا . وَقَوْلُهُ :  
وَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوَاطِ الْأَعْدَابِ . وَقَوْلُهُ : لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ  
وَقَالَ عَلِيٌّ : السَّفَرُ مِيزَانُ الْقَوْمِ . وَقَالَ : وَأَمَّا وَقَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُ  
الْإِسْلَامِ . وَلَهُ قَوْلُهُ لِأَبْنِ عَبَّاسٍ : أَرِغْبْ رَاغِبُهُمْ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ  
عَنْهُمْ . وَقَوْلُهُ : أَلْعِلْمُ قُلٌّ مِفْتَاحُهُ الْمَسْئَلَةُ . وَقَوْلُهُ : لِحِلْمٍ وَالْأَنَاءَةُ  
تَوَآمَانِ يُنْتَجِهُمَا غُلُوُّ الْهَمَّةِ . وَقَالَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ يَصِفُ الدُّنْيَا :  
إِنَّ أُمُورَ الْمَلِكِ يَكُنْ مِنْهَا فِي فُرْجَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا رَحَةٌ وَلَمْ يَلْقَ مِنْ  
مَرَايِهَا بَطْنًا إِلَّا مَمْتَحَنَةً مِنْ قُرَائِهَا ظَهْرًا . وَلَمْ تُظَلِّهِ فِيهَا غَابَةٌ رَخَاءً إِلَّا  
هَبَّتْ عَلَيْهِ مُزْنَةٌ بَلَاءً . وَلَمْ يَمْسِ مِنْهَا فِي جَنَاحِ آمِنٍ إِلَّا أَضْحَجَ مِنْهَا  
عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ أَلَمَّكَ إِذَا مَلَّكَ زَهْدُهُ اللَّهُ

فِي مَالِهِ وَرَغْبَةٍ فِيمَا فِي يَدَيْ غَيْرِهِ وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْأَشْفَاقَ . فَهُوَ يَحْسِدُ عَلَى  
الْقَلِيلِ وَيَنْحَطُّ عَلَى الْكَثِيرِ جَزُلُ الظَّاهِرِ حَزِينُ الْبَاطِنِ . فَإِذَا  
وَجِبَتْ نَفْسُهُ وَهَرَعَتْ عَمْرُهُ وَضَحَّى ظِلُّهُ حَاسِبَةً اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَاسَدَ حِسَابُهُ  
وَأَقْلَ عَمْرُهُ . وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ أَرْوَيْدٍ إِلَى مَرَاذِيهِ فَارِسَ : لِّلْحَمْدِ لِلَّهِ  
الَّذِي قَصَرَ خِلْمَتَكُمْ وَفَرَّقَ كَلِمَتَكُمْ . وَقَالَ الْحَجَّاجُ : دُلُّونِي عَلَى  
رَجُلٍ سَيِّئِ الْأَمَانَةِ أَنْجَفَ الْحَيَاةِ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ : الرَّأْيُ  
لِلْأَصْحَابِ لَا خَيْرَ فِي الرَّأْيِ الْقَطِيرِ وَالْكَلَامِ الْقَضِيبِ . فَلَمَّا بَايَعُوهُ  
قَالَ : دَعُوا الرَّأْيَ يَغِبْ فَإِنَّ غُيُوبَهُ يَكْشِفُ لَكُمْ عَنْ مَحَلِّهِ . وَقِيلَ  
لِأَعْرَابِي : إِمَّاكَ لِحَسَنِ الْكِدْيَةِ . قَالَ : عِنْدَ أَنْ يَنْعَمَ اللَّهُ عِنْدِي .  
وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : الْحِلْمُ دِعَامَةُ الْعَقْلِ . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ  
لِرَجُلٍ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَاكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَقْرِي الْعَيْنَ جَمَالًا وَالْأُذُنَ بَيِّنًا .  
وَقِيلَ لِرُؤْبَةِ : كَيْفَ تَرَكْتَ مَا وَرَاكَ . قَالَ : أَتَرَابُ يَابِسٌ وَالْمَالُ  
عَائِسٌ . وَقَالَ الْمَنْصُورُ لِبَعْضِهِمْ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ بِجَيْلٍ : قَالَ مَا أَجِدُ  
فِي حَقِّ وَلَا أَذُوبُ فِي بَاطِلٍ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْمُؤَصِّلِيُّ : قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ  
أَبْنِ الْحُسَيْنِ : إِنِّي لِأَجِبُكَ . قَالَ : رَأَيْتُ ذَلِكَ عِنْدِي . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :  
الْإِسْطِثَالَةُ لِسَانَ الْجَهْلِيَّةِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : الشُّكْرُ كُفُوُ التَّعْنَةِ .  
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : خَرَجْتُ فِي لَيْلَةٍ خُسِدٍ قَدْ أَتَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ  
أَدْرَاجَهَا فَفَحْتُ صُورَةَ الْأَبْدَانِ فَأَكُنَّا نَتَعَارَفُ إِلَّا بِالْأَذَانِ . وَقَالَ  
أَعْرَابِيٌّ لِأَخْرَ : يَسَارُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ يَسَارِ الْمَالِ وَرُبَّ شَبَّانٍ مِنْ  
الْتِمَعِ عَرَفَانَ مِنَ الْكَرَمِ . وَقَالَ آخَرُ فِي حَرْبٍ : جَعَلُوا الْحَرْبَ

أَرْضِيَةِ الْمَوْتِ وَاسْتَقْوَاهَا أَرْوَاحَ الْعَدُوِّ . وَقَالَ آخَرُ : فَلَنْ أَمْلَسُ لَبْسَ  
فِيهِ مُسْتَقَرًّا بِخَيْرٍ وَلَا شَرًّا . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ : وَقَدْ شَتَّهَ رَجُلٌ يَتِيمًا  
يَدِي الْأُمَمُونَ : رَأَيْتُهُ يَسْتَبْلِي مَا يَلْقَانِي بِهِ مِنْ عَيْنَيْكَ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِي :  
أَيُّ طَعَامٍ أَطِيبُ . قَالَ : التُّبْعُ أَجْوَدُ . وَمَدَحَ أَعْرَابِيُّ رَجُلًا قَالَ :  
كَانَ يَقْنَعُ مِنَ الرَّاغِبِ أَبْوَابًا مُنْسَدَّةً وَيَفْصِلُ مِنَ الْغَارِ وَجُوهًا مُسَوَّدَةً .  
إِذَا عَرَضَتْ لَهُ زِينَةُ الدُّنْيَا فَهَجَسَهَا صُورَةَ الْحَمْدِ عِنْدَهُ وَإِنْ لِلْبَصَائِرِ  
تَعَارَةً عَلَى أَمْوَالِهِ كَعَادَةِ سُيُوفِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ . وَمَدَحَ أَعْرَابِيُّ قَوْمًا  
قَالَ : أَوْلَانِكَ غُرٌّ قُضِيَتْ فِي ظُلْمِ الْأُمُورِ الْمَشْكِلَةِ قَدْ صَفَتْ  
أَذَانُ الْحَبْدِ إِلَيْهِمْ . وَقَالَ أَعْرَابِيُّ يَدْحُ رَجُلًا : إِنَّهُ لَيُعْطِي عَطَاءَ  
مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَادَّتُهُ . وَمَدَحَ أَعْرَابِيُّ رَجُلًا فَقَالَ : لِسَانُهُ أَخْلَى  
مِنَ الشَّهِيدِ وَقَلْبُهُ يَخْنُ لِلْحَمْدِ . إِنْ أَسَأَتْ إِلَيْهِ أَحْسَنَ وَكَأَنَّهُ أَلْسِي .  
وَإِذَا أَجْرَمْتَ غَفَرَ وَكَأَنَّهُ الْخَيْرُ . إِنْ تَرَى بِالْمَعْرُوفِ عِرْضَهُ مِنَ الْأَذَى  
فَهُوَ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا فَوَهَبَهَا رَأَى بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ  
حُفُوقًا لَا يَسْتَعْذِبُ الْخَنَى وَلَا يَسْتَحْسِنُ فَيْدَ الْوَفَاءِ . وَقَالَ أَعْرَابِيُّ لِرَجُلٍ :  
لَا تُدْرِسْ شِعْرَكَ بِعِرْضِ فُلَانٍ فَإِنَّهُ سَيَبِينُ أَلْمَالُ مَهْزُولُ الْمَعْرُوفِ مِنْ  
الْمُرْزُوقِينَ فَجَاءَ قَصِيرُ عُمَرَ النَّعِيِّ طَوِيلُ حَيَاةِ الْفَقْرِ . وَسَلَّ أَعْرَابِيُّ  
قَتِيلَ لَهُ : عَلَيْكَ بِالصَّيَارِفِ . فَقَالَ : هُنَاكَ فَرَارَةُ الْوُثْمِ . وَذَكَرَ  
أَعْرَابِيُّ قَوْمًا فَقَالَ : أَوْلَانِكَ قَوْمٌ قَدْ سَلَحَتْ أَقْقَاءُهُمْ بِأَنْهَجَاءِ وَدَبَّتْ  
جُلُودُهُمْ بِاللُّومِ . فَلْيَأْسُهُمْ فِي الدُّنْيَا أَلَمَامَةُ وَزَادَهُمْ فِي الْآخِرَةِ  
الْتِدَامَةُ . وَذَمَّ أَعْرَابِيُّ قَوْمًا فَقَالَ : هُمْ أَقَلُّ دُثُوبًا إِلَى أَعْدَائِهِمْ

وَأَكْثَرُ مَجْرُمًا عَلَى أَصْدِقَائِهِمْ . يَصُومُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيُطْرُونَ عَلَى  
 الْفَحْشَاءِ . وَذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ تَعْدُو إِلَيْهِ مَوَاقِبُ  
 الضَّلَالَةِ وَتَرْجِعُ مِنْ عِنْدِهِ بُدُورُ الْأَنَامِ مُغْدِمٌ بِمَا يُحِبُّ مُثَرِّمٌ بِمَا يَكْرَهُ .  
 وَقَالَ آخَرُ : مَا رَأَيْتُ دَمْعَةً تَرَفُوقُ فِي عَيْنٍ وَتَجْرِي عَلَى خَدِّ آخَرٍ مِنْ  
 عَبْرَةٍ أَمْطَرَتْهَا عَيْنَاهُ وَأَعْسَبَ لَهَا قَلْبِي . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وَذَكَرَ زُهَادًا :  
 فَلَزَ قَوْمٌ أَدَبَتْهُمْ الْحِكْمَةُ وَأَحْكَمَتْهُمْ الْجَارِبُ وَلَمْ تَعْرِضْهُمْ السَّلَامَةُ  
 الْإِنْطِوِيَّةُ عَلَى الْهَلَكَةِ . وَرَحَلَ عَنْهُمْ التَّسْوِيفُ الَّذِي قَطَعَ بِهِ النَّاسُ  
 مَسَاقَةَ أَجَالِهِمْ وَأَحْسَنُوا الْقِتَالَ وَشَفَعُوهُ بِالْفِعَالِ تَرَكَوا النَّعِيمَ لِيَتَنَعَّمُوا .  
 لَهُمْ عِبَرَاتٌ مُتَدَاوِمَةٌ لَا يَرَاهُمْ إِلَّا فِي وَجْهِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهِ . وَوَصَفَ  
 أَعْرَابِيٌّ وَالِيًا فَقَالَ : كَانَ إِذَا رُلِّيَ لَمْ يُطَاقِ بَيْنَ جُفْوِهِ وَارْسَالِ  
 الْغُيُوبِ عَلَى عُيُوبِهِ . فَهُوَ شَاهِدٌ مَعَهُمْ غَائِبٌ عَنْهُمْ فَالْخُحْسُ أَمِينٌ وَالْأَسِيءُ  
 خَائِفٌ . وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ أَلْفُهُمْ مِنْهُ ذَا أَذْنَيْنِ وَالْجَوَابُ  
 مِنْهُ ذَا لِسَانَيْنِ . لَمْ أَرِ أَحَدًا كَانَ أَرْتَقَى لِحْلُلِ السَّرَاءِ مِنْهُ كَانَ بَعِيدَ  
 مَسَاقَةِ الرَّأْيِ يَرْمِي بِطَرْفِهِ حَيْثُ أَشَارَ الْكَرَمُ . وَمَا ذَالُ يُخْشَى مَرَارَةً  
 الْأَخْوَانِ وَيُسَيِّفُهُمُ الْعَذَبُ . وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ قُوَّةَهُ فَقَالَ : إِذَا أَضْطَقُوا  
 تَحْتَ الْقِتَامِ سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السِّهَامُ بِرُقُوفِ الْحِمَامِ . وَإِذَا تَصَاحَفُوا  
 بِالسُّيُوفِ قَعَرَتْ أَلْمَنِيَا بِأَفْوَاهِهَا . فَكَمْ مِنْ يَوْمٍ عَارِمٍ قَدْ أَحْسَنُوا  
 أَدَبَهُ وَحَرَبَ عُبُوسٍ قَدْ صَاحَكْتَهَا أَسِنَّتُهُمْ وَخَطَبَ قَدْ ذَلُّوا مَنَاكِبَهُ .  
 أَمَّا كَانُوا كَالنَّجَرِ الَّذِي لَا يَتَكَوَّشُ غِمَارُهُ وَلَا يُنْهَتِي تِيَارُهُ . وَقِيلَ  
 لِأَعْرَابِيٍّ : لِمَ لَا تَشْرَبُ أَلْبَنَدَ . فَقَالَ : لَا أَشْرَبُ مَا يَشْرَبُ عَقْلِي .

وَقَالَ آخَرُ : أَخْطُ مَرْكَبُ الْيَمَانِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : أَلْقَمُ لِسَانُ الْيَمَانِ .  
وَسَمِعْتُ بَعْضَ الْأَطِبَّاءِ يَقُولُ : أَلَاءُ مَطِيَّةِ الطَّلَامِ . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ  
وَهْبٍ لِكِتَابَتِهِ : لَا تُكَدِّرْ مَاءَ مَعْرُوفِي بِالزَّرِّ فَإِنَّ لَعْنَتَادَكَ بِالْمَعْرُوفِ  
يَعْقِلُ لِسَانَ الشُّكْرِ . وَأَمثالُ هَذَا كَثِيرٌ فِي مَشْرِقِ الْكَلَامِ وَفِي أَوْرَدَانِهِ  
كِفَايَةً . وَأَمَّا الْأَسْتِعَارَةُ فِي أَشْعَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى

### البحث التاسع

#### في مراعاة النظر

(من ترح بديهة البيان لابن حابر الاندلسي باختصار)

(راجع صفحة ٣١ من علم الادب)

يُسَمَّى أَيْضًا هَذَا النَّوعُ التَّنَاسُبَ وَالْإِتِّلَافَ وَالتَّرْفِيقَ وَالْمَوْلَافَةَ .  
وَهُوَ فِي أَصْطِلَاحِ الْبَدِيعِيِّينَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ وَمَا يُنَاسِبُهُ لَأَعْلَى  
جِهَةِ التَّضَادِّ . وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ . (الْأَوَّلُ) يُذَكِّرُ فِيهِ الشَّيْءُ  
مَعَ مَا يُنَاسِبُهُ فَقَطْ كَقَوْلِ ابْنِ الْحَشَابِ لِلْحَلِيقَةِ الْمُسْتَضِيَّةِ :  
وَرَدَّ الْوَرَى سَلْسَالَ جُودِكَ فَارْتَوَرَا وَوَقَّتْ دُونَ الْوَرْدِ وَقْتَهُ حَالِمٍ  
ظَمَانٍ أَطْلَبُ ضِفَّةً مِنْ رَحْمَةٍ وَالْوَرْدُ لَا يَزْدَادُ غَيْرَ تَرَّاحِمٍ  
فَانْظُرْ حُسْنَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ كَيْفَ جَرَّيَا كَأَلَاءٍ فِي طَلَاوَةٍ وَوَقَعَا  
مِنَ الْقُلُوبِ كَالشَّهْدِ فِي حَلَاوَةٍ . مَعَ أَنَّ نَاطِقَهُمَا مَا خَرَجَ عَنْ وَصْفِ  
أَلَاءِ كَلَامُهُ . وَلَا تَعْدَى ذَلِكَ الْمَعْنَى ظَاهَرُهُ . فَأَوْدَعَهُمَا فِي عَشْرِ مَوَاضِعَ  
مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ . فِيهَا مِنَ الْحُسْنِ مَا لَيْسَ لَهُ مِنْ ظَهِيرٍ . لَكِنَّهُ مَا سَلِمَ



مَلِيحٌ مِنْ عَيْبٍ. وَلَا خَلَامٍ مَرْفُوعٍ رَبِّ. فَمَعَ هَذِهِ الْحَاسِنِ الطَّرِيفَةِ  
مَا سَلِمَ الْبَيْتَانِ مِنْ عَيْبٍ الْقَافِيَةِ. قَدْ غَيَّرَ النَّاطِلُ كَسْرَةَ الدَّخِيلِ عَلَى  
الضَّيِّعَةِ. وَجَاءَ فِي ذَلِكَ بِمَا عَابَهُ كُلُّ أَدِيبٍ وَدَمَمَهُ. وَمِنْهُ قَوْلُ السَّلَامِيِّ :  
وَأَلْقَعَ نَوْبٌ بِالنُّشُورِ مُطَرَّرٌ وَالْأَرْضُ قَرَشٌ بِالْحَيَادِ مُحْمَلٌ  
وَسُطُورٌ خَيْلِكَ إِذَا الْفَاتِمَا سُرَّ تُنْقِطُ بِالْيَمَاءِ وَتُشَكِّلُ  
نَاسَبَ بَيْنَ الثُّوبِ وَالطَّرِيزِ وَالْحَمَلِ وَبَيْنَ السُّطُورِ وَالْأَلْفَاتِ  
وَالْتِقِطِ وَالشَّكْلِ

( تَنْبِيْهِ ) وَلَوْ ذَكَرَ الشَّيْءُ مَعَ مَا لَا يُنَاسِبُهُ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ  
عَيْبًا. كَقَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ :

وَقَدْ حَلَقْتُ عَيْنًا مَذْرُوءَةً لَا تُكْذِبُ

بِرَبِّ ذَمَزَمٍ وَالْحَوْضِ وَالصَّفَا وَالْخَصْبِ

عَابُوا عَلَيْهِ ذِكْرَ الْحَوْضِ مَعَ ذَمَزَمٍ وَالصَّفَا وَالْخَصْبِ. وَآيَةٌ غَيْرُ  
مُنَاسِبٍ ذِكْرُهُ مَعَهَا. وَإِنَّمَا يُنَاسِبُ ذِكْرُ الْحَوْضِ مَعَ الْبَيْتَانِ وَالصِّرَاطِ  
وَشِبْهَيْهَا بِمَا هُوَ مَنْوُطٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

( تَنْبِيْهِ ثَانِي ) لَوْ جَاءَ الْكَاتِبُ بِمُنَاسِبَيْنِ فَأَفْرَدَ أَحَدَهُمَا وَثَنَى  
الْآخَرَ أَوْ جَمَعَهُ وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ كَانَ عَيْبًا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

أَلَا يَا ابْنَ الْاَدْنِ قُتُوا وَمَاتُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا لِبَقِي

وَمَا لَكَ فَأَعْلَمَنْ فِيهَا بَقَاءً إِذَا اسْتَكْمَلْتَ أَجَالًا وَرِزْقًا

فَجَمَعَ (الْأَجَلَ) وَأَفْرَدَ (الرِّزْقَ) مَعَ أَنَّهُمَا مُتَسَاوِيَانِ. ( الثَّانِي ) أَنْ  
يَذْكَرَ شَيْءٌ أَوْ أَشْيَاءُ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ مَا يُنَاسِبُهُ فِي جَمَلٍ مُسْتَوِيَةٍ

الْمُقَدَّارِ . وَيُسَمَّى هَذَا النَّوعُ التَّقْوِيفَ لِشِبْهِه بِالتَّوْبِ الْمَقْوُوفِ وَهُوَ  
الَّذِي فِيهِ خُطُوطٌ مُسْتَوِيَةٌ وَتَشْبِيهُ الْجَمَلِ بِاسْتِوَاءِ تِلْكَ الْخُطُوطِ .  
وَتَكُونُ هَذِهِ الْجَمَلُ طَوَالًا كُلُّهَا أَوْ مُتَوَسِّطَةً . وَكُلُّهَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ  
آخِرُهَا فِي بَعْضِ جُزْءِ التَّقْوِيلِ وَهِيَ الْمُدْجَعَةُ . وَإِمَّا أَنْ يُوَافِقَ آخِرُهَا  
آخِرَ جُزْءِ التَّقْوِيلِ وَهِيَ الْغَيْرُ الْمُدْجَعَةُ وَهُوَ الْأَحْسَنُ . فَمِنْ قَوْلِ ابْنِ  
عَيْنٍ :

دَعَتْ فِي آعَالِي السُّغْدِ يَوْمًا حَمَلَةً عَلَى فَنٍّ مِنْ كُلِّ رِيَانٍ كَالْمِ  
فَهَاجَتْ مَشُوقًا وَاسْتَفَزَّتْ مُتَبِّيًا وَأَبَكَتْ غَرِيبًا وَأَسْتَحَفَّتْ أَخَا عِلْمٍ  
( السُّغْدُ . وَضَعُ بِسَرْقَدَ قَدْ أُخِذَ لِلزَّاهَةِ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي

الْحُسْنِ ) . وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِي مَذْحِجٍ :

وَالدَّهْرُ يُقِيلُ أَنْ تُثْقِلَ وَيَعْرِضُ أَنْ تُعْرِضَ وَغَيْرَ الَّذِي قَدْ دُرِّمَتْ بِرُومٍ  
إِنْ قُلْتَ يَسْمَعُ وَإِنْ تَأْمُرْ يَطِيعُ وَمَتَى فَعَلْتَ تُسْعَدُ وَإِنْ لَاحَظْتَ تُحْزِنُ  
وَقَدْ بَلَّغَ بِهَا الْمُسَيِّ إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةِ جُمْلَةٍ لَكِنْ يَغْيِرُ حَرْفُ  
عَطْفٍ ثَقُلَتْ وَخَرَجَتْ عَنْ سِلْكِ الْبَلَاغَةِ . وَهِيَ قَوْلُهُ :

أَقِلْ إِنْ لَمْ أَقْطَعْ أَجْعَلْ عَلَى سَلٍّ أَعِدْ زِدْ هَسًا شَيْءٌ تَفْضُلُ أَدْنِ سُرْصِلِ  
( التَّلَاثُ ) مِنْ مُرَاعَاةِ الظُّحْرِ أَنْ تَذْكُرَ شَيْئَيْنِ مُتَّاسِلَيْنِ وَتُجَمِّعَ

الْكَلَامُ بِشَيْئَيْنِ : أَحَدَهُمَا يُلَايِمُ وَاحِدًا جَمًّا تَقْدَمُ . وَالْآخَرُ يُلَايِمُ  
الْآخَرَ . وَيُسَمَّى هَذَا النَّوعُ تَنَاسُبَ الْأَطْرَافِ . وَمِمَّنْ قَوْلُهُ : لَا تُدْرِكُهُ  
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ . وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيْرُ . فَالْلطيفُ يُنَاسِبُ  
مَا لَا يُدْرِكُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْخَفَاءِ . وَالْخَيْرُ يُنَاسِبُ مَنْ هُوَ مُدْرِكُ اللَّطَائِفِ

الْأَشْيَاءُ. (الرَّابِعُ) أَنْ تَذْكُرَ الشَّيْءَ ثُمَّ تَذْكُرُ مَعَهُ لَفْظًا مُشْتَرَكًا  
بَيْنَ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا يُلَاحِظُ الْأَوَّلَ وَالْآخِرُ لَا يُلَاحِظُهُ فَيَتَوَهَّمُ السَّامِعُ  
أَنَّهُ مُرَادِفُ الْمَلَامِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ. وَيَسْمَى هَذَا التَّنَوُّعُ إِيهَامَ التَّظْيِيرِ.  
كَقَوْلِ أَهْلَائِلِ: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالتَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَنْجُدَانِ .  
فَيَتَوَهَّمُ مُرَاعَاةَ التَّظْيِيرِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّجْمِ انْتِبَاتُ لَا  
الْكُوكَبُ لِطَفِ الشَّجَرِ عَلَيْهِ

### البعث العاشر

#### في الجواز المرسل

( من السكاكي والدسوقي والتمالي باختصار )

( راجع صفحة ٣٣ من علم الادب )

إِنَّ عِلَاقَةَ الْجَوَازِ الْمُصَحَّحَةِ لَهُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُشَابِهَةً أَلْتَقُولُ  
إِلَيْهِ بِأَلْتَقُولُ عَنْهُ فِي شَيْءٍ فَيُسَمَّى الْجَوَازُ اسْتِعَارَةً كَمَا مَرَّ . وَإِمَّا أَنْ  
تَكُونَ عِلَاقَةُ الْجَوَازِ غَيْرَ الْمُشَابِهَةِ فَيُسَمَّى مُرْسَلًا كَلَفْظِ أَلَيْدٍ إِذَا  
اسْتَعْمِلَ فِي الْبَعْثَةِ وَالْقُدْرَةِ كَمَا يُقَالُ : جَلَّتْ أَيْلِيهِ عِنْدِي . أَيْ  
كَثُرَتْ نِعْمَتُهُ لَدَيَّ . وَأَتَّسَعَتْ أَلَيْدِي فِي الْبَلَدِ . وَأَلَيْدِي فِي الْبَعْثَةِ الْخُصُوصُ  
الْمُخْصُوصُ وَالْعِلَاقَةُ كَوْنُ ذَلِكَ الْخُصُوصِ مُصَدِّرًا لِلْبَعْثَةِ فَإِنَّهَا تَصِلُ  
إِلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ مِنْ أَلَيْدٍ فَتَكُونُ لِمَا رَحَةُ الْخُصُوصَةِ بِمِثْلَةِ أَلَعْلَةِ  
أَلْفَاعِلِيَّةِ هَا . وَأَيْضًا بِأَلَيْدٍ ظَهَرُ الْبَعْثَةِ فَتَكُونُ بِمِثْلَةِ أَلَعْلَةِ الصُّورِيَّةِ  
هَا . وَإِذَا اسْتَعْمِلَتْ لِلْقُدْرَةِ فَلِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَظْهَرُ سُلْطَانُ الْقُدْرَةِ فِي  
أَلَيْدٍ وَهِيَ تَكُونُ الْأَفْعَالُ أَلَدَّالَةٌ عَلَى الْقُدْرَةِ مِنَ الْبَطْشِ وَالضَّرْبِ

وَالْقَطْعَ وَالْأَخْذَ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَأَنْوَاعُ الْعَلَاقَةِ الْمُتَعَدَّةُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا  
عَائِدَةٌ إِلَى (التَّضَنُّنِ) وَهِيَ الَّتِي تَكُنُّ عَلَى زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ . (فِنْ  
النُّقْصَانِ) تَنْسِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ جُزْئِهِ وَإِطْلَاقُ الْخَاصِّ لِلْعَامِّ . وَهَذَا  
مِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ فَإِنَّهُمْ يَتَصَرُّونَ عَلَى بَعْضِ الشَّيْءِ وَهُمْ يُرِيدُونَ  
كُلَّهُ فَيَقُولُونَ : قَعَدَ عَلَى ظَهْرِ رَاحِلَتِهِ . وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

الْوَاطِينَ عَلَى صُدُورِ غَالِهِمْ

وَكَقَوْلِ لَيْلٍ :

أَوْ يَرِبُّ بِطَبْعِ بَعْضِ النَّفُوسِ جَمَاهُا  
وَفِي الْقُرْآنِ : قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ . وَالْمُرَادُ يَغُضُّوا  
أَبْصَارَهُمْ كُلَّهَا . (وَكَذَلِكَ) يَصِفُونَ أَلْبَعْضَ بِصِفَةِ الْكُلِّ كَقَوْلِهِ :  
نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ . فَالْخَطَأُ صِفَةُ الْكُلِّ وَصَفَ بِهِ النَّاصِيَةَ . وَمِثْلُ  
ذَلِكَ إِطْلَاقُهُمْ لَفْظَ (بَعْضٍ) مُرَادًا بِهِ الْكُلَّ كَقَوْلِهِ : لَا بَيْنَ لَكُمْ  
بَعْضَ الَّذِي تَحْتَفِلُونَ فِيهِ أَيْ كُلَّهُ . وَمِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ أَنْ تُقِيمَ الْوَاحِدَ  
مَقَامَ الْجَمْعِ فَيَقُولُونَ : قَرَرْنَا بِهِ عَيْنًا . أَيْ أَعَيْنَا . وَكَقَوْلِهِ : لَا تَفَرِّقْ  
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ . وَالتَّفَرِّيقُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ أَثْنَيْنِ . وَالتَّقْدِيرُ : لَا تَفَرِّقْ  
بَيْنَهُمْ . وَمِنْ هَذَا أَلْبَابُ سُنَّةِ الْعَرَبِ أَنْ يَقُولُوا لِلرَّجُلِ الْعَظِيمِ وَالْمَلِكِ  
الْكَبِيرِ : أَظْهَرُوا فِي أَمْرِي . وَلِأَنَّ السَّادَةَ وَالْمُلُوكَ يَقُولُونَ : نَحْنُ  
فَعَلْنَا وَإِنَّا أَمَرْنَا . فَعَلَى تَضَيُّعِ هَذَا الْإِتِّدَاءِ يُجَاطَبُونَ فِي أَجْوَابِ .  
(وَمِنْ الزِّيَادَةِ) وَهُوَ عَكْسُ مَا قَبْلَهُ إِطْلَاقُ اسْمِ الْعَامِّ لِلْخَاصِّ وَبِئْسَ  
بَابُ التَّخْصِيسِ بِاسْمِهِ وَإِطْلَاقُ اسْمِ الْكُلِّ عَلَى الْجُزْئِ نَحْوُ : يَجْمَعُونَ

أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّارِقِ . يُرِيدُ الْآغَاةَ وَهِيَ جُزْءٌ مِنَ  
الْأَصَابِعِ . وَاتَّعَرَّضُ مِنْهُ الْمُبَالَاةُ كَأَنَّهُ جَلَّ جَمِيعَ الْأَصَابِعِ فِي الْأَذُنِ  
لِتَلَّا يَسْمَعَ شَيْئًا مِنَ الصَّاعِقَةِ . (وَمِنْ سُنَنِهِمْ) أَيْضًا الْإِتْيَانُ بِالْجَمْعِ  
وَيُرِيدُونَ بِهِ الْوَالِدَ كَقَوْلِهِ : مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَعْبُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ .  
وَلَمَّا أَرَادَ التَّسْجِدَ الْحَرَامَ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ : أَفْعَلًا ذَلِكَ . وَالتَّحَاطُّبُ  
وَاحِدٌ . وَكَقَوْلِهِ : أَفْعِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عِنْدِي . وَهُوَ خَطَابٌ لِحَازِنِ  
النَّارِ وَحْدَهُ . وَكَمَا قَالَ الْأَعشى :

وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الْمَشِيئَاتِ وَالصَّحَّى وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهُ قَاعِدًا  
وَيَقَالُ إِنَّهُ أَرَادَ : وَاللَّهُ قَاعِدُنْ . فَقَلْبُ اثْنِ الْخَمِيسَةِ الْفَاءُ .  
وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ : أَفْعِيَا فِي جَهَنَّمَ . (وَمِنْ أَنْوَاعِ) الْعَلَاةِ الْمُتَعَبَّدَةِ فِي  
الْحِجَازِ الْمُرْسَلِ مَا يَقُودُ إِلَى (الِاسْتِزَامِ) وَهُوَ مَا أَقْتَضَى مَعْنَاهُ مَعْنَى آخَرَ  
لِاجْتِهَادِ عِلَاقَتِهِ . (فَمِنْ ذَلِكَ) إِطْلَاقُ اسْمِ الْمَلْزُومِ عَلَى الْأَلْزِمِ وَالْأَلْزِمِ  
عَلَى الْمَلْزُومِ تَحْوٌ : هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ . أَيْ هَلْ يَقْدِرُ . أَطْلَقَ الْإِسْطِطَاعَةَ  
عَلَى الْفِعْلِ لِأَنَّهَا لَازِمَةٌ لَهُ . وَكَقَوْلِهِ : يُرْسِلُ السَّمَاءَ وَمِذْرَارًا . أَيْ  
الْمَطَرَ . لِأَنَّهُ مِنْهَا يَنْزِلُ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ سَبَبِهِ . كَقَوْلِهِ : مَا كَانُوا  
يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ . أَيْ الْقَبُولَ وَالْعَمَلَ بِهِ لِأَنَّهُ يَسَبَّبُ عَنِ السَّمْعِ .  
وَكَقَوْلِهِ : رَعَيْتَا الْغَيْثَ . أَيْ الْبَلَدَ الَّذِي سَبَبُهُ الْغَيْثُ . (وَعَكْسُهُ)  
تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ مُسَبَّبِهِ تَحْوٌ : أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ بَنَاتًا . أَيْ غَيْثًا  
يَكُونُ الْبَنَاتُ مُسَبَّبًا عَنْهُ . وَكَقَوْلِهِ : يُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا .  
أَيْ مَطَرًا وَهُوَ مِنْ تَوَابِعِهِ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ مَا كَانَ

عَلَيْهِ تَحَوُّ : اَنْوَا اَلَيْتَامَى اَمْوَالَهُمْ . اَيِ الَّذِيْنَ كَانُوْا يَتَاَمَى لِاَنْهَمْ  
لَا يُؤْتُوْنَ اَمْوَالَهُمْ حَتَّى يَسْأَلُوْا وَلَا يَتِمَّ بَعْدُ اَلْبُلُوْغِ . ( وَمِنْهُ ) تَسْمِيَةُ  
الشَّيْءِ بِاَسْمِ مَا يُوْدُلُ اِلَيْهِ تَحَوُّ : اِيَّيْ اَرَانِيْ اَعَصِرُ خَمْرًا اَيِ عَنَابًا .  
يُعَصِرُ فَيُوْدُلُ اِلَى الْخَمْرِ . وَكَقَوْلِهِ : وَلَا يَلِدُوْا اِلَّا كَفَارًا . اَيِ صَارًا  
اِلَى الْكُفْرِ . ( وَمِنْهُ ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاَسْمِ مَحَلِّهِ تَحَوُّ : فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ  
اَيِ اَهْلَ نَادِيهِ . اَيِ تَحْلِيهِ . وَكَقَوْلِهِ : اَسْأَلُ اَلْقُرْبَةَ اَلَّتِيْ كُنَّا فِيْهَا .  
اَيِ اَهْلِهَا . ( وَمِنْهُ عَكْسُهُ ) اَيِ اِطْلَاقِ اَسْمِ اَحْلَالٍ عَلَى اَلْحَلِّ .  
تَحَوُّ : هَلُوْا فِي رَحْمَةِ اللهِ اَيِ فِي الْجَنَّةِ لِاَنَّا مَحَلُّ الرَّحْمَةِ . ( وَمِنْهُ )  
تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاَسْمِ اَلَّذِيْ تَحَوُّ : وَتَجَلَّى لِي لِسَانُ صِدْقِي فِي الْاٰخِرِيْنَ .  
اَيِ اُجَلِّ لِي ثَنَاءً حَسَنًا وَاللِّسَانَ اَلَّهُ الصِّدْقِ وَالْثَنَاءِ . ( وَمِنْهُ ) تَسْمِيَةُ  
الشَّيْءِ بِاَسْمِ ضِدِّهِ تَحَوُّ : فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ اَلْعَمِّ . اَيِ اَنْذِرْهُمْ وَهَذِّدْهُمْ .  
وَتَقُوْلُ اَلْعَرَبُ لِلرَّجُلِ تَسْتَجِيْلُهُ : يَاعَاقِلُ . وَلِلْمَرْأَةِ تَسْتَجِيْلُهَا : يَاقَمْرُ .  
( وَكَذَلِكَ ) يَحْلِبُوْنَ اَلْعَنَى تَحَوُّ : عَرَضْتُ اَلنَّاقَةَ عَلَى اَلْحَوْضِ . يُرِيدُوْنَ  
اَلْحَوْضَ عَلَى اَلنَّاقَةِ . ( وَمِنْهُ ) وَصْفُ الشَّيْءِ بِمَا يَمُوعُ فِيْهِ اَوْ يَكُوْنُ  
مِنْهُ تَحَوُّ : يَوْمٌ عَاصِفٌ . اَيِ عَاصِفُ الرِّيحِ . وَلَيْلٌ نَّائِمٌ وَسَاهِرٌ وَصَائِمٌ  
اَيِ يَنَامُ فِيْهِ وَيَسْهَرُ وَيَصَامُ . ( وَمِنْهُ ) اِضَاقَةُ اَلْفِعْلِ اِلَى مَا لَا يَضِلُّ  
اَلهُ تَشْبِيْهًا . كَقَوْلِهِ : جِدَارٌ يُرِيْدُ اَنْ يَنْقُضَ . وَلَا اِرَادَةَ لِلْجِدَارِ . وَلَكِنَّهُ  
تَوَسَّعَ اَلْعَرَبُ فِي اَلْجَزَازِ فَعَبَرُوْا عَنْ اَلْجِمَادِ بِفِعْلِ الْاِنْسَانِ كَمَا قَالَ  
الرَّاجِزُ :

اِمْتَلَأَ اَلْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي

أَيِ كَفَانِي وَلَيْسَ لِلْخَوْضِ قَوْلٌ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الرَّاعِي الشَّاعِرِ النَّصْرَانِي :  
 فِي سَهْمِهِ قُلْتُ بِهِ هَامَاتُهَا فَلَقِيَ الْقَوْسُ إِذَا أَرَدَنَ قُصُولًا  
 وَالْعَرَبُ تُسَمِّي التَّهْيِءَ لِلْفِعْلِ وَالْإِحْتِيَاجَ إِلَيْهِ إِرَادَةً. وَكَذَلِكَ يَأْتُونَ  
 بِلفظِ الْمَاضِي وَهُوَ مُسْتَقْبَلٌ وَبِلفظِ الْمُسْتَقْبَلِ وَهُوَ مَاضٍ كَقَوْلِهِ : لَمْ  
 تَمُتْ لَنْ أَفِيَاءِ اللَّهِ أَيِ لَمْ تَمُتْ . وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :  
 فَادْرَكَتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَلْبِي وَلَمْ أَدْعُ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْقَصَائِدِ مُضِيغًا  
 أَيِ لِمَنْ يَكُونُ بَعْدِي . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ : وَكَانَ اللَّهُ غُفْرًا . أَيِ  
 كَانَ وَيَكُونُ وَهُوَ كَائِنْ أَلَانَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ . وَكَذَلِكَ يَأْتُونَ بِالْمَفْعُولِ  
 بِلفظِ الْفَاعِلِ فَيَقُولُونَ : سِرَّ كَاتِمٌ أَيِ مَكْتُومٌ . وَمَكَانٌ عَائِرٌ أَيِ  
 مَعْمُورٌ . وَمَاءٌ دَائِقٌ أَيِ مَذْقُوقٌ . وَعَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ أَيِ مَرْضِيَّةٌ . وَحَرَمٌ  
 آمِنٌ أَيِ مَأْمُونٌ . وَقَالَ جَرِيرٌ :  
 إِنَّ أَلْبِيَّةَ مَنْ تَمَلُّ كَلَامَهُ فَأَنْقَعُ فُؤَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَاقِعِ  
 أَيِ مِنْ حَدِيثِ الْوُجُوهِ . وَيَعْكُوسُونَ هَذَا الْفِعْلَ وَيَسْتَعْمِلُونَ  
 الْفَاعِلَ بِلفظِ الْمَفْعُولِ كَقَوْلِهِ : كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا أَيِ آتِيًا . وَكَقَوْلِهِ :  
 حِجَابٌ مُسْتَوْرٌ أَيِ سَائِرٌ . وَيَقْيِصُونَ الْأَسْمَ وَالْمَصْدَرَ مَقَامَ الْفَاعِلِ  
 وَالْمَفْعُولِ . فَقَوْلُ الْعَرَبِ : رَجُلٌ عَدْلٌ أَيِ عَادِلٌ . وَرِضَى أَيِ مَرْضِيٌّ .  
 وَبَنُو فَلَانٍ لَنَا سِلْمٌ أَيِ مُسَالِمُونَ . وَحَرْبٌ أَيِ مُحَارِبُونَ . ( وَكَذَلِكَ )  
 يَحْمِلُونَ اللَّفْظَ عَلَى الْمَعْنَى فِي تَذْكِيرِ الْمَوْتِ وَتَأْنِيثِ الْمَذَكَّرِ  
 فَيَذْكُرُونَ حُكْمَ ظَاهِرِ الْلفظِ وَيَحْمِلُونَهُ عَلَى مَعْنَاهُ كَمَا يَقُولُونَ : ثَلَاثَةٌ  
 أَنْفُسٌ . وَالنَّفْسُ مُؤَنَّثَةٌ وَفَاعِلُهَا عَلَى مَعْنَى الْإِنْسَانِ أَوْ مَعْنَى الشَّخْصِ

قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا عِنْدَنَا إِلَّا ثَلَاثَةٌ أَنفُسٌ      بِمِثْلِ النُّجُومِ ثَلَاثَاتٌ فِي الْخُنْدِيسِ  
وَكَمَا ذَكَرَ بَعْضُهُمُ الْكَفَّ وَهِيَ مُؤَنَّةٌ فِي قَوْلِهِ :  
أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّا      يَضُمُّ إِلَى كَشْحِيهِ كَفًّا مُحَضَّبًا  
فَحَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى الْغَضِّ وَهُوَ مُدَكَّرٌ . وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ :  
يَا أَيُّهَا الرَّكِيبُ الْتَزَجِي مَطِيئَتِهِ      سَائِلِ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ  
أَيَّ مَا هَذِهِ الْجَلْبَةُ . وَفِي الْقُرْآنِ : وَآخِيتَانِ بِهِ بَلَدَةٌ مَيْتَانِ .  
وَلَمْ يَقُلْ : مَيْتَةٌ لِأَنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى الْمَكَانِ . وَقَالَ : السَّمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ بِهِ .  
فَذَكَرَ السَّمَاءَ وَهِيَ مُؤَنَّةٌ لِأَنَّهُ حَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى السَّقْفِ . وَكُلُّ مَا  
عَلَكَ وَأَطْلَكَ فَهُوَ سَمَاءٌ

### البحث الحادي عشر

### في القول عن الكناية

( عن كتاب صناعة التمرسل والمثل السائر )

( راجع صفحة ٢٨ من علم الادب )

الْفَلْظَةُ إِذَا أُطْلِقَتْ وَكَانَ الْغَرَضُ الْأَصْلِيُّ غَيْرَ مَعْنَاهَا فَلَا يَحُورُ  
إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهَا مَقْصُودًا أَيْضًا لِيَكُونَ دَالًّا عَلَى ذَلِكَ الْغَرَضِ  
الْأَصْلِيِّ . وَإِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ كَذَلِكَ . فَالْأَوَّلُ هُوَ الْكِنَايَةُ وَيُقَالُ  
لَهُ : الْإِرْدَافُ . وَالثَّانِي الْحِجَازُ . فَالْكِنَايَةُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْيَسَانِ أَنْ  
يُرِيدَ الْمُتَكَلِّمُ اثْبَاتَ مَعْنَى وَنِ الْمَعْنَى فَلَا يَذْكُرُهَا بِالْفَلْظِ الْمَوْضُوعِ  
لَهُ فِي اللَّفْظِ وَلَكِنْ يُحْيِي إِلَى مَعْنَى هُوَ قَائِلٌ بِهِ وَرِدْقُهُ فِي الْوُجُودِ



فَيُؤَيِّ بِهٖ اِلَيْهِ وَيَجْعَلُهُ دَلِيلًا عَلَيْهِ

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْكِنَايَةَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ السِّرِّ . يُقَالُ : كُنَيْتُ الشَّيْءَ إِذَا سَرَّتُهُ . وَاجْرِيَ هَذَا الْحُكْمُ فِي الْأَلْفَاطِ الَّتِي يُسْتَرُّ فِيهَا الْحِجَازُ بِالْحَقِيقَةِ فَتَكُونُ دَلَالَةً عَلَى السَّائِرِ وَعَلَى الْمُسْتَوْرٍ مَعَهُ . وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْتَوْرَ فِيهَا هُوَ الْحِجَازُ لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ تُفْهَمُ أَوَّلًا وَيَسَّرَعُ أَفْهَمُ إِلَيْهَا قَبْلَ الْحِجَازِ . لِأَنَّ دَلَالََةَ اللَّفْظِ عَلَيْهَا دَلَالَةٌ وَضَعِيَّةٌ . وَأَمَّا الْحِجَازُ فَإِنَّهُ يُفْهَمُ مِنْهُ بَعْدَ فَهْمِ الْحَقِيقَةِ وَأَنَّا يُفْهَمُ بِالنَّظَرِ وَالْفِكْرَةِ وَبِهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ لِأَنَّهُ عُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ . فَالْحَقِيقَةُ أَظْهَرَ وَالْحِجَازُ أَخْفَى وَهُوَ مُسْتَوْرٌ بِالْحَقِيقَةِ . وَقَدْ تَأَوَّلَتْ الْكِنَايَةَ بِغَيْرِ هَذَا وَهِيَ أَنَهَا تَأْخُودَةُ مِنَ الْكُنْيَةِ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا : أَبُو فُلَانٍ . فَإِنَّا إِذَا نَادَيْنَا رَجُلًا أَسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَلَهُ وَلَدٌ أَسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَقُلْنَا : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . كَانَ ذَلِكَ مِثْلَ قَوْلِنَا : يَا عَبْدَ اللَّهِ . فَإِنْ شِئْنَا نَادَيْنَاهُ بِهَذَا وَإِنْ شِئْنَا نَادَيْنَاهُ بِهَذَا وَكِلَاهُمَا وَاقِعٌ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي الْكِنَايَةِ فَإِنَّا إِذَا شِئْنَا حَمَلْنَاهَا عَلَى جَانِبِ الْحِجَازِ . وَإِنْ شِئْنَا حَمَلْنَاهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ . إِلَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْوَصْفِ الْجَامِعِ بَيْنَهُمَا لِئَلَّا يَلْحَقَ بِالْكِنَايَةِ مَا آتَى مِنْهَا وَمِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : هُوَ طَوِيلُ النِّجَادِ وَكَثِيرُ رِمَادِ الْقَدْرِ . يَعْنُونَ بِهِ أَنَّهُ طَوِيلُ أَلْهَامَةٍ كَثِيرِ الْفَرَى فَلَمْ يَذْكُرِ الْمُرَادَ بِلَفْظِهِ الْخَاصِّ بِهِ وَلَكِنْ تَوَصَّلُوا إِلَيْهِ بِذِكْرِ مَعْنَى آخَرِهِ هُوَ رِدْءُهُ فِي الْوُجُودِ . أَلَا تَرَى أَنَّ أَلْهَامَةً إِذَا طَالَتْ طَالَ النِّجَادُ . وَإِذَا كَثُرَ الْفَرَى كَثُرَ رِمَادُ الْقَدْرِ . وَكَقَوْلِ الْخَضْرَمِيِّ :

قَدْ كَانَ يُحِبُّ بَعْضَهُنَّ بَرَأْعِي حَتَّى رَأَيْنَ تَتَخَفِي وَسُعَالِي  
كَتَبَ عَنْ كَيْدِ النَّسْرِ بِتَوَابِعِهِ وَهِيَ السَّخْمُ وَالسُّعَالُ. وَالْكِنَايَةُ  
تَكُونُ فِي الثَّبَتِ كَمَا ذَكَرْنَا وَقَدْ تَكُونُ فِي الْإِثْبَاتِ. وَهِيَ مَا إِذَا  
حَاوَلُوا إِثْبَاتَ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي لِشَيْءٍ فَيَنْتَكُونُ التَّصْرِيحَ بِإِثْبَاتِهِ لَهُ  
وَيُثْبِتُونَهُ لِمَا لَهُ بِهِ تَعَلُّقٌ كَقَوْلِهِمْ : الْحَجْدُ بَيْنَ تَوْنِهِ وَالْكَرْمُ بَيْنَ  
بُرْدِيهِ. وَقَوْلُهُ :

إِنَّ الْمَرْوَةَ وَالسَّاحَةَ وَاللَّدَى فِي قَبَّةٍ ضَرَبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ  
وَهَظِيرُهُ قَوْلُ يَزِيدَ بْنِ الْحَكَمِ يَدْحُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَهُوَ فِي  
حَسَنِ الْحَاجِّ :

أَصْبَحَ فِي قَيْدِكَ السَّلَامَةُ وَالْحَجْدُ وَفَضْلُ الصَّلَاحِ وَالْحَسْبُ  
وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ : مَكَانُ الْقَيْدِ هُنَا هُوَ مَكَانُ الْقَبَّةِ فِي أَلْبَيْتِ  
الْمُقَدَّمِ. وَقَدْ يَجْتَمِعُ بِالْأَيْتِ الْوَاحِدِ كِنَايَاتَانِ : الْفَرَسُ مِنْهُمَا وَاحِدٌ  
وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَصْلٌ بِنَفْسِهَا كَقَوْلِهِ :

وَمَا يَكُ فِي مِنْ عَيْبٍ فَلَا فِي جَبَانِ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكِنَايَةَ جُزْءٌ مِنَ الْأِسْتِعَارَةِ وَلَا تَأْتِي إِلَّا عَلَى حُكْمِ  
الْإِسْتِعَارَةِ خَاصَّةً لِأَنَّ الْأِسْتِعَارَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِحَيْثُ يُطَوَّى ذِكْرُ  
الْمُسْتَعَارِ لَهُ. وَكَذَلِكَ الْكِنَايَةُ فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا بِحَيْثُ يُطَوَّى  
ذِكْرُ الْمَكْنِيِّ عَنْهُ وَنِسْبَتُهَا إِلَى الْأِسْتِعَارَةِ نِسْبَةُ خَاصٍ إِلَى عَامٍ .  
فَيُقَالُ : كُلُّ كِنَايَةٍ إِسْتِعَارَةٌ . وَلَيْسَ كُلُّ إِسْتِعَارَةٍ كِنَايَةً . وَيُفْرَقُ  
بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهِ آخَرٍ وَهُوَ : أَنَّ الْأِسْتِعَارَةَ لَفْظُهَا صَرِيحٌ . وَالْكَنَايَةُ

هُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِهِ وَالْكِنَايَةُ ضِدُّ الصَّرِيحِ لِأَنَّهَا عُذُولٌ عَنْ  
ظَاهِرِ اللَّفْظِ . وَهَذِهِ ثَلَاثَةُ فُرُوقٍ أَحَدُهَا : الْخُصُوصُ وَالْعُمُومُ .  
وَالْآخَرُ الصَّرِيحُ . وَالْآخَرُ الْحَمْلُ عَلَى جَانِبِ الْحَقِيقَةِ وَالْإِجْازِ . وَقَدْ  
تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي بَابِ الِاسْتِعَارَةِ أَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْإِجْازِ . وَعَلَى ذَلِكَ  
وَتَكُونُ نِسْبَةُ الْكِنَايَةِ إِلَى الْإِجْازِ نِسْبَةً جُزْءِ الْجُزْءِ وَخَاصِ الْخَاصِ  
وَقَدْ يَأْتِي فِي الْكَلَامِ مَا يُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ  
اسْتِعَارَةً . وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ النَّظَرِ إِلَيْهِ فِي مُفْرَدِهِ وَالنَّظَرِ إِلَى  
مَا بَعْدَهُ كَقَوْلِ فَضْرَيْنِ سَيَّارٍ فِي آيَاتِهِ الشَّهُورَةِ الَّتِي يُجَرِّصُ بِهَا بَنِي  
أُمَيَّةٍ عِنْدَ خُرُوجِ أَبِي مُسْلِمٍ :

أَرَى خَلَلَ الرَّمْلِ وَمِيزَ جَبْرِ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ

### البحث الثاني عشر

#### في التعريض

( من المثل السائر لابن الاثير بتصرف )

( راجع صفحة ٣٧ من طلم الادب )

قَدْ تَكَلَّمَ عُلَمَاءُ أَلْيَانٍ فِي التَّعْرِيزِ فَوَجَدْتُهُمْ قَدْ خَلَطُوا  
التَّعْرِيزَ بِالْكِنَايَةِ وَلَمْ يَفَرِّقُوا بَيْنَهُمَا وَلَا أَحَدُوا كَلَامًا مِنْهُمَا بِحَدِّ  
يَفْضُلُهُ عَنْ صَاحِبِهِ . بَلْ أَوْرَدُوا لَهَا أَمَثِلَةً مِنَ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ وَأَدْخَلُوا  
أَحَدَهُمَا فِي الْآخَرِ . فَذَكَرُوا لِلْكِنَايَةِ أَمَثِلَةً مِنَ التَّعْرِيزِ وَلِلتَّعْرِيزِ  
أَمَثِلَةً مِنَ الْكِنَايَةِ . فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ الْغَالِييُ وَأَبْنُ سَيَّانٍ وَالْحَفْلَجِيُّ  
وَالْعُسْكُرِيُّ . وَسَاذَكَرُ مَا عُدِي فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا وَأَمَيَّزَ أَحَدَهُمَا

عَنْ الْآخِرِ يُعْرِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى أَقْرَادِهِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْكِتَابَةَ إِذَا  
وَرَدَتْ تَجَادَبَهَا جَانِبًا حَقِيقَةً وَجَازٍ . وَجَازَ حَمَلُهَا عَلَى الْجَانِبَيْنِ مِمَّا قَصَحُ  
بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَعْنَى وَلَا يَحْتَلُّ . وَالْدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْكِتَابَةَ فِي  
أَصْلِ الْوَضْعِ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَتُرِيدَ غَيْرُهُ . يُقَالُ : كُنْتُ بِكَذَا  
عَنْ كَذَا . فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ وَعَلَى مَا أَرَدْتُ مِنْ غَيْرِهِ .  
وَأَمَّا التَّعْرِيزُ فَهُوَ اللَّفْظُ الدَّلَالُ عَلَى الشَّيْءِ مِنْ طَرِيقِ الْمَفْهُومِ  
لَا بِالْوَضْعِ الْحَقِيقِيِّ وَلَا الْجَازِيِّ . فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ لِمَنْ تَتَوَقَّعُ  
صِلَتَهُ وَمَعْرُوفَهُ بَعْدَ طَلَبٍ : إِنِّي لَحَاجٌّ وَلَيْسَ فِي يَدَيَّ شَيْءٌ وَأَنَا  
عَرِيَانٌ وَأَلْبَرْدُ قَدْ آذَانِي . فَإِنَّ هَذَا وَاشْبَاهَهُ تَعْرِيزٌ بِالطَّلَبِ وَلَيْسَ  
هَذَا اللَّفْظُ مَوْضُوعًا فِي مُعَابَلَةِ الطَّلَبِ لِحَقِيقَةٍ بَلْ جَازًا . إِنَّمَا دُلُّ  
عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الْمَفْهُومِ بِخِلَافِ دَلَالَةِ الْكِتَابَةِ فَإِنَّهَا لَفْظِيَّةٌ وَضَعِيَّةٌ  
مِنْ جِهَةِ الْجَازِ . وَإِنَّمَا سَمِيَ التَّعْرِيزُ قَرِيبًا لِأَنَّ الْمَعْنَى فِيهِ يُفْهَمُ  
مِنْ عَرَضِهِ أَيْ مِنْ جَانِبِهِ . وَمِنْ لَطِيفِ التَّعْرِيزَاتِ الْأَدَبِيَّةِ مَا  
يُرَوَّى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : أَنَّهُ كَانَ يُخِطُّ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَخَلَّ عُثْمَانُ  
أَبْنُ عَتَّانَ . فَقَالَ عُمَرُ : آيَةُ سَاعَةٍ هَذِهِ . يُرِيدُ التَّعْرِيزُ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ  
لِتَأْخُذَهُ عَنِ الْحَيِّ إِلَى الصَّلَاةِ . وَهُوَ مِنَ التَّعْرِيزِ الْمَرْبُوبِ عَنِ  
الْأَدَبِ . وَمِنْ أَمَثَلِهِ الشَّعْرِيَّةُ قَوْلُ الْحَاجِّ يُعْرِضُ بَيْنَ تَقَدُّمِهِ  
مِنَ الْأَمْرَاءِ :

لَسْتُ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ وَلَا بِجَوَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمٍّ

# البحث الثالث عشر

## في ما ورد من الكنايات عن العرب

( عن كتاب الكناية للتمالي وكتاب الصانعين للعسكري )

إِطْلَمَ أَنَّ الْعَرَبَ يَلْحَقُونَ إِلَى الْكِنَايَةِ إِذَا مَا أَرَادُوا التَّعْرِيضَ  
عَمَّا يُسْتَفْهِجُ ذِكْرَهُ فَيَكْنُونُ عَنِ الْأَعْوَرِ بِالْمُتَعَمَّرِ . وَعَنِ الْإِذِي فِي عَيْنِهِ  
نُكْتَةً يَبَاضُ بِالسُّكُوكِ . وَعَمَّنْ فِي وَجْهِهِ أَثَرُ ضَرْبَةٍ بِالْمَشْطَبِ .  
وَالْيَعْضُومُ فِي الْبَرْصِ :

لَحُوتُكُمْ أَعَارَكُ مِنْهُ تَوْبًا هَيْنًا بِالْقَيْصِرِ السُّنَجِدِ

أَرَادَ بِإِخَى لَحْمٍ جَدِيَّةَ الْبَرْصِ . وَالصَّاحِبِ فِي الْحَرْبِ :

أَبَا أَلْعَلَاءَ هَلَالُ الْهَزْلِ وَالْجِدِ كَيْفَ الْجُومُ الَّتِي يَطْلَعْنَ فِي الْجِلْدِ  
وَيَكْنَى عَنِ الْحَوْلِ بِالتَّأَخُّرِ . قَالَ الدُّوَلِيُّ :

بَيْضُ الطَّابِخِ لَا تَشْكُو إِمَاؤُهُمْ طَلَجَ الْقُدُورِ وَلَا غَسَلَ الْمَادِيلِ  
قَالَ آخَرُ :

يَتَابُ طَابِخٌ إِذَا أُنْتُخِثَ أَنْتَى بَيَاضًا مِنْ الْقَرَاطِيسِ

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيُّ :

فَتَى مُخْتَصِرُ الْمَأْكُورِ لِ الشَّرُوبِ وَالْطَّرِ

فَتَى الْكَاسِ وَالْقَضَةِ مِ الْمَدِيلِ وَالْقَدْرِ

وَيَكْنُونُ عَنِ الْجَاهِلِ بِأَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَرْجِحِينَ . وَيُرْوَى أَنَّ خِلَافًا

وَقَعَ بَيْنَ بَعْضِ الْخُلَفَاءِ وَبَيْنَ نَدِيمٍ لَهُ فِي مَسْأَلَةٍ . فَاتَّفَقَا عَلَى رَأْيِ

بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ فَأُخْضِرَ . فَوَجَدَ الْحَقِيقَةَ مُخْطِئًا فَقَالَ : الْقَائِلُونَ

يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرُ (يُرِيدُ الْجَمَالَ) . وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ أَحْمَقَ  
 قِيلَ : نَعْتُهُ لَا يَتَصَرَّفُ . وَكَانَ قَابُوسُ بْنُ وَشْكِيَرٍ إِذَا وَصَفَ  
 رَجُلًا بِالْبَلَّةِ قَالَ : هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . وَيَقُولُونَ : فَلَانٌ خَفِيفٌ  
 عَلَى الْقَلْبِ يُرِيدُونَ مَقُولًا وَهُوَ أَثْقِيلٌ . وَكَانَ النَّاصِرُ الْأَعْلَوِيُّ  
 الْأَطْرُوشُ إِذَا خَاطَبَهُ أَحَدٌ فَلَمْ يَسْمَعْ قَالَ لَهُ : أَرْفَعُ صَوْتَكَ فَإِنَّ بِأُذُنِي  
 بَعْضَ مَا يَرْجُوكَ . وَظَهَرَ الْأَبْدِيُّ إِلَى رَجُلٍ طَوِيلٍ بَارِدٍ  
 فَقَالَ : قَدْ أَقْبَلَ لَيْلُ الشِّتَاءِ . وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ وَقَدْ  
 أَتَشَعَّرَ . فَقَالَ : مَا تَجِدُ فِدَيْتُكَ . قَالَ : لِحْدُكَ (يَعْنِي الْبَرْدَ) .  
 وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ كَذُوبًا قِيلَ : الْفَاحِشَةُ عِنْدَهُ أَبُو ذَرٍّ (يُضْرَبُ  
 الْمَثَلُ بِالْفَاحِشَةِ فِي الْكُذْبِ وَبِأَيِّ ذَرٍّ فِي الصِّدْقِ) . وَيَقُولُونَ أَيْضًا :  
 فَلَانٌ يَلْطِمُ عَيْنَ مِيزَانٍ . (وَمِيزَانُ رَجُلٍ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْكُذْبِ) .  
 وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ لَوْلًا قِيلَ : هُوَ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ مُوسَى . وَإِذَا كَانَ  
 مُجِدًّا قِيلَ : قَدْ عَبَّرَ (يُرِيدُونَ جِسْرَ الْإِيمَانِ) . قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : هَلْ  
 عَبَّرْتَ . قَالَ : فِي ذَلِكَ أَجْلَابٍ وَوَلَّتْ . وَإِنْ كَانَ يُسَمَّى الْأَدَبَ  
 فِي الْمَوَاطَلَةِ قِيلَ : تُسَافِرُ يَدُهُ عَلَى الْحَوَانِ وَرَعَى أَرْضَ الْجِيرَانِ .  
 فَإِنْ كَانَ خَفِيفَ أَلْيَدٍ فِي الطَّرِيقِ وَالسَّرِيقَةِ . قَالُوا : هُوَ أَحَدُ يَدِ  
 الْقَيْصِرِ (وَيَدُ الْقَيْصِرِ الْكُمُ وَالسَّارِقُ يُقَصِّرُهُ لِيَكُونَ أَقْدَرًا عَلَى  
 مَا يُرِيدُ مِنْ سَرِقَةٍ) . فَإِذَا كَانَ قَلَّ الْقَوْبُ قِيلَ : فَلَانٌ يَعْزُضُ  
 الصَّيْدَ . قَالَ الصَّاحِبُ :

وَحُوشُهُ تَرْتَعُ فِي جَنْبِهِ      وَظُفْرُهُ يَرْكَبُ لِلصَّيْدِ

وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ شَاعِرٌ وَلَيْسَ يُحِيدُ قَالُوا: هُوَ نَبِيٌّ فِي الشِّعْرِ.  
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي الشِّعْرِ م وَيَأْمَنُ فِيهِ يُكْرَمُ  
أَنْتَ مِنْ أَشْعَرِ خَلْقِ اللَّهِ م مَا لَمْ تَتَّكَلَّمْ  
وَيُقَالُ : فَلَانُ رَابِعُ الشُّعْرَاءِ . إِذَا كَانَ مُتَحَلِّفًا مُخْطَأَ الطَّبَقَةِ  
لِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

الشُّعْرَاءُ : فَأَعْلَمَنَّ أَرْبَعَهُ فَشَاعِرٌ يَجْرِي وَلَا يُجْرَى مَعَهُ  
وَشَاعِرٌ يُنْشِدُ وَسْطَ الْجَمْعَةِ وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَسْمَعَهُ  
وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَضَعَهُ

وَسُئِلَ حَاتِكٌ عَنْ صِنَاعَتِهِ فَقَالَ : كُنُوزُ الْأَحْيَاءِ وَجَهَازُ الْأَمْوَالِ .  
وَيَكُونُونَ عَنْ الْقُرُوبِ بِاخْضَرِ الْأَسَانِ مِنْ كَثَرَةِ أَكْلِ الْبَقْلِ .  
وَسُئِلَ حُجَّامٌ عَنْ صِنَاعَتِهِ . فَقَالَ : أَكْتُبُ بِالْحَدِيدِ وَأَخْتِمُ بِالزُّجَاجِ .  
وَفِيهِ قِيلَ :

يَا ابْنَ الَّذِي عَاشَ غَيْرَ مُضْطَهَدٍ بِرَحْمَةِ اللَّهِ أَيُّمَا رَجُلٍ  
أَبُوكَ أَوْهَى التَّجَادُ عَاتِقَهُ كَمْ مِنْ كَيْمِيٍّ أَدْمَى وَكَمْ بَطَلٍ  
لَهُ رِقَابُ الْمُلُوكِ خَاضَعَةٌ مِنْ بَيْنِ حَافٍ وَبَيْنِ مُسْتَعِلٍ  
يَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ دَمِهِ لَمْ يُمَسِّ مِنْ تَأْوِيلٍ عَلَى وَجَلٍ (١)  
وَيُقَالُ عَمَّنْ يُكْثِرُ الْأَسْفَارَ : فَلَانٌ لَا يَضَعُ الْعَصَا عَنْ عَاتِقِهِ .  
وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ : ائْتِجِبْ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ . فَإِنَّهُ

كُنِيَ عَنِ الْغَيْبَةِ بِأَكْلِ الْإِنْسَانِ لَحْمَ الْإِنْسَانِ . وَهَذَا شَدِيدُ  
الْمُنَاسَبَةِ لِأَنَّ الْغَيْبَةَ إِنَّمَا هِيَ ذِكْرُ مَتَالِبِ النَّاسِ وَتَمَرُّقُ أَعْرَاضِهِمْ  
وَتَمَرُّقُ الْعَرَضِ تَمَثُّلٌ لِأَكْلِ الْإِنْسَانِ لَحْمَ مَنْ يَفْتَابُهُ . وَمِنْ  
أَمْثَالِ الْعَرَبِ قَوْلُهُمْ : لَيْسَ لِفُلَانٍ جِلْدُ الثَّوْرِ وَجِلْدُ الْأَرْقَمِ . كَيْفَاةٌ  
عَنِ الْعِدَاوَةِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : قَلْبَ لَهُ ظَهَرَ الْحَيَّةِ كَيْفَاةٌ عَنِ  
نَعْيِ الْمَوَدَّةِ . وَمِنْ ظُرُوفِ الْكِنَايَاتِ مَا جَاءَ عَنِ الْجَمَازِ وَقَدْ قِيلَ  
لَهُ : أَيُّ الْبَقُولِ أَحَبُّ إِلَيْكَ . فَقَالَ : بَقْلَةُ الذَّنْبِ ( يَنْبِي الْحَمَّ ) .  
وَرَأَى رَجُلٌ مِنْ أَصْفَاهُ يُطْلُونَ الْغَاءَ وَلَا يَأْتُونَ بِالْأَكْلِ فَقَالَ :

خَلِيلِي دَاوِيَّتًا ظَاهِرًا قَمْنٌ ذَا يَدَاوِي جَوَى بَاطِنًا  
فَصَلُّوا أَنَّهُ جَانِعٌ . وَأُخِذَ عَنِ الْجَلِظِ أَنَّهُ أَكَلَ مَعَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ  
الْمَلِكِ الزُّبَيَّاتِ فَالْوَدَجَةُ فَأَمَرَ ابْنُ الزُّبَيَّاتِ أَنْ يُجْعَلَ بَيْنَ يَدَيْ الْجَلِظِ  
مَا رَقَّ مِنَ الْجَلَمِ . فَاسْرَعَ فِي الْأَكْلِ حَتَّى خَلَفَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ  
أَبُو مُحَمَّدٍ : يَا أَبَا عُثْمَانَ قَدْ تَقَشَّعَتْ سَمَائُكَ . فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ  
لِأَنَّ غَيْبَهَا كَانَ رَقِيقًا . وَكَذَلِكَ يُقْبُونَ وَصْفَ الشَّيْءِ مَقَامَ أَسْمِهِ  
كَمَا قَالَ : حَمَلَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِ وَدَسَّرَ . يَنْبِي السَّفِينَةَ فَوَضَعَ  
صِفَتَهَا مَوْضِعَ تَسْمِيَّتِهَا . وَقَالَ : إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافَاتُ  
الْحَيَادُ . يَنْبِي الْخَيْلَ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ :

سَأَلْتُ قُتَيْبَةً عَنْ آيَةٍ صَحَبَهُ فِي الرُّوحِ هَلْ رَكِبَ الْأَغْرَ الْأَشْقَرَا  
يَعْنِي هَلْ قُبِلَ . وَالْأَغْرُ الْأَشْقَرُ وَصْفُ الدَّمِ فَأَقَامَهُ مَقَامَ أَسْمِهِ .  
وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَحَدِّثِينَ :



سِتُّ بَرَقَ الْوَزِيرُ فَانْهَلَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَرَبًّا إِلَى الْأَقْدَامِ  
فَكَأَنِّي وَقَدْ تَقَاعَصَرْتُ بِكُلِّ خَاطِطٍ فِي عُبَابِ أَخْضَرِ طَائِي  
يَعْنِي الْحَجْرَ وَقَالَ الْحَجَّاجُ لَابْنِ الْقُبَيْثِيِّ : لَأَحْمِلَنَّكَ عَلَى الْأَذْهَمِ .  
يَعْنِي الْقَتْلَ . فَجَاهَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الْمَنْصُورَ كَانَ فِي بُسْتَانٍ  
لَهُ وَهُوَ فِي أَيَّامِ مُحَارَبَتِهِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ وَنَظَرَ إِلَى  
شَجَرَةٍ خِلَافَ فَقَالَ لِلرَّبِيعِ : سَاهِذِهِ الشَّجَرَةَ . فَقَالَ : طَاعَةٌ يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ بِهِ وَغَجِبَ مِنْ ذَلِكَ . وَمِثْلُ ذَلِكَ : أَنَّ  
رَجُلًا مَرَّ فِي صَحْنِ دَارِ الرَّشِيدِ وَمَعَهُ خُزْمَةٌ خَيْرَانٍ . فَقَالَ الرَّشِيدُ  
لِلْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ : مَا ذَلِكَ . فَقَالَ : عُزُوقُ الزَّمَاحِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .  
وَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ لَخَيْرَانٍ لِمُوَافَقَتِهِ اسْمَ وَالِدَةِ الرَّشِيدِ . وَمِنْ كَلَامِ  
الْعَرَبِ أَيْضًا فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِهِمْ : فَلَانُ نَقِي الثُّوبِ . رُيْدُونُ بِهِ  
أَنَّهُ لَا عَيْبَ فِيهِ وَلَيْسَ بِمَوْضِعِ نَقَاءِ الثُّوبِ الْعَرَاءِ مِنَ الْعَيْبِ وَإِنَّمَا  
اسْتَعْمِلَ فِيهِ تَمْثِيلًا . وَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

يَتَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةً وَأَوَجَّهُهُ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ غَرَاتُ  
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : فَلَانُ طَاهِرِ الثُّوبِ . رُيْدُونُ أَنَّهُ لَيْسَ بِجَائِنٍ  
وَلَا غَادِرٍ . وَفَلَانُ دَنَسُ الثُّوبِ إِذَا كَانَ غَادِرًا فَاجِرًا . وَقَوْلُهُمْ : طَيْبُ  
الْحُجْرَةِ أَيْ عَافٍ . قَالَ اللَّيْثُ يَعْنِي بَنِي غَسَّانَ النَّصَارَى :

رَفَاتُ الْبَيْتِ طَيْبٌ حُجْرَتُهُمْ يَحْيِيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِيبِ  
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : إِذَا قَالَتِ الْعَرَبُ : الثُّوبُ وَالْأَرَارُ . فَإِنَّهُمْ

يُرِيدُونَ الْبَدَنَ . وَيَقُولُونَ : فَلَانٌ أَوْسَعُ بَنِي أُمَيَّةَ ثَوْبًا . أَيُ أَكْثَرُهُمْ  
مَعْرُوفًا . وَفُلَانٌ غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا كَانَ كَثِيرًا الْمَعْرُوفِ . قَالَ كَثِيرٌ :  
غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ صَاحِكًا غُلَقَتْ لِيَصْحَكْتَهُ رِقَابُ أَلْمَالِ  
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : فَلَانٌ رَحْبُ الدَّرَاعِ . وَمِنَ الْكِنَايَاتِ  
الْأَطْيَفَةُ مَا ذَكَرَهَا الْأَدَبَاءُ فِي الشَّيْبِ وَالْكِبَرِ . فَيَقُولُونَ : عَرَضَتْ  
إِفْلَانٌ قَتَرَةً . عَرَضَ لَهُ مَا يَحْوِذُ نَوْبَهُ وَيُكَفِّرُ سَيِّئَاتِهِ . أَقْرَبَ إِلَيْهِ نَوْدَ  
غُصْنِ شَبَابِهِ . فَضَضَ الزَّمَانُ أَبْنُسَهُ . وَجَاءَهُ الْكَذِيرُ . وَقَرَعَ نَاجِدًا  
أَلْحَلِمَ . وَارْتَضَ بِلِحَامِ الْفَحْرِ . أَدْرَكَ زَمَانُ الْحُكْمَةِ . رَفَضَ غِرَّةَ  
الْصَبِيِّ وَلَبَّى دَاعِيَ الْحَيِّ . وَمِنَ كِنَايَاتِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ : أَسَاءَتْ أَلَّهُ بِهِ .  
أَسَعَدَهُ اللَّهُ بِجَوَارِهِ . نَقَلَهُ إِلَى دَارِ رِضْوَانِهِ . وَحَلَّ غُرَابِهِ . انْتَقَلَ إِلَى  
جَوَارِ رَيْهِ وَأَقْلَبَ إِلَى مَحَلِّ غَفْوِهِ . اخْتَارَ لَهُ الثَّقَلَةَ مِنْ دَارِ الْبَوَارِ  
إِلَى دَارِ الْأَبْرَارِ

## البحث الرابع عشر

### في المبالغة

( عن بديعة الحموي وكتاب الصناعتين للعسكري )

( راجع صفحة ٣٩ من علم الادب )

الْمَبَالِغَةُ تَوْعٌ مَعْدُودَةٌ مِنْ مَحَاسِنِ فَنِّ الْكِتَابَةِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَاسْتَدَلُّوا  
عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ مَنْ قَالَ : أَحْسَنُ الشَّعْرِ كَذِبُهُ . وَيَقُولُ النَّابِغَةُ  
الَّذِي يَأْتِي : أَشْعَرُ النَّاسِ مَنْ أُشْجِدَ كَذِبُهُ . وَهَنَهُمْ مَنْ لَمْ يَعُدَّ

الْمُبَالَغَةُ مِنْ حَسَنَاتِ الْكَلَامِ وَمَشَى فِي ذَلِكَ عَلَى مَذْهَبِ حَسَنٍ  
أَبْنِ تَابِتٍ فَإِنَّهُ قَالَ :

وَأَمَّا الشَّعْرُ فَعَلُ الْوَرْدِ يَعْزُضُهُ عَلَى الْأَنَامِ فَإِنْ كُنِسًا وَإِنْ حُمَمًا  
وَرَأَى أَشْعَرَ يَبْتَ أَنْتَ قَائِلُهُ يَبْتُ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا  
وَعِنْدَ أَهْلِ هَذَا الْمَذْهَبِ أَنَّ الْمُبَالَغَةَ لَمْ تُسْفَرْ عَنْ غَيْرِ التَّهْوِيلِ  
عَلَى السَّامِعِ وَلَمْ يَبْرَأِ الْبَاطِلُ إِلَى التَّخْيِيمِ عَلَيْهَا إِلَّا بِحُزْنِهِ وَقُصُورِ هِمَّتِهِ  
عَنْ أَخْبِرَاعِ الْمَعَانِي الْبَتَكْرَةِ . لِأَنَّهَا فِي صِنَاعَةِ الشَّعْرِ كَالِاسْتِرَاحَةِ وَنَ  
الشَّاعِرِ إِذَا أَعْيَاهُ إِرَادُ الْمَعَانِي الْغَرِيبَةِ فَيَسْهُلُ الْأَمْعَاعُ بِمَا هُوَ مُحَالٌ  
وَتَهْوِيلٌ . وَقَالُوا : رَبَّمَا إِنَّمَا أَحَالَتِ الْمَعَانِي فَأَخْرَجَتْهَا عَنْ حَدِّ الْكَلَامِ  
الْمُمْكِنِ إِلَى حَدِّ الْإِمْتِنَاعِ . وَالْمُبَالَغَةُ تُعَابُ فِي بَابِهَا إِذَا خَرَجَتْ عَنْ  
حَدِّ الْإِمْكَانِ إِلَى الْإِسْتِحْجَاةِ وَآتَى الْكَلَامُ عَلَى حَيْثَا فِي مَوْجِعِهِ .  
وَالَّذِي أَقُولُهُ : إِنَّ الْمُبَالَغَةَ مِنْ مَحَاسِنِ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ وَلَمْ يَسْتَطِرِدْ  
فِي حَلَلَاتِ سَبْقِهَا إِلَّا لِحَوْلِ هَذِهِ الصِّاعَةِ . وَلَوْ سَلَمْنَا إِلَى مَنْ يَحْضُمُ  
جَانِبَهَا وَلَمْ يَعْلَمْ مِنْ حَسَنَاتِ الْكَلَامِ بَطَلَتْ بِلَاغَةُ الْإِسْتِعَارَةِ  
وَأَحْطَتْ رُبَّةُ التَّشْبِيهِ . وَتَسْيِةُ الْمُبَالَغَةِ مَنُوبَةٌ إِلَى قُدَامَةِ . وَمِنْهُمْ  
مَنْ سَمَّى هَذَا النَّوعَ التَّيْلِيفِ . وَسَمَاهُ ابْنُ الْمُعْتَدِلِ : الْإِفْرَاطُ فِي الصِّفَةِ .  
وَهَذِهِ التَّسْيِةُ طَابَتْ أَلْسِنَتُهُ . وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ رَغَبُوا فِي تَسْمِيَةِ  
قُدَامَةِ لِحْتَتَا . وَهَذَا النَّوعُ أَعْنِي الْمُبَالَغَةَ شَرَكُهُ قَوْمٌ مَعَ الْإِغْرَاقِ  
وَالْتَّلَوِ لَعَدِمَ مَعْرِقَةُ الْفَرْقِ وَهُوَ مِثْلُ الصُّنْجِ ظَاهِرٌ . ( وَالْمُبَالَغَةُ )  
فِي الْأَصْطِلَاحِ هِيَ إِفْرَاطُ وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُمْكِنِ الْقَرِيبِ وَقُوَّةِ

عَادَةً . ( وَالْإِغْرَاقُ ) وَصَفُ الشَّيْءِ بِالْمُمْكِنِ الْبَعِيدِ وَفُوعُهُ عَادَةً .  
 ( وَالْعُلُوُّ ) وَصْفُهُ بِمَا يَسْتَحِيلُ وَفُوعُهُ وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ  
 الثَّلَاثَةِ فِي مَوْضِعِهِ . وَقَدْ تَقَرَّرَ أَوَّلًا أَنَّ الْمُبَالَغَةَ نَوْعَانِ مَبْنِيَّ عَلَى  
 وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُمْكِنِ الْقَرِيبِ وَفُوعُهُ . وَحَدَّ قُدَامَةُ الْمُبَالَغَةَ فَقَالَ :  
 هِيَ أَنْ يَذْكُرَ الْمُتَكَلِّمُ حَالًا مِنَ الْأَحْوَالِ لَوْ وَصَفَ عِنْدَهَا لَأَجْزَأَتْ  
 فَلَا يَقِفُ حَتَّى يَزِيدَ فِي مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ مَا يَكُونُ أَبْلَغَ مِنْ مَعْنَى قَصْدِهِ  
 كَقَوْلِ عُثَيْدِ بْنِ كَرِيمٍ التَّنَائِي :

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِيْنَا وَنُسَبِّعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَا لَا  
 وَقَالَ : إِنَّ هَذَا أَلَيْتَ مِنْ أَحْسَنِ الْمُبَالَغَةِ عِنْدَ الْخِذَاقِ . فَإِنَّ  
 الشَّاعِرَ بَلَغَ فِيهِ إِلَى أَقْصَى مَا يُمْكِنُ مِنْ وَصْفِ الشَّيْءِ وَتَوَصَّلَ إِلَى  
 أَكْثَرِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ قَطْطَاهُ . وَلَحِصَ بَعْضُهُمْ بِعِبَارَةِ الْخِذِ الَّذِي حَدَّهُ  
 قُدَامَةُ وَقَالَ : الْمَغْنَى إِذَا زَادَ عَلَى التَّامِّ سُبْحِي مُبَالَغَةً . وَقَالَ ابْنُ  
 رَشِيْقٍ فِي الْعُنْدَةِ : الْمُبَالَغَةُ بُلُوغُ الشَّاعِرِ أَقْصَى مَا يُمْكِنُ فِي وَصْفِ  
 الشَّيْءِ . قُلْتُ عَلَى هَذَا التَّقْرِيرِ : فَبَلُّ الْقَصْدِ فِي الْمُبَالَغَةِ الْإِمْكَانُ  
 وَالْخُرُوجُ مِنَ السُّتَحْيِيلِ . وَالْمَذْهَبُ الصَّحِيحُ فِيهَا أَنَّهَا ضَرْبٌ مِنَ  
 الْحَاسِنِ إِذَا بُدِئَتْ عَنِ الْإِغْرَاقِ وَالْعُلُوِّ . وَإِنْ كَانَ الْإِغْرَاقُ  
 وَالْعُلُوُّ ضَرِيْنَيْنِ مِنَ الْحَاسِنِ وَنَوْعَيْنِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ . فَقَدْ شَرَطَ  
 عُلَمَاؤُهُ أَنَّ التَّنَوُّعَ لَا يَتَجَاوَزُ حَدَّهُ بِحَيْثُ يَرُودُ الْإِلْتِيَّاسُ وَيُغَيِّبُنِي مِنْ  
 أَمَثَلَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْمَدِيحِ قَوْلُ أَتَمَّائِلُ :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجَّهَتْهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى ظَلَمَ الْجَزَعُ نَاقِبُهُ

فَأَلْفَنِي ثُمَّ لِلنَّاطِلِ مَا أَتَيْتَنِي فِي يَمِينِهِ إِلَى قَوْلِهِ : دَعَى اللَّيْلُ  
وَلَكِنْ زَادَ بِمَا هُوَ أَبْلَغُ وَأَبْدَعُ وَأَعْرَبُ فِي قَوْلِهِ : حَتَّى ظَنَّمُ الْجَنَّةَ  
كَأَيُّهَا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي فِي وَصْفِ جَوَادٍ :

وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَعْنَةً ۖ وَأَتَرُّ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَزْكَبُ  
قَالَ ذِكْرُ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْأَصْبَعِ فِي كِتَابِهِ الْمَسْمُومِ بِتَحْرِيرِ  
التَّحْيِيرِ : أَبْلَغُ شِعْرِ سَعْنَةٍ فِي بَابِ الْمُبَالَغَةِ قَوْلُ شَاعِرِ الْحَمَاسَةِ إِذْ  
بَالَغَ فِي مَدْحِ مَمْدُوحِهِ بِقَوْلِهِ :

وَهَنَتْ يَدَيَّ بِالْحِجْرِ عَنْ شُكْرِ بَرِّهِ ۖ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكُورِ مَزِيدُ  
وَلَوْ كَانَ بِمَا يُسْتَطَاعُ اسْتَطَعْتُهُ ۖ وَلَكِنْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ  
فَأَنْظُرْ مَا أَحْلَى أَحْزَانَهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : وَمَا فَوْقَ شُكْرِي  
لِلشُّكُورِ مَزِيدُ . وَأَنْظُرْ كَيْفَ أَطَهَرَ عُذْرَهُ فِي عِجْزِهِ مَعَ قُدْرَتِهِ  
بِأَنِّ قَالَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي : وَلَوْ كَانَ بِمَا يُسْتَطَاعُ اسْتَطَعْتُهُ . ثُمَّ أَخْرَجَ  
بَيِّنَةً أَنَّ الْبَيْتَ لِلْمُبَالَغَةِ مُخْرَجَ الْمَثَلِ السَّائِرِ حَيْثُ قَالَ : وَلَكِنْ مَا لَا  
يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ . وَمِنْ هُنَا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

لَا تُسَدِّدَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً ۖ حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا  
وَمِنْ حَسَنِ الْمُبَالَغَةِ قَوْلُ الْحَكَمِ الْخَضَرِيِّ :  
وَأَفْجَحُ مِنْ قَوْدٍ وَابْجَلُ بِأَقْرَى

مِنْ الْكَلْبِ أَمْسَى وَهُوَ غَرَّانُ أَنْجَفُ

فَالْكَلْبُ بَجِيلٌ عَلَى مَا ظَهَرَ بِهِ وَهُوَ أَشَدُّ بُجْلًا إِذَا كَانَ جَائِعًا أَنْجَفُ  
أَمَّا ( الْأَغْرَاقُ ) فَهُوَ فَوْقَ الْمُبَالَغَةِ وَلَكِنَّهُ دُونَ التَّلَاوُ . وَهُوَ

فِي الْأَضْطِلَاحِ إِنْوَاطُ وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُكْنِ الْبَعِيدِ وَقَوْعُهُ عَادَةً  
وَقُلٌّ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَهُمَا. وَغَالِبُ النَّاسِ عِنْدَهُمُ الْمُبَالَغَةُ وَالْإِغْرَاقُ  
وَالْعَوُّ نَوْعٌ وَاحِدٌ مَعَ أَنَّهَا تَخْتَلِفُ كَمَا سَبَقَ. وَكُلٌّ مِنَ الْإِغْرَاقِ وَالْعَوُّ  
لَا يُعَدُّ مِنَ الْحَاسِنِ إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ بِمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى الْقَبُولِ (كَقَدْ)  
لِلْإِحْتِمَالِ. (وَلَوْ لَا) لِلْإِمْتِنَاعِ. (وَكَاذَ) لِلْمُقَارَاةِ. وَمَا أَشْبَهَ  
ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ التَّقْرِيبِ. وَمَا وَقَعَ بَعْضُهُ مِنَ الْإِغْرَاقِ وَالْعَوِّ فِي  
الْكَلَامِ الصَّحِيحِ إِلَّا مَقْرُونًا بِمَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَابِ الْأَسْتِحَالَةِ وَيُدْخِلُهُ  
فِي بَابِ الْإِمْكَانِ مِثْلُ : (كَادَ وَلَوْ) وَمَا يَجْرِي نَحْوَهُمَا كَقَوْلِهِ :  
يَكَادُ سَنًا بَرَقَ يُذْهِبُ الْأَبْصَارَ. إِذَا لَا يَسْتَحِيلُ فِي الْعَقْلِ أَنَّ  
الْبَرْقَ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ وَلَكِنَّهُ يَمْتَنِعُ عَادَةً. وَمَا زَادَ عَلَى وَجْهِ الْإِغْرَاقِ  
هُنَا جَمَالًا إِلَّا بِتَقْرِيبِهِ (يَكَادُ). وَاقْتِرَانُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ بِهَا هُوَ الَّذِي  
صَرَفَهُ إِلَى الْحَقِيقَةِ فَهَلَّتْ مِنَ الْإِمْتِنَاعِ إِلَى الْإِمْكَانِ. وَمِنْ شَوَاهِدِ  
تَقْرِيبِ نَوْعِ الْإِغْرَاقِ (بَلَوْ) قَوْلُ زُهَيْرٍ :

لَوْ كَانَ يَقَعُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ

قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ يَجِدُهُمْ قَعْدُوا

فَاقْتِرَانُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَيْضًا بِإِمْتِنَاعِ قُعُودِ الْقَوْمِ فَوْقَ الشَّمْسِ

الْمُسْتَقَادِ (بَلَوْ) هُوَ الَّذِي أَظْهَرَ بَهْجَةً شَمْسِيًّا فِي بَابِ الْإِغْرَاقِ

وَرُبَّمَا جَاءَ دُونَ ذَلِكَ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي رَجُلٍ طَوِيلٍ الْأَنْفِ :

لَكَ أَنْفٌ يَا ابْنَ حَرْبٍ أَهَتْ مِنْهُ الْأَنْفُ

أَنْتَ فِي الْبَيْتِ وَعِزَّتِكَ فِي السُّوقِ يَطُوفُ

وَكَقَوْلِ الطَّرِمَاحِ يَقْبُو يَمِيَا :

يَعْمُ طُرُقُ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْطَّيِّبِ      وَلَوْ سَلَكَ سُبُلَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتْ  
وَلَوْ أَنَّ بُرْغوثًا عَلَى ظَهْرِ غَمَلَةٍ      يَكُرُّ عَلَى صَفْيَى يَعْمُ لَوَلَّتْ  
وَلَوْ أَنَّ أُمَّ الْعُكْبُوتِ بَنَتْ لَهَا      مَظَلَّتْهَا يَوْمَ النَّدَى لَا سَتَلَّتْ  
وَلَوْ جَمَعْتُ يَوْمًا يَعْمُ حُمُوحَهَا      عَلَى ذُرْوَةِ مِحَالَةٍ لَا سَتَلَّتْ  
أَمَّا (الْعُلُو) فَهُوَ فَوْقَ الْمَبَالَةِ وَالْإِغْرَاقُ فَإِنَّهُ الْإِفْرَاطُ فِي  
وَصْفِ الشَّيْءِ بِالنُّسْخِ وَالْقُوَّةُ عَقْلًا وَعَادَةً وَهُوَ يَقِيمُ إِلَى قَسَمَيْنِ :  
مَقْبُولٍ وَغَيْرِ مَقْبُولٍ . فَالْمَقْبُولُ لَا بُدَّ أَنْ يُقَرَّبَهُ النَّاطِقُ إِلَى الْقَبُولِ  
بِإِدَاةِ التَّقْرِيبِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْعُلُوُّ فِي مَدِيحِ نَبِيِّ فَلَا غُلُوَّ .  
وَيَحِبُّ عَلَى صَاحِبِ الْعُلُوِّ أَنْ يَسْكُنَهُ فِي قَوَالِبِ التَّحِيَّلَاتِ الْحُسْنَى  
الَّتِي يَدْعُو الْعَقْلُ إِلَى قَبُولِهَا فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ كَقَوْلِهِ : يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِي  
وَلَوْ لَمْ تَمْسُ نَارُ . فَإِنَّ إِضَاءَةَ الزَّيْتِ مِنْ غَيْرِ مَسِّ نَارٍ مُسْتَحِيلَةٌ عَقْلًا  
وَلَكِنْ لَفْظَةٌ ( يَكَادُ ) قُرْبَتُهُ فَصَارَ مَقْبُولًا . وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ  
الْعَرَبِيِّ :

تَكَادُ قِسِيَّةُ بَنٍ غَيْرِ رَامٍ      تَمَكَّنُ فِي قُلُوبِهِمُ اتِّبَالًا  
تَكَادُ سَيُوفُهُ مِنْ غَيْرِ سَلٍّ      تَجِدُّ إِلَى رِقَائِهِمْ أَنْسِلَالًا  
وَيُغْنِي هُنَا قَوْلُ أَبِي حَمْدٍ الصَّقَلِيِّ فِي وَصْفِ فَرْسٍ :  
وَيَكَادُ يُخْرُجُ سُرْعَةً مِنْ ظِلِّهِ      لَوْ كَانَ يَرْغَبُ فِي فِرَاقِ رَفِيقِهِ  
وَمِنْهُ قَوْلُ الْقَزْوَذِيِّ فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ :  
يَكَادُ يُمِكُّهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ      دُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

وَمِنَ الْغُلُوِّ الْمَقْبُولِ بِغَيْرِ آدَاءِ التَّقْرِيبِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُسْتَسِي  
فِي مَمْدُوحِهِ :

عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهِ عَثِيرًا      لَوْ قَبَّعِي عَقًّا عَلَيْهِ لَأَمَكَّنَا \*  
وَأَنْصَقَادُ الْغُبَارِ فِي الْهَوَاءِ حَتَّى يُمْكِنَ الشَّيْءُ عَلَيْهِ مُسْتَحِيلٌ عَقْلًا  
وَعَادَةً إِلَّا أَنَّهُ تَحِيلٌ مَقْبُولٌ

وَقَوْلُ الْبُخَّارِيِّ فِي الْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا      فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْغَبْدُ  
وَأَمَّا الَّذِي هُوَ غَيْرُ مَقْبُولٍ فَكَقَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ فِي الْخَمْرَةِ :

فَلَمَّا شَرِبْنَاهَا وَدَبَّ دَيْبُهَا      إِلَى مَوْضِعِ الْأَسْرَارِ قُلْتُ لَهَا قَفِي  
عَخَافَةٌ أَنْ يَسْطُرَ عَلَيَّ شُعْلُهَا      فَيَطْلُعَ نَدَمَانِي عَلَى مِرْيَةِ الْحَفِي  
قَالُوا : إِنَّ سَطْوَةَ شُعَاعِ الْخَمْرِ بِحَيْثُ يُصِيرُ جِسْمُهُ شَفَافًا يُظْهِرُ  
لِنَدِيمِهِ مَا فِي بَاطِنِهِ لَا يُمْكِنُ عَقْلًا وَلَا عَادَةً . قُلْتُ : وَمَرَاتِبُ الْغُلُوِّ  
تَسْتَفَاوِتُ إِلَى أَنْ تَوُولَ بِهَائِلِهَا إِلَى الْكُفْرِ كَقَوْلِ الْمُسْتَسِي :

تَتَقَاصَرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ      مِثْلَ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالذُّنَى  
وَقَوْلُهُ :

كَأَنِّي دَحْوَتُ الْأَرْضِ مِنْ خَبَرِي بِهَا      كَأَنِّي بَنَى الْأَسْكَندَرَ السَّدَّ مِنْ عَزْمِي  
فَهَذَا الْغُلُوُّ يُؤْدِي إِلَى عَخَافَةِ الْعَقْلِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ قُبْحِ الْأَتْرَافِ وَلَوْ لَا  
الْإِطَالَةُ لَأَوْرَدْتُ كَثِيرًا مِنْ ظُلْمِ الَّذِينَ يَسَاهَوْنَ فِي هَذَا النَّوعِ كَأَنِّي

\* معنى هذا البيت أن سنابك الخيل وهي أطراف الحوافر عقدت على هذا  
المدح عثيراً وهو الغبار حتى لو أراد أن يمشي عليه عثراً لأمكن . والعق هو  
المتي السريع



نَاسٍ وَأَبْنِ هَلَنِي الْأَنْدَلُسِيَّ وَالْمُسْتَبِيَّ وَأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيَّ وَغَيْرِهِ  
مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ كَأَبْنِ أَلْتِيهِ وَمَنْ جَرَى حَجْرَاهُ . وَفِي مَا قَدَمْنَا كِفَايَةً

## البحث الخامس عشر

### في التكرير

( عن المثل السائر لابن الاثير باختصار )

( راجع صفحة ٤٢ من علم الادب )

إِعْلَمْ أَنَّ هَذَا النَّوعَ مِنْ مَقَاتِلِ عِلْمِ الْبَيَانِ وَهُوَ دَقِيقُ الْمَأْخِذِ  
وَحَدُّهُ هُوَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مُرَدِّدًا . وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ :  
أَحَدُهُمَا يُوجَدُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَالْآخَرُ يُوجَدُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ  
فَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فَكَقَوْلِكَ لَنْ تَسْتَدْعِيهِ : أَسْرِعِ  
أَسْرِعِ . وَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ فَكَقَوْلِكَ : أَطْعِمْنِي وَأَ  
تَعْصِي . فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالطَّلَعِ نَهَى عَنِ الْمَعْصِيَةِ . وَكُلُّ مَنْ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ  
يَنْقَسِمُ إِلَى مُفِيدٍ وَغَيْرِ مُفِيدٍ . وَمَقْصُودِي مِنَ الْمُفِيدِ أَنْ يَأْتِيَ لِمَعْنَى  
وَغَيْرِ الْمُفِيدِ أَنْ يَأْتِيَ لِغَيْرِ مَعْنَى . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْمُفِيدَ مِنَ التَّكْرِيرِ  
يَأْتِي فِي الْكَلَامِ تَأْكِيدًا وَتَشْدِيدًا مِنْ أَمْرِهِ . وَإِنَّمَا يُفْعَلُ ذَلِكَ  
لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعَايَةِ بِالشَّيْءِ الَّذِي كُرِّرَتْ فِيهِ كَلَامُكَ إِمَّا مُبَالَغَةً فِي  
مَنْحِهِ أَوْ فِي دَوِّهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . وَلَا يَأْتِي إِلَّا فِي أَحَدِ طَرَفَيْ الشَّيْءِ الْمَقْصُودِ  
بِالذِّكْرِ . وَالْوَسْطُ عَارِضٌ مِنْهُ لِأَنَّ أَحَدَ الطَّرَفَيْنِ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالْمُبَالَغَةِ  
إِمَّا بِمَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ أَوْ غَيْرِهِمَا وَالْوَسْطُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْمُبَالَغَةِ . وَغَيْرُ  
الْمُفِيدِ لَا يَأْتِي فِي الْكَلَامِ إِلَّا عِيًّا وَخَطَلًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ

( فَأَمَّا الْأَوَّلُ وَهُوَ الَّذِي يُجَدُّ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ) فَإِنَّهُ يَنْقَسِمُ  
إِلَى ضَرِيحَيْنِ : مُفِيدٍ وَغَيْرِ مُفِيدٍ . ( فَأَلَاوَلُ الْمُفِيدُ ) وَهُوَ فِرْعَانُ :  
( الْأَوَّلُ ) إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ  
وَالْمَقْصُودُ بِهِ غَرَضَانِ مُخْتَلِفَانِ . فَمَا يَجْرِي هَذَا الْجَرْيُ قَوْلُهُ : بِسْمِ  
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ  
الدِّينِ . فَكَرَّرَ ( الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) مَرَّتَيْنِ . وَآلِقَائِدُهُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَوَّلَ  
يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الدُّنْيَا كَالْخَلْقِ وَالْعَلَايَةِ . وَالثَّانِي يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ  
إِشَارَةً لِرَحْمَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ( الْقَرْعُ الثَّانِي مِنْ الضَّرْبِ الْأَوَّلِ )  
إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَالْمُرَادُ بِهِ  
غَرَضٌ وَاحِدٌ كَقَوْلِهِ : قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ .  
وَالتَّكْرِيرُ دَلَالَةٌ عَلَى تَعْجُّبٍ مِنْ تَغْيِيرِهِ وَاصَاتِيهِ الْقَرَضِ . وَهَذَا كَمَا  
يُقَالُ : قَتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشْجَبَهُ أَوْ مَا أَشْجَبَهُ . وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَلَا يَا أَسْلِي ثُمَّ أَسْلِي ثُمَّ أَسْلِي

وَهَذَا مُبَالَغَةٌ فِي الدُّعَاءِ لَهَا بِالسَّلَامَةِ . وَكُلُّ هَذَا نَحْوُ : بِه لِتَغْيِيرِهِ  
الْمَعْنَى الْمُرَادِ وَاثْبَاتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنْ هَذَا النَّوعِ قَسَمًا يَكُونُ الْمَعْنَى  
مُضَافًا إِلَى نَفْسِهِ مَعَ اخْتِلَافِ اللَّفْظِ . وَذَلِكَ يَأْتِي فِي الْأَلْفَاظِ  
الْمُتَرَادِفَةِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَأُسْتَعْمِلَ فِي فَصِيحِ الْكَلَامِ فِيهِ  
قَوْلُهُ : وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ  
الْأَلِيمِ . وَالرِّجْزُ هُوَ الْعَذَابُ . وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :  
نَهْوْضٌ يَنْقُلُ الْعَيْبَ مُضْطَلِّمٌ بِهِ وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ

وَالثَّقُلُ هُوَ الْعَبْءُ وَالْعَبْءُ هُوَ الثَّقُلُ . وَرَبَّمَا أَشْكَلَ هَذَا الْمَوْضِعُ  
عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ يَتَعَاطَى هَذِهِ الصَّنَاعَةَ وَظَنُوهُ بِمَا لَا فَايِدَةَ فِيهِ . وَلَيْسَ  
كَذَلِكَ بَلْ الْفَائِدَةُ فِيهِ هِيَ التَّأْصِيدُ لِلْمَعْنَى الْمُقْصُودِ وَالْمُبَالَغَةُ فِيهِ .  
أَمَّا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : ( عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ ) أَيِ عَذَابٍ مُضَاعَفٌ مِنْ عَذَابٍ .  
وَأَمَّا بَيْتُ أَبِي تَمَّامٍ فَإِنَّهُ تَضَمَّنَ الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِ الْمُنْدُوحِ بِجَحْلِهِ  
الْمُنْفَالِ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ لَمْ يُنَبِّهْ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَايَ . وَلَرَبَّمَا أُدْخِلَ فِي  
التَّكْرِيرِ مِنْ هَذَا النَّوعِ مَا لَيْسَ مِنْهُ . فَمِنْهُ قَوْلُهُ : ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ  
عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا  
لَعَفُورٌ رَحِيمٌ . فَلَمَّا تَكَرَّرَ إِنَّ رَبَّكَ مَرَّتَيْنِ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ آدِلٌ عَلَى  
الْمَغْفِرَةِ . . . . . وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ يُظَنُّ أَنَّهَا مِنْ بَابِ التَّكْرِيرِ وَلَيْسَتْ  
كَذَلِكَ . وَقَدْ انْعَمْتُ ظَهْرِي فِيهَا فَرَأَيْتُهَا خَارِجَةً عَنْ حُكْمِ التَّكْرِيرِ  
وَذَلِكَ إِثْمُهُ إِذَا طَالَ الْفَضْلُ مِنَ الْكَلَامِ وَكَانَ أَوَّلُهُ يَنْتَقِرُ إِلَى  
تَمَامٍ وَلَا يُفْهَمُ إِلَّا بِهِ فَالْأَوَّلَى فِي بَابِ الْفَصَاحَةِ أَنْ يُبَادَ اللَّفْظُ الْأَوَّلُ  
مَرَّةً ثَانِيَةً لِيَكُونَ مَقَارَةً لِتَمَامِ الْفَضْلِ كَمَا لَا يَجِيئُ الْكَلَامُ مَشْهُورًا  
لَا سِيَّامًا فِي ( إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا ) . فَوَإِذَا وَرَدَتْ ( إِنَّ ) وَكَانَ بَيْنَ أَسْمَاهَا  
وَأَخْبَرِهَا فَتَحَةً طَوِيلَةً مِنَ الْكَلَامِ فَاعَادَةُ ( إِنَّ ) أَحْسَنُ فِي حُكْمِ  
الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ كَمَا تَقَدَّمَ . وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ مِنْ شُعْرَاءِ  
الْحِمَاةِ :

أَمِجْنَا وَقِدًا وَأَشْيَاقًا وَغُرَبَةً      وَنَائِي حَيْبٍ إِنَّ ذَا لَعَظِيمٍ  
وَأَنَّ أَمْرًا أَدَلَّتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ      عَلَى مِثْلِ مَا قَاسَيْتُهُ لَكَرِيمٍ

فَإِنَّهَ لَمَّا طَالَ الْكَلَامُ بَيْنَ أَسْمَ (إِنَّ) وَخَبَرِهَا أُعِيدَتْ (إِنَّ) مَرَّةً ثَانِيَةً لِأَنَّ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ : وَإِنَّ أَمْرًا دَلِمَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا لَكَرِيمٍ . لَكِنْ بَيْنَ الْأَسْمِ وَالْخَبَرِ مَدَى طَوِيلٍ فَإِذَا لَمْ تُعَدَّ (إِنَّ) مَرَّةً ثَانِيَةً لَمْ يَلْتِ عَلَى الْكَلَامِ بَهْجَةٌ . وَهَذَا لَا يَتَنَبَّهُ لَا سَتِعْمَالِهِ إِلَّا الْقَصْحَاءُ إِمَّا طَبَعًا وَإِمَّا عِلْمًا . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْأَمْرُ إِذَا كَانَ خَبَرٌ (إِنَّ) عَامِلًا فِي مَعْبُولٍ يَطُولُ ذِكْرُهُ فَإِنَّ إِعَادَةَ الْخَبَرِ ثَانِيَةً هُوَ الْأَحْسَنُ . وَعَلَى هَذَا جَاءَ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ يُسُفَ إِذْ قَالَ يُسُفُ لَا إِلَهَ إِلَّا يَ : يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . فَلَمَّا قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ ثُمَّ طَالَ الْقَضْلُ كَانَ الْأَحْسَنُ أَنْ يُعِيدَ لَفْظُ (الرُّؤْيَا) فَيَقُولَ : رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . وَمِنْ بَابِ (التَّكْرِيرِ فِي اللفظِ وَالتَّعْنِي) السَّدَالِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ قَوْلُهُ : وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ . فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَوَّرَ بَدَاءَ قَوْمِهِ هَاهُنَا لِإِبَادَةِ التَّنْبِيهِ لَهُمْ وَالْإِيظَاطِ عَنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَلِأَنَّهُمْ قَوْمُهُ وَعَشِيرَتُهُ فَيَحْزَنُ لَهُمْ وَيَتَلَطَّفُ بِهِمْ فَيَسْتَدْعِي بِذَلِكَ أَنْ يَزِلُّوا عَلَى نَصِيحَتِهِ . وَهَذَا فِي التَّكْرِيرِ الَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِيحَازِ وَأَشَدُّ مَوْقِعًا مِنَ الْإِخْتِصَارِ . وَمِمَّا وَرَدَ مِنْ هَذَا التَّنَوُّعِ شِعْرًا قَوْلُ بَعْضِ شُعَرَاءِ الْحِمَاسَةِ :

إِلَى سَعْدِينَ الْعِرِّ الْمُوْتَلِّ وَالْتَدَى هُنَاكَ هُنَاكَ الْقَضْلُ وَالْخَلْقُ لِلْجَلِّ  
قَوْلُهُ : هُنَاكَ هُنَاكَ مِنَ التَّكْرِيرِ الَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِيحَازِ

لِأَنَّهُ فِي مَعْرُضِ مَدْحٍ فَهُوَ يَقَرَّرُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ مَا عِنْدَ الْمَدْحِ  
 مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ مُشِيرًا إِلَيْهَا كَأَنَّهُ قَالَ : أَدُلُّكُمْ عَلَى  
 عَدْنٍ كَذَا وَكَذَا وَمَقَرٍّ وَمَقَادِيهِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْمَسَاوِيرِ  
 ابْنِ هِنْدٍ :

جَزَى اللَّهُ عَنِّي عَالِيًا مِنْ عَشِيرَةٍ إِذَا حَدَّثَانُ اللَّحَرَ نَابِتُ نَوَائِبِهِ  
 فَكَمْ دَفْعًا مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ تَلَاخَتْ عَلَيَّ وَمَوْجٌ قَدْ عَلَتْنِي غَوَارِبُهُ  
 فَصَدْرُ أَلَيْتِ الثَّانِي وَنَجْوَاهُ يَدْلَانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لِأَنَّ تَلَاخَمَ  
 الْكُوبِ عَلَيْهِ كَتَعَالَى الْمَوْجِ مِنْ قُوَّتِهِ . وَأَمَّا نَوْعُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مَقَامُ  
 مَدْحٍ وَاطِّرَاءٍ أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَصِفُ إِحْسَانَ هَوَّلَاءِ الْقَوْمِ عِنْدَ  
 حَدَّثَانِ دَهْرِهِ فِي التَّكْرِيرِ . وَفِي قُبَائِلِهِ لَوْ كَانَ الْقَائِلُ هَاجِيًا فَإِنَّ  
 الْهَجَاءَ فِي هَذَا كَالْمَدْحِ . ( الضَّرْبُ الثَّانِي مِنَ التَّكْرِيرِ فِي الَّلَفْظِ  
 وَالْمَعْنَى ) وَهُوَ غَيْرُ الْمَقِيدِ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مَرْوَانَ الْأَصْغَرِ :

سَمَى اللَّهُ تَجْدًا وَالسَّلَامُ عَلَى تَجْدٍ وَيَا حَبْدًا تَجْدُ عَلَى الْقُرْبِ وَابْعَدِ  
 نَظَرْتُ إِلَى تَجْدٍ وَبَعْدَادُ دُونَهَا لَعَلِّي أَرَى تَجْدًا وَهَيْاتُ مِنْ تَجْدٍ  
 وَهَذَا مِنَ الْعَمَى الضَّعِيفِ فَإِنَّهُ كَرَّرَ ذِكْرَ تَجْدٍ فِي أَلَيْتِ الْأَوَّلِ  
 ثَلَاثًا . وَفِي أَلَيْتِ الثَّانِي ثَلَاثًا . وَمُرَادُهُ فِي الْأَوَّلِ ائْتَاءُ عَلَى تَجْدٍ  
 وَفِي الثَّانِي أَنَّهُ تَلَقَّتْ إِلَيْهِ نَاطِرًا مِنْ بَعْدَادٍ وَذَلِكَ مَرْمَى بَعِيدٌ .  
 الْعَمَى لَا يَحْتَاجُ إِلَى مِثْلِ هَذَا التَّكْرِيرِ . أَمَّا أَلَيْتِ الْأَوَّلُ فَيَحْمِلُ  
 عَلَى الْجَائِزِ مِنَ التَّكْرِيرِ لِأَنَّهُ مَقَامُ تَشْوِيقٍ وَتَحْقِيقٍ وَمَوْجِدَةٍ فِرَاقِ تَجْدٍ .  
 وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ أُجِيزُ فِيهِ التَّكْرِيرُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ

يُسْرَعُ هَذَا الْمَعْنَى الْوَارِدَ فِي الْبَيْتَيْنِ مَعًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِيَ بِهَذَا  
التَّكْرِيرِ الْمُسْتَجِيعِ سِتِّ مَرَّاتٍ . وَعَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي  
مُوَاسٍ :

أَفْنَاهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَفَالِهَا      وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرْمَلِ خَالِيسُ  
وَمَرَادُهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَقَامُوا بِهَا أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ . وَيَتَحَجَّجًا لَهُ بِمِثْلِ  
هَذَا الْبَيْتِ الْخَفِيفِ الدَّالِّ عَلَى الْعَمَلِ الْفَاحِشِ فِي ضَمَنِ آيَاتِ  
عَجَبَةِ الْحُسْنِ تَتَقَدَّمُ هَذَا الْبَيْتُ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا قَوْلُ أَبِي  
الطَّيِّبِ الْمُسْتَسْتَبِي :

وَلَمْ أَرِ مِثْلَ جِرَانِي وَوِثْلِي      لِيْنِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ تَقَامُ  
فَهَذَا هُوَ التَّكْرِيرُ الْفَاحِشُ الَّذِي يُؤْتَرُّ فِي الْكَلَامِ نَقْصًا .  
أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ : لَمْ أَرِ مِثْلَ جِرَانِي فِي سُوءِ الْجَوَارِ وَلَا مِثْلِي فِي  
مُصَابَرَتِهِمْ وَمُعَامِي عِنْدَهُمْ . إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْبَيْتِ  
مَرَّتَيْنِ . وَعَلَى نَحْوِ مِنْ ذَلِكَ جَاءَ قَوْلُهُ :

وَقَلَقْتُ بِأَلْهَمِ الَّذِي قَلَقَ الْخَشَى      قَلَا قَلَّ عَيْسُ كُلُّهُنَّ قَلَا قَلَّ  
( وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ التَّكْرِيرِ وَهُوَ الَّذِي يُوجَدُ فِي الْمَعْنَى  
دُونَ اللَّفْظِ ) فَذَلِكَ ضَرْبَانِ : مُفِيدٌ وَغَيْرُ مُفِيدٍ . ( الضَّرْبُ الْأَوَّلُ )  
الْمُفِيدُ وَهُوَ فَرْعَانِ : ( الْأَوَّلُ ) إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي الْمَعْنَى يَدُلُّ  
عَلَى مَعْنَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ وَهُوَ مَوْضِعٌ مِنَ التَّكْرِيرِ مُشْكِلٌ لِأَنَّهُ يَسْتَقْبِلُ  
إِلَى الْاَوْهَمِ أَنَّهُ تَكْرِيرٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدَةٍ وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ ... بَلْ  
يُقْصَدُ بِهِ التَّأْكِيدُ وَالْتَقَرُّبُ وَالتَّنْصُلُ عَمَّا يُرْمَى بِهِ الْمُسْكَلُ . وَمِمَّا

يَنْظِمُ بِهَذَا السِّلَكِ أَنْ يَكُونَ التَّكْرِيرُ فِي الْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ  
أَحَدُهُمَا خَاصٌّ وَالْآخَرُ عَامٌّ كَقَوْلِهِ : وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى  
اللهِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ . فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْعُرُوفِ  
دَاخِلٌ تَحْتَ الدَّعَاءِ إِلَى الْخَيْرِ . لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْعُرُوفِ خَاصٌّ وَالْخَيْرُ عَامٌّ  
فَكُلُّ أَمْرٍ بِالْعُرُوفِ خَيْرٌ وَلَيْسَ كُلُّ خَيْرٍ أَمْرًا بِالْعُرُوفِ . وَذَلِكَ أَنَّ  
لِخَيْرٍ أَنْوَاعَ كَثِيرَةً مِنْ جُمْلَتِهَا الْأَمْرُ بِالْعُرُوفِ . فَقَائِدَةُ التَّكْرِيرِ هُنَا  
أَنَّهُ ذَكَرَ لِلْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ لِتَشْبِيهِهِ عَلَى فَضْلِهِ . وَكَقَوْلِهِ : حَافِظُوا عَلَى  
الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى . وَكَقَوْلِهِ : فِيهَا فَكَيْفَةٌ وَتَحُلُّ وَرَمَانٌ .  
وَكَقَوْلِهِ : إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ  
أَنْ يَحْمِلَهَا . فَإِنَّ الْجِبَالَ دَاخِلَةً فِي جُمْلَةِ الْأَرْضِ . لَكِنْ لَفْظُ الْأَرْضِ  
عَامٌّ وَالْجِبَالُ خَاصٌّ . وَقَائِدَتُهُ هُنَا تَعْظِيمُ شَأْنِ الْأَمَانَةِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا  
وَتَعْظِيمُ أَمْرِهَا . . . وَهُوَ مَوْضِعٌ يَرِدُ فِي الْكَلَامِ الْبَلِيغِ وَيُظَنُّ أَنَّ لَا  
قَائِدَةَ فِيهِ . (الْفَرْعُ الثَّانِي) إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي الْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى  
وَاحِدٍ لَا غَيْرَ . وَقَدْ سَبَقَ مِثَالُ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَابِ كَقَوْلِكَ : أَطِيعْنِي  
وَلَا تَعْصِنِي . فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالطَّاعَةِ نَهَى عَنِ الْعَصِيَةِ وَالْقَائِدَةُ فِي ذَلِكَ  
تَشْيِيتُ الطَّاعَةِ فِي نَفْسِ الْمُحَاطَبِ . وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَالْكَلَامِ  
فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ تَكْرِيرِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى إِذَا كَانَ الْغَرَضُ بِهِ  
شَيْئًا وَاحِدًا . وَلَا يَجِدُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يَأْتِي فِي الْكَلَامِ إِلَّا لِتَأْكِيدِ  
الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ بِهِ كَقَوْلِهِ : إِنَّ مِنْ أَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ  
وَأَنْ تَعْبُوا وَتَضَعُوا وَتَغَيِّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَوَّرَ

الْعَفْوَ وَالصَّحَّ وَالْمَغْفِرَةَ وَالْجَمِيعُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ لِلزِّيَادَةِ فِي تَحْسِينِ عَفْوِ  
أَوَالِدٍ عَنْ وَلَدِهِ . وَهَذَا وَأَمثَالُهُ يُنْظَرُ فِي الْقَرَضِ الْمَقْصُودِ بِهِ . وَهُوَ  
مَوْضِعٌ يَكُونُ التَّكْرِيرُ فِيهِ أَوْجَزُ مِنْ نَجْمَةِ الْإِيحَاذِ وَأَوَّلَى بِالِاسْتِعْمَالِ .  
وَبِمَا وَرَدَ مِنْهُ شِعْرًا قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي آيَاتِ الْحِمَاسَةِ :

تَرَكْتُ عَلَى آلِ الْمُهَاجِرِ شَاتِبًا      بَعِيدًا عَنِ الْوَطَنِ فِي زَمَنِ التَّحَلُّلِ  
فَازَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَأَفْتَقَادُهُمْ      وَاحْسَانُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي  
فَإِنَّ الْأَكْرَامَ وَالْأَفْتَقَادَ دَاخِلَانِ تَحْتَ الْإِحْسَانِ      وَإِنَّمَا كَرَّرَ ذَلِكَ  
لِلتَّوْبِهِ بِذِكْرِ الصَّنِيعِ وَالْإِيحَابِ لِحَقِّهِ . ( الضَّرْبُ الثَّانِي مِنْ الْقِسْمِ  
الثَّانِي ) فِي تَكْرِيرِ الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ وَهُوَ غَيْرُ الْمَقِيدِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ  
أَبِي تَامٍ :

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبْعَهَا بَيْنَ الصَّبَا      وَقَبُولِهَا وَدُبُورِهَا أَثْلَاثًا  
فَإِنَّ رِيحَ الصَّبَاحِ رِيحُ الْقَبُولِ      يَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لَاغِيَةٍ .  
وَهَذَا الضَّرْبُ مِنْ التَّكْرِيرِ قَدْ خَبِطَ فِيهِ عُلَمَاءُ أَلْيَانِ خَطًّا كَثِيرًا  
وَالْأَكْثَرُ مِنْهُمْ أَجَازَهُ . فَقَالُوا : إِذَا كَانَتْ الْأَلْفَاظُ مُتَغَايِرَةً وَالْمَعْنَى  
الْمُعْبَدَةُ عَنْهُ وَاحِدًا فَلَيْسَ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ بِمَجِيبٍ . وَهَذَا الْقَوْلُ فِيهِ ظَنٌّ  
وَالَّذِي عِنْدِي فِيهِ أَنَّ النَّاسَ يُعَابُ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ مُطْلَقًا إِذَا أَتَى لِغَيْرِ  
فَائِدَةٍ . وَأَمَّا النَّاسُ فَمَا أَتَى يُعَابُ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعٍ دُونَ وَضْعِهِ . أَمَّا  
الْمَوْضِعُ الَّذِي يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ فَهُوَ صُدُورُ الْآيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ وَمَا  
وَالِأَآهَا . وَأَمَّا الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ فَهُوَ الْأَعْيَادُ مِنْ  
الْآيَاتِ لِمَسْكَانِ الْقَافِيَةِ . وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ عَيْنًا لِأَنَّهُ قَافِيَةٌ



وَالشَّاعِرُ مُضْطَرٌّ إِلَيْهَا وَالْمُضْطَرُّ يَحِلُّ لَهُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ كَقَوْلِ أَمْرِئِ  
الْقَيْسِ فِي قَصِيدِهِ الْأَلَمِيَّةِ الَّتِي مَطَّلَعُهَا :

أَلَا أَنْعَمَ صَبَاً أَيُّهَا الظَّلُّ الْبَالِي

قَالَ :

وَهَلْ يَتَعَنُّ الْأَسْعَدُ مُحَلِّدٌ قَلِيلُ الْهَمُومِ لَا يَبْتَ بِأَوْجَالِ  
وَإِذَا كَانَ قَلِيلُ الْهَمُومِ فَإِنَّهُ لَا يَبْتَ بِأَوْجَالِ . وَهَذَا تَكْرِيرٌ  
لِلْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجِيبٍ لِأَنَّهُ قَافِيَةٌ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْحَظِيئَةِ :  
قَالَتْ إِمَامَةٌ لَا تَجُوعُ قَعْلَتْ لَهَا إِنْ الْغَزَاءُ وَإِنْ الصَّبْرُ قَدْ غَلَبَا  
هَلَا أَلْتَمَسْتُ لَنَا إِنْ كُنْتُ صَادِقَةً مَا لَا نَعِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ أَوْ نَشَبَا  
فَأَلْبَيْتُ الْأَوَّلُ بِمَجِيبٍ لِأَنَّهُ كَرَّرَ الْغَزَاءُ وَالصَّبْرُ إِذْ مَعَاهُمَا وَاحِدٌ  
وَلَمْ يَرِدَا قَافِيَةً لِأَنَّ الْقَافِيَةَ هِيَ الْبَاءُ . وَأَمَّا أَلْبَيْتُ الثَّانِي فَلَيْسَ  
بِمَجِيبٍ لِأَنَّ التَّكْرِيرَ جَاءَ فِي النَّسْبِ وَهُوَ قَافِيَةٌ

### البحث السادس عشر

#### في حقيقة التشبيه وتحديدِه

( عن خزانة الادب الحموي وعن كتاب الصائغين )

( راجع صفحة ٤٨ من علم الادب )

إِعْلَمَنَّ أَنَّ أَصْحَابَ الْمَعَانِي وَالْيَكْنَ أَطْلَقُوا أَعْنَةَ الْكَلَامِ فِي  
مَيَادِينِ حُدُودِ التَّشْبِيهِ وَتَقَارِيرِهَا وَهُوَ عِنْدَهُمُ الدَّلَالَةُ عَلَى مُشَارَكَةِ أَمْرِ  
لَا مَرَّ فِي مَعْنَى . وَقَالَ الرُّمَائِيُّ : التَّشْبِيهُ هُوَ الْعَقْدُ عَلَى أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ

يَسُدُّ أَحَدُهُمَا سَدًّا آخَرَ فِي حَالِهِ. وَهَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ الْعَامُّ الَّذِي يَسْتَلُ  
تَحْتَهُ التَّشْبِيهُ الْبَلِيغُ وَغَيْرُهُ. وَالتَّشْبِيهُ الْبَلِيغُ هُوَ إِخْرَاجُ الْأَغْمَضِ إِلَى  
الْأَوْضَحِ مَعَ حُسْنِ التَّلَافُظِ. وَبِهِمْ مَنْ قَالَ: التَّشْبِيهُ هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى  
اشْتِرَاكِ شَيْئَيْنِ فِي وَصْفٍ هُوَ مِنْ أَوْصَافِ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ. وَقَالَ ابْنُ  
رَشِيْقٍ فِي الْعِنْدَةِ: التَّشْبِيهُ صِفَةُ الشَّيْءِ بِمَا قَارَبَهُ وَشَاكَلَهُ مِنْ جِهَةِ  
وَاحِدَةٍ لِأَنَّهُ لَوْ نَاسَبَ مُنَاسَبَةً كُلِّيَّةً كَانَ إِيَّاهُ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ:  
خَذْ كَالْوَرْدِ إِنَّمَا مُرَادُهُمْ إِخْرَاجُ أَوْرَاقِهِ وَطَرَاتِهَا لَا مَا سِوَى ذَلِكَ  
مِنْ صُفْرَةٍ وَسَطِهِ وَخُصْرَةٍ كَمَا فِيهِ (اهـ). وَقِيلَ: التَّشْبِيهُ إِحْلَاقُ أَذَى  
الشَّيْئَيْنِ بِأَعْلَاهُمَا فِي صِفَةٍ اشْتَرَكَا فِي أَصْلِهَا وَاخْتَلَفَا فِي كَيْفِيَّتِهَا قُوَّةً  
وَضَعْفًا. قُلْتُ: وَهَذَا حَدٌّ مُفِيدٌ. وَأَوْرَدَ ابْنُ أَبِي الْأَصْبَحِ فِي كِتَابِهِ  
تَحْرِيرَ التَّخْيِيرِ حَدًّا زَادَ فِي حُسْنِهِ عَلَى الْحَدِّ وَهُوَ: أَنَّ التَّشْبِيهَ تَشْبِيهُانَ  
(الْأَوَّلُ) مِنْهُمَا تَشْبِيهُ شَيْئَيْنِ مُتَّفَقَيْنِ بِنَفْسِهِمَا كَتَشْبِيهِ الْجَوْهَرِ بِالْجَوْهَرِ  
مِثْلُ قَوْلِكَ: مَاءٌ أَثِيلٌ كَمَاءِ الْفَرَاتِ. وَتَشْبِيهِ الْفَرَسِ بِالْفَرَسِ  
كَقَوْلِكَ: حُمْرَةُ أَخَذَتْ كَحُمْرَةِ الْوَرْدِ. وَتَشْبِيهِ الْجَنَمِ بِالْجَنَمِ كَقَوْلِكَ:  
الزَّرْبُ جَدُّ مِثْلُ الزَّرْدِ. (وَالثَّانِي) تَشْبِيهُ شَيْئَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ بِالذَّاتِ يَجْمَعُهُمَا  
مَعْنًى وَاحِدٌ مُشْتَرَكٌ. كَقَوْلِكَ: حَائِثٌ كَالنِّعَامِ وَعَذْرَةٌ كَالضَّرْعَامِ.  
وَتَشْبِيهُ الْإِتْفَاقِ وَهُوَ الْأَوَّلُ تَشْبِيهُ حَقِيقِيٍّ. وَتَشْبِيهُ الْإِخْتِلَافِ وَهُوَ  
الثَّانِي تَشْبِيهُ بَحَازِيٍّ وَالْمُرَادُ الْمُبَالَغَةُ. وَالتَّشْبِيهُ ذِكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْبَلَاغَةِ  
لِإِخْرَاجِهِ الْخَفِيِّ إِلَى الْخَلِيِّ وَإِذْنَاهُ الْبَعِيدُ مِنَ الْقَرِيبِ. وَهُوَ حَكْمٌ  
إِضَافِيٌّ لَا يُوجَدُ إِلَّا بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ بِخِلَافِ الْإِسْتِعَارَةِ وَلَيْسَ الْحَكْمُ

أَنَّهُ إِذَا صَحَّتِ الْإِسْتِعَارَةُ حَسَنَ التَّصْرِيحِ بِالتَّشْبِيهِ فَإِنَّ الْمِثْلَابَةَ إِذَا  
قُرِنَتْ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ بِالْإِسْتِعَارَةِ قَبَّحَ التَّصْرِيحُ بِالتَّشْبِيهِ . فَلَا تَقُولُ :  
كَأَنَّكَ أَوْقَمْتَنِي فِي ظُلْمَةٍ إِذَا أَوْقَعْتَ فِي شَيْءٍ . وَضَمَّتْ الْمِثْلَابَةُ  
فَكَأَنَّهُ أَنْشَرَ صَدْرِي أَوْ كَانَ ثَوْرًا حَصَلَ فِي قَلْبِي . لِمَتَكُنْ هَذِهِ  
الْأَشْيَاءَ حَتَّى كَانَهَا صَارَتْ حَقِيقَةً

### البحث السابع عشر

في أركان التشبيه ومحاسنه وفوائده

( من المثل السائر لابن الاثير بتصرف )

( راجع صفحة ٤٩ من علم الادب )

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلتَّشْبِيهِ أَدَوَاتٍ كَثِيرًا وَكَانَ وَشِبُّهُ وَمِثْلُهُ . فَوَبَّحْنَا طَهْرَتَ  
وَرُبَّمَا أَضْيَرَّتْ . ( وَمِنْ الْمَظْهَرِ الْأَدَاةُ ) مَا قِيلَ فِي وَصْفِ حَالِ  
الْمُتَنَاقِضِينَ : مِثْلُهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ  
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ . وَكَقَوْلِ الْبُخَّارِيِّ :  
خُلِقُوا مِنْهُمْ تَرَدَّدَ فِيهِمْ وَلَيْسَتْ عِصَابَةٌ عَنْ عِصَابَةٍ  
كَالْحَسَامِ الْخِرَازِيِّ عَلَى الدَّهْرِ م وَيُفْنِي فِي كُلِّ حِينٍ قُرَابَهُ  
وَمِنْ اللَّطِيفِ الْبَدِيعِ فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :  
لَا جَزَى اللَّهُ دَمْعَ عَيْنِي خَيْرًا وَجَزَى اللَّهُ كُلَّ خَيْرٍ لِسَانِي  
نَمْ دَمْعِي فَلَيْسَ بِكُمْ شَيْئًا وَوَجَدْتُ اللِّسَانَ ذَا كُتْمَانٍ  
كُنْتُ مِثْلَ الْكِتَابِ أَخْفَاهُ طَيِّقٌ فَاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِالْعُنُونِ

( وَمِنْ الْمَضَرِّ الْأَدَاةِ ) قَوْلُهُ : وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . فَشَبَّهَ اللَّيْلَ بِالْبَاسِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ يَسْتُرُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِكِنْ أَرَادَ هَرَبًا مِنْ عَدُوٍّ أَوْ ثُبَاتًا لِعَدُوٍّ أَوْ إِخْفَاءً لِمَا لَا يُحِبُّ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ وَنَآمِرُهُ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَمْثَالِ مِثْلُهُ : اللَّيْلُ جُنَّةٌ الْهَارِبِ . وَمِمَّا وَرَدَ شِعْرًا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُسْتَنِي :

وَإِذَا أَهْدَى لِلنَّدَى كَانَ مَجْرًا      وَإِذَا أَهْدَى لِلْوَعَى كَانَ نَضَلًا  
وَإِذَا الْأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَانَ شَمْسًا      وَإِذَا الْأَرْضُ أَفْجَلَتْ كَانَ وَبَلًا  
وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمَضَرِّ الْأَدَاةِ . وَإِنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ أَبْلَغُ مِنَ التَّشْبِيهِ الظَّاهِرِ الْأَدَاةِ وَأَوْجَزُ . أَمَّا كَوْنُهُ أَبْلَغُ فَيَحْتَمِلُ التَّشْبِيهَ مُشَبَّاهٍ بِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ أَدَاةٍ فَيَكُونُ هُوَ إِيَّاهُ . فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ : زَيْدٌ أَسَدٌ . كُنْتَ قَدْ جَعَلْتَهُ أَسَدًا مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ . وَأَمَّا كَوْنُهُ أَوْجَزُ فَحَذَفَ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ مِنْهُ . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْقَائِلِينَ مِنَ الظَّاهِرِ وَالْمَضَرِّ كِلَيْهِمَا فِي فَضِيلَةِ الْبَيَانِ سَوَاءٌ فَإِنَّ الْقَرَضَ الْمَقْصُودَ مِنْ قَوْلِنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . أَنْ يَبَيِّنَ حَالُ زَيْدٍ فِي اتِّصَافِهِ بِشَهَامَةِ النَّفْسِ وَقُوَّةِ الْبَطْشِ وَجَرَاءَةِ الْإِقْدَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يَجْرِي تَجَرُّاهُ . إِلَّا أَنَّا لَمْ نَحْذِشْنَا نَدْلَ بِهِ عَلَيْهِ سِوَى أَنْ جَعَلْنَاهُ شَيْئًا بِالْأَسَدِ حَيْثُ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ مُخْتَصَّةً بِهِ . فَصَارَ مَا قَصَدْنَاهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَكْشَفَ وَأَيِّنَ مِنْ أَنْ لَوْ قُلْنَا : زَيْدٌ شَهْمٌ شَجَاعٌ قَوِيٌّ الْبَطْشِ جَرِيٌّ الْجَانِ وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ . لِمَا قَدْ عُرِفَ وَعُهِدَ مِنْ لَجْتِمَاعِ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِي التَّشْبِيهِ بِِ اعْنِي الْأَسَدَ . وَأَمَّا زَيْدٌ الَّذِي هُوَ التَّشْبِيهُ فَلَيْسَ مَعْرُوفًا بِهَا

وَأِنْ كَانَتْ مَوْجُودَةً فِيهِ. وَكِلَاهُمَا هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ أَيْضًا يَخْتَصُّ بِفَضِيلَةٍ  
الْإِيحَاذِ وَإِنْ كَانَ الضُّمَرُ أَوْجَزَ مِنَ الظُّهْرِ لِأَنَّ قَوْلَنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ  
أَوْ كَالْأَسَدِ. يَسُدُّ مَسَدًا قَوْلَنَا : زَيْدٌ مِنْ حَالِهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ. وَهُوَ مِنْ  
السَّجَاعَةِ وَالشَّدَّةِ عَلَى كَذَا وَكَذَا بِمَا يَطُولُ ذِكْرُهُ. فَالْتَّشْبِيهُ إِذَا تَجَمَّعَ  
صِفَاتُ ثَلَاثَةٍ هِيَ : الْمُبَالَغَةُ. وَالْيَكِينُ. وَالْإِيحَاذُ كَمَا أَرَيْتُكَ. إِلَّا  
أَنَّهُ تَوْعُّدٌ مِنْ بَيْنِ أَوَاقِعِ عِلْمِ الْيَكِينِ مُسْتَوَعِرُ الْمَنْهَبِ وَهُوَ مَقْتُلٌ مِنْ  
مَقَاتِلِ الْبَلَاغَةِ. وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ حَمْلَ الشَّيْءِ بِالْمِثَالَةِ إِمَامُورَةٌ  
وَأَمَّا مَعْنَى مِيزِ صَوَابِهِ وَتَعَسُّرُ الْإِجَادَةِ فِيهِ. وَقَلَمًا أَكْثَرُ مِنْهُ أَحَدٌ  
إِلَّا عَثَرَ كَمَا قُلَّ ابْنُ الْمُعْتَزِّ مِنْ أَدْبَاءِ الْعِرَاقِ وَأَبْنُ وَكَيْعٍ مِنْ أَدْبَاءِ  
مِصْرَ. فَانْهَمَا أَكْثَرًا مِنْ ذَلِكَ لَاسِيًا فِي وَصْفِ الرِّيَاضِ وَالْأَشْجَارِ  
وَالْأَزْهَارِ وَالْثَمَرِ. لِأَجَرَمَ أَنَّهَا آتِيَا بِأَلْفِ الْبَارِدِ الَّذِي لَا يَثْبُتُ  
عَلَى حِكْمِ الصَّوَابِ فَمَلِكُكَ أَنْ تَتَوَقَّى مَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ. وَأَمَّا فَائِدَةُ  
الْتَّشْبِيهِ مِنَ الْكَلَامِ فَهِيَ : أَنَّكَ إِذَا أَمَثَلْتَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ فَإِنَّمَا  
تَقْصِدُ فِيهِ اثْبَاتَ الْحَالِ فِي النَّفْسِ بِصُورَةِ الْمَثَلِ بِهِ أَوْ بِمَعْنَاهُ وَذَلِكَ  
أَوْكَدُ فِي طَرَفِي التَّرْغِيبِ فِيهِ أَوْ التَّنْفِيرِ عَنْهُ. أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا  
أَشَبَّهْتَ صُورَةَ بِصُورَةٍ هِيَ أَحْسَنُ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ مُثْبِتًا فِي النَّفْسِ  
خَيَالًا حَسَنًا يَدْعُو إِلَى التَّرْغِيبِ فِيهَا. وَكَذَلِكَ إِذَا أَشَبَّهْتَ بِصُورَةٍ شَرِّهِ  
أَقْبَحَ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ مُثْبِتًا فِي النَّفْسِ خَيَالًا قَبِيحًا يَدْعُو إِلَى التَّنْفِيرِ  
عَنْهَا وَهَذَا لَا تَرَاهُ فِيهِ. وَلَنْضَرْبِ لَهُ مِثَالًا يُوضِّحُهُ فَنَقُولُ : قَدْ وَرَدَ  
عَنْ ابْنِ الْأَرَوِّحِيِّ فِي مَذْهِبِ الْعَسَلِ وَذَوِّهِ يَتُّ مِنَ الشَّعْرِ وَهُوَ :

تَقُولُ هَذَا مُحْجَاةُ التَّحْلِ تَمْدَحُهُ وَإِنْ تَعِبَ قُلْتَ ذَا قِيءٍ الزَّائِرُ  
 لَا تَرَى كَيْفَ مَدَحَ وَدَّمَ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ بِتَضَرُّفِ الشَّيْءِ  
 الْحِجَازِيِّ الْمُضْمَرِ الْأَدَاةُ الَّتِي خِيلَ بِهِ إِلَى السَّامِعِ خِيَالًا يُحَسِّنُ الشَّيْءَ  
 عِنْدَهُ تَارَةً وَيُتَجَمُّهُ أُخْرَى . وَلَوْلَا التَّوَصُّلُ بِطَرِيقِ الشَّيْءِ عَلَى هَذَا  
 الْوَجْهِ لَمْ أَمْكُهُ ذَلِكَ . وَهَذَا الْمِثَالُ كَافٍ فِيمَا أَرَدْتَاهُ . وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ مِنْ مُحَاكِمِ الشَّيْءِ أَنْ يُجَيَّءَ مُضَدَّرِيًا كَقَوْلِنَا : أَقْدَمَ إِقْدَامَ الْأَسَدِ  
 وَقَاضَ قِيزَ الْجَمْرِ . وَهُوَ أَحْسَنُ مَا اسْتَعْمِلَ فِي بَابِ الشَّيْءِ . كَقَوْلِ  
 أَبِي نُوَّاسٍ فِي وَصْفِ الْخَمْرِ :

وَإِذَا مَا مَزَجُوهَا وَثَبَتْ وَثَبَ الْجَرَادُ

وَإِذَا مَا شَرِبُوهَا أَخَذَتْ أَخَذَ الرُّقَادُ

وَقِيلَ : إِنَّ مِنْ شَرْطِ بَلَاغَةِ الشَّيْءِ أَنْ يُشَبَّهَ الشَّيْءُ بِمَا هُوَ  
 أَكْبَرُ مِنْهُ وَأَعْظَمُ . وَأَقُولُ السَّيِّدُ فِي ذَلِكَ هُوَ مَا أَذْكُرُهُ :  
 وَهُوَ أَنَّ إِطْلَاقَ مَنْ أَطْلَقَ قَوْلَهُ فِي أَنْ مِنْ شُرُوطِ بَلَاغَةِ الشَّيْءِ  
 أَنْ يُشَبَّهَ الْأَضْعَفُ بِالْأَكْبَرِ قَوْلٌ غَيْرُ حَاصِرٍ لِلْفَرْضِ الْقُصُودِ .  
 لِأَنَّ الشَّيْءَ يَأْتِي تَارَةً فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ وَتَارَةً فِي مَعْرِضِ الذَّمِّ .  
 وَتَارَةً فِي غَيْرِ مَعْرِضِ مَدْحٍ وَلَا ذَمٍّ . وَإِنَّمَا يَأْتِي قَصْدًا لِلِإِبَاتَةِ  
 وَالْإِيضَاحِ . وَلَا يَكُونُ تَشْبِيهُ أَضْعَفٍ بِأَكْبَرٍ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ  
 ذَهَبَ . بَلِ أَقُولُ الْجَمِيعُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الشَّيْءَ لَا يُعَدُّ  
 إِلَيْهِ إِلَّا لِضَرْبٍ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَدْحًا أَوْ ذَمًّا أَوْ يَبَيِّنَا  
 أَوْ إِضَاحًا وَلَا يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ

كَذَلِكَ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ تَقْدِيرِ لَفْظَةِ أَفْعَلٍ (يُرِيدُ أَفْعَلَ التَّنْضِيلِ) .  
فَإِنْ لَمْ تُقَدَّرْ فِيهِ لَفْظَةُ (أَفْعَلٍ) فَلَيْسَ بِتَشْبِيهِ لَيْسَ . أَلَا تَرَى أَنَا  
نَقُولُ فِي التَّشْبِيهِ الْمَضْمَرِ الْأَدَاةَ : زَيْدٌ أَسَدٌ . فَقَدْ شَبَّهْنَا زَيْدًا بِالْأَسَدِ  
الَّذِي هُوَ أَشْجَعُ مِنْهُ . فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَثَبُ بِهِ فِي هَذَا الْقَامِ أَشْجَعُ مِنْ  
زَيْدٍ الَّذِي هُوَ الْمَثَبُ وَالْأَكَا كَانَ التَّشْبِيهُ نَاقِصًا إِذَا لَا مُبَالَغَةَ فِيهِ .  
وَكَذَلِكَ فِي التَّشْبِيهِ الْمَظْهَرِ الْأَدَاةُ كَقَوْلِهِ : وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنشَاتُ فِي  
الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ . وَهَذَا تَشْبِيهُ كَبِيرٌ بِمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ . لِأَنَّ خَلْقَ السُّفُنِ  
الْبَحْرِيَّةِ كَبِيرٌ وَخَلْقُ الْجِبَالِ أَكْبَرُ مِنْهُ . وَمِثْلُهُ : إِذَا شَبَّهْتُ شَيْءًا حَسَنًا  
بِشَيْءٍ حَسَنٍ فَلَا إِذَا لَمْ يُشَبَّ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ فَلَيْسَ هُوَ بِوَارِدٍ  
عَلَى طَرِيقِ الْبَلَاغَةِ . وَهَكَذَا : إِنْ شَبَّهْتُ قَبِيحًا بِقَبِيحٍ فَيَتَّبِعُنِي أَنْ يَكُونَ  
الْمَثَبُ بِهِ أَقْبَحَ وَإِنْ قَصِدَ الْبَيَانُ وَالْإِيضَاحُ فَيَتَّبِعُنِي أَنْ يَكُونَ  
الْمَثَبُ بِهِ آيِنًا وَأَوْضَحَ . فَتَقْدِيرُ لَفْظَةِ (أَفْعَلٍ) لَا بُدَّ مِنْهُ فِيمَا يُقْصَدُ  
بِهِ بَلَاغَةُ التَّشْبِيهِ وَالْأَكَا كَانَ التَّشْبِيهُ نَاقِصًا فَاعْلَمْ ذَلِكَ وَقَسْ عَلَيْهِ

## البحث الثامن العاشر

### في اقسام التشبيه

(عن صناعة الترسل لتهاب الدين الحلبي باختصار)

( راجع صفحة ٤٩ من علم الادب )

( التَّشْبِيهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ ) : الْأَوَّلُ تَشْبِيهُ مُحْسُوسٍ بِمُحْسُوسٍ  
لَا شَرَاكِهِمَا إِمَّا فِي الْحُكُومَاتِ الْأُولَى وَهِيَ مُسَدَّكَاتُ السَّعْرِ

وَالْبَصَرِ وَالذَّوْقِ وَالشَّمِّ وَاللَّسِّ . كَتَشْبِهِ الْخَيْدِ بِالْوَرْدِ . وَالْوَجْهِ  
 بِالنَّهَارِ . وَالْقَوَاكِحِ الْخُلُوعَ بِالسُّكْرِ وَالسَّلِ . وَرَائِحَةَ بَعْضِ الرِّيحَانِ  
 بِالْكَافُورِ وَالْمِسْكِ . وَاللَّيْلِ النَّاعِمَ بِالْحَرِّ . وَلَحْشِنَ بِالْمَسْحِ . أَوْ فِي  
 الْخُشُوسَاتِ الثَّانِيَةِ وَهِيَ : الْأَشْكَالُ الْمُسْتَقِيمَةُ وَالْمُسْتَدِيرَةُ وَالْمَقَادِيرُ  
 وَالْحَرَكَاتُ كَتَشْبِهِ الْمُسْتَوِيِّ الْمُنْتَصِبِ بِالرَّحِ . وَالْقَدِّ الطَّيْفِ  
 بِالْعُضْرِ . وَالشَّيْءِ الْمُسْتَدِيرِ بِالْكُرَةِ وَالْحَلَقَةِ . وَعَظْمِ الْجَنَّةِ بِالْجَلِ .  
 وَالذَّاهِبِ عَلَى الْأَسْتِقَامَةِ بِقُوذِ السَّهْمِ . أَوْ فِي الْكَيْفِيَّاتِ الْجُمَايَةِ  
 كَالصَّلَاةِ وَالرَّخَاوَةِ . أَوْ فِي الْكَيْفِيَّاتِ الْفُسَانِيَةِ كَالْعَرَائِزِ وَالْأَخْلَاقِ .  
 أَوْ فِي حَالَةٍ إِضَافِيَةٍ كَقَوْلِكَ : هَذِهِ حُجَّةٌ كَالشَّمْسِ . وَالْجُلُوعِ أَنَّ  
 كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُزِيلٌ لِلْحِجَابِ وَكَقَوْلِكَ : الْقَاظَةُ كَالْمَاءِ فِي السَّلَاسَةِ .  
 وَكَالتَّسْمِيَةِ فِي الرِّقَّةِ . وَكَالْعَسَلِ فِي الْحَلَاوَةِ . وَالْجُلُوعِ سِرْعَةً وَصُورَةً  
 إِلَى النَّفْسِ وَأَهْرَازَهَا بِهِ . وَرَبَّمَا كَانَ الشَّيْءُ بِوَجْهِ عَقْلِيٍّ كَقَوْلِ فَاطِمَةَ  
 بِنْتِ الْحَوْشِبِ الْأَنْمَارِيَّةِ حِينَ وَصَفَتْ بَيْنَهَا : هُمْ كَالْحَلَقَةِ الْمَفْرَغَةِ لَا يُدْرَى  
 أَيْنُ طَرَفَاهَا . فَإِنَّهُ لَا يَفْهَمُ الْمَقْصُودَ الْأَمَنَ لَهُ ذَهْنٌ يَدْرُعُ عَنْ طَبَقَةِ  
 الْعِلْمَةِ بِخِلَافِ مَا سَبَقَ . وَمِنْ أَفَرَقِ الظَّاهِرِ بَيْنَهُمَا أَنَّ جَعَلَ الْقَرَعَ  
 أَضْلًا وَالْأَضْلَ فَرَعًا يَجِيءُ فِيمَا تَقَدَّمَ حَيْثُ وَاسِعًا كَقَوْلِهِ فِي النُّجُومِ :  
 كَانَتْهُمْ مَصَابِيحُ . وَفِي الْمَصَابِيحِ : كَانَتْهَا نُجُومٌ . وَإِنْ حَاوَلْتَ ذَلِكَ فِي  
 الثَّانِي لَمْ يَكُنْ يَتَقَادُّ اتِّقَادَ الْأَوَّلِ . ( الثَّانِي ) تَشْبِيهُ الْمَعْقُولِ بِالْمَعْقُولِ  
 كَتَشْبِيهِ الْوُجُودِ الْعَارِي عَنِ الْقَوَائِدِ بِالْعَدَمِ وَتَشْبِيهِ الْقَوَائِدِ الَّتِي  
 تَبْقَى بَعْدَ عَدَمِ الشَّيْءِ بِالْوُجُودِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :



رُبَّ حَيٍّ كَمَيْتٍ لَيْسَ فِيهِ أَمَلٌ يُرْتَجَى لِنَفْعٍ وَضُرٍّ  
وَعَظَامٍ تَحْتَ الثَّأْبِ وَفَوْقَ الْأَمْرِ رِضٍ وَنَهَا آثَارُ حَمْدٍ وَشُكْرِ  
(الثَّالِثُ) تَشْبِيهُ الْمَعْقُولِ بِالْحَسُّوسِ كَقَوْلِهِ : وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِهَيْعَةٍ . وَكَقَوْلِهِ : وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَرَدٍ  
أَسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ . (الرَّابِعُ) تَشْبِيهُ الْحَسُّوسِ بِالْمَعْقُولِ  
وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ لِأَنَّ الْعُلُومَ مُسْتَفَادَةً مِنَ الْخَوَاسِ وَمُتَشَبِّهَةٌ إِلَيْهَا وَلِذَلِكَ  
قِيلَ : مَنْ قَدَّ حَسًّا قَدَّ عِلْمًا . فَإِذَا كَانَ الْحَسُّوسُ أَصْلًا لِلْمَعْقُولِ فَتَشْبِيهُهُ  
بِهِ يَكُونُ جَلًّا لِلْفَرْعِ أَصْلًا وَالْأَصْلُ فَرْعًا . وَلِذَلِكَ لَوْ حَاوَلَ مُحَاوِلُ  
الْمُبَالَغَةِ فِي وَصْفِ الشَّيْءِ بِالظُّهُورِ وَالْإِسْكِ بِالشَّيْءِ قَالَهُ : الشَّيْءُ  
كَالْحَجَّةِ فِي الظُّهُورِ . وَالْإِسْكُ كَالشَّيْءِ فِي الطَّيِّبِ . كَانَ سَخِيفًا مِنْ  
أَقْوَلِ . فَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الْأَشْعَارِ مِنْ تَشْبِيهِ الْحَسُّوسِ بِالْمَعْقُولِ فَوَجْهُهُ  
أَنَّهُ يُقَدَّرُ الْمَعْقُولُ مَحْسُوسًا وَيُجْعَلُ كَالْأَصْلِ الْحَسُّوسِ عَلَى طَرِيقِ  
الْمُبَالَغَةِ فَيَصِحُّ التَّشْبِيهُ جِنْدًا . وَذَلِكَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَكَانَ الْجُودُ بَيْنَ دُجَاهَا سُنَّةً لَاحَ يَتَنَّهُ أَيْدَاعُ

فَأَنَّهُ لَأَشَاعَ وَصْفُ السُّنَّةِ بِالْبَيَاضِ وَالْإِشْرَاقِ عَلَى مَا قِيلَ :  
أَتَشَكُّمُ بِالْحَفِيفَةِ الْبَيضاء لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا . وَأَشْهَرَتِ الْبَيْدَةُ وَكُلُّ مَا  
لَيْسَ بِحَقٍّ بِالظُّلْمَةِ فَحِيلَ الشَّاعِرُ أَنَّ السُّنَّةَ كَانَتْهَا مِنَ الْأَجْنَاسِ الَّتِي  
لَهَا إِشْرَاقٌ وَنُورٌ وَأَنَّ الْبَيْدَةَ نَوْعٌ مِنَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي لَهَا اخْتِصَاصٌ بِالسَّوَادِ  
وَالظُّلْمَةِ . فَصَارَ ذَلِكَ عِنْدَهُ كَتَشْبِيهِ مَحْسُوسٍ بِمَحْسُوسٍ فَجَارَ لَهُ التَّشْبِيهُ .  
وَبِالْجَمَةِ فَهَذَا التَّشْبِيهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِتَحْيِيلِ مَا لَيْسَ بِمَتَلَوِّنٍ مُتَلَوِّنًا . ثُمَّ

يَحْتَمِلُ أَضْلًا فِشْبَةً بِهِ وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ فِي قَوْلِ أَبِي طَالِبٍ الرَّقِي :  
 وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالْظَّلَامُ كَأَنَّهُ يَوْمُ الْتَوَى وَفُوَادُ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ  
 قَائِلُهُ لَمَّا كَانَتْ الْأَوَقَاتُ الَّتِي تَحْتُ فِيهَا الْمَكَارِهِ تُوصَفُ بِالسَّوَادِ  
 (يُقَالُ : اسْوَدَّتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنَيْهِ) جَعَلَ يَوْمُ الْتَوَى كَأَنَّهُ أَشْهُرُ وَأَعْرَفُ  
 بِالسَّوَادِ مِنَ الظَّلَامِ فَرَقَهُ بِهِ وَشَبَّهَهُ . ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ فُوَادُ مَنْ لَا  
 يَرْفُقُ نَظَرًا . وَالْقَلْبُ الْقَلْبِي يُوصَفُ بِسِدَّةِ السَّوَادِ . فَصَادَ هَذَا الْقَلْبُ  
 أَضْلًا عِنْدَهُ فِي السَّوَادِ قَسَّ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ  
 حِينَ أَهْدَى الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الْغَزِيِّ الْجُرْجَانِي عِطْرًا :  
 يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي شَبَّهَ لَهْ فِي قُرْبِ عَهْدِ لِقَائِهِ مُشْتَاتَهُ  
 أَهْدَيْتُ عِطْرًا يَشْلُ طِيبَ ثَنَاهُ فَكَأَنَّمَا أَهْدَيْتُ لَهْ أَخْلَاقَهُ  
 وَالْعَادَةَ تَشْبِيهُ الشَّيْءِ بِالْعِطْرِ وَهُوَ عَكْسُ الْأَمْرِ عَلَى جِهَةِ الْمُبَالَغَةِ  
 كَمَا بَيَّنَّا . وَقُلْتُ فِي تَشْبِيهِ حِضْنِ :

كَأَنَّهُ وَكَانَ الْجَوْ يَكْنِفُهُ وَهَمَّ تَمَثُّلُهُ فِي طَيْهَا الْفِكْرُ

لِأَنَّهُ لَمَّا أَرْتَفَعَ الْحِضْنُ فِي الْجَوْ حَتَّى صَارَ كَالْوَهْمِ فَيَكُونُ مِنْ تَشْبِيهِ  
 الْحَسُّوسِ بِمَا تَحْتَمِلُ أَنَّهُ مُحْسُوسٌ لِإِظْلَامِهِ فِي الْأَعْيَانِ أَوْ قِرْضَ لَهْ الْخَفَاءُ  
 حَتَّى صَارَ يُشَبَّهُ مَعْقُولًا بِمَعْقُولٍ . وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا النَّوعِ تَشْبِيهُ الْوُجُودِ  
 بِالتَّحْمِيلِ الَّذِي لَا وَجُودَ لَهْ فِي الْأَعْيَانِ كَتَشْبِيهِ الْجَمْرِ بَيْنَ الرَّمَادِ يَجْرُ  
 مِنْ الْمَسْكِ مَوْجُهُ الدَّهَبُ . وَذَلِكَ إِنَّمَا يَتِمُّ إِذَا قُرِضَ التَّحْمِيلُ أُمُورًا  
 كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَوْجُودٌ فِي الْأَعْيَانِ . فَحِينَئِذٍ يَكُونُ التَّشْبِيهُ حَسَنًا  
 لَطِيفًا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِي التَّرَجِسِ :

كَانَ عُيُونُ الدَّجَسِ الْغَضَبِ يَنُنَا مَدَاهِنُ دُرِّ حَشَوْنٍ عَيْقُ  
وَكَقَوْلٍ آخَرَ فِي تَشْبِيهِ الشَّقَاتِي :

وَكَانَ مُحَرَّرَ الشَّقِيقِ م إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ

أَعْلَامُ يَأْقُوتِ نُشْرِ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرَجَدَ

وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْجَنَسِ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

أَيَقْتُلْنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِي وَسُنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنِّيَابِ أَعْوَالِ

فَأَنَّهُمْ لَمْ يَشَاهِدُوا أَنِّيَابَ الْأَعْوَالِ بَلْ أَعْتَقَدُوا أَنَّهُ فِي غَايَةِ

الْحَدِّ فَحَسَنَ التَّشْبِيهِ . وَعَلَيْهِ جَاءَ قَوْلُهُ : طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ .

لَتَأْهِي رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ فِي الْكَوَاهِ وَلِأَعْتِقَادِهِمُ الْقَايَةَ فِي قُبْحِ

الشَّيْطَانِ وَكَرَاهِيَّتِهِ يُشَبِّهُونَ بِهِ الْوَجْهَ الْقَبِيحَ . وَلِأَعْتِقَادِهِمُ الْقَايَةَ فِي

خَيْرِ الْمَلِكِ وَأَنَّهُ لَا شَرَّ فِيهِ يُشَبِّهُونَ بِهِ الصُّورَ الْحَسَنَةَ كَمَا قَالَ :

مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا بِهِ الْمِثَاقَةُ قَدْ

يَكُونُ مُقَيَّدًا بِالْإِتْسَابِ إِلَى الشَّيْءِ وَذَلِكَ إِمَّا إِلَى الْمَقُولِ بِهِ وَهُوَ

لَجَارٍ وَالْخَجُورُ كَقَوْلِهِمْ لَنْ يَفْعَلَ مَا لَا يُفِيدُ : كَالْوَأَقِمِ عَلَى أَلْمَاءِ .

وَأَمَّا إِلَى أَحْصَالِ كَقَوْلِهِمْ : كَالْحَادِي وَلَيْسَ لَهُ سَيْرٌ ( أَلْوَاؤُ لِلْحَالِ ) .

وَأَمَّا إِلَى الْمَقُولِ بِهِ وَالْجَارِ وَالْخَجُورِ كَقَوْلِهِمْ : هُوَ كَمَنْ يَجْمَعُ

السَّيْفَيْنِ فِي عَمْدٍ وَكَبْتَجِي الصِّدِّ فِي عَرِيْسَةِ الْأَسَدِ . وَكَقَوْلِ لَيْدٍ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالْدِيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمَ حُلُومِهَا وَعَدَدَا بِلَاقَةِ

فَلَانَهُ لَمْ يُشَبِّهِ النَّاسَ بِالدِّيَارِ وَرَأَى شَبَّهُ وَجُودِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَسُرْعَةَ

زَوَالِهِمْ بِحُلُومِهَا الدِّيَارِ وَوَشَكَّ رَحِيلِهِمْ مِنْهَا . وَكَلَّمَا كَانَتْ الْمُقَدَّمَاتُ

أَكْثَرَ كَانَ الشَّيْءُ أَوْخَلَ فِي كَوْنِهِ عَقْلًا كَقَوْلِهِ : إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا كَمَا أَثَرُ لَمَاءٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاتَّخَذَتْ ۖ نَبَاتُ الْأَرْضِ بِمَا يَأْكُلُ  
النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا  
أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ نَايِلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَا مَا حَصِيدًا كَمَا كَانَ لَمْ  
تَغْنِ بِالْأَنْسِ . فَإِنَّ الشَّيْءَ مُتَرَعٍّ مِنْ تَجْمُوعِ هَذِهِ الْجُلُجِ مِنْ غَيْرِ  
أَنْ يُمْكِنَ فَضْلُ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ . فَإِنَّكَ لَوْ حَذَفْتَ مِنْهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً  
مِنْ آيٍ مَوْضِعٍ كَانَ أَخْلَ ذَلِكَ بِالْقُصُودِ مِنَ الشَّيْءِ . ثُمَّ مَا بِهِ  
الْمُشَابَهَةُ إِنْ كَانَ مُرَكَّبًا فَإِنَّهُ عَلَى قِسْمَيْنِ : (الْأَوَّلُ) مَا لَا يُمْكِنُ  
إِفْرَادُ أَحَدِ أَجْزَائِهِ بِالذِّكْرِ كَقَوْلِهِ :

كَانَ سُهَيْلًا وَالْجُجُومُ وَرَاءَهُ صُفُوفُ صَلَاةٍ قَامَ فِيهَا إِمَامُهَا  
فَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ إِفْرَادُ أَجْزَاءِ هَذَا الشَّيْءِ إِذْ لَوْ قُلْتَ : كَانَ  
سُهَيْلًا إِمَامٌ وَكَانَ الْجُجُومُ صُفُوفُ صَلَاةٍ . فَهَبْتَ فَائِدَةً هَذَا الشَّيْءِ .  
(الثَّانِي) مَا يُمْكِنُ إِفْرَادُهُ بِالذِّكْرِ وَيَكُونُ إِذَا أُزِيلَ مِنْهُ  
التَّزْكِيْبُ صَحِيحَ الشَّيْءِ فِي طَرَفِهِ إِلَّا إِنْ أَلْفَعِيَ مُعَيَّرُ كَقَوْلِ آيٍ  
طَالِبِ الرَّفْقِ :

وَكَانَ أَجْرَامُ الْجُجُومِ لَوَامِمًا دُرٌّ يُثْنَى عَلَى بَسَاطَةِ أَرْقٍ  
فَلَوْ قُلْتَ : كَانَ الْجُجُومُ دُرٌّ وَكَانَ السَّمَاءُ بَسَاطُ أَرْقٍ وَجَدْتَ  
الشَّيْءَ مَقْبُولًا . وَلَكِنْ الْقُصُودُ مِنَ الْهَيْئَةِ الْمَشَبَّهِ بِهَا قَدْ زَالَ .  
وَرَبَّمَا كَانَ الشَّيْءُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَلَا يَتَّقِدُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ . وَإِنَّمَا  
يَكُونُ بَعْضُهَا مَضْمُومًا إِلَى الْبَعْضِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُنْفَرِدٌ بِنَفْسِهِ

كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ كَالْأَسَدِ بِأَسَا وَالْبَجَرُ جُودًا وَالسَّيْفُ مَضَاءٌ وَالْبَذَرُ بَهَاءٌ .  
وَكَقَوْلِكَ : هُوَ يَصْفُو وَيَكْثُرُ وَيَحْلُو وَيَمُرُّ . وَلَهُ خَاصَّتَانِ ( إِحْدَاهُمَا )  
أَنَّهُ لَا يَجِبُ فِيهِ الْقَرِيبُ . ( وَالثَّانِيَةُ ) إِذَا أُسْقِطَ الْبَعْضُ لَا يَتَعَدَّى  
تَحْكُمُ الْبَاقِي . وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :  
كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَا يَسَا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي  
وَفِيهِ ظَرْفٌ

### المبحث التاسع عشر

#### في التشابيه المستعملة عند العرب

( من كتاب الصناعتين للمصري وعن البديعيات )

أَمَّا الطَّرِيقَةُ الْمَسْلُوكَةُ فِي التَّشْبِيهِ وَالْتِمَازِ أَعْقَابُهَا فِي التَّمْثِيلِ  
عَنِ الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ فَتَشْبِيهُ الْجَوَادِ بِالْبَجَرِ وَالطَّيْرِ وَالشَّجَاعِ بِالْأَسَدِ  
وَالْحَسَنِ بِالسَّنَسِ وَالْقَمَرِ . وَالْقَهْمِ بِالْمَاضِي بِالسَّيْفِ . وَالْعَالِي الرَّتَبَةِ  
بِالنَّجْمِ . وَالْحَلِيمِ الرَّزِينِ بِالْجَلِ . وَالْحَيِّ بِالْكَرِّ ثُمَّ يُشَبِّهُونَ اللَّهْمَ  
بِالْكَلْبِ . وَالْجَبَانَ بِالصَّغْرِ . وَالطَّائِشَ بِالْقَرَّاشِ . وَالذَّلِيلَ بِالْقَعْدِ  
وَالْتَعَلَّ . وَالتَّفَعُّ بِالْوَتْدِ . وَالْهَلَكِيَّ بِالْحَدِيدِ وَالصَّخْرَ . وَالتَّلِيدَ بِالْجَمَادِ .  
وَشَهَرَ قَوْمٌ بِخِصَالٍ مَحْمُودَةٍ فَصَادُوا فِيهَا أَعْلَامًا فَجَرَوْا بِجَرَى مَا قَدَّمَاهُ  
كَالسَّمُولِ فِي الْوَقْدِ وَمَحَاتِمٍ فِي السَّخَاءِ . وَالْأَخْنَفِ فِي الْحِلْمِ . وَسَحَابَانَ  
فِي الْبَلَاغَةِ . وَقُسْرٍ فِي الْخَطَايَةِ . وَلُثْمَانَ فِي الْحِكْمَةِ . وَشَهَرَ  
آخَرُونَ بِأَضْدَادِ هَذِهِ لِخِصَالِ فَتَنِهِ يِهِمْ فِي حَالِ الذَّمِّ كَبَاقِلٍ فِي  
الْعَمَى . وَهَبَنَةً فِي الْحَقِّ . وَالْكُسْعِيَّ فِي التَّدَامَةِ . وَمَادِرٍ فِي التَّجَلُّلِ

وَالشَّيْءُ يُرِيدُ الْمَعْنَى وَضَوْحًا وَيُكْسِبُهُ تَأْكِيدًا . وَقَدْ يَأْتِي تَارَةً  
لِيَبَانَ إِنْ كَانَ وَجُودُ الشَّيْءِ عِنْدَ ادِّعَاءِ مَا لَا يَكُونُ إِمْكَانُهُ بَيْنًا .  
كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّئِيِّ :

فَإِنْ تَقَى الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ أَلْسِنَكَ بَعْضُ دَمِ الْقَزَالِ  
وَيَكُونُ لِيَبَانَ مِقْدَارُ الشَّيْءِ كَمَا إِذَا حَاوَلْتَ قَهْرَ الْقَائِدَةِ مِنْ  
فِعْلِ الْإِنْسَانِ قُلْتَ : هُوَ كَالْقَابِضِ عَلَى أَلْمَاءٍ . وَقَدْ أَطْبَقَ جَمِيعُ الْمُتَكَلِّمِينَ  
مِنَ الْعَرَبِ وَالْجَمْعِ عَلَى قَوَائِدِ الشَّيْءِ . وَلَمْ يَنْتَقِ أَحَدٌ مِنْهُمْ  
عَنْهُ . وَقَدْ جَاءَ عَنِ الْقَدَمَاءِ وَأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ كُلِّ جِيلٍ مَا يُسْتَدَلُّ  
بِهِ عَلَى شَرَفِهِ وَفَضْلِهِ وَوَقْفِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ بِكُلِّ لِسَانٍ . مِنْ ذَلِكَ مَا  
قَالَ صَاحِبُ كَلِيَّةٍ وَدِمْنَةٍ : الدُّنْيَا كَالْمَاءِ كُلَّمَا أَزْدَدْتَ مِنْهُ شُرْبًا  
أَزْدَدْتَ مِنْهُ عَطْشًا . وَقَالَ : صُحْبَةُ الْأَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ كَالرَّيْحِ إِذَا  
مَرَّتْ عَلَى النَّسْتِ لَتْ نَتْنًا . وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى الطَّيِّبِ حَمَلَتْ طَيِّبًا .  
وَقَالَ : مَنْ أَنْعَمَ لِمَنْ لَا يَشْكُرُ كَانَ كَمَنْ تَرَدَّدَ فِي السِّبَاخِ .  
وَقَدْ قَطَعْتُ هَذَا الْمَعْنَى :

أَلَا إِنَّمَا النَّعْمَى تُجَاوِزُ بِمَثَلِهَا إِذَا كَانَ مُسَدِّدًا هَا إِلَى مَا جِدَ حَرِي  
فَمَا إِذَا كَانَتْ إِلَى غَيْرِ مَا جِدَ فَقَدْ ذَهَبَتْ فِي غَيْرِ حَمْدٍ وَلَا شُكْرِ  
إِذَا أَلَمَرْنَا الْقَهْرَ فِي السِّبَاخِ بِذُورِهِ أَضَاعَ فَلَمْ يَرْجِعْ بِزَرْعٍ وَلَا بِذَرٍ  
وَقَالَ أَيْضًا : لَا يَنْجَحِي فَضْلُ ذِي الْعِلْمِ وَإِنْ أَخْفَاهُ كَأَلْسِنِكَ  
يُجْبَأُ وَيُسَدَّرُ لَمْ لَا يَتِمُّ ذَلِكَ رَاجِحَةً أَنْ تَفُوحَ . أَخَذَهُ الصَّاحِبُ فَكَتَبَ :  
أَمْتَ آدَامَ اللَّهِ عَزَّكَ . وَإِنْ طَوَيْتَ عَنَّا خَاخَكَ . وَجَعَلْتَ وَطَنَكَ وَطَرَكَكَ .

فَأَنبَأَكَ تَأْمِينًا كَمَا وَشَى بِإِلْسِنِكَ رِيَاءَهُ . وَتَمَّ عَلَى الصَّاحِ حُجْيَاهُ .  
وَقَالَ : الرَّجُلُ ذُو الْمُرُوءَةِ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ . كَأَلَّاسِدِ يَهَابُ وَإِنْ  
كَانَ رَابِضًا . وَالرَّجُلُ الَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ يَهَانُ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا .  
كَالْكَلْبِ يَهُونُ عَلَى النَّاسِ وَإِنْ طُوقَ . وَقَالَ : لَا يَجِبُ لِلْمَذْنِبِ  
أَنْ يُفْخَصَ عَنْ أَمْرِهِ لِقُبْحِ مَا يَكْشِفُ مِنْهُ كَالشَّيْءِ الْمُنْتِنِ كُلَّمَا أُثْبِتَ  
أَزْدَادَ نَتَأَ . وَقَالَ أَيْضًا : مَنْ يَضَعُ الْمَعْرُوفَ لِجَائِلِ الْجَزَاءِ فَهُوَ  
كَمُتْلِي الْحَبِّ لِلطَّيْرِ لَا يَنْفَعُهَا بَلْ لِيَصِيدَهَا بِهِ . وَقَالَ أَيْضًا : أَلْمَالُ إِذَا  
اجْتَمَعَ وَلَمْ يُصَرَفْ فِي الْحَقِّوُقِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْهَلَاكُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ كَأَلْمَاءِ  
إِذَا اجْتَمَعَ فِي مَوْضِعٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى التَّفَوُّذِ تَجَرُّ مِنْ جَوَانِهِ  
فَضَاعَ . وَقَالَ أَيْضًا : يَبْقَى الصَّالِحُ مِنَ الرِّجَالِ صَالِحًا حَتَّى يُصَاحِبَ  
فَاسِدًا فَإِذَا صَاحَبَهُ فَسَدَ مِثْلُ مِيَاهِ الْأَنْهَارِ تَكُونُ عَذْبَةً حَتَّى تَخْلُطَ  
بِمَاءِ الْبَحْرِ فَإِذَا خَالَطَتْهُ مَلَحَتْ . وَمِنْ الْأَشْيَاءِ الْحَسَنَةِ قَوْلُ جَعْفَرِ بْنِ  
مُحَمَّدٍ : الْأَدَبُ عِنْدَ الْأَحْقَقِ كَأَلْمَاءِ الْمَذْنِبِ فِي أُصُولِ الْخُفْظَلِ كُلَّمَا  
أَزْدَادَ رِيًّا أَزْدَادَ مَرَارَةً . وَمِنْ الْأَشْيَاءِ الشَّعْرِيَّةِ الْبَدِيعَةُ قَوْلُ لَيْسٍ :  
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالنَّهَابِ وَضَوْؤُهُ يَجُورُ رَهَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ  
وَمَا أَلْمَالُ وَالْأَهْلَؤُنِ إِلَّا وَدِيعَةٌ وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوُدَائِعُ  
تَمَّ قَالَ :

وَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفَنَهُ      تَقَادُمُ عَهْدِ الْتَقِينِ وَالنَّصْلُ قَاطِعُ  
وَقَوْلُ مَالِحِ بْنِ جَنَاحِ الْعَبْسِيِّ :  
أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ عِنْدَ لِقَائِهِ      وَلَا خَيْرَ فِي عَمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَصْلُ

وَقَالَ مُتِّمٌ :

وَبَعْضُ الرِّجَالِ نَحْمَةُ لَاجِنِي لَهَا      وَلَا ظِلَّ إِلَّا أَنْ يُعَدَّ مِنَ النَّحْلِ

وَقَالَ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِيُّ :

وَإِذَا أَفْقَرْتَ إِلَى الدَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ      دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

وَكَقُولِ النَّابِغَةِ فِي التَّعْلَانِ :

فَإِنَّكَ شَسٌّ وَالْأَنَامُ كَوَاكِبٌ      إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبٌ

وَمِنْ بَدِيعِ تَشَابِيهِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ :

وَرَأَيْتِي وَإِسْمَاعِيلَ يَوْمَ ودَاعِهِ      فَكَأَنَّ يَوْمَ الرَّوْعِ قَارِقَةُ النَّصْلِ

وَكَقُولِ بَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيِّ :

قَدْ كَادَ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِيًا

لَوْ كَانَ طَلَقَ الْحَيَا يُطِرُ الذَّهَبَا

وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَتَجَنَّ وَالشَّسُّ لَوْ خَطَّتْ

وَاللَّيْثُ لَوْ لَمْ يُصَدِّ وَالْجَبْرُ لَوْ عَذَبَا

وَالْمُتَتَّبِعِي فِي وَصْفِ ظَنِّي :

أَغْنَاهُ حُسْنُ الْجِيدِ عَنْ لُبْسِ الْخَلِي      وَعَادَةُ الْعُرْيِ عَنْ اتَّقْفُضِ

كَأَنَّهُ مُصْعَقٌ بِصُدْلٍ

وَكَقُولِهِ فِي سُرْعَةِ الْأَوِيَّةِ وَتَقْلِيلِ اللَّبِثِ :

وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ      يُعَوِّدُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ أَمْتِسَاكًا

وَلَهُ قَوْلُهُ :

وَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ      وَأَنْتَ إِرَاءُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدٌ



وَلَهُ آيَظًا وَهُوَ مِنْ جِنْسِ الْأَبْدَاعِ :

مَلِكٌ سِنَانٌ قَسَاةٌ وَبَسَاةٌ      يَبَارِكُ دِمَا وَعَرَفَا مَسَاكِبَا  
كَأَبْدَرٍ مِنْ حَيْثُ أَلْقَتْ رَأْيَتَهُ      يَهْدِي إِلَى عَيْبِكَ ثَوْدًا نَاقِبَا  
كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ الْمَاءِ وَغَوَا      يَفْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبَا  
كَالْبَحْرِ يَهْدِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرَا      جُودًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ مَحَاكِبَا  
وَكَثِيرًا مَا يَتَلَطَّفُ الشُّعْرَاءُ بِالتَّشْبِيهِ فَيُشَبِّهُونَ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ  
بِشَيْئَيْنِ وَثَلَاثَةً . وَرَبَّمَا شَبَّهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ وَثَلَاثَةً بِثَلَاثَةٍ وَآرَبَعَةً  
بِآرَبَعَةٍ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي الْفَرَسِ :

لَهُ أَطْلَالٌ ظَلِي وَسَاقًا ضَامَةً      وَارْحَاهُ مِرْحَانٍ وَتَغْرِيبُ تَتْلُ  
وَكَقَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بَرْدٍ :

كَانَ مُنَادٍ أَلْفَعْرَ فَوْقَ رُؤُوسَا      وَأَسْيَافَا لَيْلُ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ  
وَلِابْنِ الْمَعَرِيِّ فِي تَشْبِيهِ حُبَابِ الرِّيحِ :  
يَجُولُ حُبَابُ الرِّيحِ فِي جَنَابَاتِهَا      كَمَا جَالَ دَمْعٌ فَوْقَ خَدِّ مُورَدٍ  
وَلَاخِرَ قَدْ شَبَّهَ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِآرَبَعَةٍ :

لِلَّهِ طَرَسٌ عَنْ سَطُورٍ جَادَهَا م      أَلْفِكْرَ السَّلِيمِ يَصُوبُ مِنْكَ أَدْفَرُ  
فَكَأَنَّمَا هُوَ دَوْضَةٌ أَوْ جَدُولٌ      أَوْ سِطٌّ دَرَّ أَوْ قِلَادَةٌ عَنَبَرُ  
وَمِنْ أَنْوَاعِ التَّشْبِيهِ التَّمَثِيلُ وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ تَشْبِيهًُا وَاحِدًا  
مُقْبِلًا بِمُؤَدٍّ وَيُظَنُّ أَنَّهَا تَشْبِيهَاتٌ بِمَجْمُوعَةٍ كَقَوْلِهِ :

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةٌ      فَلَمَّا رَجَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتْ  
فَإِنَّ مُجَرَّدَ قَوْلِهِ : أَبْرَقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةٌ لَيْسَ تَشْبِيهًُا مُسْتَقِلًّا

بِنَاتِهِ لِأَنَّ مَقْصُودَ الشَّاعِرِ أَنْ يَصِفَ أَتِدَاءَ مُطِيعٍ أَدَّى إِلَى أَتِيَاءٍ  
مُؤَيَّسٍ . وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِجُمْلَةٍ فَإِنَّ تَأْدِيَةَ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِهِ حُكْمٌ  
زَائِدٌ عَلَى ذَاتِهِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنَ التَّشْبِيهِ ضَرْبًا يُسَمَّى الطَّرْدَ وَالْعَكْسَ . وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ  
الْمُشَبَّهُ بِمُشَبِّهِهِ وَالْمُشَبَّهُ شَيْئًا . وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ : غَلَبَةُ الْقُرُوعِ عَلَى  
الْأَصُولِ . وَلَا يُحْدِثُنَا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَاقِعٌ نَرَاهُ بِمَا لَمَّا لَقِئَهُ . كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :  
وَبَدَا الصَّبَاحُ كَانَ غَرَّةً وَجْهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يَمْتَدَحُ  
فَجَعَلَ الْأَصْلَ قُرْعًا وَالْقُرْعَ أَصْلًا . وَهَذَا أَيْضًا وَاحِشٌ وَلَمَدَحُ  
مِنْ تَشْبِيهِ الْوَجْهِ بِالصَّبَاحِ . لِأَنَّ تَشْبِيهِ الْوَجْهِ بِالصَّبَاحِ أَصْلٌ مُتَقَرَّرٌ  
عَلَيْهِ لَا يَنْكَرُ وَلَا يُسْتَكْرَرُ . وَأَمَّا الَّذِي يُسْتَكْرَرُ تَشْبِيهِ الصَّبَاحِ  
بِالْوَجْهِ

## البعث العشرون

### في معاييب التشبيه

( من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف )

وَإِذَا ذَكَرْنَا أَقْسَامَ التَّشْبِيهِ وَبَيَّنَّا الْمَحْدُودَ مِنْهَا الَّذِي يَتَّبِعِي إِقْتِضَاءَ  
أَثَرِهِ وَاتِّبَاعَ مَذْهَبِهِ فَلَنُثَبِّتَ بِضِدِّهِ بِمَا يَتَّبِعِي اجْتِنَابُهُ وَالْأَضْرَابَ عَنْهُ .  
عَلَى أَنَّهُ قَدْ قَلَعْنَا الْقَوْلَ بِأَنَّ حَدَّ التَّشْبِيهِ هُوَ أَنْ يُثَبَّتَ لِلْمُشَبَّهِ  
حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِ الْمُشَبَّهِ بِهِ . فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَوْ كَانَ  
بَيْنَ الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ بُعْدٌ فَذَلِكَ الَّذِي يُطْرَحُ وَلَا يُسْتَعْمَلُ . وَالَّذِي  
يُؤَدُّ مِنْهُ مُضَرَّ الْأَدَاةِ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي التَّوَسُّعِ . كَقَوْلِ أَبِي تَوَّاسٍ :

مَا لِوَجَلِ أَمَلٍ أَمَسَتْ تَشَكِّي مِنْكَ أَلَكَلَا  
فَجَعَلَ لِلْمَالِ رَجُلًا وَذَلِكَ تَشْبِيهُ بَعِيدٌ. وَمِنْ أَقْبَحِ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ  
ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي نَعَامٍ :

وَقَلَّمَ النَّاسُ السَّمَاءَ مُجَزَّأً وَذَهَبَتْ أَنْتَ بِرَأْسِهِ وَسَنَامِهِ  
وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الْأَهَابَ وَمَا بَقِيَ مِنْ قَرْفِهِ وَعُرُوقِهِ وَعِظَامِهِ  
وَأَقْبَحُ أَفْجَاشٍ فِي أَلَيْتِ الثَّانِي وَكُلُّ هَذَا التَّعَسُّفُ فِي التَّشْبِيهِ  
الْبَعِيدِ دَهْدَةٌ حَوْلَ مَعْنَى لَيْسَ بِطَائِلٍ. فَإِنْ غَرَضُهُ أَنْ يَقُولَ : ذَهَبَتْ  
بِالْأَعْلَى وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الْأَدْنَى. أَوْ : ذَهَبَتْ بِالْحَيْدِ وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الرَّدْيَ.  
وَأَمَّا التَّشْبِيهُ الظَّاهِرُ الْأَدَاةَ فَهَذِهِ أَمْثَالُ أوردتها لِنَسْتِدِلَّ بِهَا عَلَى  
أَشْبَاهِهِ فَإِنَّ لِدُكْرِ الْأَمْثَالِ قَائِدَةً لَا تَكُونُ لِذِكْرِ أَحَدٍ وَحْدَهُ. فَمِنْ  
ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

لَا حَاجَتِكَ الشَّيْبَ حَتَّى كَاثَةً ظَبَاءٌ جَوَتْ مِنْهَا سَنَجٌ وَبَارِحُ  
وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ يَصِفُ السِّهَامَ فَشَبَّهَا بِأَعْيَانِ الظِّبَاءِ.  
وَذَلِكَ مِنْ أَبْعَدِ التَّشْبِيهَاتِ :

كَمَا هَا رَطِيبُ الرِّيشِ قَاعَدَتَكَ لَهُ قِدَاحٌ كَأَعْيَانِ الظِّبَاءِ أَلْهَوَارِقِ  
وَعَلَى نَحْوِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَمَا مَشَتْ جُرْبُ الْجَمَالِ بِهَا الْكَيْلُ الْمُشْعَلُ  
فَشَبَّ الْجَمَالُ فِي دُرُوعِ الزَّرْدِ بِالْجَمَالِ الْجُرْبِ. وَهَذَا مِنَ التَّشْبِيهِ  
الْبَعِيدِ الشَّخِيفِ فَضْلًا عَنْ أَنْ لَا مُقَابَلَةَ بَيْنَهُمَا فِي اللَّوْنِ. وَمِنْ التَّشْبِيهَاتِ  
الْبَارِدَةِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ الْجَمِيعُ الْفَانِي فَكَأَنَّهُ النَّارُ تَحْمُ فِي الْأَغْصَانِ  
وَهَذَا تَشْبِيهُ يُكْرَهُ أَهْلُ التَّجْسِيمِ . وَقَدْ عُدُّوا مِنْ التَّشَابِيهِ الَّتِي  
هِيَ غَيْرُ يَلِغَتْ قَوْلُ الشَّاعِرِ فِي وَصْفِ الرُّوضِ :

كَانَ شَقَاتِي التُّعْمَانِ فِيهِ ثِيَابٌ قَدْ رَوَيْنَ مِنَ الدِّمَاءِ  
فَهَذَا وَإِنْ كَانَ تَشْبِيهًا مُضِيًّا فَإِنَّ فِيهِ بَشَاعَةً كَثْرَةُ الدِّمَاءِ  
الَّتِي تَعَفُ الْإِنْسُ الطَّيِّفَةُ رُؤْيَاهَا . وَفِي أَقْوَالِ الْعَرَبِ تَشَابِيَهُ  
تَجَمُّهَا الْأَذْوَقُ الصَّحِيحَةُ وَتَنْفَرُ مِنْهَا الطَّاعُ السَّالِمَةُ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ  
النَّابِغَةِ وَقَدْ عَابَهُ الْأَصْمَعِيُّ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ :

ظَلَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا ظَلَرُ الْمَرِيضِ إِلَى وَجْهِ الْعُودِ  
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَدْ يُكْرَهُ تَشْبِيهُ الْمَدْحُوحِ بِالْمَرِيضِ . وَمِثْلُهُ  
قَوْلُ أَبِي مِخْجَنٍ الثَّقَفِيِّ فِي قَبْنَةٍ :

وَتَرْجِعُ الْعُودَ أَحْيَاءًا وَتَحْقُظُهُ كَمَا يَطِيرُ ذُبَابُ الرُّوضَةِ الْغَرْدُ  
فَإِنَّ الْقَبْنَةَ لَمْ تَرْضَ أَنْ تُشَبَّهَ نَفْسُهَا بِالذُّبَابِ . وَلِذَا كَانَ رَغَبَ  
الْمَوْلُودُونَ عَنْ تَشَابِيهِ الْعَرَبِ لِأَنَّهُمْ مَعَ عَقَادَةِ التَّزْكِيَةِ لَمْ يُسْفِرُوا عَنْ  
كثيرٍ مِنْ شَأْنِهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الشِّعْرِ إِلَى مَا هُوَ أَلْيَقُ بِالْوَقْتِ  
وَأَمْسُ بِأَهْلِهِ



## البحث الحادي والعشرون

### في المذهب الكلامي

( من شرح بديعة البيان لابن حابر الاندلسي باختصار )

( راجع صفحة ٢٨ من علم الادب )

الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ عِنْدَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ هُوَ إِيرَادُ حُجَّةٍ لِلْمَطْلُوبِ  
عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ . وَهُوَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ تَسْلِيمِ الْمَقَدِّمَاتِ  
مُقَدِّمَةٌ تُسْتَلْزَمُ لِلْمَطْلُوبِ . وَقِيلَ : هُوَ أَنْ يَأْتِيَ الْبَلِيغُ فِي صِحَّةِ  
دَعْوَاهُ وَاجْتِهَادِ دَعْوَى خَصِّهِ بِحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ عَقْلِيَّةٍ تَصَحُّ نِسْبَتُهَا إِلَى  
عِلْمِ الْكَلَامِ . إِذَا عُلِمَ الْكَلَامُ عِبَادَةٌ عَنْ إِثْبَاتِ أَصُولِ الدِّينِ  
بِالْبُرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ الْقَاطِعَةِ . وَمِنْ أَوْضَحِ الشَّوَاهِدِ فِي هَذَا النَّوعِ  
قَوْلُ الْقُرْآنِ : لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا .  
فَهَذَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ . وَنَعَامُ الدَّلِيلُ أَنْ تَقُولَ  
لَكِنَّمَا لَمْ تَفْسُدَا فَلَيْسَ إِذَا فِيهَا إِلَهٌ غَيْرَ اللَّهِ . وَمِنْ آيَاتِهِ هَذَا  
الْبَابِ قَوْلُ أَغْرَابِيٍّ لِرَجُلٍ : إِنِّي لَمْ أَرِدْ وَجْهِي عَنْ الطَّلَبِ إِلَيْكَ  
فَضَنْ قَسِكَ عَنْ رَدِّي وَضَعْنِي مِنْ كَرَمِكَ بِحَيْثُ وَضَعْتَ قَسِي مِنْ  
رَجَائِكَ . وَهُنَا قَوْلُ النَّابِغَةِ يَعْتَدِرُ إِلَى الثُّغَمَانِ :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً      وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ  
لَنْ كُنْتُ قَدْ لُبِقْتُ عَنِّي خِيَاةً      لِمَلْفِكَ الْوَايِي أَغَشُ وَأَكْذِبُ  
وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لِي جَانِبٌ      مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبٌ

مُلُوكُ وَآخِرَانِ إِذَا مَا مَدَحْتَهُمْ أَحْكَمُ فِي أَمَوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ  
كَفَيْكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ أَصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرْهَمْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذُنُ بَوَا  
يَقُولُ لِهَذَا أَلَمَّا : أَنْتَ أَحْسَنْتَ إِلَى قَوْمٍ قَدْ حُوكَ . وَأَنَا  
أَحْسَنَ إِلَى قَوْمٍ قَدْ حُتُّهُمْ . فَكَمَا أَنْ مَدَحَ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ لَكَ  
لَا يُعَدُّ ذَنْبًا فَكَمَا مَدَحِي لَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ لَا يُعَدُّ ذَنْبًا . قَالَ ابْنُ أَبِي  
الْإِصْبَعِ : وَمِنْ شَوَاهِدِ هَذَا أَلْبَابِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

لِكُلِّ أَمْرٍ هَسَانٍ نَفْسٌ كَرِيمَةٌ وَنَفْسٌ يُعَاصِيهَا الْفَتَى وَيُطِيعُهَا  
وَنَفْسُكَ مِنْ نَفْسِكَ تَشْفَعُ لِلنَّدَى إِذَا قُلَّ مِنْ أَحْرَارِهِنَّ شَفِيعُهَا  
يَقُولُ : لِكُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسٌ مُطِئَتْ تَأْمُرُ بِالْخَيْرِ . وَنَفْسٌ أَمَارَةٌ  
تَأْمُرُ بِالسُّوءِ . وَالْإِنْسَانُ يُعَاصِي الْأَمَارَةَ مَرَّةً وَيُطِيعُهَا أُخْرَى . وَأَنْتَ  
إِذَا أَمَرْتَكِ الْأَمَارَةُ بِرَأْيِ النَّدَى شَفَعَتِ الْمُطِئَةُ إِلَيْهَا فِي النَّدَى  
فِي الْحَالَةِ الَّتِي يَقُلُّ فِيهَا الشَّفِيعُ فِي النَّدَى مِنَ النَّفُوسِ . فَأَنْتَ  
أَكْرَمُ النَّاسِ

وَأَعْلَمُ أَنْ قِيَاسَ الْمَنْعَبِ الْكَلَامِيِّ إِمَّا حُلِّيٌّ . وَإِمَّا شَرْطِيٌّ .  
فَالْقِيَاسَةُ الْحَمِيَّةُ قَدْ اسْتَنْبَطُوهَا عَلَى صَوْرٍ : وَنَهَا مَا يَرُودُ أَنْ أَبَا دُلْفٍ  
قَصَدَهُ شَاعِرٌ تَمِيزِي . فَقَالَ لَهُ : يَمُنُّ أَنْتَ . فَقَالَ مِنْ تَمِيمٍ . فَقَالَ  
أَبُو دُلْفٍ :

تَمِيمٌ بِطَرَقِ اللَّوْمِ أَهْدَى مِنْ أَلْقَطَا وَلَوْ سَلَكَتْ سُبُلَ الْهَدَايَةِ ضَلَّتْ  
فَقَالَ لَهُ التَّمِيزِيُّ : نَعَمْ بِتِلْكَ الْهَدَايَةِ جِئْتُ إِلَيْكَ . فَافْتَحَهُ بِدَلِيلِ  
حَمِيَّةِ الزَّوْمَةِ فِيهِ أَنْ الْحَيَّ إِلَى ضَالٍّ . وَلَعَمْرِي إِنَّ الْقِيَاسَ الشَّرْطِيَّ

أَوْضَحُ دَلَالَةٍ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ غَيْرِهِ وَأَعَذَبُ فِي الذَّوْقِ وَأَسْهَلُ  
فِي التَّرَكِيبِ . فَلَا تَجْعَلْهُ وَاقِعَةً بَعْدَ ( لَوْ ) وَجَوَابِهَا . وَعَذِيزُ الْجُمْلَةِ عَلَى  
أَصْطِلَاحِهِمْ مُقَدِّمَةٌ شَرْطِيَّةٌ مُتَّصِلَةٌ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْحُكْمِ  
كَمَا جَاءَ : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ ( يُرِيدُ أُمُورَ الْآخِرَةِ ) لَصَحِّحْتُكُمْ  
قَلِيلًا وَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا . وَقَامَ الدَّلِيلُ أَنْ يُقَالَ : لَكِنَّكُمْ صَحِّحْتُكُمْ  
كَثِيرًا وَبَكَيْتُمْ قَلِيلًا فَلَمْ تَعْلَمُوا مَا أَعْلَمُ

وَلَقَدْ زَادُوا عَلَى هَذَيْنِ الْقِيَاسَيْنِ الْقِيَاسَ الْفِتْهِيَّ وَذَلِكَ أَنْ يُقَاسَ  
فَرْعٌ عَلَى أَصْلٍ بِجَمْعٍ بَيْنَهُمَا فَيَلْزَمُ لِلتَّسَاوِي فِي الْحُكْمِ . كَمَا يُحْكَمُ  
أَنَّ الْوَلِيدَ قَالَ لِبَعْضِهِمْ : أَنْشِدْ مِنْ قَوْلِكَ فِي الْخَمْرِ . فَأَنْشَدَهُ :  
كُنَيْتَ إِذَا نُحِتَ وَفِي الْكَأْسِ وَرَدُّهَا

لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبُ  
ثُرَيْكَ أَتَقْدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُوَّةٌ

لَوْجِهِ أَخِيهَا فِي الْإِنَاءِ قُطُوبُ  
فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : ثَمَرَتَهَا وَرَبِّ الْكَمَةِ . هَذَا : لَئِنْ كَانَ  
وَعَنِي لَهَا رَأْبَكَ لَقَدْ رَأَيْتِي مَعْرِفَتِكَ بِهَا . ( يَقُولُ ) : كَمَا أَنَّ عَرَفَتِي  
بِوَضْعِهَا رَأْبَتِكَ كَذَلِكَ مَعْرِفَتِكَ بِهَا رَأْبَتِي



## الفصل الخامس

في محاسن الانشاء ومعانيه

### البحث الاول

في تميز الكلام جيد من رديته ونادره من بارده

( عن كتاب الصانعين للمصري باختصار )

( راجع صفحة ٥١ من علم الادب )

الكَلَامُ آيَدُكَ اللَّهُ يُحْسِنُ بِسَلَاسَةٍ وَسُهُولَةٍ وَنَصَاعَةٍ وَتَحْسِينِ  
لَفْظِهِ وَإِصَابَةِ مَعْنَاهُ وَجُودَةٍ مَقَاطِعِهِ وَلِينِ مَعَاطِفِهِ وَأَسْتَوَاءِ تَقَاسِيمِهِ  
وَتَعَادُلِ أَطْرَافِهِ وَتَشْبِهِهِ أَنْجَازِهِ بِهَوَادِيهِ وَمُؤَافَقَةِ مَا خَيْرُهُ لِمَبَادِيهِ مَعَ  
قَلَّةِ ضُرُورَاتِهِ بَلْ عَدَمِهَا أَصْلَاحَتِي لَا يَكُونُ لَهَا فِي الْأَلْفَاظِ أَثَرٌ .  
فَقَدْ أَلْمَنُظُومٌ مِثْلُ الْمُتَشَوُّرِ فِي سُهُولَةِ مَطْلَعِهِ وَجُودَةِ مَقْطَعِهِ وَحُسْنِ  
رُغْفِهِ وَتَأْلِيفِهِ وَكَمَالِ صَوْغِهِ وَتَرْكِيبِهِ . فَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ كَذَلِكَ  
كَانَ بِالْقَبُولِ حَقِيقًا وَبِالْحِفْظِ خَلِيقًا كَقَوْلِ الْأَوَّلِ :

هُمْ الْأَوَّلَى وَهَبُوا لِلْعَجْدِ أَهْسَهُمْ      مَا يُبَالُونَ مَا كَالُوا إِذَا حُجِدُوا  
وَقَوْلِ مَعْنِ بْنِ أَوْسٍ :

لَعَنُوكَ مَا أَهْدَيْتُ كَفِّي لِرَبِّتِ      وَلَا حَمَلَتْنِي نَحْوَ فَاحِشَةٍ رِجْلِي  
وَلَا قَادَنِي سَعْيِي وَلَا بَصْرِي لَهَا      وَلَا دَلَّنِي رَأْيِي عَلَيْهَا وَلَا عَقْلِي  
وَأَعْلَمُ أَنِّي لَمْ تُصِبنِي مُصِيبَةٌ      مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا قَدْ أَصَابَتْ نَفْسِي قَبْلِي



وَلَسْتُ بِمَاشٍ مَا حَيْثُ لِنُكْرٍ      مِنْ أَلَامٍ لَا يَمِشِي إِلَى مِثْلِهِ وَمِثْلِي  
وَلَا مُؤَثِّرٍ قَسِيٍّ عَلَى ذِي قَرَابَةٍ      وَأَوْثَرُ صَنِيْفِي مَا أَقَامَ عَلَى أَهْلِي  
وَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغَنَى      إِذَا كَانَتْ أَعْلِيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ  
وَقَالَ الْآخَرُ :

ذَرِينِي أَسِيرٌ فِي أَلْبَادٍ لَعَلِّي      أَصِيبُ غِنًى فِيهِ لَدَى الْحَقِّ مُجَلِّ  
فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَسْطِمْ دِفَاعًا لِحَادِثٍ      نَحْيٌ بِهِ الْأَيَّامُ قَالَصَبْرٌ أَجَلُ  
أَلَيْسَ كَثِيرًا أَنْ تِلْكَ مُلْكَةٌ      وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحَقِّ مَعُولُ  
وَمَا هُوَ فَصِيحٌ فِي لَفْظِهِ جَيِّدٌ      فِي رِصْفِهِ قَوْلُ الشُّنْفَرَى :

أُطِيلُ وَطَالَ الْجُوعُ حَتَّى أُمِيتَهُ      وَأَضْرِبُ عَنْهُ الْقَلْبَ صَحَائِفَ تَعْمَلُ  
وَلَوْلَا أَجْتِنَابُ الْعَادِلِ لَمْ يَلْفَ مَشْرَبٌ      يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيْ وَمَأْكَلُ  
وَلَكِنَّ نَفْسًا مَرَّةً لَا تُقِيْنِي      عَلَى الضَّمِّ إِلَّا رَيْثًا أَحْمَلُ  
وَقَوْلِ آخَرَ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى      ظَلِمْتَ وَآيُ النَّاسِ تَصْفُو مَسَادِبُهُ  
وَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَمَا إِنْ قَتَلْنَاهُمْ بِأَكْثَرِ مِنْهُمْ      وَلَكِنْ بِأَوْفَى لِلطِّعَانِ وَأَكْرَمَا  
وَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ      عَلَى شَعَثِ آيِ الرِّجَالِ الْهَدَبُ  
وَلَيْسَ لِهَذَا أَلَيْتِ ظَلِيلٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ      وَقَالَ بَعْضُهُمْ : ظَلِيلُهُ  
قَوْلُ أَوْسِ بْنِ حُجْرٍ :

وَكُنْتُ بِجَانِبِي أَبَدًا طَعَامًا جَذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ  
وَهَذَا وَإِنْ كَانَ ظَهْرُهُ فِي التَّأْلِيفِ فَارَةً دُونَهُ لَا تَكَرَّرَ فِيهِ مِنْ  
لَفْظٍ غَدٍ . فَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ قَدْ جَمَعَ الْعَذُوبَةَ وَالْجَزَالَ وَالسَّهُولَةَ  
وَالرَّصَاةَ مَعَ السَّلَاسَةِ وَالنَّصَاعَةِ . وَاشْتَمَلَ عَلَى الرَّوْنِقِ وَالطَّلَاوَةِ .  
وَمَلِمٍ مِنْ سَخَفِ التَّأْلِيفِ . وَبَعْدَ مِنْ سَمَاجَةِ التَّرْكِيبِ . وَرَدَّ عَلَى  
أَفْهَمِ الثَّاقِبِ قَبْلَهُ وَلَمْ يَرُدَّهُ . وَعَلَى السَّعْرِ الْمَصِيبِ اسْتَوْعَبَهُ وَلَمْ  
يَجْهَ . وَالنَّفْسُ تَقْبَلُ اللَّطِيفَ وَتَتَّبِعُ عَنِ الْعَلِيطِ وَتَقْلَقُ مِنَ الْجَلِيلِ  
الْبَشِيعِ . وَجَمِيعُ جَوَارِحِ الْبَدَنِ وَحَوَاسِهِ يَسْكُنُ إِلَى مَا يُؤَاقِشُهُ وَيَسْتَرْ  
عَمَّا يُضَادُّهُ وَيُخَالِفُهُ . وَالْعَيْنُ تَأْتِي الْحَسَنَ وَتَقْذَى بِالْقَبِيحِ . وَالْأَنْفُ  
يَرْتَاحُ لِلطَّيِّبِ وَيَنْصُرُ لِلْمُتِنِ . وَالْقَلَمُ يَلْتَذُّ بِالْخُلُوِّ وَيَجُوحُ بِالْمُرِّ . وَالسَّمْعُ  
يَتَشَوَّقُ لِلصَّوَابِ الرَّائِعِ وَيَتَرَدَّى عَنِ الْجَهْرِ الْهَائِلِ . وَالْيَدُ تَعْمَلُ  
بِالَّتَيْنِ وَتَتَأَدَّى بِالْحَشَنِ . وَالْقَلَمُ يَأْتِي مِنَ الْكَلَامِ بِالْمَعْرُوفِ  
وَيَسْكُنُ إِلَى الْمَأْلُوفِ وَيُضْئِي إِلَى الصَّوَابِ وَيَهْرُبُ مِنَ الْحِمَالِ وَيَنْقِصُ  
عَنِ الْوَجْهِ وَيَتَأَخَّرُ عَنِ الْجَلِيلِ الْعَلِيطِ . وَلَا يَقْبَلُ الْكَلَامَ الْمَضْطَرِبَ  
إِلَّا أَنَّهُمُ الْمَضْطَرِبُ وَالرَّوِيَّةُ الْقَاسِدَةُ . وَلَيْسَ الشَّانُ فِي إِيرَادِ الْمَعَانِي  
لِأَنَّ الْمَعَانِي يَعْرِفُهَا الْعَرَبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ وَالْقُرَوِيُّ وَالْبَدَوِيُّ وَإِنَّمَا هُوَ فِي  
جُودَةِ الْفَظِّ وَصِفَاتِهِ وَحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ وَتَرَاهِيهِ وَنَقَائِهِ وَكَثْرَةِ طُلَاوَتِهِ  
وَمَنَانِهِ مَعَ صِحَّةِ السَّبْكِ وَالتَّرْكِيبِ وَالْخُلُوِّ مِنْ أَوْدِ النِّظْمِ وَالتَّأْلِيفِ  
وَلَيْسَ يُطْلَبُ مِنَ الْمَعْنَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَوَابًا . وَلَا يُشْتَمَعُ مِنَ الْفَظِّ  
بِذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنْ نُوعِهِ أَتَيْتِ نَقَدْتِ . إِلَّا تَرَى

إِلَى قَوْلِ حَبِيب :

سَتَسْلِمُ لِلَّهِ سَائِسُ أُمَّةٍ يَذُرُّ تَجْهِضُهَا لَهُ اسْتِسْلَامُ  
فِيهِ صَوَابُ اللَّفْظِ وَلَيْسَ هُوَ بِحَسَنٍ وَلَا مَقْبُولٍ . وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى  
أَن مَدَارَ الْبَلَاغَةِ عَلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ أَنَّ الْخُطْبَ الرَّائِعَةَ وَالْأَشْعَارَ الرَّائِعَةَ  
مَا عَمِلَتْ لِإِفْهَامِ أَلْمَاعِي قَطُّ لِأَنَّ الرَّدِيءَ مِنَ الْأَلْفَاظِ يَوْمُ مَقَامِ  
جَدِّهَا فِي الْإِفْهَامِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ حُسْنُ الْكَلَامِ وَإِحْكَامُ صَنْعِهِ  
وَرَوْنُ الْقَاطِطِ وَجُودَةُ مَطَالِيهِ وَحُسْنُ مَقَاطِيهِ وَبَدِيعُ مَبَادِيهِ وَغَرِيبُ  
مَبَانِيهِ عَلَى فَضْلِ قَائِلِهِ وَفَهْمِ مُنْشِئِهِ . وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْأَوْصَافِ تَرْجِعُ  
إِلَى الْأَلْفَاظِ دُونَ أَلْمَاعِي . وَتَوَخَّيْ صَوَابَ الْمَقْنَى أَحْسَنُ مِنْ تَوَخَّيِ  
هَذِهِ الْأُمُورِ فِي الْأَلْفَاظِ . فَلِهَذَا تَأْتِي الْكَاتِبُ فِي الرِّسَالَةِ وَالْخُطْبِ  
فِي الْخُطْبَةِ وَالشَّاعِرُ فِي الْقَصِيدَةِ وَهُمْ يَبْتَغُونَ فِي تَجْوِيدِهَا . وَيَتَوَلَّوْنَ فِي  
تَرْتِيبِهَا لِيَسْدُلُوا عَلَى بَرَاغِيهِمْ وَحَذَقِهِمْ بِصَنَاعَتِهِمْ . وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ فِي  
أَلْمَاعِي لَطَرَحُوا أَكْثَرَ ذَلِكَ فَرَبَّجُوا كَدًّا كَثِيرًا وَاسْقَطُوا عَنْ أَشْيِهِمْ  
تَعَبًا طَوِيلًا . وَلِهَذَا دَلِيلُ آخَرُ : أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَانَ لَفْظُهُ حُلُوءًا عَذْبًا  
وَسَلِسًا سَهْلًا وَمَعْنَاهُ وَسَطًا دَخَلَ فِي جُمْلَةِ الْحَيِّدِ وَجَرَى مَعَ الرَّائِعِ النَّادِرِ  
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَزْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ  
وَشَدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَهَارِيِّ رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْقَادِي الَّذِي هُوَ رَاحُ  
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَتَنَّا وَسَلَّتْ بِإِعْتَاكِ الْإِطْمِي الْأَبَاطِي  
وَأَيْسَ تَحْتَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ كَيْدٌ غَنَى وَهِيَ رَائِعَةٌ مُخِجَةٌ . وَرَأَتْ

هِيَ : وَلَمَّا قَضَيْنَا الْحَجَّ وَنَحْنَا الْأَرْكَانَ وَشَدَّتْ رِحَالُنَا عَلَى مَهَائِلِ  
الْأَيْلِ وَلَمْ يَنْتَظِرْ بَعْضُنَا بَعْضًا جَلَنَّا نَحْدَثُ وَتَسِيرُ بِنَا الْأَيْلِ فِي  
بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ . وَإِذَا كَانَ أَلْعَنَى صَوَابًا وَالْفَلْظُ مَارِدًا وَقَاتِرًا وَالْقَاتِرُ  
شَرٌّ مِنَ الْبَارِدِ كَانَ مُسْتَهْجًا مَلْفُوظًا وَمَذْمُومًا مَرْدُودًا . وَالْبَارِدُ مِنْ  
الشَّعْرِ كَقَوْلِ عُمَرَ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ :

قَدْ عَلِمْتَ سَلَى وَجَارَاتِهَا مَا قَطَرَ الْقَارِسُ إِلَّا أَنَا  
شَكَنْتُ بِالزَّمْعِ مَرَايِلَهُ وَلَحِيلُ تَعْدُوزِيَا حَوْلَنَا  
وَقَوْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

مَاتَ وَاللَّهِ سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ رَجِمَ اللَّهُ سَعِيدَ بْنَ وَهَبٍ  
يَا أَبَا عُثْمَانَ أَبَكَيْتَ عَيْنِي يَا أَبَا عُثْمَانَ أَوْجَعْتَ قَلْبِي  
وَلَا خَيْرَ فِي الْعَمَانِي إِذَا اسْتَكْرَمَتْ قَهْرًا وَفِي الْأَلْقَاطِ إِذَا جَرَتْ  
قَسْرًا . وَلَا خَيْرَ فِيَا أُجِيدَ لَفْظُهُ إِذَا سَخَفَ مَعْنَاهُ . وَلَا فِي غَرَابَةِ أَلْعَنَى  
إِلَّا إِذَا شَرَفَ لَفْظُهُ مَعَ وَضُوحِ الْمَعْنَى وَظُهُورِ الْقَصْدِ . وَقَدْ غَلَبَ  
الْجَهْلُ عَلَى قَوْمٍ فَصَارُوا يَسْتَحِيدُونَ الْكَلَامَ إِذَا لَمْ يَقِفُوا عَلَى مَعْنَاهُ  
يَكْبَرُ وَيَسْتَفْهِمُونَهُ إِذَا وَجَدُوا أَلْقَاطَهُ كَرَّةً غَلِيظَةً وَجَاسَةً غَرِيبَةً .  
وَيَسْتَحْفِرُونَ الْكَلَامَ إِذَا رَأَوْهُ مَسَاسًا عَذْبًا وَسَهْلًا خَاوًا . وَلَمْ يَعْلَمُوا  
أَنَّ السَّهْلَ أَمْنَعُ جَانِبًا وَأَعَزُّ طَلَبًا وَهُوَ أَحْسَنُ سَوْفًا وَأَعَذْبُ مُسْتَمَاعًا  
وَلِهَذَا قِيلَ : لَجُودُ الْكَلَامِ السَّهْلُ الْمُسْتَعِ . وَصَفَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ عُمَرَ  
ابْنَ مَسْعَدَةَ فَقَالَ : هُوَ أَبْلَغُ النَّاسِ . وَمِنْ بَلَاغَتِهِ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَطْنُ  
أَنْ يَكْتُبُ مِثْلَ كُتْبِهِ فَإِذَا رَأَاهَا تَعَدَّرَ عَلَيْهِ . حَدَّثَنَا أَحْسَنُ بْنُ

مُحَمَّدٌ قَالَ : أَنشدنا إبراهيمُ بنُ العباسِ لجلاله العباس بن الأخنف :  
 إن قال لم يفعل وإن قيل لم يبدل وإن عوتب لم يعتب  
 صبب بخصيائي ولو قال لي لا تشرب البارد لم أشرب  
 ثم قال : هذا الشعر الحسن المعنى السهل اللفظ العذب المستمع  
 الخليل أنظير العزيز التشبيه المطيع المتبع البعيد مع قرينه الصب  
 في سهولته . (قال) فجعلنا نقول : هذا الكلام لحسن من شعره . ومن  
 الكلام المطبوع السهل ما وقع به علي بن عيسى : قد بلغت  
 أقصى طليتك وأنتك غاية بعيتك وأنت مع ذلك تستقل كثيري  
 لك وتستقيم حسبي فيك . فانت كما قال رؤبة :

كألحوت لا يكتفيه شيء يلهمة يضج ظمان وفي البحر فة  
 ومن المنظوم المطيع قول البخاري :

أيها الراغب الذي طلب تجو د قاتلي كوم المطايا وأنضى  
 رد جياض الأمام تاق نوالا يسع الراغبين طولا وعرضا  
 هو أندي من ألقام وأوحى وقعات من أحسام وأنضى  
 يتوخي الإحسان قولاً وفعلًا ويطيع الأله بسطا وقنضا  
 فضل الله جفرا بجلال جعلت حبه على الناس فرضا  
 ولوى التجد بين عارقة منك م ترجى وعزيمة منك تمضي  
 وقوله :

خلق الله جفرا قيم الدنيا م سدادا وقيم الدين رشا  
 أكرم الناس شيمة وأتم م الناس جلما وأكثر الناس رفا

هُوَ بِحَرِّ السَّاحِ وَالْجُودِ قَازِدٌ      مِنْهُ قُرْبًا تَزِدُّ مِنَ الْفَقْرِ بُعْدًا  
يَا مِثَالَ الدُّنْيَا عَطَاءٌ وَبَدَلًا      وَكَمَالَ الدُّنْيَا سَاءٌ وَبَحْدًا  
إِنِّي عُمَرُ الزَّمَانِ حَتَّى تُؤَدِّي      شُكْرَ احْسَانِكَ الَّذِي لَا يُؤَدِّي  
وَأَمَّا الْجَزُلُ الْخُتَارُ مِنَ الْكَلَامِ فَهُوَ الَّذِي تَعْرِفُهُ الْعَالِمَةُ إِذَا  
سَمِعَتْهُ وَلَا تَسْتَعِيلُهُ فِي مُحَادَرَاتِهَا . فَمِنْ الْجَزُلِ الْحَيِّدِ الْخُتَارِ قَوْلُ مُسْلِمٍ :  
وَرَدَّ نَارِ وَاقِ الْفَضْلَ فَضْلُ بْنُ جَعْفَرٍ      فَحُطَّ إِلَيْنَا الْجَزُلُ نَائِلُهُ الْجَزُلُ  
يَكْفِي أَبِي الْبَاسِ يُسْتَطَرُّ الْغَنَى      وَيُسْتَزَلُّ الْتُعْنَى وَيُسْتَرْغَفُ النَّصْلُ  
وَيُسْتَطَفُّ الْأَمْرُ الْآيِي بِحَرْمِهِ      إِذَا الْأَمْرَ لَمْ يَطِغْهُ نَقْضٌ وَلَا قَتْلُ  
وَبِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا قَوْلُ الْمُرَارِ الْفَقْعِيِّ :

لَا تَسْأَلِي الْقَوْمَ عَنْ مَالٍ وَكَثْرَتِهِ      قَدْ يَهْزُو الْمَرْءُ يَوْمًا وَهُوَ مُحْمُودُ  
أَمْضِي عَلَى سُنَّةٍ مِنَ وَالِدِي سَلَفَتْ      وَفِي أَرْوَمَتِهِ مَا يُنْبِتُ الْعُودُ  
فَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ كَلَامِ الْعَالِمَةِ فَإِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ الْقَرَضَ  
وَيَعْقُونَ عَلَى أَكْثَرِ مَعَانِيهِ لِحُسْنِ تَرْتِيلِهِ وَجُودَةِ نَسْجِهِ

وَمِنْ أَثَرِ قَوْلِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ : أَعْطَانَا النَّهْرُ فَاسْرَفَ . ثُمَّ  
عَطَفَ عَيْنًا فَصَفَ . وَقَوْلُ سَعِيدِ بْنِ حَمِيدٍ : وَأَنَا مَنْ لَا يُجَاكِلُكَ  
عَنْ نَفْسِهِ . وَلَا يُعَاطِلُكَ عَنْ جُرْمِهِ . وَلَا يَلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ .  
وَلَا يَسْتَدْعِي بِرِّكَ إِلَّا مِنْ طَرِيقَتِهِ . وَلَا يَسْتَغْفِرُكَ إِلَّا بِالْأَقْرَارِ  
بِالذَّنْبِ . وَلَا يَسْتِيأُكَ إِلَّا بِالْإِعْتِرَافِ . نَبَتْ لِي عَنْكَ غِرَّةُ الْخَدَانَةِ .  
رَدَدْتَنِي إِلَيْكَ الْخُنْكَةَ . وَبَعَدْتَنِي مِنْكَ الْبَقَّةُ بِالْأَيَامِ قَادَتَنِي  
إِلَيْكَ الضَّرُورَةُ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْتَقْبَلَ الصَّنِيعَةَ بِقَبُولِ الْعُذْرِ

وَتُجَدَّدُ النِّعْمَةُ بِإِطْرَاحِ الْحَقْدِ فَإِنَّ قَدِيمَ الْحُرْمَةِ وَحَدِيثَ التَّوْبَةِ يَخْفَظَانِ  
مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِسَاءَةِ . فَإِنَّ أَيَّامَ التُّدْرَةِ وَإِنْ طَالَتْ قَصِيدَةً وَالنِّعْمَةُ  
بِهَا وَإِنْ كَثُرَتْ قَلِيلَةٌ فَلَمَّا . وَفِي هَذَا الْكَلَامِ وَمَا قَبْلَهُ قُوَّةٌ فِي  
سُهُولَةٍ . وَمِمَّا هُوَ أَجْزَلُ مِنْ هَذَا قَوْلُ الشَّعْبِيِّ لِلْحَاجِّ وَأَرَادَ قَسَمَهُ  
لِحُرُوبِهِ عَلَيْهِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ : أَجَدُّ بِنَا الْجَبَابُ وَلَحْزَنَ بِنَا الْمَزَلُ  
وَأَسْتَحْلَسْنَا الْحَذَرَ وَأَسْتَحْلَسْنَا السَّهْرَ . وَأَصَابَنَا فِتْنَةٌ وَلَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَّةً  
أَتَقِيَاءَ وَلَا فَجْرَةَ أَقْرِيَاءَ . فَقَطَّاعُهُ . وَأَجُودُ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ جَزْلاً  
سَهْلاً لَا يَنْطَلِقُ مَعْنَاهُ وَلَا يَسْتَبِيحُ مَفْزَاهُ . وَلَا يَكُونُ مَكْدُوداً مُسْتَكْرَهاً  
وَمُتَوَعِراً مُتَقَبِراً . وَيَكُونُ بَرِيئاً مِنَ الثَّمَانَةِ عَارِياً مِنَ الرِّثَائَةِ .  
وَالْكَلَامُ إِذَا كَانَ أَفْظَلُهُ غَنّاً وَمَعْرِضُهُ رِثَاءً كَانَ مَرْدُوداً وَلَوْ لَحْزَوِي  
عَلَى أَجَلٍ مَعْنَى وَأَمْنِهِ وَأَرْقِيهِ وَأَفْضَلُهُ كَقَوْلِهِ :  
لَمَّا أَطْعَمْنَاكُمْ فِي سُحُطِ خَالِقِنَا لَا شَكَّ سُلَّ عَلَيْنَا سَيْفُ نِقْمَتِهِ  
وَقَوْلِ الْآخَرِ :

أَرَى رِجَالاً يَأْذَنُ الدِّينَ قَدْ قَبِعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالدُّونِ  
فَأَسْتَسْنِ بِالدِّينِ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا مِ اسْتَعْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ  
وَلَا يَدْخُلُ هَذَا فِي جُمْلَةِ الْخُتَابِ وَمَعْنَاهُ كَمَا تَرَى نَبِيلٌ فَاضِلٌ  
جَلِيلٌ . وَأَمَّا التَّجْزُلُ الرَّدِّي : أَلْفَمُ الَّذِي يَبْغِي تَرْكُ اسْتِعْمَالِهِ فَيُثَلُّ قَوْلُ  
تَأَبَّطُ شَرّاً وَكَانَ خَرَجَ مَعَ صَاحِبَيْنِ لَهُ قَتِيلَا فِي الْأَعْرُودِ وَرَجَعَ هُوَ سَالِماً :  
إِذَا مَا تَرَكْتُ صَاحِبِي لِسَلَانَةٍ أَوْ أَتَيْتُ وَثَابِيَا فَلَا أَبْتُ أَوْثَانَا  
وَلَا سَبِغْتُ أَمْحُوصَ تَدْعُو تَغْفَرْتُ عَصَافِيرُ رَأْسِي مِنْ غَوَاةٍ فَرَاتِنَا

وَحُشِيتُ مَشُوفَ الْجَاءِ كَأَنِّي هَجَفْتُ دَايَ قَصْرًا سِمَاكَ وَدَلَجْنَا  
 مِنَ الْخَصْرِ هُزُوفٌ كَانَ عَفَاءُهُ إِذَا اسْتَدْرَجَ الْفَيْقَا وَمَدَّ الْمَغَايِنَا  
 أَرْجَ زُلُجٍ هُزُرِي زَفَافُ هُزَفٌ يَدُ النَّجَاجَاتِ الصَّوَافَا  
 فَهَذَا مِنَ الْجَزْلِ الْبَيْضِ الْخَلْفِ الْقَاسِدِ الشَّيْخِ الشَّيْخِ الرُّضْفِ  
 الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُجَنَّبَ مِثْلُهُ وَتَمِيزُ الْأَلْفَاطِ شَدِيدٌ . وَلَوْلَا كَرَاهَةُ  
 الْأَطَالَةِ وَخَوْفُ الْأَمْلَالِ لَزِدْتُ مِنْ هَذَا النَّوعِ وَلَكِنْ يَكْفِي مِنَ  
 التَّجَرُّ جُرْعَةٌ . قَالُوا : وَجِيزَ الْكَلَامِ مَا قَلَّ وَجَلَّ وَدَلَّ وَلَمْ يَلَّ

### البحث الثاني

### في التنبيه على خطأ المعاني وصوابها

( من كتاب الصاعتين للمسكري )

إِنَّ الْكَلَامَ الْفَاطُ تَشْتِمِلُ عَلَى مَعَانٍ تَدُلُّ عَلَيْهَا وَتُعَرِّضُهَا  
 فَيَتِمَّ صَاحِبُ الْبَلَاغَةِ إِلَى إِصَابَةِ الْمَعْنَى كَحُلَّتِهِ إِلَى تَحْسِينِ الْفَظِّ .  
 لِأَنَّ الْمَدَارَ بَعْدَ الْفَظِّ عَلَى إِصَابَةِ الْمَعْنَى . وَالْمَعْنَى تَحُلُّ مِنَ الْكَلَامِ حَلًّا  
 الْأَبْدَانِ وَالْأَلْفَاطُ تُجْرِي مَعَهَا تُجْرِي الْكُسُوفُ . وَمَرْتَبَةٌ إِحْدَاهُمَا عَلَى  
 الْأُخْرَى مَعْرُوفَةٌ وَمَنْ عَرَفَ تَرْتِيبَ الْمَعْنَى وَاسْتِعْمَالَ الْأَلْفَاطِ عَلَى  
 وَجُوهٍ بَاقٍ مِنَ أَلْفَاتٍ ثُمَّ أُنْقَلَتْ إِلَى لُغَةٍ أُخْرَى تَبَيَّنَ لَهُ فِيهَا مِنْ صُنْعَةِ  
 الْكَلَامِ مِثْلُ مَا تَبَيَّنَ لَهُ مِنَ الْأَوَّلَى . أَلَا تَرَى أَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ  
 الْكَاتِبَ اسْتَخْرَجَ أَمَلَةَ الْكِتَابَةِ الَّتِي رَسَمَهَا لِنَ بَعْدَهُ مِنَ اللِّسَانِ  
 الْقَارِئِي فَحَوَّلَهَا إِلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ . فَلَا يَكْمُلُ لِصُنْعَةِ الْكَلَامِ  
 إِلَّا مَنْ يَكْمُلُ لِإِصَابَةِ الْمَعْنَى وَتَضَمُّنِ الْفَظِّ وَالْعَرَفَةِ بِوُجُوهِ الْإِسْتِعْمَالِ .



وَالْعَالِي عَلَى ضَرَبَيْنِ : ضَرْبٌ يَتَسَدَّعُهُ صَاحِبُ الصَّنَاعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ  
يَكُونَ لَهُ إِمَامٌ يَتَّبِعِي بِهِ فِيهِ أَوْ رُسُومٌ قَائِمَةٌ فِي أَمَثَلَةٍ مَا يَلْقَوْنَ يَعْمَلُ  
عَلَيْهَا . وَهَذَا الضَّرْبُ رَبَّمَا يَمَعُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْخَطُوبِ الْحَادِثَةِ وَيَنْبَغِي لَهُ  
عِنْدَ الْأُمُورِ الطَّارِئَةِ . وَالْآخَرُ مَا يَحْتَدِثُ عَلَى مِثَالِ تَقَدُّمِ وَرَسْمِ فُرُضَ .  
وَيَنْبَغِي أَنْ تُطْلَبَ الْأَصَابَةُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَتُتَوَخَّى فِيهِ الصُّورَةُ  
الْمَقْبُولَةُ وَالْمَبَارَةُ الْمُسْتَحْسَنَةُ وَلَا يَتَكَلَّفُ فِيهَا ابْتِكَارُهُ عَلَى فَضِيلَةٍ  
أَتَبَكَرُهُ إِيَّاهُ . وَلَا يَمُرُّ أَيْدِئُهُ لَهُ فَيَسَاهِلَ نَفْسُهُ فِي تَهْنِئِ  
صُورَةٍ فَيَنْتَهَبُ حُسْنَ وَيُطَسُّ بُورُهُ وَيَكُونُ فِيهِ أَقْرَبُ إِلَى الذَّمِّ مِنْهُ  
إِلَى الْحَمْدِ . وَالْعَالِي بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ : مِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ حَسَنٌ  
مَحْوٌ قَوْلِكَ : رَأَيْتُ زَيْدًا . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ قَبِيحٌ مَحْوٌ قَوْلِكَ :  
قَدْ زَيْدًا رَأَيْتُ . وَأَمَّا قَبِيحٌ لِأَنَّكَ أَفْسَدْتَ النِّظَامَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ .  
وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ النِّظَمُ وَهُوَ كَذِبٌ مِثْلُ قَوْلِكَ : حَمَلْتُ الْجَلِيلَ  
وَسَمَرْتُ نَاءَ الْبَحْرِ . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُحَالٌ كَقَوْلِكَ : أَيْتِكَ أَمْسَ وَأَيْتِكَ  
عَدَا . وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ فَاسِدٌ . وَلَيْسَ كُلُّ فَاسِدٍ مُحَالًا . أَلَا تَرَى أَنَّ  
قَوْلَكَ : قَامَ زَيْدٌ . فَاسِدٌ وَلَيْسَ بِمُحَالٍ . وَالْمُحَالُ مَا لَا يَجُوزُ كَوْنُهُ  
أَبْنَةً كَقَوْلِكَ : أَلَدْنِيَا فِي بَيْتَةٍ . وَأَمَّا قَوْلَكَ : حَمَلْتُ الْجَلِيلَ وَأَشْبَاهُهُ  
وَأَمْثَالُهُ فَكَذِبٌ . وَلَيْسَ بِمُحَالٍ إِنْ جَازَ أَنْ يَزِيدَ اللَّهُ فِي قُدْرَتِكَ  
فَتَحْمِلُهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ الْوَاحِدُ كَذِبًا مُحَالًا وَهُوَ قَوْلَكَ :  
رَأَيْتُ قَاعِدًا قَائِمًا وَرَمَرْتُ يَبْقُظَانِ نَائِمٍ . فَتَصِلُ كَذِبًا بِمُحَالٍ فَصَارَ  
الَّذِي هُوَ الْكَذِبُ هُوَ الْمُحَالُ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا . وَإِنْ كَانَ لِكُلِّ

مِنْهَا مَعْنَى عَلَى حَيَالِهِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ بَعْضَهَا عَقْدَ بَعْضٍ حَتَّى صَادَرَ كَلَامًا  
وَاحِدًا وَمِنْهَا الْقَلَطُ وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : ضَرَبَنِي زَيْدٌ . وَأَنْتَ تُرِيدُ : ضَرَبْتُ  
زَيْدًا . فَطَلَطْتُ . فَإِنْ قَعَدْتُ ذَلِكَ كَانَ كَذِبًا . وَلِلْخَطِّ صُورٌ مُخْتَلِفَةٌ  
نَبَّهْتُ عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْهَا فِي هَذَا الْقَصْرِ وَبَيَّنْتُ وَجُوهَهَا وَشَرَحْتُ أَبْوَابَهَا  
لِتَقِفَ عَلَيْهَا فَتَعْبُرَهَا كَمَا عَرَفْتُكَ بِوَضْعِ الصَّوَابِ لِتَعْتِيدَ بِهَا . وَلِيَكُونَ  
فِيهَا أَوْرَدْتُ دَلَالََةً عَلَى أَمثَالِهِ يَمَا تَرَكْتُ . وَمَنْ لَا يَعْرِفُ لُحْطًا كَانَ  
جَدِيرًا بِالْوُقُوعِ فِيهِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْقَدِيمَ سَعْسَعًا      كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أَسْكِمُ آخِرًا  
هَذَا مِنْ أَتَشْبِيهِ الْقَائِدَ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ : كَلَّمْتُ حَجْرًا فَلَمْ يُجِبْ  
فَكَأَنَّهُ كَانَ حَجْرًا . وَالَّذِي جَاءَ بِهِ أَمْرُ الْقَيْسِ مَقْلُوبٌ . وَالْجِدُّ قَوْلُ  
كَثِيرٍ فِي أَمْرَةٍ :

قُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلِّ مُصِيبَةٍ      إِذَا وَطَنْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلِكَ  
كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ انْخَرَصْتُ      مِنْ الصَّمِّ لَوْ تَمَثَّلَتْ بِهَا الصَّمُّ زَلَّتْ  
فَشَبَّ الْمَرْأَةُ عِنْدَ السُّكُوتِ وَالْتِفَافِ بِالصَّخْرَةِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ أَحْمَرَ :  
لَمْ يَذَرِ مَا نَسِخُ الْإِرْنَدَجِ قَبْلَهَا      وَدِرَاسَ أَعْوَصِ دَارِسٍ مُجِيدِ  
ظَنَّ أَنَّ الْإِرْنَدَجَ نَسِخٌ . وَالْإِرْنَدَجُ جِلْدٌ أَسْوَدٌ يُغَسَلُ مِنْهَا  
الْخِصَافُ فَارِيسِيٌّ مُعَرَّبٌ وَأَصْلُهُ : رَنْدَهُ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَوْسٍ بْنِ حَجْرٍ :

وَمِنْ آثَابِ تَفَاحٍ وَرُمَانٍ

ظَنَّ أَنَّ الرُّمَانَ وَالتَّفَاحَ آثَابٌ . وَقِيلَ : إِنَّ الْأَثَابِيبَ الطَّرَاقِيَّ  
الَّتِي فِي الرُّمَانِ . وَإِذَا حِيلَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ صَحَّ الْمَعْنَى . وَمِمَّا لُحِذَ عَلَى

أَمْرِي أَلَيْسَ قَوْلُهُ فِي الْفَرَسِ :

فَلِسَوِّطِ الْهُوبِ وَالسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِثَّةٌ وَقَعُ أَخْرَجَ هَذِيبِ  
فَلَوْ وَصَفَ أَحْسَّ حِمَارٍ وَأَضَعَهُ مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ . وَالْحَيْدُ قَوْلُهُ :  
عَلَى سَابِجٍ يُطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أَفَانِينَ جَرِي غَيْرَ كَرٍّ وَلَا وَاوِي  
وَمَا سَمِعْنَا أَجُودَ وَلَا أَبْلَغَ مِنْ قَوْلِهِ : أَفَانِينَ جَرِي . وَقَوْلُ عُلُقَمَةَ :  
فَاذْرُكْهُمْ ثَانِيًا مِنْ عَنَانِهِ يُمُرُ كَمَرِ الرَّايحِ الْمُتَحَلِّبِ  
فَاذْرُكْ طَرِيدَتَهُ وَهُوَ كَانِ مِنْ عَنَانِهِ لَمْ يَضْرِبْهُ بِسَوِّطٍ وَلَمْ يَمُرْهُ  
بِسَاقٍ وَلَمْ يَزِجْهُ بِصَوْتٍ وَمِمَّا يُعَابُ قَوْلُ الْأَخْطَلِ :

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِلْخِلَافَةِ مِنْهُمْ لَا يُلْجَ لَا عَارِي الْخَوَانِ وَلَا جَذْبِ  
يَمُوتُهُ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ . وَمِثْلُ هَذَا لَا يَمْدَحُ بِهِ الْمُلُوكُ . وَرَأَيْنَا نَدَحَ  
الْمُلُوكِ يَمِثِلُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَهُ هِمَمٌ لَا مُتَعَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصُّغَى أَجَلُ مِنَ الدَّهْرِ  
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مَعَشَرَ جُودِهَا عَلَى الْبَرِّ كَانَ الْبَرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ  
وَمِنْ أَخْطَأِ قَوْلِ جُنَادَةَ :

مِنْ حُبِّهِ أَتَمَّنَى أَنْ يُلَاقِيَنِي مِنْ تَحَوِّ بَلَدِهِ نَاعَ قَيْعَاهُ  
لِسَكِّي يَكُونُ فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ وَتَضِيرُ النَّفْسُ يَأْسًا ثُمَّ تَسْلَاهُ  
فَإِذَا تَمَنَّى أَنَّهُ حُبُّ لِحْيِهِ الْمَوْتَ فَمَا عَسَى أَنْ يَتَمَنَّى الْمُبْغِضُ لِبُغْضِهِ .  
وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَنْ يَقُولُ :

أَلَا لَيْتَنَا عِشْنَا جَمِيعًا وَكَانَ بِي مِنْ أَلْدَاءِ مَا لَا يَعْرِفُ الْإِنْسُ مَا بِيَا  
فَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ وَلَوْ أَنَّ جُنَادَةَ كَانَ يَتَمَنَّى وَصْلَهُ وَلِقَاءَهُ

لَكَانَ قَدْ قَضَى وَطَرًا مِنَ الْمَنَى وَلَمْ تَلْزَمْهُ الْعُجْبَةُ . كَمَا قَالَ الْعَبَّاسُ  
ابْنُ الْأَخْنَفِ :

فَإِنْ تَجَلَّوْا عَنِّي بِبَدَلٍ تَوَالِكُمْ وَإِلْوَصِلْ مِنْكُمْ كَيْ أُصَبِّ وَأَخْزَنًا  
فَارِنِي بِلَذَاتِ الْمَنَى وَنَعِيمِهَا أَعِيشُ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ يَتَنَا  
وَمِنْ وَضَعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

يَمِشِي بِهَا كُلُّ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ مَشْيَ الْأَرَايِدِ تَحْجُوا بَيْعَةَ الرُّورِ  
فَالْعَلَطُ فِي هَذَا أَلَيْتَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : أَحَدُهَا أَنَّ الْأَرَايِدَ  
الْحُجُوسَ لَا النَّصَارَى . وَالثَّانِي أَنَّ أَلْبَيْعَةَ لِلنَّصَارَى لَا لِلْحُجُوسِ . وَالثَّلَاثُ  
أَنَّ النَّصَارَى لَا يَبْعُدُونَ الْأَضْنَامَ وَلَا الْحُجُوسَ . وَمَنْ الْحَالِ الَّذِي  
لَا وَجْهَ لَهُ قَوْلُ الْقَسْرِ :

وَرَأَيْتُ إِذَا مَا أَلَمْتُ حَلَّ بِنَفْسِهَا يُزَالُ بِنَفْسِي قَبْلَ ذَلِكَ فَاقْبُرْ  
وَهَذَا شَيْءٌ يَقُولُ قَائِلٌ لَوْ قَالَ : إِذَا دَخَلَ زَيْدٌ الدَّارَ دَخَلَ عَمْرُو  
قَبْلَهُ وَهَذَا عَيْنُ الْحَالِ الْمَشْتَعِرِ الَّذِي لَا يَجُوزُ كَوْنُهُ . وَمِنْ عُيُوبِ الْمَعْنَى  
مُخَالَفَةُ الْعُرْفِ وَذِكْرُ مَا لَيْسَ فِي الْعَادَةِ كَقَوْلِ الْمُرَّادِ :

وَحَالٍ عَلَى خَدْيِهِ يَبْدُو كَأَنَّهُ سَنَا الْبَذَرِ فِي دَعْجَلَةٍ بَادٍ دُجُونَهَا  
وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْخِلَانَ سَوْدٌ أَوْ سُورٌ وَالْحُدُودَ الْحَسَنَةَ إِنَّمَا هِيَ  
الْبَيْضُ . فَاتَى هَذَا الشَّاعِرُ بِقَلْبِ الْمَعْنَى . وَمِنْ الْمَعْلَانِي مَا يَكُونُ دُقْصَرًا  
غَيْرَ بِالْعَرَبِ مَبْلَغَ غَيْرِهِ فِي الْإِحْسَانِ . وَمِنْ عُيُوبِ الْمَدِيحِ عُدُولُ الْمَادِحِ  
عَنِ الْقَضَائِلِ الَّتِي تَحْتَصُّ بِالنَّفْسِ مِنَ الْعَقْلِ وَالْعِقَّةِ وَالْعَدْلِ وَالشَّجَاعَةِ  
إِلَى مَا يَلِيقُ بِإِصْطِفَ الْجَنَمِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ وَالزِّيَةِ . كَمَا قَالَ

أَبْنُ قَيْسٍ الرِّقَاتِ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ :

يَأْتِلِقُ التَّاجُ فَوْقَ مَعْرِقِهِ عَلَى جَبِينِ كَاثَةِ النَّهْبِ

فَضِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : قَدْ قُلْتَ فِي مُضْغَبٍ :

إِنَّمَا مُضْغَبُ شِهَابٍ مِنْ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

فَأَعْطَيْتُهُ الْمَدْحَ بِكُشْفِ الْعَمَمِ وَجَلَاءِ الظُّلَمِ وَأَعْطَيْتَنِي مَا لَا فُخْرَ

فِيهِ وَهُوَ أَعْتَدَالُ التَّاجِ فَوْقَ جَبِينِي الَّذِي هُوَ كَالنَّهْبِ فِي النَّضَارَةِ :

وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ آئِينَ بْنِ خَزِيمٍ فِي بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ :

يَا أَبْنَ الْمَكَارِمِ مِنْ قُرَيْشٍ كُلِّهَا وَأَبْنَ الْخَلَاقِ وَأَبْنَ كُلِّ قَلَسٍ

مِنْ فَرْعِ آدَمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ حَتَّى أَقْبَتَ إِلَى آيِكَ الْعَبَسُ

مَرْوَانَ إِنَّ فِكَاهَةَ خَطِيئَةٍ غُرِسَتْ أَرْدُمُهَا أَعْرَ الْفَرَسُ

وَبَنَيْتَ عِنْدَ مَقَامِ رِيكَ قُبَّةَ خَضَاءٍ كُلِّ تَاجِهَا بِالْفَنَسِ

فَسَمَاوَهَا ذَهَبٌ وَأَسْفَلُ أَرْضِهَا وَرَقٌ يُلَالُ فِي صَمِيمِ الْحَدَسِ

فَمَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ شَيْءٌ يَتَعَلَّقُ بِالْمَدْحِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالنَّفْسِ

وَأَمَّا ذِكْرُ سُودَدَ الْأَبَاءِ وَفِيهِ فُحْرٌ لِلْأَبْنَاءِ . وَلَكِنْ لَيْسَ الْعَصَامِيُّ

كَالْعِظَامِيِّ . وَرَبَّمَا كَانَ سُودَدُ الْوَالِدِ وَفَضِيلَتُهُ نَقِصَةً لِلْوَلَدِ إِذَا تَأَخَّرَ

عَنْ رُتَبَةِ الْوَالِدِ . وَيَكُونُ ذِكْرُ الْوَالِدِ الْفَاضِلِ تَغْرِيبًا لِلْوَلَدِ الْفَاقِصِ .

وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لَمْ لَا تَكُونُ كَأَبِيكَ . نَقَالَ : لَيْتَ آبِي لَمْ يَكُنْ

ذَا فَضْلُ فَإِنَّ فَضْلَهُ صَارَ نَقْصًا لِي . وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :

إِنَّمَا الْحَجْدُ مَا بَنَى وَالِدُ الصِّدْقِ وَأَخِيَا فَعَالَهُ الْمَوْلُودُ

وَقَالَ غَيْرُهُ فِي خِلَافِهِ :

لَنْ تُفْحَرْتَ مَا بَاءَ ذَوِي نَرْفٍ      لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بئسَ مَا وَلَدُوا  
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَتْ مَقَالِجُ أَخْلَاقٍ خَصِصَتْ بِهَا      عَلَى مُحَاسِنِ أَبْقَاهَا أَبُوكَ لَكَ  
لَنْ تَقْدَمَ أَبْنَاءُ الْكَرَامِ بِهِ      لَقَدْ تَقَدَّمَ أَبَاءُ اللَّئَامِ بِكَ  
ثُمَّ ذَكَرَ آيُنُ بِنَاءِ قُبَّةِ حَسَنَةٍ وَلَيْسَ بِنَاءُ الْقِيَابِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى  
جُودٍ وَكَرَمٍ . بَلْ يُجُوزُ أَنْ يَبْنِيَ اللَّئِيمُ الْخَيْلُ الْآيِنَةَ الْفَيْسَةَ وَيَتَوَسَّعَ  
فِي النَّفَقَةِ عَلَى الدُّورِ الْحَسَنَةِ مَعَ مَنْعِ لَحْقِ وَرَدِّ السَّائِلِ وَلَيْسَ الْإِسَارُ  
بِمَا يَدْحُ بِهِ مَذَاهِبُ حَقِيقًا . الْآتَرَى كَيْفَ يَقُولُ أَشْجَعُ السَّلَاطِي :  
يُرِيدُ الْمُلُوكُ مَدَى جَفَرٍ      وَلَا يَضْنُونَ كَمَا يَضْنَعُ  
وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغَنَى      وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ  
وَأَجِيدُ فِي الْمَدِيحِ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

هَآلِكَ إِنْ يَسْتَحْوِرُوا أَلْمَالَ يُخْوِلُوا      وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَنْسُرُوا يُفْلُوا  
وَفِيهِمْ مَقَامَاتُ حِسَانٍ وَجُوهُهُمْ      وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ  
فَلَمَّا اسْتَمَّ وَصَفَهُمْ بِحُسْنِ الْقَوْلِ وَتَصَدَّقَ الْقَوْلُ بِالْفِعْلِ  
وَصَفَهُمْ بِحُسْنِ الْوُجُودِ ثُمَّ قَالَ :

عَلَى مُكَثَرِيهِمْ حَقٌّ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ      وَعِنْدَ الْمُتَلِينَ السَّاحَةُ وَالْبَذَلُ  
فَلَمْ يُجَلِّ مُكَثَرًا مِنْهُمْ وَلَا مُقِلًّا مِنْ بَرٍّ وَفَضْلٍ . ثُمَّ قَالَ :  
وَأَنْ جِشْتَهُمْ أَلْقَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ      مُحَالِسٌ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ  
فَوَصَفَهُمْ بِالْخُلْمِ ثُمَّ قَالَ :  
وَأَنْ قَامَ مِنْهُمْ قَائِمٌ قَالَ قَاعِدٌ      رَشَدَتْ فَلَا غُرْمَ عَلَيْكَ وَلَا خَذْلُ

فَوَصَّيَهُمْ أَيْضًا بِالتَّضَاوُرِ وَالتَّعَاوُنِ فَلَمَّا آتَى بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّقِيصَةِ  
ذَكَرَ فَضْلَ آبَائِهِمْ فَقَالَ :

وَمَا يَكُ مِنْ فَضْلٍ آتَوْهُ فَلَانَا نَوَارِدُهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ  
وَهَلْ يَنْبِئُ الْخَطِيءُ إِلَّا وَشِيئُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا الْخُلُ  
وَقَوْلُ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْقِيَامِ كَانَتْهُمْ أَسْوَدُهُمْ فِي غَيْلِ خَفَانٍ أَشْبَلُ  
هُمْ أَلْمَانُونَ أَجَارَ حَتَّى كَانُوا جَارِهِمْ فَوْقَ السَّمَاءِ كَيْنِ مَذِلُ  
بِهَارِيلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ كَاوِلُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ  
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دَعَوْا أَجَابُوا وَإِنْ أُعْطُوا أَطَابُوا وَلَجَزَلُوا  
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْقَاعِلُونَ فَضْلَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّبَاتِ وَأَجْمَلُوا  
ثَلَاثٌ بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ جِبَاهُهُمْ وَأَحْلَامُهُمْ مِنْهَا لَدَى الْوِزْنِ أَثْقَلُ  
وَكَقَوْلُ الْآخَرِ :

عَلَّمَ الْغَيْثُ أَلَدِي حَتَّى إِذَا مَا حَكَاهُ عَلَّمَ الْبَاسَ الْأَسَدُ  
فَلَهُ الْغَيْثُ مُعَرٌّ بِالنَّدَى وَلَهُ الْغَيْثُ مُعَرٌّ بِالْجِلْدِ  
وَمَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَوِ الْمَدْحُ مِنْ مَنَاقِبِ  
أَكْبَاءِ الْمَدْحِ وَتَقْرِيطِ مَنْ يُعْرِفُ بِهِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ . وَأَنشَدَ مَرْوَانَ  
أَبْنُ أَبِي حَفْصَةَ :

نَعَرْتُ فَلَا شَكَّ يَدَ خَالِدِيَّةٍ رَدَقَتْ بِهَا الْقَتْعُ الَّذِي بَيْنَ هَامِسٍ  
فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ قُلْ : بِرَمَكَيْتُ . فَقَدْ يَشْرِكُنَا فِي خَالِدٍ بِشَرِّ كَشِيرٍ  
وَلَا يَشْرِكُنَا فِي بَرْمِكَ أَحَدٌ

وَالْهَجَاءُ أَيْضًا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِسَلْبِ الصِّفَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ الَّتِي تَحْتَضُّهَا  
النَّفْسُ وَإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ الْمُسْتَحْجَةِ الَّتِي تَحْتَضُّهَا أَيْضًا لَمْ يَكُنْ مُخْتَارًا.  
وَالْإِخْتِيَارُ أَنْ تَنْسُبَ الْمَغْبُورُ إِلَى اللَّوْمِ وَالْجُلِّ وَالشَّرِّ وَمَا أَشَبَّهُ  
ذَلِكَ . وَلَيْسَ بِالْمُخْتَارِ فِي الْهَجَاءِ أَنْ يَنْسُبَهُ إِلَى قُبْحِ الْوَجْهِ وَصَغَرِ  
النَّحْمِ وَضَوْوَةِ الْجَنَمِ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الْقَائِلُ :  
قُلْتُ لَهَا لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلَى أَلْقَى بِعَارٍ وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ سَمِينُهَا  
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

تَمَلُّ الْحَيِّزَ مِنْ تَوْدِيهِ وَيُخْلِفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلُ الطَّرِيْدُ  
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهُوَ حَذَقٌ وَيَنْقُمُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ  
وَذَكَرَ السَّمُولُ أَنَّ قَلَّةَ الْعَدَدِ لَيْسَ بِعَيْبٍ فَقَالَ :  
مَعْرِفُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا قُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ  
وَمِنْ الْهَجَاءِ الْحَيِّدُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ وَاللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَلَدَا  
قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِبِهِمْ آمَنُوا مِنْ لُؤْمٍ لِحَسَائِهِمْ أَنْ يُشَلُّوا قَوْدًا  
وَقَوْلُ آعْشَى بِلَهْلَهَ :

بُوَيْتِمِ قَرَارَةٌ كُلِّ لُؤْمٍ كَذَاكَ لِكُلِّ سَائِمٍ قَرَارُ  
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

لَوْ كَانَ يَحْقِقُ عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ مِنْ خَلْقِهِ خَيِّتَ عَنْهُ بُؤَا سَدِ  
وَمِنْ خَيْثِ الْهَجَاءِ قَوْلُ الْآخَرِ :



إِنْ يَدْرُوا أَوْ يُحِبُّوا أَوْ يَخْلُوا لَا يَخْلُوا  
يَعْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ كَانَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

وَقَوْلُ الْآخَرِ :

لَوْ أَطْلَعَ الْغُرَابُ عَلَى تَيْمٍ وَمَا فِيهَا مِنَ السُّوءَاتِ شَابَا  
وَمِنْ خَطَا الْفَنِّ قَوْلُ الْآخَرِ :

ذَكَرْتُ أَخِي فَمَا وَدَّيْ صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصَبُ  
فَذِكْرُ الرَّأْسِ مَعَ الصُّدَاعِ فَضْلٌ لِأَنَّ الصُّدَاعَ لَا يَكُونُ فِي  
الرَّجُلِ وَلَا فِي غَيْرِهَا مِنَ الْأَعْضَاءِ . وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ مِنَ الْعَيْبِ :  
وَهُوَ أَنَّ الدَّاعِي لَمَّا قَدْ قَاتَ مِنْ تَحْسُوبٍ يُوصَفُ بِأَلَمِ الْقَلْبِ  
وَأَخِثَرِاقِهِ لَا بِالصُّدَاعِ . وَمِنْ عُيُوبِ الْفَنِّ أَنْ تَكْتُبَ الضَّرُورَاتِ فِيهِ  
كَمَا قَالَ الْمُتَلِسُّ :

إِنْ تَسْلُكِي سُبُلَ الْحُجَاةِ مُنْجِدَةٌ مَا عَاشَ عُمُرُو وَمَا عَمُرَتْ قَابُوسُ  
أَرَادَ ( وَمَا عُمِرَ قَابُوسُ ) . وَقَوْلُ الْأَعَشَى حَكَاهُ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ

وَعَابَهُ

وَنَ الْقَاصِرَاتِ شُجُوفُ الْحِجَالِ فَلَمْ تَرَشَّسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا  
قَالَ : لَا تَوْضَعُ الشَّسَّ مَعَ الزَّمْهَرِيرِ ( قَالَ : ) وَكَانَ يُجِبُّ أَنْ  
يَقُولَ : لَمْ تَرَشَّسًا وَلَا قَرَأَ وَلَمْ يُصْبَحْ وَلَا قَرَّ وَقَدْ أَخْطَأَ .  
وَقَوْلُ عُلُقَمَةَ :

يَحْمِلُنَ أُتْرَجَةً فَضَحَّ الْبَعِيرُ بِهَا كَانَ قَطِيَابَهَا فِي الْأَقْبِ مَشْمُومٌ  
وَالْقَطِيَابُ هَاهُنَا عَلَى غَايَةِ السَّاجَةِ وَالطَّيِّبُ أَيْضًا مَشْمُومٌ لَا مَحَالَةَ

قَوْلُهُ: (كَأَنَّهُ مَشْمُومٌ) هُجَّةٌ وَقَوْلُهُ: (فِي الْأَقْبَانِ أَهْجَنُ). لِأَنَّ الشَّمَّ لَا يَكُونُ بِالْعَيْنِ. وَمِنْ الْمَسَاقِصِ قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ أَدْيَةَ:

تَرَلُّوا ثَلَاثَ مِنِّي بِمَنْزِلِ غِبْطَةٍ وَهُمْ عَلَى غَرَضٍ لَعَنَكَ مَا هُمْ  
مُجَاوِرِينَ بَغِيْزِ دَارِ إِقَامَةٍ لَوْ قَدْ أَجَدَّ رَجُلُهُمْ لَمْ يَنْدُمُوا  
(فَقَالَ) لَيْشُوا فِي دَارِ غِبْطَةٍ ثُمَّ قَالَ: لَوْ رَحَلُوا لَمْ يَنْدُمُوا. وَبِمَا جَاءَ  
فِي ذَلِكَ مِنْ أَشْعَارِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ بَشَّارٍ:

وَإِذَا أَدَيْتَ مِنْهَا بَصَلًا غَلَبَ الْمَسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ  
وَمِنْ الْمَعَانِي الْبَشِيعَةُ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ:

بِأَمْحَدَ الْمُرْتَجَى فِي كُلِّ نَائِبَةٍ قُمْ سَيِّدِي نَعَصِ جَبَّارَ السَّمَاوَاتِ  
فَهَذَا مَعَ كُفْرِهِ تَمْثُوتُ. وَمِنْ الْخَطَأِ قَوْلُ أَبِي الْقَتَاهِيَةِ:

غَنَيْتَ عَلَى الْوَمَلِ الْقَدِيمِ غَنِيَّتَا وَضَيْعَتَ وَدًّا كَانَ لِي وَنَسِيَّتَا  
وَمِنْ أَعْجَابِ الْأَشْيَاءِ أَنْ مَاتَ مَا لَهِيَ وَمَا كُنْتَ تُرْعَانِي لَهُ وَبَقِيَّتَا  
تَجَاهَلْتَ عَمَّا كُنْتَ تُحْسِنُ وَصْفَهُ وَمَتَّعَ الْإِحْسَانَ حِينَ حَيَاتَا  
وَلَيْسَ مِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَيَبْقَى بَعْدَهُ إِنْسَانٌ آخَرُ.

بَلْ هَذِهِ عَادَةُ الدُّنْيَا وَالْمَعْهُودُ مِنْ أَمْرِهَا وَلَوْ قَالَ: (مِنْ ظَلَمِ  
الْأَيَّامِ) كَانَ الْمَعْنَى مُسْتَوِيًّا. وَسَمِعْتُ بَعْضَ الْأَدْبَاءِ يَقُولُ: وَمِنْ  
الْمَعَانِي الْبَارِدَةُ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي صِفَةِ الْبَازِي:

فِي هَامَةِ غُلَبَاءِ تُهْدِي مَنْسَرًا كَمَطْفَعَةِ الْحِمْرِ بِكَفِّ أَعْسَرَا  
ثُمَّ قَالَ:

يَقُولُ مَنْ فِيهَا بِعَقْلِ فَكَّرَا لَوْ زَادَهَا عَيْنَا إِلَى فَاءِ وَرَا

فَاتَّصَلَتْ بِالْجِمْ صَارَ جَفْرًا

مَنْ يَجْهَلُ أَنَّ الْجِمْ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْهَا أَلْعَيْنُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ يَصِيرُ  
(جَفْرًا) وَمَا يَدْخُلُ فِي صِفَةِ الْبَارِزِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ شَيْءٌ. وَتَبِعَهُ قَوْلُ  
أَبِي تَمَّامٍ :

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةً مِنْ حَائِثِهِنَّ فَأَنْتَ هُنَّ حِمَامٌ  
مَنْ ذَا الَّذِي جَهَلَ أَنَّ الْحَمَامَ إِذَا كُسِرَتْ حَاوُهَا صَارَ حِمَامًا.  
وَإِنَّمَا أَرَادَ أَبُو نُوَّاسٍ أَنَّهُ يُشَبَّهُ الْجِمْ لَا يُنَادِرُ مِنْ شَبَّهَا شَيْئًا حَتَّى  
لَوْ زِدَتْ عَلَيْهَا هَذِهِ الْأَخْرُفُ صَارَتْ جَفْرًا لِشِدَّةِ شَبَّهَا بِهِ وَهُوَ عِنْدِي  
صَوَابٌ. إِلَّا أَنَّهُ لَوْ أَكْتَفَى بِقَوْلِهِ: (كَحَقِيقَةِ الْجِمْ بِكَفٍّ لَعَسْرًا) وَلَمْ  
يَزِدْ الزِّيَادَةَ الَّتِي بَعْدَهَا كَانَ لَجُودَ وَارْتَقَى وَادْخَلَ فِي مَذَاهِبِ  
الْفَحْشَاءِ وَأَشْبَهَ بِالشَّعْرِ الْقَدِيمِ. وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ : فَلَهُ مَعْنَى  
خِلَافَ مَا ذَكَرَهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ الزَّجْرَ وَالْعِيَاةَ أَذَلِكَ  
الْحَمَامَ إِلَى الْحَمَامِ كَمَا أَنَّ صَوْتَهَا الَّذِي تَلُنُّ أَنَّهُ بُكَاءٌ. إِنَّمَا هُوَ  
طَرَبٌ وَيُؤَدِّيكَ إِلَى الْبُكَاءِ الْحَقِيقِيِّ وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٌ. إِلَّا أَنَّ  
الْمَعْنَى إِذَا صَارَ يَهْدُو الْمَنْزِلَةَ مِنَ الدَّقِيقَةِ كَانَ كَالْمَعْمَى وَالنَّعْمَةِ حَيْثُ  
يُرَادُ الْبَيَانُ عِيً. وَمِنْ عُيُوبِ الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي صِفَةِ الْأَسَدِ :

كَأَنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا ظَلَّتْ بَارِزَةً الْجَنَنِ عَيْنُ مُخْنَقٍ

فَوَصَفَ عَيْنَ الْأَسَدِ بِالْمُخْنَقِ وَهِيَ تُوصَفُ بِالْمُؤَوِّدِ كَقَوْلِ أَبِي زَيْدٍ :  
وَعَيْنَانِ كَالْوَقَيْنِ فِي قَلْبِ صَخْرَةٍ تَرَى فِيهِمَا كَالْجَمْرَتَيْنِ تَسْعُرَا  
وَمِنْ أَلَطِ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

رَفِيقُ حَوَاشِيِ الْحِلْمِ لَوْ أَنَّ جِلْمَهُ بِكَفِّكَ مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ يُرَدُّ  
وَمَا وَصَفَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْحِلْمَ  
بِالزُّقَّةِ وَأَنَّمَا يُوصَفُ بِالرَّجْحَانِ وَالرَّزَاةِ كَمَا قَالَ أَبُو ذُرَيْبٍ :

وَصَبْرٌ عَلَى حَدَثِ الثَّائِبَاتِ وَحِلْمٌ رَزِينٌ وَعَقْلٌ ذَكِيٌّ  
وَوَثَلُ هَذَا كَثِيرٌ وَإِذَا ذَمُّوا الرَّجُلَ قَالُوا : خَفَّ جِلْمُهُ وَطَاشَ .  
وَمِنْ أَلْطَفِ قَوْلٍ أَبِي تَمَّامٍ :

ظَنُّوا فَكَانَ بُكَايَ حَوْلًا بَعْدَهُ ثُمَّ ارْتَعَوَيْتَ وَذَلِكَ حِلْمٌ لَيْسَ  
أَجْدَرُ بِجِمْرَةٍ لَوْعَةٍ إِطْفَأَوْهَا بِالذَّمِّ أَنَّ تَرْدَادَ طُولِ وَقُودِ  
هَذَا خِلَافٌ مَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ لِأَنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا أَنَّ الْبُكَاءَ يُطْفِئُ  
الْقَلِيلَ وَيُزِيدُ حَرَارَةَ الْخُزْنِ وَيُزِيلُ شِدَّةَ الْوَجْدِ . وَقَدْ شَهِدَ أَبُو تَمَّامٍ  
بِحَقِّهِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَخَالَفَ قَوْلَهُ الْأَوَّلَ فَقَالَ :

نَثَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ يُنْظَمْ وَالذَّمُّ يُحْمِلُ بَعْضَ ثِقَلِ الْمَغْرَمِ  
وَمِنْ أَلْطَفِ قَوْلِ الْجُبَّارِيِّ :

بَدَتْ صُفْرَةٌ فِي لَوْنِهِ إِنْ حَمَدَهُمْ مِنَ الذَّمِّ مَا أَصْفَرَّتْ حَوَاشِيَهُ فِي الْعَقْدِ  
وَأَنَّمَا يُوصَفُ الذُّرُّ بِشِدَّةِ أَلْيَاسٍ وَإِذَا أُريدَ الْمُبَالَغَةُ فِي وَصْفِهِ  
وُصِفَ بِالنُّصُوعِ . وَمِنْ أَعْيَبِ عُيُوبِهِ الصُّفْرَةُ . وَقَالُوا : كَرَّكَبُ دُرِّيٌّ  
لِيَاسِيهِ . وَإِذَا أَصْفَرَ لَحْيَلٍ فِي إِزَالَةِ صُفْرَتِهِ لِيَتَّضَوْا وَاسْتِعْمَالَ  
الْحَوَاشِيِ فِي الذُّرِّ أَيْضًا خَطَأً . وَلَوْ قَالَ : (نَوَاحِيهِ) لَكَانَ أَجْوَدَ .  
وَالْحَاشِيَةُ لِلْبَرْدِ وَالثُّوبِ . فَأَمَّا حَاشِيَةُ الذُّرِّ فَغَيْرُ مَعْرُوفٍ . وَفِيهَا :  
وَحَرَّتْ عَلَى الْأَيْدِي حَبْسَةً جَنْبِهِ كَذَلِكَ مَوْجُ الْبَحْرِ مَاتِهَبُ الْوَقْدِ

وَهَذَا غَلَطٌ لِأَنَّ الْجَوَّ غَيْرُ مُلْتَهَبٍ الْمَوْجِ وَلَا مُتَّقِدٌ الْمَاءُ . وَلَوْ  
كَانَ مُتَّقِدًا لَمَا أَمَكْنَ ذُكُوبُهُ وَمَا أَرَادَ أَنْ يُعْظِمَ أَمْرَ الْمَمْدُوحِ فَجَاءَ  
بِمَا لَا يُعْرَفُ . وَفِيهَا :

وَلَسْتُ تَرَى شَوْكَ الْقَتَادَةِ خَائِفًا سَمَوِ رِيَّاحِ الْقَادِحَاتِ مِنْ أَلْوَدِ  
وَهَذَا خَطَأٌ لِأَنَّهُ شَبَّهَ أَلْيِلَ بِشَوْكِ الْقَتَادِ لَا يَخَافُ النَّارَ أَلَّتِي  
تُشَدُّ بِالزَّمَادِ . وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ النَّارَ تَفْلِقُ الصَّخْرَ وَتُلِينُ الْحَدِيدَ  
فَكَيْفَ يَسْلَمُ مِنْهَا الْقَتَادُ . وَلَيْسَ لِذِكْرِ السَّمُومِ وَالرِّيَّاحِ أَيْضًا فِي  
هَذَا أَلِيَّةٍ فَائِدَةٌ وَلَا مَوْقِعٌ . وَتُورِدُ هَاهُنَا جُمْلَةٌ تَتِمُّ بِهَا مَعَانِي هَذَا  
الْبَابِ : يَتَّبِعِي أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ أَجُودَ الْوَصْفِ مَا يَسْتَوْعِبُ أَكْثَرَ  
مَعَانِي الْمَوْصُوفِ حَتَّى كَأَنَّهُ يُصَوِّرُ الْمَوْصُوفَ لَكَ قَدْرَهُ نَضْبَ عَيْنِكَ  
وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ يَزِيدَ بْنِ عُمَرَ أَطَّاعِي :

أَلَا مَنْ رَأَى قَوْمِي كَانَ رِجَالَهُمْ نَحِيلٌ أَلَا هَا عَاضِدٌ فَأَمَّا هَا  
فَهَذَا التَّشْبِيهُ كَأَنَّهُ يُصَوِّرُ لَكَ الْقَتْلَى مُصْرَعِينَ . وَقَوْلِ الْعِتَابِيِّ  
فِي السَّكَّابِ :

وَالْعِيمُ كَالثَّوْبِ فِي الْآفَاقِ مُنْتَشِرٌ مِنْ فَوْقِهِ طَبَقٌ مِنْ تَحْتِهِ طَبَقٌ  
إِنْ مَعَ الرَّدْفِ فِيهِ قُلْتُ مُنْحَرَقٌ أَوْ لَأَلَا أَلْبَرَقُ فِيهِ فَاتٌ مُخَارِقُ  
وَلَا كَانَتْ أَغْرَاضُ الشُّعْرَاءِ كَثِيرَةً وَمَعَانِيهَا مُتَشَعِّبَةً جَمَّةٌ لَا يَلْتَمِهَا  
الْإِحْصَاءُ . كَانَ مِنْ أَلْوَجِّهِ أَنْ نَذَكَّرَ مَا هُوَ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا وَأَطْوَلُ  
مُدَاوَمَةً وَهُوَ الْمَدْحُ . وَالنِّجَاءُ . وَالْوَصْفُ . وَالْمَرَايَةُ . وَالْفَخْرُ . وَقَدْ  
ذَكَرْتُ قَبْلَ هَذَا الْمَدِيحَ وَالنِّجَاءَ وَمَا يَتَّبِعِي اسْتِعْمَالُهُ فِيهَا . ثُمَّ

ذَكَرْتُ أَلَانَ الْوَصْفِ وَتَرَكْتُ الْمَرَاتِي وَالْفَحْرَ . لِأَنَّهُمَا دَاخِلَانِ فِي  
الْمَدِيحِ وَذَلِكَ أَنَّ الْفَحْرَ مَدْحُكَ نَفْسَكَ بِالطَّهَارَةِ وَالْعَنَافِ وَالْحِلْمِ  
وَالْعِلْمِ وَالْحَسَبِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَى ذَلِكَ . وَالْمَرِئِيَّةُ مَدْحُ أَلَمِيَّةٍ وَالْفَرْقُ  
بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْمَدِيحِ أَنْ تَقُولَ : كَانَ كَذَا وَكَذَا . وَتَقُولُ فِي الْمَدِيحِ :  
هُوَ كَذَا وَأَنْتَ كَذَا . فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَوَخَّى فِي الْمَرِئِيَّةِ مَا يُتَوَخَّى فِي  
الْمَدِيحِ . إِلَّا أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَذْكُرَ أَلَمِيَّةً بِالْجُودِ وَالشَّجَاعَةِ  
تَقُولُ : مَاتَ الْجُودُ وَهَلَكَتِ الشَّجَاعَةُ . وَلَا تَقُولُ : كَانَ فُلَانٌ جَوَادًا  
وَشَجَاعًا فَإِنَّ ذَلِكَ بَارِدٌ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ . وَكَذَلِكَ مَا كَانَ أَلَمِيَّةً يُرَكَّبُهُ فِي  
حَيَاتِهِ . فَيَنْبَغِي أَنَّهُ لَا يُذْكَرُ أَنَّهُ يَكْبِي عَلَيْهِ مِثْلُ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَمَا  
يَجْرِي مَجْرَاهُمَا وَإِنَّمَا يُذْكَرُ أَعْتَابُهَا بِمَوْتِهِ . وَقَدْ أَحْسَنْتَ الْخُصَاءَ  
حَيْثُ تَقُولُ :

فَقَدْ قَدَّرْتَكَ طَلَقَهُ وَأَسْتَدْرَأَتْ قَلْبَتِ الْخَيْلِ قَارِسُهَا يَرَاهَا  
بَلْ يَوْصَفُ الْبُكَاءُ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ يُحْسِنُ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ . كَمَا  
قَالَ الْقَنُويُّ :

لَيْسَ بِكَ شَيْخٌ لَمْ يَجِدْ مِنْ يُعِينُهُ وَطَاوِي الْحَشَى نَائِي الْمَزَارِ غَرِيبُ  
فَهَذِهِ جُمْلَةٌ إِذَا تَدَبَّرَهَا صَانِعُ الْكَلَامِ اسْتَفَى بِهَا عَنْ غَيْرِهَا .  
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ



### المبحث الثالث

في كيفية نظم الكلام وما ينبغي استعماله في تأليفه

( عن كتاب الصناعتين باختصار )

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَضَعَ كَلَامًا فَاحْطِرْ مَعَانِيَهُ بِإِلَافٍ وَتَوَقَّ لَهُ  
كِرَامِ اللَّفْظِ وَأَجْعَلْهَا عَلَى ذِكْرِ مِنْكَ لِيَقْرُبَ عَلَيْكَ تَأْوِيلُهَا وَلَا يَتَعَبَكَ  
تَطْلُبُهَا . وَأَعْمَلْ مَا دُمْتَ فِي شَبَابٍ نَشَاطِكَ فَإِذَا غَشِيَكَ الْفُتُورُ  
وَنَحْوُكَ أَلْمَلَلُ قَامَ مِنْكَ . فَإِنَّ الْكَبِيرَ مَعَ أَلْمَلَلِ قَلِيلٌ وَالنَّفْسُ  
مَعَ الْعَجْرِ خَسِيسٌ وَالْحَوَاطِرُ كَالنَّيَّامِ يُسْقَى مِنْهَا شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ  
فَيُحْدِثُ حَاجَتَكَ مِنَ الزَّيِّ وَتَنَالُ أَرْبَكَ مِنَ الْمُنْفَعَةِ فَإِذَا أَكْثَرَتْ  
عَلَيْهَا نَضَبَ مَاوُهَا وَقَلَّ عَنْكَ غَاوُهَا . وَيَنْبَغِي أَنْ تَجْرِيَ مَعَ الْكَلَامِ  
مُعَاوَضَةٌ فَإِذَا مَرَزْتَ بِلَفْظٍ حَسَنٍ اخَذْتَ بِرَقَبَتِهِ أَوْ بِمَعْنَى بَدِيلِهِ  
تَعَلَّقْتَ بِذَيْلِهِ . وَتَحَذَّرُ أَنْ يَسْبِقَكَ فَإِنَّهُ إِنْ سَبَقَكَ تَعَبْتَ فِي تَلْبِيسِهِ  
وَنَصِبْتَ فِي طَلَبِهِ وَلَعَلَّكَ لَا تَلْحَقُهُ عَلَى طُولِ الطَّلَبِ وَمُواصَلَةِ الدُّلَابِ  
وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا ضَيَعْتَ أَوَّلَ كُلِّ أَمْرٍ أَبَتْ أَنْجَازُهُ إِلَّا أَلْتَوَاءَ

وَقَالُوا : يَنْبَغِي لِصَانِعِ الْكَلَامِ أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ نَقْدًا  
وَلَا يَتَّبِعْ ذُنَابَهُ تَتْبَعًا وَلَا يَحْمِلُهُ عَلَى لِسَانِهِ حَمْلًا فَإِنَّهُ إِنْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ  
لَمْ تَتَّبِعْهُ حَقِيقَتُهُ وَهَزِيلُهُ وَأَعْجَبُهُ وَالشَّلَارِدُ وَمِثْلُهُ . وَإِنْ تَتْبَعَهُ فَأَتَتْهُ سَوَابِغُهُ  
وَلَوَاجِحُهُ وَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ حَيَادُهُ وَغُرْرُهُ . وَإِنْ حَمَلَهُ عَلَى لِسَانِهِ ثَقُلَتْ  
عَلَيْهِ أَوْسَاقُهُ وَأَعْبَاؤُهُ وَدَخَلَتْ مَسَاوِيرُهُ فِي مُحَاسِنِهِ وَلَكِنَّهُ يَجْرِي مَعَهُ

فَلَا تَبْدُ عَنْهُ نَادَةً مُخِجَةً سَهْمَاءَ إِلَّا كَجَبْهَاءَ وَلَا تَحْلَفُ عَنْهُ مُثِقَةً هَزِيلَةً  
 إِلَّا أَرَاهُمَا فَطَوْرًا تُفَرِّقُهُ لِيَجْتَازَ أَحْسَنَهُ وَطَوْرًا تَجْمَعُهُ لِتُقَرَّبَ عَلَيْكَ  
 خُطْوَةُ الْفِكْرِ وَيَتَنَاوَلَ اللَّفْظُ مِنْ تَحْتِ لِسَانِهِ وَلَا يُسَلِّطُ اللَّمْلُ عَلَى  
 قَلْبِهِ . وَالْإِكْنَادُ عَلَى تَفَكُّرِهِ فَيَأْخُذُ عَفْوَهُ وَلَا يَسْتَعْرِزُ دَرَهُ وَلَا يُكْرِهُ  
 آيَا وَلَا يَدْفَعُ آيَا . وَقَالَ يَشْرَبُ الْمُتَعَبِرُ : خُذْ مِنْ قَسِّكَ سَاعَةً  
 أَنْشَاطَكَ وَفَرَاغَ بَالِكَ وَاجَاتِيَا لَكَ . فَإِنَّ تِلْكَ السَّاعَةَ أَكْرَمُ  
 جَوْهَرًا وَأَشْرَفُ حُسْنًا وَأَحْسَنُ فِي الْأَنْعَامِ وَأَحْلَى فِي الصُّدُورِ وَأَسْلَمُ  
 مِنْ فَاحِشِ لُحْطٍ وَأَجْلَبُ لِكُلِّ عَيْنٍ وَغُرَّةٍ مِنْ لَفْظٍ كَرِيمٍ  
 وَمَعْنَى بَدِيعٍ . وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى عَلَيْكَ بِمَا يُعْطِيكَ يَوْمَكَ  
 أَلَّا تَطُولُ بِالْكَدِّ وَالْمُطَالَبَةِ وَالْجَاهِدَةِ وَالتَّكْلُفِ وَالْمُعَاوَدَةِ . وَمَهْمَا  
 أَخْطَاكَ لَمْ يُخْطِئِكَ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا قَضَا أَوْ خَفِيفًا عَلَى اللِّسَانِ سَهْلًا  
 وَكَذَا خَرَجَ مِنْ يَتْبُوعِهِ وَتَجَمَّعَ عَنْ مَعْدِنِهِ . وَإِيَّاكَ وَالتَّوَعُّرَ فَإِنَّ التَّوَعُّرَ  
 يُسَلِّدُكَ إِلَى التَّعْقِيدِ وَالتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ وَيَشِينُ  
 أَلْفَاذَكَ . وَمَنْ أَرَادَ مَعْنَى كَرِيمًا فَلْيَتَلَسَّسْ لَفْظًا كَرِيمًا فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى  
 الشَّرِيفِ اللَّفْظُ الشَّرِيفُ وَمِنْ حَقِّهِمَا أَنْ يَصُورَهُمَا عَمَّا يَدْتَسُهُمَا  
 وَيُفْسِدُهُمَا وَيُجَبِّهُمَا فَيَصِيرُ يَهُمَا إِلَى حَدٍّ يَكُونُ فِيهِ أَسْوَأَ حَالًا مِنْكَ  
 قَبْلَ أَنْ تَلْتَسِسَ الْأَبْلَاغَةَ وَتَرْتَبِنَ قَسِّكَ فِي مَلَابِسِهَا . فَكُنْ فِي  
 ثَلَاثٍ مَنَازِلٍ . فَأَوَّلُ الثَّلَاثِ : أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ شَرِيفًا عَذْبًا وَفَحْمًا  
 سَهْلًا وَيَكُونُ مَعْنَاكَ دَاهِرًا مَكْشُوفًا وَقَرِيبًا مَعْرُوفًا . فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ  
 لَا تُؤَاتِيكَ وَلَا تَسْنَحُ لَكَ عِنْدَ أَوَّلِ خَاطِرٍ وَتُجِدُ اللَّفْظَةَ لَمْ تَقَعْ مَوْقِعَهَا



وَلَمْ تَصِلْ إِلَى مَرْكَزِهَا وَلَمْ تَنْصِلْ بِسِلْكِهَا وَكَانَتْ قَلَّةً فِي مَوْضِعِهَا  
 نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَلَا تُكْرِهَهَا عَلَى اغْتِصَابِ الْأَمَاكِينِ وَالْأُذُولِ فِي  
 غَيْرِ أَوْطَانِهَا. فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَغَاطَ قَرِيضَ الشَّعْرِ الْمَنْظُومِ وَلَمْ  
 تَتَكَلَّفْ اخْتِيَارَ الْكَلَامِ الْمَشُورِ لَمْ يَبْعَكَ بِذَلِكَ أَحَدٌ. وَإِنْ  
 نَكَلَفْتَهُ وَلَمْ تَكُنْ حَاضِرًا مَطْبُوعًا وَلَا مُخَيَّرًا لِشَأْنِكَ بِصِيرًا عَابَكَ  
 مِنْ أَنْتَ أَقَلُّ عَيْنًا مِنْهُ وَزَدَى عَلَيْكَ مِنْ هُوَ دَوْمَكَ. فَإِنْ أَتَيْتَ  
 بِتَكْلِيفِ الْقَوْلِ وَتَغَاطِي الصَّاعَةِ وَلَمْ تَنْسَخْ لَكَ الطَّبِيعَةَ فِي أَوَّلِ  
 وَهَلَةٍ وَتَمَحَّى عَلَيْكَ بَعْدَ إِبَاجَةِ الْفِكْرَةِ فَلَا تَهْجَلْ وَدَعُهُ سَحَابَةً يَوْمَكَ  
 وَلَا تَفْجِرْ وَأَمَلُهُ سَوَادٌ لَيْلَتِكَ وَعَاوِدُهُ عِنْدَ نَشَاطِكَ فَإِنَّكَ لَا تَعْدُمُ  
 الْإِجَابَةَ وَالْمُلَوَّاتَةَ. وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ طَبِيعَةٌ وَأُجْرِيَتْ مِنَ الصَّنَاعَةِ  
 عَلَى عَرَفٍ فِيهِ الْمَزِلَّةُ الثَّانِيَّةُ. فَإِنْ تَمَعَ عَلَيْكَ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ تَرْوِيجِ  
 الْخَاطِرِ وَطُولِ الْأَمْهَالِ فَالْمَزِلَّةُ الثَّلَاثَةُ. أَيُّ أَنْ تَحْمُولَ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
 إِلَى أَشْهَى الصَّنَاعَاتِ إِلَيْكَ وَأَخْفَهَا عَلَيْكَ فَإِنَّكَ لَمْ تَشْتِهَا إِلَّا  
 وَيَسَّكَمَا تَسَبُّ. وَالَّتِي لَا يَجْنُ إِلَّا إِلَى مَا شَاكَكَ وَإِنْ كَانَتْ  
 الْمَشَاكَكَ قَدْ تَكُونُ فِي طَلَقَاتٍ فَإِنَّ النَّفْسَ لَا تَجُودُ بِمَكْنُونِهَا  
 وَلَا تَسْمَحُ بِخُزُونِهَا مَعَ الرَّهْبَةِ كَمَا تَجُودُ مَعَ الرَّغْبَةِ وَالنَّجْبَةِ. وَيَبْغِي  
 أَنْ تَعْرِفَ أَقْدَارَ الْمَعَانِي قُتُوزَيْنَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَوْزَانِ الْمُسْتَمِيعِينَ وَبَيْنَ  
 أَقْدَارِ الْحَالَاتِ فَتَجْعَلَ لِكُلِّ طَبَقَةٍ كَلَامًا وَلِكُلِّ حَالٍ قَلَامًا حَتَّى  
 تَقْسِمَ أَقْدَارَ الْمَعَانِي عَلَى أَقْدَارِ الْقَلَامَاتِ وَأَقْدَارِ الْمُسْتَمِيعِينَ عَلَى أَقْدَارِ  
 الْحَالَاتِ. وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُنْفَعَةَ مَعَ مُوَافَقَةِ الْحَالِ وَمَا يَجِبُ لِكُلِّ مَقَامٍ

مِنَ الْقَالِ . فَإِنْ كُنْتَ مُتَكَلِّمًا أَوْ اخْتَجْتَ إِلَى عَمَلٍ خُطْبَةً لِبَعْضٍ  
مَنْ تَضَلُّمٌ لَهُ الْخُطْبُ أَوْ قَصِيدَةً لِبَعْضٍ مَا يُرَادُّ لَهُ الْقَصْدُ فَحُطَّ  
الْقَاطُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِثْلَ الْجِسْمِ وَالْعَرَضِ وَالْكَوْنِ وَالتَّالِيفِ  
وَالْجَوْهَرِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُجَّةٌ ...

### البحث الرابع

## في خواص الكلام الحر

( من ابن المعتز والرماني )

قِيلَ إِنَّ أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا كَانَ تَرْجَمًا لِلْقُلُوبِ وَصَيْغًا لِلْعُقُولِ  
وَمَحَلًّا لِلشَّبْهِ وَمَوْجِبًا لِلْحُجَّةِ . وَالْحَاكِمُ عِنْدَ اخْتِصَاصِ الظُّنُونِ وَالْمُفَرِّقُ  
بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ . يَتَقَادُّ بِهِ الْمُسْتَضَعُّ وَيَسْتَقِيمُ لَهُ الْأَضْيَدُ .  
وَخَيْرُ أَلْيَانٍ مَا كَانَ مُضَرِّحًا عَنِ الْمَعْنَى لِتُسْرِعَ إِلَى الْفَهْمِ تَلْقِيهِ .  
وَمَوْجِزًا لِيَجْفَى عَلَى اللَّفْظِ تَعَاطِيهِ الَّذِي هُوَ أَلْمِغَالُ الَّذِي لَا يَمْلُ وَالْجَدِيدُ  
الَّذِي لَا يَمُتُّ . وَالْحَقُّ السَّاطِعُ . وَالْمَالِحِي لظُلْمِ الضَّلَالِ . وَلِسَانُ  
الْصِّدْقِ أَلْيَانِي لِلْكَذِبِ . إِنْ أَوْجَزَ كَانَ كَافِيًا وَإِنْ أَكْثَرَ كَانَ  
مُذَكِّرًا . وَإِنْ أَوْمَأَ كَانَ مُقْنِعًا . وَإِنْ أَطَالَ كَانَ مُفْهِمًا . وَإِنْ  
أَمَرَ فَصَاحِمًا . وَإِنْ حَكَّمَ فَعَادِلًا . وَإِنْ أَخْبَرَ فَصَادِقًا . وَإِنْ بَيَّنَّ  
فَشَافِيًا . سَهْلٌ عَلَى الْفَهْمِ . صَغْبٌ عَلَى التَّعَاطِي . قَرِيبٌ لِلْمَأْخَذِ بَعِيدٌ  
الْكَرَامِ . سِرَاجٌ تَسْتَضِيُّ بِهِ الْقُلُوبُ حَاوٍ إِذَا تَذَوَّقَتْهُ الْعُقُولُ . وَقَدْ  
قِيلَ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا حَاطَ التَّكْلُفَ عَنْهُ وَبَيَّنَّ عَلَى التَّنْبِيهِ وَكَانَتْ  
الْفَائِدَةُ أَغْلَبَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَافِيَةِ بِأَنْ جَمَعَ مَعَ ذَلِكَ سُهولةَ الْخُرُجِ

مَعَ قُرْبِ الْمُتَنَاولِ . وَعُدُوبَةُ اللَّفْظِ مَعَ رَشَاقَةِ الْمَعْنَى . وَأَنَّ يَكُنْ  
حُسْنُ الْإِبْتِدَاءِ كَحُسْنِ الْإِنْتِهَاءِ . وَحُسْنُ الْوَصْلِ كَحُسْنِ الْقَطْعِ .  
الْمَعْنَى وَالسَّعْيُ . وَكَانَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ قَدْ وَقَعَتْ فِي حَقِّهَا وَإِلَى جَدِّ  
أُخْتِهَا حَتَّى لَا يُقَالَ : لَوْ كَانَ كَذَا فِي مَوْضِعٍ كَذَا لَكَانَ أَوْلَى -  
لَا يَكُونُ فِيهِ لَفْظٌ مُخْتَلِفٌ وَلَا مَعْنَى مُسْتَكْرَءَةٌ . ثُمَّ أَلِيسَ بَهَاءُ الْحِجِّ  
وَنُورُ الْعُرْفَةِ وَشَرَفُ الْمَعْنَى وَجَزَالَةُ اللَّفْظِ وَكَانَتْ حِلَالَتُهُ فِي آلِهِ  
وَجَلَالَتُهُ فِي النَّفْسِ تَفْتَقُ أَفْهَمُ وَتَتَنَزَّدُ قَائِمُ الْحُكْمِ وَكَانَ ظَا  
الْنَّفْعِ شَرِيفَ الْقَصْدِ مُتَعَدِّلَ الْوِزْنِ جَمِيلَ الْمَذْهَبِ كَرِيمَ الْمَطْلَبِ  
فَصِيحًا فِي مَعْنَاهُ يَتَنَا فِي فُجُوَاهُ . . . . . وَجَاءَ أَيْضًا فِي كُتُبِ الْأَدَبِ  
إِنَّ لَحْظَةَ الْقَلْبِ أَسْرَعُ خَطَرَةٍ مِنْ لَحْظَةِ الْعَيْنِ وَابْعُدْ مَجَالَا وَ  
الْفَائِضَةُ فِي أَعْمَاقِ أَوْدِيَةِ الْفِكْرِ وَالْمُتَأَمِّلَةُ لُجُجِ الْعَوَاقِبِ . وَأَلْجَاوُ  
يَبِزْ مَا غَابَ وَحَضَرَ . وَالْمِيزَانُ الشَّاهِدُ عَلَى مَا نَفَعَ وَضَرَ . وَالْقَلَمُ  
كَالْمِزَانِ لِلْكَلَامِ عَلَى اللِّسَانِ إِذَا نَطَقَ وَإِلَيْهِ إِذَا كَتَبَتْ . وَالْعِلْمُ  
يَكْسُو الْعَالِي وَشَيَ الْكَلَامِ فِي قَلْبِهِ ثُمَّ يُبْدِيهَا بِالْفَاظِ كَيْسَةً بِأَحْ  
زِينَةٍ . وَالْجَاهِلُ يَسْتَعْجِلُ بِإِظْهَارِ الْعَالِي قَبْلَ الْعِنَايَةِ بِتَرْبِيَةِ مَعَارِضِ  
وَأَسْتِكْمَالِ مَحَاسِنِهَا . قِيلَ لِيَسَارِ بْنِ بُرْدٍ : بِمِ قُتَّتْ أَهْلَ عَصْرِ  
فِي حُسْنِ مَعَانِي الشَّعْرِ وَتَهْذِيبِ الْفَاظِ . فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
مَا تُورِدُهُ عَلَيَّ قَرِيبِي وَيَتَاجَنِي بِهِ طَبْعِي وَيَعْتَهُ فِكْرِي . وَنَظَرُ  
إِلَى غَارِسِ الْفَنِّ وَمَعَادِنِ الْحَقَائِقِ وَلَطَائِفِ التَّشْبِيهَاتِ فَيَسُرُّ  
إِلَيْهَا بِفَهْمٍ جَيِّدٍ وَغَرِيزَةٍ قَوِيَّةٍ فَاحْكُمْتُ سِيرَهَا وَأَتَقَتُ حُرَّ

وَكَشَفْتُ عَنْ حَقَائِقِهَا وَأَحْتَرَزْتُ عَنْ مُتَكَلِّفِهَا . وَمَا مَلَكَ قَطُّ  
قِيَادِي الْإِعْجَابُ بِشَيْءٍ عَمَّا آتَى بِهِ . قَالَ الْجَاهِظُ : إِنْ الْمَعْنَى إِذَا  
كَانَ شَرِيحًا وَكَانَ اللَّفْظُ بَلِيغًا وَكَانَ صَحِيحَ الطَّبَعِ يَبِيدُ مِنَ  
الِاسْتِكْرَاهِ مُدَّهَا عَنْ الْإِخْتِلَالِ مَصُونًا عَنْ التَّكَلُّفِ صَنَعَ فِي الْقَلْبِ  
صَنِيعَ الْقَيْثِ فِي الثَّرْبَةِ الْكَرِيمَةِ . وَمَتَى فَضِلَتِ الْكَلِمَةُ عَلَى هَذِهِ  
الشَّرِيطَةِ وَنَقَذَتْ مِنْ قَائِلِهَا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ كَسَاهَا اللَّهُ مِنَ التَّوْفِيقِ  
وَمِنْهَا مِنَ التَّأْيِيدِ مَا لَا يَتَّبِعُ مِنْ تَعْظِيمِهَا بِهِ صُدُورُ الْجَبَّارَةِ وَلَا  
يَذْهَلُ عَنْ فَهْمِهَا مَعَ عُقُولِ الْجَهْلَةِ

### البحث الخامس

## في تهذيب الكلام وتنقيحه

( عن خزائن الادب للمصوي وزهر الآداب للمصري )

وَهُوَ عِبَادَةٌ عَنْ تَرْدَادِ النَّظَرِ فِي الْكَلَامِ بَعْدَ عَمَلِهِ وَالشُّرُوعِ فِي  
تَهْذِيبِهِ وَتَنْقِيحِهِ تَطْلُبًا كَانَ أَوْ تَرَا وَتَغْيِيرُ مَا يَجِبُ تَغْيِيرُهُ وَحَذْفُ مَا  
يَلْبِغِي حَذْفَهُ وَإِصْلَاحُ مَا يَتَعَيَّنُ إِصْلَاحُهُ وَكَشْفُ مَا يُشْكَلُ عَنْ  
غَرِيْبِهِ وَإِعْرَاقِهِ . وَتَحْرِيرُ مَا يَدِقُّ مِنْ مَعَانِيهِ . وَأَطْرَاحُ مَا يَجْتَنِي عَنْ  
مَضَاجِعِ الرِّقَّةِ مِنْ غَلِيظِ الْفَاطَةِ لِشَرْقِ شُبُوسِ التَّهْذِيبِ فِي سَمَاءِ  
بَلَاعَتِهِ وَتَرْشُفِ الْأَسْمَاعِ عَلَى الطَّرَبِ رَفِيقِ سُلَاقَتِهِ . فَإِنَّ الْكَلَامَ  
إِذَا كَانَ مَوْضُوعًا بِالْمُهَذَّبِ مَنُوعًا بِالسُّعْمِ عِلَّتْ رُقَّتُهُ . وَإِنْ كَانَتْ  
مَعَانِيهِ غَيْرَ مُبْتَكِرَةٍ . وَكُلُّ كَلَامٍ قِيلَ فِيهِ : لَوْ كَانَ مَوْضِعَ هَذِهِ

الْكَلِمَةِ غَيْرَهَا . وَلَوْ نَقَدَمَ هَذَا الْمُنَاجِرَ وَتَأَخَّرَ هَذَا الْمُتَقَدِّمُ . أَوْ لَوْ  
تَمَّ هَذَا النِّقْصُ بِكَذَا . أَوْ لَوْ تَكَمَّلَ هَذَا الْوَصْفُ بِكَذَا . أَوْ لَوْ  
حُذِفَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ . أَوْ لَوْ اتَّضَحَ هَذَا الْمَقْصِدُ وَسَهَّلَ هَذَا الْمَطْلَبُ  
لَكَانَ الْكَلَامُ أَحْسَنَ وَالْعَنَى أَتَيْنَ . كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ غَيْرَ  
مُنْتَظَمٍ فِي سِلْكِ نَوْعِ التَّهْذِيبِ وَالتَّأْدِيبِ . وَكَانَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي  
سَلَمَى مَعْرُوفًا بِالتَّسْوِيعِ وَالتَّهْذِيبِ . وَلَهُ قَصَائِدُ تُعْرَفُ بِالْحَوَلِيَّاتِ .  
قِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يُنْظِمُ الْقَصِيدَةَ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَيَهْدِيهَا وَيُنْقِهَا فِي  
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَيَعْرِضُهَا عَلَى عُلَمَاءَ قَبِيلِهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ . وَيُرْوَى : أَنَّهُ  
كَانَ يَعْمَلُ الْقَصِيدَةَ فِي شَهْرٍ وَيُنْقِهَا وَيَهْدِيهَا فِي أَحَدِ عَشَرَ شَهْرًا  
وَلَا جَرَمَ أَنَّهُ قَلَّمَا يَسْقُطُ مِنْهُ شَيْءٌ . وَلِهَذَا كَانَ الْإِمَامُ عُمَرُ بْنُ  
الْخَطَّابِ مَعَ جَلَالَتِهِ فِي الْعِلْمِ وَتَقَدُّمِهِ فِي التَّنْقِيدِ يُقَدِّمُهُ عَلَى سَائِرِ الْفُحُولِ  
مِنْ طَبَقَتِهِ . وَمَا أَحْسَنَ مَا أَشَارَ أَبُو التَّمَامِ إِلَى التَّهْذِيبِ بِقَوْلِهِ :  
خُفَّاهَا بِنَةِ الْفِكْرِ الْمُهَذَّبِ فِي الدُّجَى وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةٍ الْجِلْبَابِ  
فَإِنَّهُ خَصَّ تَهْذِيبَ الْفِكْرِ بِالدُّجَى لِكَوْنِ اللَّيْلِ تَهْدًا فِيهِ الْأَصْوَاتُ  
وَتَسْكِينُ الْحَرَكَاتِ فَيَكُونُ الْفِكْرُ فِيهِ مُجْتَمِعًا وَبِرَأَةِ التَّهْذِيبِ فِيهِ  
صَفِيَّةٌ لِحُلُوزِ الْفَاطِرِ وَصَفَاءِ الْقَرِيحَةِ . لَا سِيَّامَا وَسَطَ اللَّيْلِ وَالنَّفْسُ قَدْ  
أَخَذَتْ حَظَهَا مِنَ الرَّاحَةِ بَعْدَ نَيْلِ قَسْطِهَا مِنَ التَّرَمِّ وَخَفَّ عَلَيْهَا ثِقَلُ  
الْعِذَاءِ وَصَحَّ ذَهْنُهَا وَصَادَ صَدْرُهَا مُنْشَرِحًا وَقَلْبُهَا بِالتَّأْلِيفِ مُبْسِطًا .  
وَمَا قَدَّمُوا وَسَطَ اللَّيْلِ فِي التَّأْلِيفِ عَلَى السَّحَرِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ انْتِبَاهِ  
أَكْثَرِ الْخِيَوَانِ الْمَاطِقِ وَارْتِفَاعِ الْأَصْوَاتِ وَجَرَشِ الْحَرَكَاتِ وَتَقَشُّعِ

الظلمات بطلان الأنواء . ويدون ذلك يتقسم الفكر ويستعمل  
القلب ووسط الليل خالي عما ذكرناه . ولهذا خص أبو تمام تهذيب  
الفكر بالدحي عادلاً عن الطرفين لما فيهما من الشوائب المذمومة .  
وحكت البقات عن أبي عبادة الجعري قال : كنت في حدائتي أروم  
الشعر وكنت أزعج فيه إلى طبع سليم ولم أكُن وقفت له على  
تسهيل مأخذ ووجه اقتضاب حتى قصت أبا تمام وأنقطعت إليه  
وأتكلت في تعريفه عليه فكان أول ما قال لي : يا أبا عبادة  
تجبر الآوقات وأنت قليل النوم صغر من النوم . وأعلم أن  
العادة في الآوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار  
وقت السحر . وذلك أن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة  
وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء . وصفاً من أكثر الأجرة  
والأذخنة بنم الهواء . وسكنت العمايم . ورقى السائم . وتغنت  
الحمايم . وإذا انزعجت في التأليف تن بالسر فان الغناء وضارته الذي  
يجري فيه . واجتهد في إيضاح معانيه . فإن أردت ذكر الأصحاب  
فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رقيقاً وأكثر فيه من بيان الكأبة .  
وقلق الأسواق . ولوعة الفراق والتغلل باستنشاق السائم . وغناء  
الحمايم . والبروق اللامعة . والنجوم الطالعة . والتبرم من العذال .  
والوقوف على الأطلال . وإذا أخذت في مدح سيد فاشهر بناقبة  
وأظهر مأساة وأرهب من عزائم وأرغب في مكارمه . وأحذر  
الجهول من المعاني وإياك أن تشين شعرك بالعبارة والآلفاظ

الْوَحْيِيَّةِ وَنَاسِبَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي فِي تَأْلِيْفِ الْكَلَامِ وَكُنْ  
كَأَنَّكَ خَيَاطٌ تُقَدِّرُ الْقِيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ الْأَجْسَامِ . وَإِذَا عَارَضَكَ  
الصَّبْرُ فَارْحِ نَفْسَكَ وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِعٌ الْقَلْبِ وَلَا تَنْظِمَ  
إِلَّا بِشَهْوَةٍ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ نِعَمَ الْمُتَيْنِ عَلَى حُسْنِ النَّظْمِ . وَحَمَلَةُ الْحَالِ  
أَنْ تَقْتَدِرَ شِعْرَكَ بِمَاسَلَفٍ مِنْ أَشْعَارِ الْمَاضِينَ فَمَا اسْتَحْسَنَ الْعُلَمَاءُ  
فَاقْصِدْهُ وَمَا اسْتَفْجَاهُ فَاحْتِنِ

وَأوردَ الْعَلَامَةُ زَكِيُّ الدِّينِ بْنُ أَبِي الْأَصْبَعِ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى  
بِتَحْرِيرِ التَّحْدِيدِ وَصِيَّةً لِنَفْسِهِ أوردَهَا أَيْضًا عَلَى نَوْعِ التَّهْذِيبِ وَالتَّأْدِيبِ  
فَاخْتَرَتْ مِنْهَا مَا هُوَ الْأَلْفُ بِالْحَالِ وَأَوَّلُهَا : يَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الرَّاعِبُ فِي  
الْعَمَلِ السَّائِلُ عَنْ أَوْضَحِ السُّبُلِ أَنْ تُحْصَلَ الْمَعْنَى قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي  
النَّظْمِ وَالْقَوَافِي قَبْلَ الْآيَاتِ (قُلْتُ وَهَذَا مِنْهُنَا) . ثُمَّ قَالَ أَيْضًا :  
وَلَا تُكْرِهُوا الْخَطَرَ عَلَى وَزْنٍ مُخْصُوصٍ وَرَوِيٍّ مَقْصُودٍ وَتَوْخُّ الْكَلَامِ  
الْجَزَلَ دُونَ الرَّدْلِ وَالسَّهْلَ دُونَ الصَّعْبِ وَالْعَذْبَ دُونَ الْمُسْتَكْرَوِ  
وَالْمُسْتَحْسَنَ دُونَ الْمُسْتَهْجَنِ . وَلَا تَعْمَلْ ظَنًّا وَلَا تَرَا عِنْدَ الْمَلَلِ  
فَإِنَّ الْكَثِيرَ مَعَ قَلِيلٍ وَالنَّفِيسَ مَعَ خَفِيسٍ . وَلِخَوَاطِرٍ يَتَابِعُ إِذَا  
رَفِقَ بِهَا حَمَتْ وَإِذَا كَثُرَ اسْتَعْمَلَهَا تَرَحَّتْ . وَاسْكُتْ كُلَّ مَعْنَى يَنْسَجُ  
وَقْتِدْ كُلَّ فَائِدَةٍ تَعْرُضُ فَإِنَّ نَتَائِجَ الْأَفْكَارِ كَلِمَةٌ أَلْبَرَقِ وَلِخَمَةِ  
الْطَّرَفِ إِنْ لَمْ تُقْتَدِرْهَا شَرَدَتْ وَنَدَّتْ وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعْ بِالتَّكْرَارِ  
عَلَيْهَا صَدَّتْ وَالتَّرْتُّمُ بِالشَّعْرِ بِمَا يُعِينُ عَلَيْهِ . فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :  
تَغْنٍ بِالشَّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلُهُ      إِنْ أَلْنَاءُ لِقَوْلِ الشَّعْرِ مَضَارُ

## البحث السادس

## في شروط الكلام

( عن ادب الدنيا والدين للأوردي )

اعلم أن الكلام شرطاً لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها ولا يعزى من التقصير إلا بعد أن يستوفى وهي أربعة : ( فالشرط الأول ) أن يكون الكلام لباع يدعو إليه إما في تجلاب شغل أو في دفع ضرر . ( والشرط الثاني ) أن يأتي به في موضعه ويتروخى به إصابه فرصته . ( والشرط الثالث ) أن يقتصر منه على قدر حاجته . ( والشرط الرابع ) أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به . فهذه أربعة شروط متى أخل المتكلم بشرط منها فقد أوهن فضيلة باقيها . وسند ذكر تحليل كل شرط منها بما يثبت عن لزومه . فأمّا الشرط الأول وهو الداعي إلى الكلام فلان ما لاداعي له هذيان وما لاسبب له هجر ومن سأم نفسه في الكلام إذا عن ولم يراع صحة دوايعه وإصانة معانيه كان قوله مردو ولا ورأيه معلولاً . كالأدي حكى ابن عائشة : إن شاباً كان يجالس الأخف ويطلب الصنت فأنجب ذلك الأخف فحلت الحلقة يوماً فقال له الأخف : تكلم يا ابن أخي . فقال : يا عم لو أن رجلاً سقط من شرف هذا المسجد هل كان يضربه شيء . فقال : يا ابن أخي ليتنا تركناك مستوراً . ثم تمثّل الأخف قول الأعور الشنفي :



كَأَيِّنْ تَرَى مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مُغْجِبٍ زِيَادَةُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ  
لِسَانُ الْقَتَنِ نَضْفٌ وَنَضْفٌ قُوَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْأَدَمِ  
وَكَاذِبِي حُكْمِي عَنْ أَبِي الْقَتَنِ : إِنَّ رَجُلًا كَانَ يَجْلِسُ إِلَى  
فَيْطِلُ الصَّنْتِ فَقَالَ لَهُ أَبُو يُوسُفَ : أَلَا تَسْأَلُ . قَالَ : بَلَى سَتَى يَفْطُرُ  
الصَّائِمُ . قَالَ : إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ . قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَغْرُبْ إِلَى  
نَضْفِ اللَّيْلِ . ( قَالَ ) فَتَبَسَّمَ أَبُو يُوسُفَ وَتَمَثَّلَ بِبَيْتِي لِحُطْنِي جَدِّ  
جَرِيرٍ :

عَجِبْتُ لِأَزْرَاءِ الْعَبِيِّ بِنَفْسِهِ وَصَنَتِ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْعِلْمِ أَعْلَمًا  
وَفِي الصَّنْتِ سِثْرٌ لِلْعَبِيِّ وَإِنَّمَا صَحِيقَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ  
فَأَنْظُرْ إِلَى هَؤُلَاءِ كَيْفَ أَبَانُوا بِالْكَلَامِ عَنْ جَهْلِهِمْ وَأَعْرَبُوا  
بِالسُّؤَالِ عَنْ قَصَصِهِمْ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ دَاعٍ إِلَيْهِ وَلَا رَوِيَّةٌ فِيهَا تَكَلَّمُوا  
بِهِ وَلَوْ صَدَرَ عَنْ رَوِيَّةٍ دَعَا إِلَيْهَا دَاعٍ لَسَالُوا مِنْ شَيْنِهِ وَبَرُّوا مِنْ  
عَيْنِهِ . وَلِذَلِكَ قِيلَ : لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ فَإِذَا أَرَادَ الْكَلَامَ  
رَجَعَ إِلَى قَلْبِهِ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَكَلُّمٌ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْسَكٌ . وَقَالَ  
أَجْلَاهِلٍ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا عَرَضَ لَهُ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ  
عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَنْ لَمْ يَمُدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ . وَقَالَ بَعْضُ  
الْحُكَمَاءِ : عَقْلُ الْمَرْءِ مَحْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْبَلَاءِ : أَحْسِنُ  
لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ جَبَنَكَ أَوْ يُتْلِفَ قَسَكَ فَلَا شَيْءَ أَوْلَى بِطُولِ  
جَبَنٍ مِنْ لِسَانٍ يُقْصَرُ عَنِ الصَّوَابِ وَيُسْرَعُ إِلَى الْجَوَابِ . وَقَالَ  
أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِي :

وَمَا كَانَتْ الْحِكْمَاءُ قَالَتْ لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ تَبَعِ الْقَوْلِ إِذَا  
وَكَانَ بَعْضُ الْحِكْمَاءِ يَحْسِمُ الرُّخْصَةَ فِي الْكَلَامِ وَيَقُولُ : إِذَا  
جَالَسْتَ الْجُهَالَ فَأَنْصِتْ لَهُمْ وَإِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ فَأَنْصِتْ لَهُمْ . فَإِنَّ  
فِي أَنْصَاتِكَ لِلْجُهَالِ زِيَادَةً فِي الْخِلْمِ وَفِي أَنْصَاتِكَ لِلْعُلَمَاءِ زِيَادَةً فِي  
الْعِلْمِ . وَأَمَّا ( الشَّرْطُ الثَّانِي ) فَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ بِالْكَلَامِ فِي مَوْضِعِهِ  
لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي غَيْرِ جِهَتِهِ لَا يَبْقَى مَوْقِعُ الْإِتِّفَاعِ بِهِ وَمَا لَا يَنْفَعُ مِنَ  
الْكَلَامِ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ هَذَانِ وَهَؤُلَاءِ . فَإِنْ قُدِّمَ مَا يَقْتَضِي  
الْتِمَاحَ كَانَ مَجْمَعًا وَخَرَفًا . وَإِنْ أُخِّرَ مَا يَقْتَضِي التَّقْدِيمَ كَانَ تَوَانِيًا وَعَجْزًا  
لِأَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ قَوْلًا وَفِي كُلِّ زَمَانٍ عَمَلًا . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :  
يَضَعُ الْحَدِيثَ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَكَلَامُهُ مِنْ بَعْدِهَا تَرَدُّ  
وَأَمَّا ( الشَّرْطُ الثَّلَاثُ ) وَهُوَ أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ .  
فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنْ لَمْ يَنْحَصِرْ بِالْحَاجَةِ وَلَمْ يُقَدَّرْ بِالْكِفَايَةِ لَمْ يَكُنْ  
لِحَدِّهِ غَايَةً وَلَا لِقَدْرِهِ نِهَائَةً وَمَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْكَلَامِ مُحْصُورًا كَانَ  
حَصْرًا وَإِنْ قَصُرَ وَهَدَّرَ وَإِنْ كَثُرَ . وَرَوِيَ : أَنَّ أَعْرَابِيًا تَكَلَّمَ عِنْدَ  
بَعْضِهِمْ وَطَوَّلَ فَقَالَ لَهُ : كَمْ دُونَ لِسَانِكَ مِنْ حِجَابٍ . قَالَ : شَفَتَايَ  
وَلِسَانِي . قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ الْإِنْبِقَاقَ فِي الْكَلَامِ  
فَقَصَرَ اللَّهُ وَجْهَ أَمْرِي أَوْجَزَ فِي كَلَامِهِ فَأَقْتَصَرَ عَلَى حَاجَتِهِ . وَحُكِيَ  
أَنَّ بَعْضَ الْحِكْمَاءِ رَأَى رَجُلًا يُكَثِّرُ الْكَلَامَ وَيَهْلُ السُّكُوتَ فَقَالَ :  
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا خَلَقَ لَكَ أَذُنَيْنِ وَلِسَانًا وَاحِدًا لِيَكُونَ مَا تَسْمَعُهُ  
ضِعْفَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحِكْمَاءِ : مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ

كَثُرَتْ آثَامُهُ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : أَنْذِرْكُمْ فُضُولَ الْمَنْطِقِ . وَقَالَ  
بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : كَلَامُ الْمَرْءِ يَبَانُ فَضْلُهُ وَتَرَحُّانُ عَقْلِهِ فَأَقْصِرْهُ عَلَى  
الْجَلِيلِ وَأَقْصِرْ مِنْهُ عَلَى الْهَلِيلِ وَإِيَّاكَ مَا يُنْخِطُ سُلْطَانُكَ وَيُوحِشُ  
إِخْوَانُكَ . فَمَنْ أَمْخَطَ سُلْطَانَهُ تَعَرَّضَ لِلنِّسِيَةِ . وَمَنْ أَرَحَّشَ إِخْوَانَهُ  
تَبَرَّأَ مِنَ الْحُرِّيَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا فَطَقْتَ فَلَنَّا يُبْدِي عُيُوبَ ذَوِي الْعُيُوبِ الْمَنْطِقُ  
وَلِحَاجَتِهِ قَدْرُ الْحَاجَةِ مِنَ الْكَلَامِ حَالَتَانِ : تَقْصِيرٌ يَكُونُ حَصْرًا  
وَتَكْثِيرٌ يَكُونُ هَذَرًا . وَكِلَاهُمَا شَيْنٌ وَشَيْنُ الْهَذَرِ أَشْعُ وَرَبَّمَا كَانَ فِي  
الْغَالِبِ أَخُوفٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَقْتُلُ الرَّجُلِ يَبْنِي فَكَيْهِ .  
وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : الْحَصْرُ خَيْرٌ مِنَ الْهَذَرِ لِأَنَّ الْحَصْرَ يُضَعِّفُ النُّجَّةَ  
وَالْهَذَرَ يُتْلِفُ الْمَحْجَةَ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : يَارَبُّ السِّنَةِ كَالسُّيُوفِ تَقْطَعُ لَعْنَاتُهَا  
أَضْحَاقُهَا وَمَا يَنْقُصُ مِنْ هَيْئَاتِ الرِّجَالِ يَزِيدُ فِي بَهَائِهَا وَالْبَاسِهَا . وَقَدْ  
ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَثُرَ عَنْ قَدْرِ الْحَاجَةِ وَزَادَ عَلَى  
الْكِفَايَةِ وَكَانَ صَوَابًا لَا يَشُوبُهُ خَطْلٌ وَسَلِيمًا لَا يَتَعَوَّدُهُ زَلٌّ فَهُوَ  
أَلْيَانٌ وَالتَّحَرُّ الْحَلَالُ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَدْ دُمَ الْكَلَامُ  
فِي مَجْلِسِهِ : كَلَّا إِنْ مِنْ تَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ قَدَرٌ عَلَى أَنْ يَسْكُتَ فَيُجَسِّنَ  
وَلَيْسَ مَنْ سَكَتَ فَأَحْسَنَ قَدَرٌ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ فَيُجَسِّنَ . وَوَصَفَ  
بَعْضُهُمُ الْكَاتِبَ فَقَالَ : مَنْ إِذَا أَخَذَ شِبْرًا كَفَاهُ وَإِذَا وَجَدَ طُومَارًا

أَمْلَأَهُ . وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ فِي خُطْبَاءِ إِيَادٍ :  
يَرْمُونَ بِالْخُطْبِ الطُّوَالَ وَتَارَةً وَحِي الْمَلِاحِظِ خِيفَةَ الرُّقْبَاءِ  
وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ صَالِحٍ لِأَنَّهُ : يَا بُنَيَّ إِذَا أَقَلَّتْ مِنْ الْكَلَامِ  
أَكْثَرْتَ مِنَ الصَّوَابِ . فَقَالَ : يَا أَبَتِ فَإِنِ أَنَا أَكْثَرْتُ وَأَكْثَرْتُ  
(بِعَنِي كَلَامًا وَصَوَابًا) . فَقَالَ : يَا بُنَيَّ مَا رَأَيْتُ مَوْعُظًا أَحَقَّ بِأَنْ  
يَكُونَ وَاعِظًا مِنْكَ . وَأَنْشَدْتُ لِأَبِي الْقَعْمِ الْبُسَيْتِيِّ :  
كَكَلَّمْتُ وَسَدَدْتُ مَا اسْتَطَعْتُ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَالشُّكُوتُ جَمَادُ  
فَإِن لَمْ تُجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصْنَتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادُ  
وَقِيلَ لِإِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ : مَا فِيكَ عَيْبٌ إِلَّا كَثْرَةُ الْكَلَامِ .  
فَقَالَ : أَقَسَمُونَ صَوَابًا أَوْ خَطَأً . قَالُوا : لَا بَلْ صَوَابًا . قَالَ :  
فَإِنَّ زِيَادَةَ مِنَ الْخَيْرِ خَيْرٌ . وَقَالَ أَبُو عُمَانَ الْجَلِيزِيُّ : لِلْكَلَامِ غَايَةٌ  
وَالنَّشَاطُ السَّامِعِينَ نِهَايَةٌ وَمَا فَضَّلَ عَنْ مِقْدَارِ الْإِحْتِمَالِ وَدَمًا إِلَى  
الِاسْتِنْقَالِ وَالْمَلَالِ فَذَلِكَ الْفَاضِلُ هُوَ الْهَذَرُ . وَصَدَقَ أَبُو عُمَانَ لِأَنَّ  
الْإِكْثَارَ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ صَوَابًا يُمِلُّ السَّامِعُ وَيُكِلُّ الْخَاطِرُ وَهُوَ صَادِرٌ  
عَنْ انْجِبَابٍ بِهِ لَوْلَاهُ قَصْرُ عَتِهِ . وَمَنْ انْجَبَّ بِكَلَامِهِ اسْتَسْرَلَ فِيهِ  
وَالْمُسْتَسْرِلُ فِي الْكَلَامِ كَثِيرُ الزَّلَلِ دَائِمُ الْغَلَارِ . وَقَالَ بَعْضُ  
الْحُكَمَاءِ : مَنْ انْجَبَّ بِقَوْلِهِ أُصِيبَ بِعَقْلِهِ وَلَيْسَ لِكَثْرَةِ الْهَذَرِ رَجَاءُ  
يُقَابِلُ خَوْفَهُ وَلَا تَقَعُ يُوزَارِي ضَرَّهُ لِأَنَّهُ يَخَافُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّلَلَ وَمِنْ  
سَامِعِهِ الْمَلَلَ وَلَيْسَ فِي مَقَابَلَةِ هَذَيْنِ حَاجَةٌ دَائِعِيَّةٌ وَلَا تَقَعُ مَرْجُوٌّ .  
قَالَ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى : إِذَا كَانَ الْإِيحَارُ كَافِيًا كَانَ الْإِكْثَارُ عِيَارًا وَإِنْ

كَانَ الْأَكْثَرُ وَاجِبًا كَانَ التَّقْصِيرُ عَجْزًا. وَقِيلَ فِي مَشْهُورِ الْحَكَمِ :  
إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ . وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : مَنْ أَطَالَ  
صَمْتَهُ أَجْتَلَبَ مِنَ الْهَيْبَةِ مَا يَنْقُضُهُ وَمِنَ الْوَحْشَةِ مَا لَا يَضُرُّهُ . وَقَالَ  
بَعْضُ الْأَبْلَهَاءِ : عِيٌّ نَسَلَهُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْ مَنْطِقِي تَدَمَّ عَلَيْهِ فَأَقْتَصِرَ مِنْ  
الْكَلَامِ عَلَى مَا يَقِيمُ حُجَّتَكَ وَيُلْغِي حُلَّتَكَ وَإِيَّاكَ وَفُضُولَهُ فَإِنَّهُ يَزِلُّ  
الْقَدَمَ وَيُورِثُ الْقَدَمَ . وَقَالَ بَعْضُ الْفَصَحَاءِ : قَمُ الْعَاقِلِ مُجْهَمٌ إِذَا  
هَمَّ بِالْكَلَامِ أَنْجَمَ وَفَمُ الْجَاهِلِ مُطْلَقٌ كُلَّمَا شَاءَ أَطَاقَ . وَقَالَ  
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

إِنَّ الْكَلَامَ يُعِدُّ الْقَوْمَ جَلَوْتُهُ حَتَّى يُلْجِئَ بِهِ عِيٌّ وَاسْتَنْدَارُ  
وَأَمَّا ( الشَّرْطُ الرَّابِعُ ) وَهُوَ اخْتِيَارُ اللَّفْظِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ  
فَلَا يَنْبَغِي لِللِّسَانِ عُنْوَانُ الْإِنْسَانِ يُرْجَمُ عَنْ مَجْهُولِهِ وَيُذْهِبُ عَنْ مَحْصُولِهِ  
فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ بِتَهْنِيبِ الْفَاطَةِ حَرِيًّا وَتَقْوِيمِ لِسَانِهِ مَلِيًّا . وَقَالَ خَالِدُ  
ابْنُ صَفْوَانَ : مَا الْإِنْسَانُ لَوْلَا أَلِلسَانُ هَلِ إِلَّا بِهَيْبَةٍ مُهْمَلَةٍ أَوْ صُورَةٍ  
مُمْتَلَكَةٍ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَلِلسَانُ وَزِيرُ الْإِنْسَانِ . وَقَالَ بَعْضُ  
الْأَبْلَهَاءِ : يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ بِقَوْلِهِ وَعَلَى أَصْلِهِ بِفِعْلِهِ . وَقَالَ  
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وَأَنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حَصَاةٌ عَلَى عَوْدَاتِهِ لَدَائِلُ  
وَلَيْسَ يَصِحُّ اخْتِيَارُ الْكَلَامِ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِالْبَلَاغَةِ وَكَلَفَهَا  
لُزُومَ الْفَصَاحَةِ حَتَّى يَصِيرَ مُتَدَرِّبًا بِهَا مُعْتَادًا لَهَا فَلَا يَأْتِي بِكَلَامٍ  
مُسْتَكْرَهٍ أَلْفَظٍ وَلَا مُخْتَلٍ أَلْفَنِي لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ عَلَى مَعَانٍ

مُفْرَدَةً وَلَا لِقَاطِهَا غَايَةً . وَأَمَّا الْبَلَاغَةُ أَنْ تَكُونَ بِالْمَعْنَى الصَّحِيحَةِ  
مُسْتَوْدَعَةً فِي الْقَاطِظِ فَصِيحَةٌ فَتَكُونُ فَصَاحَةً أَلَا لِقَاطِظٌ مَعَ صِحَّةِ الْمَعْنَى  
هِيَ الْبَلَاغَةُ

### البحث السابع

### في عيوب الكلام

( عن الجاحظ والعسكري )

( راجع صفحة ٢٨ من علم الادب )

قَالَ بَعْضُ الْأَوَائِلِ : لَا تَكْثُرْ آتَهُ الْبَلِيغُ إِلَّا إِذَا خَلَا كَلَامَهُ  
مِنَ التَّكْلُفِ وَسُوءِ الصَّنْعَةِ وَكَانَ غَيًّا عَنِ التَّأَمُّلِ مُتَبَاعِدًا عَنِ الْحُسْرِ .  
فَقَوْلُهُ : ( يَكُونُ سَلِيمًا مِنَ التَّكْلُفِ ) قَالَ تَكْلُفُ طَلَبُ الشَّيْءِ  
بِصُعُوبَةٍ لِلْجَهْلِ بِطَرَأَتِي طَلَبِهِ بِالسُّهُولَةِ . فَالْكَلَامُ إِذَا جُمِعَ بِتَعَبٍ  
وَجُهِدٍ وَتَوَرَّتْ الْقَاطِظَةُ مِنْ بُعْدٍ فَهُوَ مُتَكَلِّفٌ . وَقَالُوا : لَيْسَ  
الْفَقْهُ بِالْتَّفَقُّهِ وَلَا الْفَصَاحَةُ بِالْتَفْصُحِ لِأَنَّهُ لَا يَزِيدُ مُزِيدٌ فِي كَلَامِهِ إِلَّا  
لِنَقْصِ يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ . وَمِمَّا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ وَالنَّجْمُ قَوْلُهُمْ :  
الطَّبْعُ أَمْلَكُ . قَالَ الْعَرَجِيُّ :

يَا أَيُّهَا التَّحَلِّي غَيْرِ شَيْئِهِ وَمَنْ شَانَهُ اتَّبَدِيلُ وَالْمَلِكُ  
إِزْجِعْ إِلَى خُلُقِكَ الْمَعْرُوفِ دَيْدُهُ إِنَّ التَّحَلِّيَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ  
وَقَالَ آخَرُ :

وَمَنْ يَتَدَبَّرْ مَا لَيْسَ مِنْ سُوسِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَيَقْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمًا

وَقَالَ آخِرُ :

كُلُّ أَمْرٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشَيْئِهِ وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى جِئِ  
وَمِثَالُ التَّكَافِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي دُعَائِهِ : اَللّٰهُمَّ رَبَّنَا وَآلِهَنَا  
مَنْ أَرَادَ بِأَسْوَأِ مَا حِطَّ ذَلِكَ السُّوءُ بِهِ وَارْتَحَهُ فِيهِ كَرْسُوحَ التَّخِيلِ  
فِي أَصْحَابِ الْفِيلِ . وَأَنْصَرْنَا عَلَى كُلِّ بَاغٍ وَحَسُودٍ كَمَا اتَّصَرْتُ لِنَاقَةِ  
ثَمُودَ . ثُمَّ قَالَ : ( بَرِيئًا مِنْ سُوءِ الصَّنْعَةِ ) فَسُوءُ الصَّنْعَةِ يَتَصَرَّفُ عَلَى وَجْهِهِ  
مِنْهَا : سُوءُ التَّقْسِيمِ وَفَسَادُ التَّفْسِيرِ وَفُجْحُ الْإِسْتِعَارَةِ وَالْطَّيْقِ وَفَسَادُ  
النَّسَبِ وَالسَّبكِ . فَإِذَا أَخْلَى الْكَاتِبُ بِذَلِكَ فَاتَتْهُ فَضِيلَتُهُ وَعَلَقَتْ  
بِهِ رَذِيلَتُهُ قُوَّتُهُ فَضَمَّى عَلَى جَمِيعِ حَاسِنِهِ وَعَمَى سَائِرَ فَضَائِلِهِ . لِأَنَّهُ إِذَا  
لَمْ يَفْرِقْ بَيْنَ كَلَامٍ حَسَنٍ وَآخَرٍ رَدِيٍّ وَلَفْظٍ حَسَنٍ وَآخَرٍ قَبِيحٍ وَشِعْرِ  
نَادِرٍ وَآخَرٍ بَارِدٍ بَانَ جِهَانُهُ وَظَهَرَ نَقْصُهُ . وَهُوَ أَيْضًا إِذَا أَرَادَ أَنْ  
يَضْمَعَ قَصِيدَةً أَوْ يُنْشِئَ رِسَالَةً وَقَدْ فَاتَهُ هَذَا الْعِلْمُ مَرْجَ الصُّفْرِ  
بِالْكَدْرِ وَخَلَطَ الْقُرْرَ بِالْعُرْرِ وَاسْتَعْدَلَ الْوَحْشِيَّ الْكَرَّ فَجَعَلَ هَسَهُ  
مَهْزَاةً لِلْجَاهِلِ وَعِبْرَةً لِلْعَاقِلِ . وَإِذَا أَرَادَ أَيْضًا تَصْنِيفَ كَلَامٍ مَثُورٍ  
أَوْ تَأْلِيفَ شِعْرِ مَنْظُومٍ وَتَحَطَّى حُسْنَ الصَّنْعَةِ سَاءَ اخْتِيَارُهُ لَهُ وَقَبِضَتْ  
آثَارُهُ فِيهِ فَأَخَذَ الرَّدِيَّ الْمُرْدُولَ وَتَرَكَ الْحَسَنَ الْقَبُولَ فَدَلَّ عَلَى  
قُصُورِ فَهْمِهِ وَتَأَخُّرِ عَرَفَتِهِ وَعِلْمِهِ . وَقَدْ قِيلَ : اخْتِيَارُ الرَّجُلِ قِطْعَةً  
وَنَ عَلَيْهِ . وَمَا أَكْثَرُ مَا وَقَعَ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ فِي هَذِهِ الرَّذِيلَةِ .  
وَقَوْلُهُ : ( بَرِيئًا مِنَ التَّعْقِيدِ ) فَالتَّعْقِيدُ وَالْإِعْلَاقُ سَوَاءٌ وَهُوَ اسْتِعْمَالُ  
الْوَحْشِيِّ وَشِدَّةُ تَعْلِيقِ الْكَلَامِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ حَتَّى يَسْتَبِيحَ الْمَعْنَى .

قَالَ حَبِيبُ الطَّائِي :  
 قَمَا لَكَ بِالْعَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ تَطَايِكَ الْعَرِيبَ مِنَ الْعَرِيبِ  
 كَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ عَادَ عِلْمًا إِذَا كَرَّمْتَ فِي عِلْمِ الْقُيُوبِ  
 قَالَ آخَرُ يَمْدَحُ رَجُلًا بِاسْتِهْهَالِ الْمَفْظِ :

قَوْلٌ كَانَ فِرْنَدَةُ تَحْذُو عَلَى ذَهْنِ اللَّيْلِ  
 لَمْ يَشْمَزْ عَلَى اللِّسَانِ وَلَا يَشْدُ عَلَى الْقُلُوبِ  
 لَمْ يَغْلُ فِي شَنْعِ اللِّغَا تِ وَلَا يَحْشُ بِالْعَرِيبِ

وَقَوْلُهُ : ( غَيًّا عَنِ التَّأَمُّلِ ) أَيُّ هُوَ مُسْتَعِنٌ لِبُضُوهِهِ عَنْ تَأَمُّلِ  
 مَعَانِيهِ وَتَرْدِيدِ النَّظَرِ فِيهِ . قَالَ الْجَلِيزِيُّ : إِنْ مِنْ آعَارِهِ اللَّهُ مِنْ مَعُونَتِهِ  
 نَصِيًّا وَافْرَغَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ذُو بَحْبَبٍ إِلَيْهِ الْمَعَانِي وَسَلَسَ لَهُ عِظَامَ  
 الْمَفْظِ وَكَانَ قَبْلُ قَدْ أَعْنَى الْمُسْتَعِمَّ مِنْ كَدِّ اللَّطْفِ وَارَاحَ  
 قَارِيءَ الْكِتَابِ مِنْ كَدِّ الْفَهْمِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ أَلْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبِ  
 مِنَ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ وَالتَّبَاعُدِ مِنَ حُشْرِ الْكَلَامِ وَتَقَرُّبُ التَّأَخُّدِ وَالْجَاذِ  
 فِي صَوَابٍ وَقَصْدٌ إِلَى الْحَقِّ وَحَسَنُ الْأَسْتِعَارَةِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :  
 أَلْبَلَاغَةُ تَقَرُّبِ مَا بَعْدَ مِنَ الْحِكْمَةِ بِأَيْسَرِ الْخُطَابِ وَالتَّقَرُّبُ مِنَ  
 الْمَعْنَى الْبَعِيدِ . وَهُوَ أَنْ يَجِدَ إِلَى الْمَعْنَى اللَّطِيفِ فَيَكْشِفُهُ وَيَنْفِي  
 الشَّوَاغِلَ عَنْهُ فَيَفْهَمُ السَّامِعُ مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ فِيهِ وَتَدَبُّرٍ لَهُ . وَقَوْلُهُ :  
 ( مُتَبَاعِدًا مِنَ الْحُشْرِ ) فَالْحُشْرُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَابٍ : أَثْنَانِ مِنْهَا  
 مَذْمُومَانِ وَوَاحِدٌ مَحْمُودٌ . فَاحِدُ الْمَذْمُومَيْنِ هُوَ : إِدْخَالُكَ فِي الْكَلَامِ  
 لَفْظًا لَوْ أَسْقَطْتَهُ لَكَانَ الْكَلَامُ تَمَامًا . وَمِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :



أَعْنِي قَتَى لَمْ تَدَّرِ الشَّمْسُ طَالَعَةً يَوْمًا مِنَ النَّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ هَمَّا  
قَوْلُهُ : ( يَوْمًا مِنَ النَّهْرِ ) حَشَوُ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ لِأَنَّ الشَّمْسَ  
لَا تَطْلُعُ لَيْلًا . وَالضَّرْبُ الْآخِرُ الْعِبَارَةُ عَنِ الْمَعْنَى بِكَلَامٍ طَوِيلٍ  
لَا فَائِدَةَ فِي طَوِيلِهِ وَيُمْكِنُ أَنْ يُعَبَّرَ بِاقْصَرَمِنَهُ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

قَبِيتُ آيَاتِهَا فَحَرَقْتُهَا لِسَبْعَةِ أَعْوَامٍ وَذَا أَلْعَامُ سَابِحُ  
فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ : لِسَبْعَةِ أَعْوَامٍ . وَيَتِمُّ آيَاتُ بِكَلَامٍ  
آخَرَ يَكُونُ فِيهِ فَائِدَةٌ فَعُجِزَ عَنْ ذَلِكَ فَحَشَا آيَاتُ بِمَا لَا وَجْهَ لَهُ .  
وَأَمَّا الضَّرْبُ الْخَمْسُ فَكَقَوْلِ كَثِيرٍ :

لَوْ أَنَّ الْبَلْعَيْنِ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعْلَمُوا مِنْكَ الْإِطْلَالَ  
قَوْلُهُ : ( وَأَنْتَ مِنْهُمْ ) حَشَوُ إِلَّا أَنَّهُ مَلْبِغٌ وَيَسْمِي أَهْلُ الصَّنْعَةِ  
هَذَا الْجِنْسَ اعْتِرَاضَ كَلَامٍ فِي كَلَامٍ . وَهُنَا قَوْلُ الْآخِرِ :  
إِنَّ الثَّانِيَيْنِ وَلِلْعُشَا قَدْ أَخَوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجَانِ

### البحث الثامن

## في الالتباس والاسباب المانعة من فهم المعاني

(عن الماوردي باختصار)

إِنْ لَمْ يَفْهَمْ الْهَاقِلُ مَعَانِي مَا سَمِعَ كَشَفَ عَنِ السَّبَبِ الْمَانِعِ  
مِنْهَا لِيَعْلَمَ أَلِمَّةً فِي تَعَدُّرِ فَهْمِهَا فَإِنَّ بِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الْأَشْيَاءِ وَعِلَلِهَا  
يَصِلُ إِلَى تَلَا فِي مَا شَدَّ وَصَلَا حِ مَا فَسَدَ وَلَيْسَ يَنْجَلُو السَّبَبَ الْمَانِعُ  
مِنْ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِلِقَاءِ فِي الْكَلَامِ

الْمُتَرَجِمَ عَنْهَا . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعَلَّةٍ فِي الْمُسْتَوْدَعِ فِيهَا . وَإِمَّا أَنْ  
يَكُونَ لِعَلَّةٍ فِي السَّامِعِ الْمُسْتَخْرِجِ . فَإِنْ كَانَ السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ  
فَهْمِهَا لِعَلَّةٍ فِي الْكَلَامِ الْمُتَرَجِمِ عَنْهَا لَمْ يَحُلْ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ :  
( أَحَدُهَا ) أَنْ يَكُونَ لِقَصْرِ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى فَيَصِيرُ تَقْصِيرُ اللَّفْظِ  
عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى سَبَبًا مَانِعًا مِنْ فَهْمِ ذَلِكَ الْمَعْنَى . وَهَذَا يَكُونُ مِنْ  
أَحَدِ وَجْهَيْنِ : إِمَّا مِنْ حَصْرِ الْمُتَكَلِّمِ وَعَيْهِ . وَإِمَّا مِنْ بِلَادِيهِ وَقَلَّةِ  
فَهْمِهِ . ( أَحَالُ الثَّانِي ) أَنْ يَكُونَ لِرِيَادَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى قَصِيرَ  
الرِّيَادَةِ عِلَّةً مَانِعَةً مِنْ فَهْمِ الْمُتَوَدِّعِ مِنْهُ وَهَذَا قَدْ يَكُونُ مِنْ أَحَدِ  
وَجْهَيْنِ : إِمَّا مِنْ هَذَرِ الْمُتَكَلِّمِ وَكَثْرَتِهِ . وَإِمَّا لِسُوءِ ظَنِّهِ بِفَهْمِ  
سَامِعِهِ . ( وَأَحَالُ الثَّلَاثُ ) أَنْ يَكُونَ لِمَوَاضِعَةٍ يَقْصِدُهَا الْمُتَكَلِّمُ  
بِكَلَامِهِ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهَا السَّامِعُ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَهَا . وَإِمَّا تَقْصِيرُ اللَّفْظِ  
وَزِيَادَتُهُ فَمِنْ الْأَسْبَابِ الْخَاصَّةِ دُونَ الْعَامَّةِ لِأَنَّكَ لَسْتَ تُجِدُ ذَلِكَ  
عَامًّا فِي كُلِّ الْكَلَامِ وَإِنَّمَا تُجِدُهُ فِي بَعْضِهِ فَإِذَا عَدَلْتَ عَنِ الْكَلَامِ  
أَلْقَصَرَ إِلَى الْكَلَامِ الْمُسْتَوْدَعِ وَعَنِ الزَّائِدِ إِلَى الْكَافِي أَرَحْتَ  
نَفْسَكَ مِنْ تَكَلُّفِ مَا يَكُونُ خَاطِرَكَ وَإِنْ أَقَمْتَ عَلَى اسْتِخْرَاجِهِ إِمَّا  
لِضَرُورَةٍ دَعَاكَ إِلَيْهِ عِنْدَ اعْوَاذِ غَيْرِهِ أَوْ لِحِمِيَّةِ دَاخِلَتِكَ عِنْدَ تَعَذُّرِ  
فَهْمِهِ فَأَنْظِرْ فِي سَبَبِ الرِّيَادَةِ وَالتَّقْصِيرِ . فَإِنْ كَانَ التَّقْصِيرُ لِحَصْرِ  
وَالرِّيَادَةُ لِهَذَرِ سَهْلٍ عَلَيْكَ اسْتَخْرَجِ الْمَعْنَى لِأَنَّ مَا لَهُ مِنَ الْكَلَامِ  
مَحْصُولٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُحْتَمَلُ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنَ الصَّحِيحِ وَفِي  
الْأَكْثَرِ عَلَى الْأَقَلِّ دَلِيلٌ . وَإِنْ كَانَتْ زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى

دَلِيلًا بِسُوءِ ظَنِّ الْمُتَكَلِّمِ بِهِمُ السَّامِعِ كَانَ اسْتِخْرَاجُهُ أَسْهَلَ .  
 وَإِنْ كَانَ تَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى لِسُوءِ فَهْمِ الْمُتَكَلِّمِ فَهُوَ أَضْعَبُ  
 الْأُمُورِ حَالًا وَأَبْذَاهَا اسْتِخْرَاجُهَا لِأَنَّ مَا لَمْ يَفْهَمْهُ مُكَلِّمُكَ فَإِنَّ مِنْ  
 فَهْمِهِ أَبَدٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِفَرْطٍ ذَكَائِكَ وَجُودَةِ خَاطِرِكَ تَتَنَبَّهُ  
 بِإِشَارَتِهِ عَلَى اتِّبَاطِ مَا عَجَزَ عَنْهُ وَاسْتِخْرَاجِ مَا قَصَرَ فِيهِ فَتَكُونُ  
 فَضِيلَةُ الْأَسْتِيفَاءِ لَكَ وَحَقُّ التَّقَدُّمِ لَهُ . وَلَمَّا الْمَوَاضِعُ فَضْرَبَانِ :  
 عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ . (أَمَّا الْعَامَّةُ) فَهِيَ مُوَاضِعَةُ الْعُلَمَاءِ فِيمَا جَلَّوْهُ أَلْقَابًا لِمَعَانٍ  
 لَا يَسْتَعِينِي التَّعْلِيمُ عَنْهَا وَلَا يَفِيقُ عَلَى مَعْنَى كَلَامِهِمْ إِلَّا بِهَا كَمَا جَعَلَ  
 الْمُتَكَلِّمُونَ الْجَوَاهِرَ وَالْأَعْرَاضَ وَالْأَجْسَامَ أَلْقَابًا تَوَاضَعُوهَا لِمَعَانٍ  
 اتَّفَقُوا عَلَيْهَا . وَلَسْتَ تَجِدُ مِنَ الْعُلُومِ عِلْمًا يَخْلُو مِنْ هَذَا . وَهَذِهِ  
 الْمَوَاضِعُ الْعَامَّةُ تُسَمَّى عُرُوفًا . (وَأَمَّا الْخَاصَّةُ) فَمَوَاضِعُ الْأَوَاحِدِ يُقْصِدُ  
 بِبَاطِنِ كَلَامِهِ غَيْرَ ظَاهِرِهِ . فَإِذَا كَانَتْ فِي الْكَلَامِ كَانَتْ رَمْزًا .  
 وَإِنْ كَانَتْ فِي الشَّعْرِ كَانَتْ لُغْزًا . فَأَمَّا الرَّمْزُ فَلَسْتَ تَجِدُهُ فِي عِلْمٍ  
 نَعْوِي . وَلَا فِي كَلَامٍ لَعْوِي . وَأَمَّا يَخْتَصُّ غَالِبًا بِأَحَدِ شَيْئَيْنِ : إِمَّا  
 بِمَنْهَبٍ شَنِيعٍ يُخْفِيهِ مُعْتَقِدُهُ وَيَجْعَلُ الرَّمْزَ سَبِيلًا لِنُطَاقِ النُّفُوسِ إِلَيْهِ  
 وَأَحْتِمَالِ التَّأْوِيلِ فِيهِ سَبِيلًا لِدَفْعِ الشُّكِّ عَنْهُ . وَإِمَّا لِأَنَّ يَدْعِي أَرْبَابَهُ  
 أَنَّهُ عِلْمٌ مَعْرُوفٌ . وَأَنَّ إِذَا كُنْتَ تَدْعِي مُعْجَزَ كَالصَّنْعَةِ الَّتِي وَضَعَهَا  
 أَرْبَابُهَا أَسْمًا لِعِلْمِ الْكِيمَاءِ فَرَمَزُوا بِأَرْعَانِهِ وَأَخْفَوْا مَعَانِيَهُ لِيُوهِمُوا  
 الشُّحَّ . وَالْأَسَفَ عَلَيْهِ خَدِيعَةُ لِلْعُقُولِ الْوَاهِيَةِ وَالْآرَاءِ الْفَاسِدَةِ .  
 وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

نَبَتْ شَيْئًا فَانْكَرَتْ أَوْلُوعَ ۖ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنِعًا  
 ثُمَّ لِيَكُونُوا بَرَاءً مِنْ عَهْدِهِ مَا قَالُوهُ إِذَا جُرِبَ وَلَوْ كَانَ مَا تَضَمَّنَ  
 هَذَيْنِ التَّوَعْنِ وَأَشْبَاهَهُمَا مِنَ الرُّمُوزِ مَعْنَى صَحِيحًا وَعِلْمًا مُسْتَفَادًا خَرَجَ  
 مِنَ الرَّمْزِ الْحَقِيقِيِّ إِلَى الْعِلْمِ الْجَلِيِّ . فَإِنَّ اغْتِرَاضَ النَّاسِ مَعَ اخْتِلَافِ  
 أَهْوَائِهِمْ لَا تَتَّفِقُ عَلَى سِتْرٍ سَلِيمٍ وَاخْفَاءٍ مُفِيدٍ . وَقَدْ قَالَ زُهَيْرٌ :  
 السِّتْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ  
 وَرَبَّمَا اسْتَعْمَلَ الرَّمْزُ مِنَ الْكَلَامِ فِيمَا يُرَادُ تَفْخِيمُهُ مِنَ الْعُلَايِ  
 وَتَعْظِيمُهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ لِيَكُونَ أَحَقُّ فِي الْقَلْبِ مَوْقِعًا . وَاجْلٍ فِي  
 النَّفْسِ مَوْضِعًا . فَيَصِيرُ بِالرَّمْزِ سَائِرًا وَفِي الصُّخْفِ مُخَلَّدًا . كَالَّذِي  
 حُكِيَ عَنْ فَيْثَاغُورُسَ فِي وَصَايَاهُ الْمُرُورَةِ إِنَّهُ قَالَ : احْفَظْ مِيزَانَكَ  
 مِنَ الْبَدَنِ وَأَوْزَانَكَ مِنَ الصَّدَى . يُبْدِ بِحِفْظِ الْمِيزَانِ مِنَ الْبَدَنِ  
 حِفْظَ اللِّسَانِ مِنَ الْحَيَاةِ وَبِحِفْظِ الْأَوْزَانِ مِنَ الصَّدَى حِفْظَ الْعَقْلِ  
 مِنَ الْهَوَى . فَصَادَ بِهَذَا الرَّمْزِ مُسْتَحْسَنًا وَمُدُونًا وَلَوْ قَالَهُ بِاللُّغَةِ الصَّرِيحِ  
 وَالْمَعْنَى الصَّحِيحِ لَمَا سَارَ عَنْهُ وَلَا اسْتَحْسِنَ مِنْهُ . وَعَلَهُ ذَلِكَ أَنَّ  
 الْمَخْجُوبَ عَنِ الْإِفْهَامِ كَالْمَخْجُوبِ عَنِ الْإِبْصَارِ فِيمَا يَحْصُلُ لَهُ فِي  
 النَّفْسِ مِنَ التَّعْظِيمِ . وَفِي الْقُلُوبِ مِنَ التَّخْفِيمِ . وَمَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَمْ  
 يَخْتَبِ هَانَ وَأَسْرَدُ ذَلَّ . وَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ سِتْرًا لَوْهُ فِيمَا قَلَّ وَهُوَ بِاللُّغَةِ  
 الصَّرِيحِ مُسْتَقِيلٌ . فَأَمَّا الْعُلُومُ الْمُنْتَشِرَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ النَّفْسُ إِلَيْهَا فَقَدْ  
 اسْتَنْتَتْ بِقُوَّةِ الْبَاعِثِ عَلَيْهَا . وَشَدَّةِ الدَّاعِي إِلَيْهَا . عَنِ الْإِسْتِدْعَاءِ إِلَيْهَا  
 بِرَمْزٍ مُسْتَحْتَلٍ وَلَفْظٍ مُسْتَعْرَبٍ . بَلْ ذَلِكَ يُنْفَرُ لِمَا فِي الشَّائِلِ بِاسْتِخْرَاجِ

رَمُوزَهَا مِنْ أَلْبَاءٍ عَنْ دَرْكِهَا فَهَذَا حَالُ الرَّمْزِ . وَأَمَّا الْفَرْقُ فَهُوَ  
تَحْرِي أَهْلِ الْقِرَاعِ وَشُلُّ ذَوِي الْبَطَالَةِ لِيَتَأَفَّسُوا فِي تَبَايُنِ قَرَائِحِهِمْ  
وَيَتَأَخَّرُوا فِي سُرْعَةِ خَوَاطِرِهِمْ فَيَسْتَكِدُّوا خَوَاطِرَ قَدْ مُنِحُوا صِحَّتَهَا فِيمَا  
لَا يُجِيبِي قَعًا وَلَا يُبِيدُ عِلْمًا كَأَهْلِ الصِّرَاعِ الَّذِينَ قَدْ صَرَفُوا مَا مُنِحُوهُ  
مِنْ صِحَّةِ أَجْسَامِهِمْ إِلَى صِرَاعِ كَدُّودٍ يَصْرَعُ عُقُولَهُمْ وَيَهْدُ أَجْسَامَهُمْ  
وَلَا يُكْسِبُهُمْ حِمْدًا وَلَا يُجِيبِي عَلَيْهِمْ قَعًا . أَظْهَرَ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :  
رَجُلٌ مَاتَ وَخَلَفَ رَجُلًا      أَيْنَ أُمِّ أَيْنَ أَبِي أُخْتِ أَبِيهِ  
مَعَهُ أُمُّ بَنِي أَوْلَادِهِ      وَأَبَا أُخْتِ بَنِي عَمِّ أَخِيهِ  
أَخْبَرَنِي عَنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَقَدْ رَوَعْتُ صُعُوبَةَ مَا تَضَمَّنَهُمَا مِنْ  
السُّوَالِ إِذَا اسْتَكْدَيْتَ الْفِكَرَ فِي اسْتِخْرَاجِهِ فَعَلِمْتَ أَنَّهُ أَرَادَ مِنِّي  
خَلْفَ أَبَا وَزَوْجَةَ وَعَمًّا . مَا الَّذِي أَفَادَكَ مِنَ الْعِلْمِ وَتَقَى عَنْكَ مِنَ  
الْجَهْلِ . أَلَسْتَ بَعْدَ عَلَيْهِ تَجَهُّلٌ مَا كُنْتَ جَاهِلًا مِنْ قَبْلِهِ وَلَوْ أَنَّ  
السَّائِلَ قَلَبَ لَكَ السُّوَالِ فَأَخَّرَ مَا قَدَّمَ وَقَدَّمَ مَا أَخَّرَ لَكُنْتَ فِي  
الْجَهْلِ بِهِ قَبْلَ اسْتِخْرَاجِهِ كَمَا كُنْتَ فِي الْجَهْلِ الْأَوَّلِ وَقَدْ كَدَدْتَ  
فَهْكَ وَأَتَيْتَ خَاطِرَكَ . ثُمَّ لَا تَقْدَمُ أَنْ يَرِدَ عَلَيْكَ مِثْلُ هَذَا يَمَّا  
تَجَهَّهْتَ فَتَكُونُ فِيهِ كَمَا كُنْتَ قَبْلَهُ . فَأَصْرِفْ فَهْكَ تَوَلَّى اللَّهُ رُشْدَكَ  
عَنْ غُلُومِ التُّوَكِّي وَتَكَلَّفِ الْبَطَالِينَ . ثُمَّ أَجْعَلْ مَا مِنْ اللَّهِ بِهِ عَلَيْكَ  
مِنْ صِحَّةِ الْقَرِيبَةِ وَسُرْعَةِ الْخَاطِرِ مَصْرُوفًا إِلَى عِلْمٍ مَا يَكُونُ انْفِاقَ  
خَاطِرِكَ فِيهِ مَذْخُورًا وَكَدُّ فِكَرِكَ فِيهِ مَشْكُورًا . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَّغَاءِ :  
مَنْ أَمَضَى يَوْمَهُ بِغَيْرِ حَقِّ قَضَائِهِ . أَوْ فَرَضَ آدَاءَهُ . أَوْ عَجِزَ آثَلُهُ .

أَوْ حَمْدٍ حَصَّةً . أَوْ خَيْرٍ أَسَّهَ أَوْ عِلْمٍ أَقْبَسَهُ . فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ وَظَلَمَ  
نَفْسَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لَقَدْ هَاجَ الْفَرَاغُ عَلَيْكَ شُغْلًا      وَأَسْبَابُ الْبَلَاءِ مِنَ الْفَرَاغِ  
فَهَذَا تَعْلِيلُ مَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ مِنْ فَهْمِ  
مَعَانِيهِ حَتَّى خَرَجَ بِنَا الْإِسْتِيفَاءِ وَالْكَشْفِ إِلَى الْأَعْمَاضِ . ( وَأَمَّا  
الْقِسْمُ الثَّانِي ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ فَهْمِ السَّامِعِ لِعَلَّةٍ  
فِي الْمَعْنَى الْمُسْتَوْدَعِ فَلَا يَحْلُو حَالُ الْمَعْنَى مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا  
أَنْ يَكُونَ مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ أَوْ يَكُونَ مُقَدِّمَةً لِغَيْرِهِ أَوْ يَكُونَ نَتِيجَةً  
مِنْ غَيْرِهِ . فَأَمَّا الْمُسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ فَضَرْبَانِ : جَلِيٌّ وَخَفِيٌّ . فَأَمَّا الْجَلِيُّ  
فَهُوَ يَسْبِقُ إِلَى فَهْمِ مُتَصَوِّرِهِ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ . وَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَقْسَامِ  
مَا يُشْكِلُ عَلَى مَنْ تَصَوَّرَهُ . وَأَمَّا الْخَفِيُّ فَيَحْتَاجُ فِي إِدْرَاكِهِ إِلَى  
زِيَادَةٍ تَأْمُلُ وَفَضْلٍ مُعَانَاةٍ لِيَجْلِيَ عَمَّا أَخْفَى وَيُكْشِفَ عَمَّا أَعْمَضَ .  
وَبِاسْتِعْمَالِ الْفِكْرِ فِيهِ يَكُونُ الْإِذْرِيَاظُ بِهِ وَبِالْإِذْرِيَاظِ بِهِ يَسْهُلُ  
مِنْهُ مَا اسْتَضَبَّ وَيَقْرُبُ مِنْهُ مَا بَعْدَ . فَإِنَّ لِلرِّيَاضَةِ جَرَاءَةً وَلِلدِّرَاسَةِ  
تَأْثِيرًا . وَأَمَّا مَا كَانَ مُقَدِّمَةً لِغَيْرِهِ فَضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تَقُومَ  
الْمُقَدِّمَةُ بِنَفْسِهَا وَإِنْ تَعَدَّتْ إِلَى غَيْرِهَا فَتَكُونُ كَالْمُسْتَقِلِّ بِنَفْسِهِ  
فِي تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ مُسْتَدْنِيًا لِنَتِيجَتِهِ . وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ مُقْتَضًى إِلَى  
نَتِيجَةٍ فَيَتَعَذَّرُ فَهْمُ الْمَقْدَمَةِ إِلَّا بِمَا يَلْبِغُهَا مِنَ النَّتِيجَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ  
بَعْضًا . وَتَبْعُضُ الْمَعْنَى أَشْكَلُ لَهُ وَبَعْضُهُ لَا يُغْنِي عَنْ كُلِّهِ . وَأَمَّا  
مَا كَانَ نَتِيجَةً لِغَيْرِهِ فَهُوَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِأَوَّلِهِ وَلَا يُتَصَوَّرُ عَلَى حَقِيقَتِهِ

إِلَّا يُتِمَّتْهُ وَالْإِسْتِطَالُ بِهِ قَبْلَ الْمَقْدَمَةِ عَنَاءٌ . وَاتَّقَابُ الْفِكْرِ فِي  
 اسْتِبْطَاطِهِ قَبْلَ قَاعِدَتِهِ آذَى . فَهَذَا يُوضَعُ تَعْلِيلَ مَا فِي الْمَعْلُومِ مِنَ  
 الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ مِنْ فَهْمِهَا . (وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ  
 السَّبَبُ الْمَانِعُ لِعِلَّةٍ فِي الْمُسْتَمِعِ فَذَلِكَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا مِنْ ذَاتِهِ .  
 وَالثَّانِي مِنْ طَرَفٍ عَلَيْهِ . (فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ ذَاتِهِ) فَيَتَنَوَّعُ نَوْعَيْنِ : أَحَدُهُمَا  
 مَا كَانَ مَانِعًا مِنْ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى . وَالثَّانِي مَا كَانَ مَانِعًا مِنْ حِفْظِهِ  
 بَعْدَ تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ . فَأَمَّا مَا كَانَ مَانِعًا مِنْ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى وَفَهْمِهِ فَهُوَ  
 الْبَلَادَةُ وَقِلَّةُ الْفِطْنَةِ وَهُوَ الدَّاءُ الْأَعْيَاءُ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :  
 إِذَا فَقَدَ الْعَالَمُ الذَّهْنَ قَلَّ عَلَى الْأَضْدَادِ احْتِيَاجُهُ . وَكَثُرَ إِلَى الْكُتُبِ  
 احْتِيَاجُهُ . وَلَيْسَ لِمَنْ يُلِي بِهِ إِلَّا الصَّبْرُ وَالْإِقْلَالُ . لِأَنَّهُ عَلَى الْقَلِيلِ  
 أَقْدَرُ . وَبِالصَّبْرِ آخَرَى أَنْ يُيَالَى وَيُظْفَرُ . وَأَمَّا الْمَانِعُ مِنْ حِفْظِهِ بَعْدَ  
 تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ فَهُوَ النِّسْيَانُ الْحَادِثُ عَنْ غَفْلَةِ التَّقْصِيرِ وَإِهْمَالِ التَّوَادُّعِ  
 فَيَنْبَغِي لِمَنْ يُلِي بِهِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ تَقْصِيرَهُ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ وَيُوقِظَ  
 غَفْلَتَهُ بِإِدَاةِ النَّظَرِ . فَقَدْ قِيلَ : لَا يُدْرِكُ الْعِلْمُ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ  
 وَيَكْدُ قَسَمَهُ . وَكَثْرَةُ الدَّرْسِ كَدُّهُ لَا يَصْدُرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَرَى  
 الْعِلْمَ غَنَمًا وَالْجَاهِلَةَ مَغْرَمًا . فَيَحْتَمِلُ تَعَبَ الدَّرْسِ لِيُدْرِكَ رَاحَةَ الْعِلْمِ  
 وَيَنْفِي عَنْهُ مَعَرَّةَ الْجَهْلِ . فَإِنَّ نَيْلَ الْعَظِيمِ بِأَمْرِ عَظِيمٍ . وَعَلَى قَدْرِ  
 الرُّغْبَةِ تَكُونُ الْمَطَالِبُ وَبِحَسَبِ الرَّاحَةِ يَكُونُ التَّعَبُ . وَقَدْ قِيلَ :  
 طَلَبُ الرَّاحَةِ قِلَّةُ الْأَسْرَاحَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اكْمَلِ الرَّاحَةَ  
 مَا كَانَتْ عَنْ كَدِّ التَّعَبِ وَأَعَزَّ الْعِلْمُ مَا كَانَ عَنْ ذَلِّ الطَّابِ ..

وَقَالَ بَعْضُ أَلْبَاءَ : إِنَّ هَذِهِ الْأَدَابَ نَوَافِرٌ تَمُذَّعْنَ أَهْلَ الْأَذْهَانِ  
فَأَجْعَلُوا الْكُتُبَ عَنْهَا حُمَةً . وَالْأَقْلَامَ لَهَا رُعَاةً . ( وَأَمَّا الطَّوَارِي )  
فَنَوْعَانِ : ( أَحَدُهُمَا ) شُبْهَةٌ تَعَارِضُ أَلْفَنِي فَتَمْنَعُ عَنْ نَفْسِ تَصَوُّرِهِ وَتَدْفَعُ  
عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ . فَيَنْبَغِي أَنْ يُزِيلَ تِلْكَ الشُّبْهَةَ عَنْ نَفْسٍ بِالسُّوَالِ  
أَوْ النَّظَرِ لِيَصِلَ إِلَى تَصَوُّرِ أَلْفَنِي وَإِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ . وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ  
الْعُلَمَاءَ : لَا تُخَلِّ قَلْبَكَ مِنَ الْمَذَاكِرَةِ فَتَعُودَ عَيْبًا . وَلَا تُغْفِ  
طَبْعَكَ مِنَ الْمُنَاطَرَةِ فَيَعُودَ سَقِيمًا . وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

شِفَاءُ أَلْفَنِي طُولُ السُّوَالِ وَإِنَّمَا

دَوَامُ أَلْفَنِي طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ

فَكُنْ سَائِلًا عَمَّا عِنْدَكَ فَإِنَّمَا دَعَيْتَ أَخَا عَقْلِ لَتَجْتَ بِأَلْفَنِي  
( وَالثَّانِي ) أَفْكَارٌ تُعَارِضُ الْخَطَرَ فَيَذْهَلُ عَنْ تَصَوُّرِ أَلْفَنِي .

وَهَذَا سَبَبٌ قَلَّ مَا يَعْرِى مِنْهُ أَحَدٌ لِأَنَّهُ فِيمَنْ أَنْفَسَتْ أَمَالُهُ  
وَأَتَسَّعَتْ أَمَانِيَّتُهُ . وَقَدْ يَقُولُ فِيمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي غَيْرِ الْعِلْمِ أَرَبٌ  
وَلَا فِيهَا سِوَاهُ هِمَّةٍ فَإِنْ طَرَأَتْ عَلَى الْإِنْسَانِ لَمْ يَهْدِرْ عَلَى مُكَابَرَةِ  
نَفْسِهِ عَلَى الْفَهْمِ وَغَلَبَةِ قَلْبِهِ عَلَى التَّصَوُّرِ لِأَنَّ الْقَلْبَ مَعَ الْإِكْرَامِ  
أَشَدُّ ثُبُورًا وَأَبْعَدُ قَبُولًا . وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ : بَانَ الْقَلْبُ إِذَا  
أُكْرِهَ عَمِي . وَلَكِنْ يُعْمَلُ فِي دَفْعِ مَا طَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ هَمٍّ نَذْهَلِ  
أَوْ فِكْرٍ قَاطِعٍ لِيَسْتَحْيِبَ لَهُ الْقَلْبُ مُطِيعًا . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَيْسَ يُنْفَعُ فِي الْمَوَدَّةِ شَافِعٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الصُّلُوحِ شَفِيعُ  
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَتَأَفَّرُ كَتَأَفَّرِ الْوُحْشِ



فَتَأْتِيهَا بِالْأَقْصَادِ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّوَسُّطِ فِي التَّقْدِيمِ لِحُسْنِ طَلْعِهَا  
وَيَدُومَ نَشَاطِهَا. فَهَذَا تَعْلِيلُ مَا فِي الْمُسْتَمِعِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ  
مِنْ فَهْمِ الْعَالِي

## البحث التاسع

### في المعاظلة

( من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف )

إِنَّ الْمَعَاظِلَةَ مَأْخُذَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: تَعَاظَلَتِ الْجُرَادُ تَانِ إِذَا رَكِبَتْ  
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى. فَسَيَّ الْكَلَامُ الْتَرَاكِبُ فِي الْفَاعِلِ وَفِي  
مَعَانِيهِ الْمَعَاظِلَةُ مَأْخُذًا مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ أَيْمٌ لَا تَقُ بِمُسَامَةٍ. وَوَصَفَ  
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ زُهَيْرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فَقَالَ: كَانَ لَا يُعَاطِلُ بَيْنَ  
الْكَلَامِ. وَقَدْ اخْتَلَفَ عُلَمَاءُ أَلْيَانٍ فِي حَقِيقَةِ الْمَعَاظِلَةِ فَقَالَ قُدَامَةُ  
ابْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ: التَّعَاظُلُ فِي الْكَلَامِ هُوَ أَنْ يَدْخُلَ بَعْضُ  
الْكَلَامِ فِيَا لَيْسَ مِنْ جَنْبِهِ وَلَا تَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا فَاحِشَ الْأِسْتِعَارَةِ.  
كَقَوْلِ أَوْسٍ بْنِ حُجْرٍ:

وَذَاتِ هَذَا عَارٍ نَوَاسِرُهَا تُضْمِتُ بِأَلَاءِ تَوَابَا جَدْعَا  
فَسَيَّ الظَّنِّي تَوَلَّيَا وَالتَّوَلَّيْتُ وَلَكِنَّ الْجَمَارِ. وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ قُدَامَةُ  
ابْنُ جَعْفَرٍ وَهُوَ خَطَأٌ إِذْ لَوْ كَانَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ صَوَابًا لَكَانَتْ حَقِيقَةُ  
الْمَعَاظِلَةِ دُخُولَ الْكَلَامِ فِيَا لَيْسَ مِنْ جَنْبِهِ. وَلَيْسَتْ حَقِيقَتُهَا هَذِهِ بَلْ  
حَقِيقَتُهَا مَا تَقَدَّمَ وَهُوَ التَّرَاكِبُ مِنْ قَوْلِهِمْ: تَعَاظَلَتِ الْجُرَادُ تَانِ

إِذَا رَكِبْتَ أَحَدَهُمَا الْآخَرَى . وَهَذَا الْمَثَلُ الَّذِي مَثَلٌ بِهِ قُدَامَةُ  
لَا تَرَاكِبُ فِي الْعَاظِلِ وَلَا فِي مَعَانِيهِ . وَأَمَّا غَيْرُ قُدَامَةٍ فَإِنَّهُ خَالِفَةٌ  
فِيهَا ذَهَبَ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقِمْ الْمُعَاظِلَةَ إِلَى لَفْظِيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ وَلَكِنَّهُ  
ضَرَبَ لَهَا مَثَلًا . كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا تَمْلِكَا أَبُو أُمِّ حَيْ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ  
وَهَذَا مِنَ الْقِسْمِ الْمَعْنَوِيِّ لِأَنَّ الْقِسْمَ اللَّفْظِيَّ . أَلَا تَرَى  
إِلَى تَرَاكِبِ مَعَانِيهِ بِتَقْدِيمِ مَا كَانَ يَجِبُ تَأْخِيرُهُ وَتَأْخِيرُ مَا كَانَ  
يَجِبُ تَقْدِيمُهُ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي مَعْنَاهُ : وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيْ يُقَارِبُهُ  
إِلَّا تَمْلِكَا أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ . وَإِذَا حَقَّقْتَ الْقَوْلَ فِي بَيَانِ الْمُعَاظِلَةِ  
وَالْكَشْفِ عَنْ حَقِيقَتِهَا فَأَقُولُ : إِنَّ الْمُعَاظِلَةَ مُعَاظِلَتَانِ لَفْظِيَّةٌ وَمَعْنَوِيَّةٌ  
(فَالْمَعْنَوِيَّةُ) أَنْ يُقَدَّمَ مَا الْأَوَّلَى بِهِ التَّأْخِيرُ وَهُوَ مِنْ غُيُوبِ الْكَلَامِ  
لِأَنَّ الْمَعْنَى مُحْتَلٌّ بِذَلِكَ وَمُضْطَرِبٌ وَذَلِكَ كَتَقْدِيمِ الصِّفَةِ أَوْ مَا  
يَتَعَلَّقُ بِهَا عَلَى الْمَوْصُوفِ وَتَقْدِيمِ الصِّلَةِ عَلَى الْمَوْصُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .  
كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :

قَعْدَ وَالشَّكُّ يَنْ لِي عَنَاءٌ يَوْشِكُ فِرَاقُهُمْ صُرْدٌ يَصِيحُ  
فَإِنَّهُ قَدَّمَ قَوْلَهُ (يَوْشِكُ فِرَاقُهُمْ) . وَهُوَ مَعْمُولٌ يَصِيحُ وَيَصِيحُ  
صِقَّةٌ لِصُرْدٍ عَلَى صُرْدٍ وَذَلِكَ قَبِيحٌ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ :  
هَذَا مِنْ مَوْضِعِ كَذَا رَجُلٌ وَرَدَّ الْيَوْمَ . وَإِنَّمَا يَجُوزُ وَفُوعُ الْمَعْمُولِ  
بِحَيْثُ يَجُوزُ وَفُوعُ الْعَامِلِ فَكَمَا لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ الصِّفَةِ عَلَى مَوْصُوفِهَا  
فَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ مَا اتَّصَلَ بِهَا عَلَى مَوْصُوفِهَا . وَمِنْ هَذَا الْخَوَرِ

قَوْلُ الْآخِرِ :

فَاصْبَحَتْ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا كَأَنَّ قَرَأَ رُسُومَهَا قَلَمًا  
فَالَهُ قَدَمٌ خَبَرَ كَانَ عَلَيْهَا وَهِيَ قَوْلُهُ : خَطٌّ . وَهَذَا وَأَمثَالُهُ يَمَّا  
لَا يَجُوزُ قِيَاسُ عَلَيْهِ وَالْأَصْلُ فِي هَذَا أَلْبَيْتِ ( فَاصْبَحَتْ بَعْدَ بَهْجَتِهَا  
قَرَأَ كَانَ قَلَمًا خَطٌّ رُسُومَهَا ) إِلَّا أَنَّهُ عَلَى تِلْكَ لَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي الشَّعْرِ  
مُحْتَلٌّ مُضْطَرَبٌ . وَالْمَعَاظِلُ فِي هَذَا أَلْبَابِ نَتَفَاوَتْ دَرَجَاتُهَا فِي الْفَتْحِ  
وَهَذَا أَلْبَيْتُ الْمَشَارِ إِلَيْهِ مِنْ أَتَقَبَّحُهَا لِأَنَّ مَعَانِيَهُ قَدْ تَدَاخَلَتْ وَرَكِبَ  
بَعْضُهَا بَعْضًا . وَمِمَّا يَجْرِي هَذَا الْفَتْحُ قَوْلُ الْقَرَزْدَقِ :

إِلَى مَلِكٍ مَا أَمَّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبُوهُ وَلَا كَانَتْ كُتَيْبٌ تَصَاهِرُهُ  
( وَهُوَ يُرِيدُ إِلَى مَلِكٍ أَبُوهُ مَا أَمَّهُ مِنْ مُحَارِبٍ ) . وَهَذَا أَفْجَحُ  
مِنَ الْأَوَّلِ وَاصْنَعُوا لِحَالًا لَا ... وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْقَرَزْدَقُ مِنَ التَّعَاظُلِ  
كَثِيرًا كَأَنَّهُ كَانَ يَشِدُّ ذَلِكَ وَيَتَعَمَّدُهُ . لِأَنَّ مِثْلَهُ لَا يَجِيءُ إِلَّا مُتَكَامِلًا  
مَشْهُودًا وَالْأَفَادَا تَرَكَ مُؤَلَّفُ الْكَلَامِ نَفْسَهُ تَجْرِي عَلَى مَحِيَّتِهَا  
وَطَبْعِهَا فِي الْإِسْرَافِ لَمْ يَعْزِضْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا التَّنْقِيدِ . أَلَا  
تَرَى أَنَّ الْمُقْصُودَ مِنَ الْكَلَامِ مَعْدُومٌ فِي هَذَا الضَّرْبِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ  
إِذَا الْمُقْصُودُ مِنَ الْكَلَامِ إِنَّمَا هُوَ الْإِيضَاحُ وَالْإِبَاتَةُ وَافْهَامُ الْمَعْنَى .  
فَإِذَا ذَهَبَ هَذَا الْوَصْفُ الْمُقْصُودُ مِنَ الْكَلَامِ ذَهَبَ الْمُرَادُ بِهِ وَلَا  
فَرَقَ عِنْدَ ذَلِكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ اللُّغَاتِ كَالْفَارِسِيَّةِ وَالْهُدِّيَّةِ  
وغيرهما . وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْكَلَامِ هُوَ ضِدُّ الْقَصَاحَةِ لِأَنَّ  
الْقَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْيَكِينُ وَهَذَا عَارِضٌ عَنْ هَذَا الْوَصْفِ . وَأَمَّا الْقِسْمُ

اللفظي من الملاحظة ) فإني تأملتني بالاستقراء من الأشعار قديما  
ومحدثها ومن النظر في حقيقتها نفسها فوجدتها تنقسم إلى خمسة  
أقسام : ( الأول ) منها يختص بأدوات الكلام . من وإلى وعن وعلى  
وأشباهاها . فإن منها ما يسهل النطق به إذا ورد مع نحواته .  
ومنها ما لا يسهل بل يرد ثقيلًا على اللسان ولكل موضع يخصه  
من السبك . فمما جاء منه قول أبي تمام :

إلى خالد راحت بما أرحية حراشيها من عن كراشيها نكب  
ف قوله : ( من عن كراشيها ) من الكلام المتعاضل الذي  
ثقل النطق به على أنه قد وردت هاتان اللفظتان وهما : من وعن  
في موضع آخر فلم يثقل النطق بهما كقول القائل : من عن بين  
الطريق . والسبب في ذلك أنها وردتا في بيت أبي تمام مضافتين إلى  
لفظة الكراشي فثقلت منهما وجعلتها مكروهتين كما ترى . والآن  
قد وردتا في شعر قطري بن النجاء فكانتا خفيفتين كقوله :

ولقد أرايني للزمام دربة من عن يميني مرة وأماي  
والأصل في ذلك رجع إلى السبك فإذا سبكت هاتان  
اللفظتان أو ما يجري مجراها مع ألفاظ تسهل منهما لم يكن بهما  
من ثقل كما جاءتا في بيت قطري . وإذا سبكتا مع ألفاظ تثقل  
منهما جاءتا كما جاءتا في بيت أبي تمام . ومن هذا القسم قول  
أبي تمام أيضا :

كأنه لاجتماع الروح فيه أنه في كل جارية من جنس روح

قَوْلُهُ ( فِي ) بَعْدَ قَوْلِهِ ( فِيهِ لَه ) بِمَا لَا يَجُسُّنُ وَرُودُهُ . وَكَذَلِكَ  
وَرَدَّ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُسْتَنِي :

وَتُسْعِدُنِي فِي عَمْرَةٍ بَعْدَ عَمْرَةٍ سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ  
قَوْلُهُ : ( لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا ) مِنْ أَثْقِلِ أَثْقِلِ أَثْقِلِ . . . .

( الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ الْمَاعِظَةِ اللَّفْظِيَّةِ ) تَخْتَصُّ بِتَكْرِيرِ الْحُرُوفِ  
وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِتَكْرِيرِ الْأَلْفَاظِ وَلَا بِتَكْرِيرِ أَلْعَانِي بِمَا يَأْتِي  
ذِكْرُهُ فِي بَابِ التَّكْرِيرِ فِي الْقَاعَةِ الثَّانِيَةِ . وَانَّمَا هُوَ تَكْرِيرُ حَرْفٍ  
وَاحِدٍ أَوْ حَرْفَيْنِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِ الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ أَوْ  
الْمَنْظُومِ فَيُشْتَلُّ حِينَئِذٍ الْفَتْحُ . . . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَقَدْ حَرَّبَ فِي مَكَانٍ قَفْرٌ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ  
فَهَذِهِ أَلْفَاظَاتٌ وَالرَّائَاتُ كَانَهَا فِي تَتَابُعِهَا سِلْسِلَةٌ وَلَا خَفَاءَ بِمَا  
فِي ذَلِكَ مِنْ أَثْقَلِ . وَكَذَا وَرَدَّ قَوْلُ الْحَرِيرِيِّ فِي مَقَامَاتِهِ :

وَأَزْدَرَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَايَرًا وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عُرْفَانَهُ  
قَوْلُهُ : ( وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عُرْفَانَهُ ) مِنْ التَّكْرِيرِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَّ قَوْلُهُ أَيْضًا فِي رِسَالَتِهِ الَّتِي صَاغَهَا عَلَى حَرْفِي السَّيْنِ  
وَالسَّيْنِ : فَإِنَّهُ أَتَى فِي إِحْدَاهُمَا بِالسَّيْنِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِهَا .

وَأَتَى بِالْآخَرَى بِالسَّيْنِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِهَا فَجَاءَ تَا كَانَتْهَا رُقَى  
الْعَقَارِبِ أَوْ حَذْرُوقَةُ الْعَزَائِمِ . وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ خَفِيَ مَا فِيهِمَا مِنْ

الْتِفَاحِ عَلَى مِثْلِ الْحَرِيرِيِّ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِالْجِدِّ وَالرَّدِيِّ مِنَ الْكَلَامِ . . .  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَرَبَ الَّذِينَ هُمْ الْأَصْلُ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ قَدْ عَدَلُوا عَنْ

تَكْرِيرِ الْحُرُوفِ فِي كَثِيرٍ مِنْ كَلَامِهِمْ . وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَكَرَّرَ الْحَرْفُ  
عِنْدَهُمْ أَدْعَمُوهُ اسْتِحْسَاءً فَقَالُوا فِي : ( جَلَّ لَكَ ) جَعَلَكَ . وَفِي :  
( تَضَرَّبُونِي ) تَضَرَّبُونِي . وَكَذَلِكَ قَالُوا : اسْتَعَدَّ فُلَانٌ لِلْأَمْرِ إِذَا  
تَأَهَّبَ لَهُ وَالْأَصْلُ فِيهِ اسْتَعَدَّ . وَاسْتَبَّ الْأَمْرُ إِذَا تَهَيَّأَ . وَالْأَصْلُ  
فِيهِ اسْتَبَّ . وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى أَنَّهُمْ لِسِدَّةٍ كَرَاهَتِهِمْ  
لِتَكْرِيرِ الْحُرُوفِ أَبَدَلُوا أَحَدَ الْحَرْفَيْنِ الْمَكَرَّرَيْنِ حَرْفًا آخَرَ فَقَالُوا :  
أَمَلَيْتُ الْكِتَابَ . وَالْأَصْلُ فِيهِ أَمَلْتُ . فَأَبَدَلُوا أَلَامَ يَاءَ طَلَبًا  
لِلخَفَةِ وَفَرَارًا مِنَ الثَّقَلِ . وَإِذَا كَانَ قَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ فِي اللفظةِ أَوْاحِدَةً  
فَمَا ظَنُّكَ بِالْأَفْظَافِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي يَتَّبِعُ نَعْضُهَا بَعْضًا

( الْقِسْمُ الثَّلَاثُ مِنَ الْمَعَاظِلِ ) أَنْ تَرَدَّ أَفْظَاؤُ عَلَى صِيغَةِ الْفِعْلِ  
يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَمِنْهَا مَا يَخْتَلِفُ بَيْنَ مَاضٍ وَمُسْتَقْبَلٍ . وَمِنْهَا مَا  
لَا يَخْتَلِفُ . فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِ الْقَاضِي الْأَرَجَائِيِّ فِي آيَاتٍ يَصِفُ فِيهَا  
الشَّيْءَ فَقَالَ :

بِالنَّارِ فَرَّقَتْ الْحَوَادِثُ بَيْنَنَا وَبِهَا نَذَرْتُ أَعُوذُ أَقْتُلُ رُوحِي  
فَقَوْلُهُ : ( نَذَرْتُ أَعُوذُ ) مِنَ الْمَعَاظِلِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا . وَأَمَّا مَا  
يَرِدُ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الصِّيغَةِ الْعِلْمِيَّةِ . فَكَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ  
الْمُتَنَبِّئِيِّ :

أَقْبَلَ أَنْزِلَ أَقْطَعَ أَخْلَعَ عَلَى سَلِّ أَعْدَى زِدْهِنَّ بِشَ تَقْضَلُ أَدْنُسُ رَصْلُ  
فَهَذِهِ أَفْظَاؤُ جَاءَتْ عَلَى صِيغَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ صِيغَةُ الْأَمْرِ كَأَنَّهُ  
قَالَ : ( أَفْعَلْ أَفْعَلْ ) هَكَذَا إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ . وَهَذَا تَكْرِيرٌ لِلصِّيغَةِ

وَأَنْ لَمْ يَكُنْ تَكْرِيراً لِلْخُرُوفِ إِلَّا أَنَّهُ أَخُوهُ وَلَا أَقُولُ : أَيْبُنُ عَتِهِ .  
وَهَذِهِ أَلْفَاظُ مُتَرَاكِبَةٍ مُتَدَاخِلَةٌ وَلَوْ عَطَفَهَا بِالْوَاوِ لَكَانَتْ أَقْرَبَ  
حَالًا . كَمَا قَالَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ رَعْبَانَ :

فَسَدَ النَّاسُ فَاطْلُبِ الرِّزْقَ بِالسِّيفِ م وَالْأَقْمَتِ شَدِيدَ الْهَزَالِ  
جِلْ وَأَمْرُوضَرِّ وَأَنْفَعُ وَلِنْ وَأَخْشَنُ م وَأَبْرَزِ ثُمَّ أَنْتَدِبِ لِلْمَعَالِي  
أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا عَطَفَ هَهُنَا بِالْوَاوِ لَمْ تَتَرَاكِبِ أَلْفَاظُ  
كَتَرَاكِبِهَا فِي بَيْتِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمَتَعَدِّمْ ذِكْرُهُ

( الْقِسْمُ الرَّابِعُ مِنَ الْمَاعِظَةِ ) وَهُوَ الَّذِي يَتَضَعْنَ مُضَافَاتٍ  
كثيرةً كَقَوْلِهِمْ : سَرَجُ فَرَسٍ غُلَامٍ زَيْدٍ . وَأَنْ زَيْدٌ عَلَى ذَلِكَ  
قِيلَ : لَبْدُ سَرَجِ فَرَسٍ غُلَامٍ زَيْدٍ . وَهَذَا أَشَدُّ قُبْحًا وَأَثْقَلُ عَلَى اللِّسَانِ .  
وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ ابْنِ بَابِكٍ الشَّاعِرِ فِي مُفْتَحِ قَصِيدَةٍ لَهُ :

حَمَامَةٌ جَرَتْ حَوْمَةً الْجُبْدِلِ أَنْجَبِي فَأَنْتِ بَرَأَى مِنْ سُمَادٍ وَمَسْمَعٍ  
( الْقِسْمُ الْخَامِسُ مِنَ الْمَاعِظَةِ ) أَنْ تَرَدِّصَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ عَلَى  
نَحْوِ وَاحِدٍ . كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ مِنْ قَصِيدَةٍ يَصِفُ رُحْمًا :

وَمَرَّ تَهَوُّ ذُوَابَتَاهُ عَلَى أَسْرِ مَتْنِ يَوْمِ الْوَعَى جَسَدِهِ  
مَارِيَهُ لَدَنَّهُ مُنْقَبُهُ عِرَاضُهُ فِي الْأَكْفِ مُطْرَدَةٌ  
وَهَذَا كَالْأَوَّلِ فِي قُبْحِهِ وَثِقَلِهِ فَتَأْتِلُهُ اللَّهُ مَا أَهَمَّتْ شِغْرَهُ وَمَا  
أَنْعَمَتْ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ . . . . . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ  
الْمُتَشَبِّهِ :

دَانُو بَعِيدٍ مُحِبٍّ مُنِغِضٍ بِهِمْ أَغَرَّ حُلُوِّ ثَمَرٍ لَيْتَنِ شَرِسٍ

نَدِ ابْنِي غَرٍّ وَافٍ ابْنِي ثِقَةٍ جَعَدَ سَرِيَّةً فِي نَدْبٍ رَضٍ نَدُسٍ  
وَهَذَا كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ بِلَا شَكٍّ وَقَلِيلًا مَا يُوجَدُ فِي أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ وَلَمْ  
أَجِدْهُ كَثِيرًا إِلَّا فِي شِعْرِ الْقَرَزْدَقِيِّ وَتِلْكَ مُعَاطَلَةٌ مَضْرُوبَةٌ وَهَذِهِ  
مُعَاطَلَةٌ لَفْظِيَّةٌ وَهِيَ تُوْجَدُ فِي شِعْرِ ابْنِي الطَّيِّبِ كَثِيرًا

### البحث العاشر

## في المنافرة بين الالفاظ في السبك

( عن المثل السائر لابن الاثير باختصار )

وَهَذَا النَّوعُ لَمْ يُحَقِّقْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ الْقَوْلَ فِيهِ . وَغَايَةُ  
مَا يُقَالُ : إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا تَكُونَ الْأَلْفَاظُ نَافِرَةً عَنْ مَوَاضِعِهَا ثُمَّ  
يُكْتَفَى بِهَذَا الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ وَلَا تَفْصِيلٍ حَتَّى إِنَّهُ قَدْ خُطِطَ  
هَذَا النَّوعُ بِالْمُعَاطَلَةِ وَكُلُّ مِنْهَا نَوْعٌ مُفْرَدٌ بِرَأْسِهِ لَهُ حَقِيقَةٌ تَخْصُهُ . إِلَّا  
أَنَّهُمَا قَدْ اشْتَبَهَا عَلَى عُلَمَاءِ الْبَيَانِ فَكَيْفَ عَلَى جَاهِلٍ لَا يَعْلَمُ . وَقَدْ  
بَيَّنْتُ هَذَا النَّوعَ وَفَصَّلْتُهُ فِي فِصْلِ الْمُعَاطَلَةِ وَضَرَبْتُ لَهُ أَمْثِلَةً يُسْتَدَلُّ  
بِهَا عَلَى أَخَوَاتِهَا وَمَا يَجْرِي تَحَرُّاها . وَحَمَلْتُ الْأَمْرَ أَنْ مَدَارَ سَبْكِ الْأَلْفَاظِ  
عَلَى هَذَا النَّوعِ وَالَّذِي قَبْلَهُ دُونَ غَيْرِهَا مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ  
الْمَذْكُورَةِ . لِأَنَّ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ أَصْلًا سَبْكِ الْأَلْفَاظِ وَمَا عَدَاهُمَا  
فَرَعٌ عَلَيْهِمَا . وَإِذَا لَمْ يَكُنِ النَّاسُ أَوْ النَّاطِقُونَ عَارِفًا بِمَا فَإِنَّ مَعَانِيَهُ  
كَثِيرَةً . وَحَقِيقَةُ هَذَا النَّوعِ الَّذِي هُوَ الْمُنَافَرَةُ أَنْ يُذَكَّرَ لَفْظٌ أَوْ  
أَلْفَاظٌ يَكُونُ غَيْرَهَا بِمَا هُوَ فِي مَعْنَاهَا أَوَّلَى بِالذِّكْرِ . وَعَلَى هَذَا



فَإِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُعَاظَلَةِ أَنَّ الْمُعَاظَلَةَ هِيَ التَّرَاكُّبُ وَالتَّدْخُلُ  
إِمَّا فِي الْأَلْفَاظِ أَوْ فِي أَلْعَانِي عَلَى مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ . وَهَذَا الذَّنْعُ  
لَا تَرَاكُّبَ فِيهِ وَتَأْمَاهُ إِيْرَادُ الْأَفَاطِ غَيْرَ لَا نَبْعَهُ بِمَوْضِعِهَا الَّذِي تَرَدُّ  
فِيهِ . وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُوجَدُ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْآخَرُ  
فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَعَدِّدَةِ . ( فَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ ) فَإِنَّهُ  
إِذَا وَرَدَ فِي الْكَلَامِ أَمَكَنَ تَبْدِيلُهُ بِغَيْرِهِ بِمَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ سَوَاءً  
كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ نَثْرًا أَوْ ظَمًّا . وَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي الْأَلْفَاظِ  
الْمُتَعَدِّدَةِ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَبْدِيلُهُ بِغَيْرِهِ فِي الشَّعْرِ بَلْ يُمْكِنُ ذَلِكَ فِي  
النَّثْرِ خَاصَّةً لِأَنَّهُ يَنْسُرُ فِي الشَّعْرِ مِنْ أَجْلِ الْوِزْنِ . فِيمَا جَاءَ مِنْ  
الْقِسْمِ الْأَوَّلِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَسِّي :

فَلَا يُدْرِمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالٌ وَلَا يُحْلِلُ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ يُدْرِمُ  
فَلَفْظَةُ حَالٌ نَافِرَةٌ عَنْ مَوْضِعِهَا وَكَانَتْ لَهُ مَنَدُوحَةٌ عَنْهَا لِأَنَّهُ لَوْ  
اسْتَعْمَلَ عَوَضًا عَنْهَا لَفْظَةً ( نَاقِضٌ ) جَلَّتِ اللَّفْظَةُ قَارَةً فِي مَكَانِهَا  
غَيْرَ قَلْبَةٍ وَلَا نَافِرَةٍ . وَبَلَّغَنِي عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ : أَنَّهُ كَانَ يَتَعَصَّبُ لِأَبِي  
الطَّيِّبِ حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يُسَمِّيهِ الشَّاعِرَ وَيُسَمِّي غَيْرَهُ بِنِ الشُّعْرَاءِ بِاسْمِهِ  
وَكَانَ يَقُولُ : لَيْسَ فِي شِعْرِهِ لَفْظَةٌ يُمْكِنُ أَنْ يُقْرَمَ عَنْهَا . أَاهُوَ فِي  
مَعْنَاهَا فَحِي حَسَنًا مِثْلَهَا . فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَمَا وَقَفَ عَلَى هَذَا أَلَيْتَ  
الْمُشَارِ إِلَيْهِ أَكِنَّ أَلْهَوَى كَمَا يُقَالُ أَعْمَى . وَكَانَ أَبُو الْعَلَاءِ أَعْمَى  
أَلْعَيْنِ خِلَقَةً وَأَعْمَاهَا عَصِيَّةٌ فَاجْتَمَعَ لَهُ أَلْعَمَى مِنْ جِهَتَيْنِ . وَهَذِهِ  
الْلَفْظَةُ الَّتِي هِيَ ( حَالٌ ) وَهِيَ تَجْرِي مَجْرَاهَا قَبِيحَةُ الْإِسْتِعْمَالِ وَهِيَ فَكُّ

الْأَذْغَامِ فِي الْفِعْلِ الثَّلَاثِي وَنَقْلُهُ إِلَى اسْمِ الْقَاعِلِ . وَعَلَى هَذَا فَلَا  
يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ : بَلَّ الثَّوْبَ فَهُوَ بَالِلٌ . وَلَا : سَلَّ السَّيْفَ فَهُوَ سَالِلٌ .  
وَهَذَا لَوْ عُرِضَ عَلَى مَنْ لَا ذَوْقَ لَهُ لَأَدْرَكَهُ وَفِيهِ فَكَيْفَ مَنْ لَهُ  
ذَوْقٌ صَحِيحٌ كَأَيِّ الطَّيِّبِ . لَكِنْ لَا بُدَّ لِكُلِّ جَوَادٍ مِنْ كِبَوَةٍ .  
وَأَنشَدَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ بَيْتًا لِدِعْبِلٍ وَهُوَ :

شَفِيعَكَ فَأَشْكُرُ فِي الْحَوَائِجِ إِيَّاهُ يَصُوبُكَ عَنْ مَكْرُوهِيهَا وَهُوَ يَتَلَقَّى  
فَقُلْتُ لَهُ : عَجَزَ هَذَا الْبَيْتُ حَسَنٌ وَأَمَّا صَدْرُهُ فَصَحِيحٌ . لِأَنَّ  
سَبْكَهَ قَاتِلٌ نَافِرٌ . وَتِلْكَ أَلْفَاءُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ : شَفِيعَكَ فَأَشْكُرُ  
كَأَنَّهَا رُكْبَةُ الْبَعِيرِ وَهِيَ فِي زِيَادَتِهَا كَزِيَادَةِ الْكَرْشِ . . . . وَبِمِثْلِ  
هَذِهِ الدَّقَائِقِ الَّتِي تَرُدُّ فِي الْكَلَامِ نَظْمًا كَانَ أَوْ نَثْرًا لَا يَتَغَطَّنُ لَهَا  
إِلَّا الرَّاسِخُ فِي عِلْمِ الْقَصَاصَةِ وَالْبَلَاغَةِ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ وَضَعْتُ هَمْزَةً  
أَلْقَطَعُ وَهِيَ مَحْسُوبَةٌ مِنْ جَائِزَاتِ الشَّعْرِ الَّتِي لَا تَجُوزُ فِي الْكَلَامِ  
الْمَثْبُورِ . وَكَذَلِكَ قَطَعُ هَمْزَةَ الْوَصْلِ أَلَكِنَّ وَصَلَ هَمْزَةَ الْقَطْعِ أَفْجَعُ  
لِأَنَّهُ أَثْقَلُ عَلَى اللِّسَانِ . فِيمَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ  
الْمُتَشَبِّهِ :

يُوسِطُهُ الْمَقَاوِزُ كُلَّ يَوْمٍ طَلَابُ الطَّالِبِينَ لَا اِنْتِظَارُ  
فَقَوْلُهُ : ( لَا اِنْتِظَارُ ) كَلَامٌ نَافِرٌ مِنْ مَوْضِعِهِ . وَمِنْ هَذَا  
الْقِسْمِ أَنْ يَفْرَقَ بَيْنَ الْمُوصُوفِ وَالصِّفَةِ بِضَمِيرٍ مِنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .  
كَقَوْلِ الْبُخَّارِيِّ :

حَلَقْتُ لَهُ بِاللهِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ وَمَا لَوْجِدَ مِنْ قَلْبِي بِهِ اَلْتَلَقِ

تَقْدِيرُهُ ( مِنْ قَلْبِي الْمَتَّلَقِ بِهِ ) فَلَمَّا فَصَلَ بَيْنَ الْمَوْصُوفِ  
الَّذِي هُوَ ( قَلْبِي ) وَالصِّفَةِ الَّتِي هِيَ ( الْمَتَّلَقُ ) بِالضَّمِيرِ الَّذِي هُوَ ( بِهِ )  
قُبِحَ ذَلِكَ . وَلَوْ كَانَ قَالَ مِنْ قَلْبِهِ بِهِ مُتَّلَقٍ لَزَالَ ذَلِكَ الْقُبْحُ  
وَذَهَبَتْ تِلْكَ الْفُجْئَةُ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ أَيْضًا أَنْ تُرَادَ الْأَلْفُ  
وَاللَّامُ فِي اسْمِ الْفَاعِلِ وَهُمَا الضَّمِيرُ فِيهِ مُقَامَ الْمَفْعُولِ . كَقَوْلِ  
أَبِي تَمَّامٍ :

فَلَوْ عَايَنْتَهُمُ وَالزَّائِرِينَ لَأَعَزَّتْ أَلْعِيدَ مِنَ الْحَمِيمِ  
قَوْلُهُ : ( الزَّائِرِي ) اسْمُ فَاعِلٍ . وَقَوْلُهُ : ( وَالزَّائِرِينَ ) هُوَ  
الضَّمِيرُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ . تَقْدِيرُهُ : ( الزَّائِرِينَ أَرْضَهُ أَوْ دَارَهُمْ  
أَوْ الزَّائِرِينَ إِيَّاهُمْ ) فَاسْتَعْمَالَ هَذَا مَعَ الْأَلْفِ وَاللَّامِ قَبِيحٌ جِدًّا .  
وَإِذَا حَدِّقْنَا زَالَ ذَلِكَ الْقُبْحُ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهَا الشُّعْرَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ  
كَثِيرًا

(وَيَمَّا جَاءَ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي) الَّذِي يُوجَدُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَعَدِّدَةِ  
قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ أَيْضًا :  
لَا خَلْقَ أَكْرَمُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ بِكَ رَاءَ نَفْسِكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا  
فَإِنَّ عَجْرَ هَذَا أَلْبَيْتِ كَافِرٌ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَامْتَالَ هَذَا فِي الْأَشْعَارِ  
كَثِيرٌ



## الفصل السادس

في وجوه الكلام

( راجع صفحة ٦٦ من علم الادب )

البحث الاول

في وجوه البلاغة وطبقات الكلام

( من العقد العريد لابن عبد ربه )

الْبَلَاغَةُ تَكُونُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ : تَكُونُ بِاللَّفْظِ وَالْحَظِّ  
وَالْإِشَارَةِ وَالِدَّلَالَةِ . وَكُلُّ مِمَّا لَهُ حَظٌّ مِنْ أَلْبَاغَةِ وَالْيَاسَانِ وَمَوْضِعٌ  
لَا يَجُوزُ فِيهِ غَيْرُهُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ وَلِكُلِّ كَلَامٍ  
جَوَابٌ . وَرَبُّ إِشَارَةٍ أَلْبَغُ مِنْ لَفْظٍ . فَأَمَّا الْحَظُّ وَالْإِشَارَةُ  
فَمَنْهُمَا عِنْدَ الْخَاصِّ وَكَثْرُ الْعَامَّةِ . وَأَمَّا الدَّلَالَةُ فَكُلُّ نَبِيٍّ  
ذَلِكَ عَلَى شَيْءٍ فَقَدْ أَخْبَرَكَ بِهِ . . . . . وَقَالَ أَبِرِيذُ لِكِتَابِهِ :  
أَعْلَمُ أَنَّ دَعَائِمَ الْمَقَالَاتِ أَرْبَعٌ : إِنْ أَلْتَمَسَ لَهَا خَامِسٌ لَمْ يُوجَدْ فَإِنْ  
نَقَصَ مِنْهَا وَاحِدًا لَمْ تَتِمَّ وَهِيَ : سُؤَالُكَ الشَّيْءَ وَأَمْرُكَ بِالشَّيْءِ  
وإِخْبَارُكَ عَنِ الشَّيْءِ وَسُؤَالُكَ عَنِ الشَّيْءِ . فَإِذَا طَلَبْتَ فَاسْجَعْ .  
وَإِذَا سَأَلْتَ فَأَوْضِحْ وَإِذَا أَمَرْتَ فَاحْكَمْ . وَإِذَا أَخْبَرْتَ فَحَقِّقْ .  
وَاجْمَعْ الْكَثِيرَ بِمَا تُرِيدُ فِي الْقَلِيلِ مِمَّا تَقُولُ ( يُرِيدُ الْكَلَامَ الَّذِي  
تَقِلُّ حُرُوفُهُ وَتَكْثُرُ مَعَانِيهِ ) . وَقَالَ رَبِيعَةُ : الرَّأْيُ أَنْ لَا أَسْمَعَ  
الْحَدِيثَ غَطْلًا فَاسْتَفَقَهُ وَأَقْرَطَهُ فَيَحْسُنُ وَمَا زِدْتُ فِيهِ شَيْئًا وَلَا غَيَّرْتُ

لَهُ مَعْنَى . وَقَالُوا : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا لَمْ يُخْتِمْ بِهِ إِلَى كَلَامٍ وَلِلْعَرَبِ  
 وَنَ مُوجِزِ اللَّفْظِ وَلَطِيفِ الْمَعْنَى فَصُولٌ عَجِيبَةٌ وَبَدَائِعُ غَرِيبَةٌ . قَالَ  
 إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ : إِذَا أُخْتُجَتِ إِلَى مُحَاطَبَةِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ  
 وَالْعُلَمَاءِ وَالْكَتَّابِ وَالْخُطَبَاءِ وَالْأَدَبَاءِ وَالشُّعَرَاءِ وَأَوَسَاطِ النَّاسِ  
 وَسُوقَتِهِمْ فَخَاطِبٌ كَلَّا عَلَى قَدْرِ أَمِيَّتِهِ وَجَلَالَتِهِ وَعُلُوِّهِ وَارْتِفَاعِهِ  
 وَضَمْنَتِهِ وَأَنْبِيَاهِهِ وَأَجَلُ طَبَقَاتِ الْكَلَامِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَقْسَامٍ : مِنْهَا  
 الطَّبَقَاتُ الْاَلِيَّةُ اَرْبَعُ وَالطَّبَقَاتُ الْاٰخَرُ وَهِيَ دُونَهَا اَرْبَعُ اِكُلُّ  
 طَبَقَةٍ مِنْهَا دَرَجَةٌ وَلِكُلِّ قِسْمَةٍ لَا يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ اَلْيَلِغُ اَنْ يُقَصِّرَ  
 بِاَهْلِهَا عَنْهَا وَيَقْلِبَ مَعْنَاهَا اِلَى غَيْرِهَا . ( فَالْحَذُ الْاَوَّلُ ) الطَّبَقَاتُ اَلْعَلِيَا  
 وَغَايَتُهَا اَلْقُصْوَى لِخِلَافَةِ اَلَّتِي اَجَلُ اَللّٰهُ قَدَرَهَا وَاَعْلَى شَأْنُهَا عَنْ مُسَاوَاتِهَا  
 بِاَحَدٍ مِنْ اَبْنَاءِ الدُّنْيَا فِي اَلتَّعْظِيمِ وَالتَّوْقِيرِ . ( وَالطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ )  
 لَوُزَرَايَا وَكُتَّابُهَا اَلَّذِينَ يُخَاطَبُونَ اَلْخُلَفَاءَ بِعُقُورِهِمْ وَالسِّيَرِمْ وَيَرْتُقُونَ  
 اَلْقُتُوقَ بِاَرَاغِهِمْ . ( وَالطَّبَقَةُ الثَّلَاثَةُ ) اُمَرَاءُ تُغَوَّرُهُمْ وَقُوَادُ جُنُودِهِمْ  
 قَالَهُ يَجِبُ مُحَاطَبَةُ كُلِّ اَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَدَرِهِ وَمَوْزِنِهِ وَحَظِّهِ وَغَايَةِ  
 وَجْزَانِهِ وَاضْطِلاَعِهِ بِتَاحِلٍ مِنْ اَعْبَاءِ اُمُورِهِمْ وَجَلَالِ اَعْمَالِهِمْ .  
 ( وَالرَّابِعَةُ ) اَلْقُضَاةُ فَلَانَهُمْ وَاِنْ كَانَ لَهُمْ تَوَاضُعُ الْعُلَمَاءِ وَحَيْثُ  
 اَلْفَضْلَا فَعَمَّهُمْ اُمِيَّةُ السَّالْطَنَةِ وَهَيْئَةُ الْاُمَرَاءِ . وَاَمَّا الطَّبَقَاتُ الْاَرْبَعُ  
 الْاٰخَرُ فَهُمْ اَلْمُلُوكُ اَلَّذِينَ اَوْجَبَتْ رِعْمُهُمْ قَطِيسَهُمْ فِي الْكُتُبِ اِلَيْهِمْ  
 وَافْضَالُهُمْ تَفْضِلُهُمْ فِيهَا . ( وَالثَّانِيَةُ ) وَزَرَاؤُهُمْ وَكُتَّابُهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ  
 اَلَّذِينَ تُقَرَّعُ اَبْوَابُهُمْ وَبِعِيَانَتِهِمْ تُسْتَبَاحُ اَمُورُهُمْ . ( وَالثَّلَاثَةُ ) هُمْ اَلْعُلَمَاءُ

يَجِبُ تَوْفِيرُهُمْ فِي الْكُتُبِ بِشَرَفِ الْعِلْمِ وَعُلُوِّ دَرَجَةِ أَهْلِهِ .  
 (وَأَطْبَعَةُ الرَّابِعَةُ) لِأَهْلِ الْقَدْرِ وَالْجَلَالَةِ وَالْخِلَافَةِ وَالطَّلَاوَةِ وَالظَّرْفِ  
 وَالْأَدَبِ فَإِنَّهُمْ يَضْطَرُّونَكَ بِحِدَّةِ أَذْهَانِهِمْ وَشِدَّةِ تَمْيِيزِهِمْ وَاسْتِقْوَاهُمْ  
 وَأَدَبِهِمْ وَتَصَحُّهِمْ إِلَى الْإِسْتِثْنَاءِ عَلَى نَفْسِكَ فِي مُكَاتَبَتِهِمْ وَاسْتِغْنَانَا  
 عَنْ التَّرْتِيبِ لِلشُّوقِ وَالْعَوَامِّ وَالتَّجَارِ بِاسْتِغْنَائِهِمْ بِمَهَانَتِهِمْ مِنْ هَذِهِ  
 الْأَلَاتِ وَاسْتِغْنَائِهِمْ بِمَهَانَتِهِمْ عَنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ . وَلِكُلِّ طَبَقَةٍ  
 مِنْ هَذِهِ الْأَطْبَقَاتِ مَعَانٍ وَمَذَاهِبُ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَرَعَاهَا فِي  
 مُرَاسَلَتِكَ إِيَّاهُمْ فِي كُتُبِكَ فَتَرَى كَلَامَكَ فِي مُحَاطَتِهِمْ بِمِيزَانِهِ  
 وَتُعْطِيهِ قِسْمَهُ وَتُوفِيهِ نَصِيْبَهُ . فَإِنَّكَ تَتَى أَهْمَلْتَ ذَلِكَ وَاضْعَعْتَهُ لَمْ  
 آمَنْ عَلَيْكَ أَنْ تُعْدِلَ بِهِمْ عَنْ كَلَامِكَ فِي غَيْرِ مَسَلِكِهِ فَلَا تَعْتَدَ  
 بِالْمَعْنَى الْجَزَلِ مَا لَمْ تُثَلِّسْهُ لَفْظًا لِأَنَّكَ عَنِ كَاتِبَتِهِ وَمَلَسًا عَنِ رَاسِلَتِهِ .  
 فَإِنَّ رِيبَاسَكَ الْمَعْنَى وَإِنْ صَحَّ وَصَرَفَ لَفْظًا مُخْتَلِفًا عَلَى قَدْرِ  
 الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ لَمْ تَجْرِبْ بِهِ رَادَّتَهُمْ تَفْهِيْمُ الْمَعْنَى وَإِخْلَالُ بِقَدْرِهِ  
 وَلَمْ يَحَقِّقِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ وَنَقَصَ بِمَا يَجِبُ لَهُ كَمَا أَنَّ فِي اتِّبَاعِ  
 تَعَارُفِهِمْ وَمَا أَنْشَرْتَ بِهِ عَادَاتِهِمْ وَجَرَتْ بِهِ السِّنَنُ قَطْعًا لِيُذَرِّهِمْ  
 وَخُرُوبًا مِنْ حُقُوقِهِمْ وَبُلُوغًا إِلَى غَايَةِ مُرَادِهِمْ وَاسْتِغْنَاءًا لِنَجْمِ أَدَبِهِمْ .  
 فَمِنْ الْأَلْفَاظِ الْمَرْغُوبِ عَنْهَا وَالصُّدُورِ الْمُسْتَوْحَشِ مِنْهَا فِي كُتُبِ  
 السَّادَاتِ وَالْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ عَلَى اتِّفَاقِ الْعَالَمَانِي مِثْلُ : أَبَاكَ اللَّهُ  
 طَوِيلًا وَعَمْرُكَ مَلِيًّا . وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ لَافْرَقَ بَيْنَ قَوْلِهِمْ : أَطَالَ  
 اللَّهُ بَقَاءَكَ . وَبَيْنَ قَوْلِهِمْ : أَبَاكَ اللَّهُ طَوِيلًا . وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوا هَذَا

أَرْجَحَ وَزَنَا وَأَنَّهُ قَدَرًا فِي الْمُخَاطَبَةِ كَمَا أَنَّهُمْ جَعَلُوا : أَكْرَمَكَ  
 اللَّهُ وَأَبْقَاكَ . أَحْسَنَ مَثَرًا لِي فِي كُتُبِ الْفَضْلَاءِ وَالْأَدَبَاءِ مِنْ جُعِلَتْ  
 فِدَاكَ عَلَى أَشْرَاكَ مَعَاهُ وَأَحْتِمَالٍ أَنْ يَكُونَ فِدَاهُ مِنَ الْخَيْرِ كَمَا  
 يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِدَاهُ مِنَ الشَّرِّ . عَلَى أَنْ كُتِبَ الْعَسْكَرُ وَعَوَامُهُمْ  
 قَدْ وَلِعُوا بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهَا فِي جَمِيعِ مُحَاوَرَاتِهِمْ وَجَعَلُوهَا  
 هَيْجَرَاهُمْ فِي مُخَاطَبَةِ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ . وَلِذَلِكَ  
 قَالَ مُحَمَّدٌ الْوَرَّاقُ :

كُلُّ مَنْ حَلَّ سُرَّ مِنْ رَأْيِ النَّاسِ مِنْ قَدْ يُدَاخِلُ الْأَمَلَاكَ  
 لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مَائِلًا بِطَرِيقٍ قَالَ لِلْكَلْبِ يَا جُعِلْتُ فِدَاكَ  
 وَكَذَلِكَ لَمْ يُجِزُوا أَنْ يَكْتُبُوا بِعِلِّ أَهْلِكَ اللَّهُ وَأَمْتَعْ بِكَ إِلَّا  
 فِي الْأَبْنِ وَالْحَادِمِ الْمُنْقَطِعِ إِلَيْكَ . وَأَمَّا فِي كُتُبِ الْأَخْوَانِ فَقَدْ  
 جَازِيَ بَلْ مَذْمُومٌ مَرْغُوبٌ عَنْهُ . . . وَلِكُلِّ مَكْتُوبٍ إِلَيْهِ قَدْ وَزَنُ  
 يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ لَا يُجَاوِزَهُ عَنْهُ وَلَا يُقَصِّرَ بِهِ دُونَهُ . وَقَدْ رَأَيْتُهُ  
 عَابُوا الْأَخْرَصَ حِينَ خَاطَبَ الْمُلُوكَ خِطَابَ الْعَوَامِ فِي قَوْلِهِ :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ مَذِقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ  
 وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٍ فِي الْمَذْحِ وَلَكِنَّهُمْ أَجَلُوا قَدْرَ الْمُلُوكِ أَنْ  
 يَذْحَ بِمَا تَذْحُ بِهِ الْعَوَامُ لِأَنَّ صِدْقَ الْحَدِيثِ وَانْجَازَ الْوَعْدِ وَإِنْ كَانَ  
 مِنَ الْمَذْحِ فَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى الْعَامَّةِ . وَالْمُلُوكُ لَا يَمْدَحُونَ بِالْفَرَائِضِ  
 الْوَاجِبَةِ . إِنَّمَا يُحَسِّنُ مَذْحَهُمْ بِالْأَوْفَلِ لِأَنَّ الْمَذْحَ لَوْ قَالَ لِبَعْضِ  
 الْمُلُوكِ : إِنَّكَ لَا تَحُونُ مَا اسْتَوْدَعْتَ وَإِنَّكَ لَتَصْدُقُ فِي وَعْدِكَ وَتَنِي

بِهَدْيِكَ . فَكَأَنَّهُ قَدْ آتَى بِمَا يَجِبُ وَلَوْ قَصَدَ يَسْأَلُهُ إِلَى مَقْصِدِهِ  
كَانَ أَشْبَهَ بِالْمُلُوكِ . وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَمِيرٍ يَقُولُ مِنْ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يُطْلِقُوا هَذِهِ اللفظة إِلَّا  
فِي الْخُلَفَاءِ خَاصَّةً . وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْكِتَابَ هُوَ الْعَقْلُ . وَلَكِنْ إِنْ  
وَصَفْتَ رَجُلًا قُلْتَ : إِنَّهُ لَعَاقِلٌ . كُنْتَ مَدْحَهُ عِنْدَ النَّاسِ . وَإِنْ  
قُلْتَ : إِنَّهُ لِكَيْسٌ كُنْتَ قَدْ قَصَرْتَ بِهِ عَنْ وَصْفِهِ وَصَغُرَتْ مِنْ  
قُدْرِهِ . إِنْ أَعِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ لِأَنَّ الْعَلَمَةَ لَا تَلْتَفِتُ إِلَى مَعْنَى  
الْكَلِمَةِ وَلَكِنْ إِلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ اسْتِعْمَالِهَا فِي الظَّاهِرِ  
إِذَا كَانَ اسْتِعْمَالُ الْعَلَمَةِ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مَعَ الْحَدَاثَةِ وَالْغَرَةِ وَخَاسَّةً  
الْقُدْرِ وَصِغَرِ السِّنِّ . . . . . فَاُمْتِثِلْ هَذِهِ الْمَذَاهِبَ وَاجْرِ عَلَى هَذِهِ  
الْقِيَامِ وَتَحَقَّقْ فِي صُدُورِ كُنْهِكَ وَفُضُولِهَا وَخَوَائِجِهَا وَنَحْمِ كُلَّ مَعْنَى  
فِي مَوْضِعٍ يَلِيقُ بِهِ وَتَحْيِزِ لِكُلِّ لَفْظَةٍ مَعْنَى يُشَاقُّهَا وَلَيْكُنْ مَا  
تَحْتِمُ بِهِ فَضُولَكَ فِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ الْبَلَوَى يَثَلُ : ( نَسْأَلُ اللَّهَ دَفْعَ  
الْحَزْزِ وَصَرْفَ الْكُرْهِ ) وَأَشْبَاهُ هَذَا . وَفِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ  
الْمُصِيبَةِ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . وَفِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ النِّعْمَةَ :  
( الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِصًا وَالشُّكْرُ لِلَّهِ وَاجِبًا ) . فَإِنَّ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ يَجِبُ عَلَى  
الْكَاتِبِ أَنْ يَتَّقِدَهَا وَيَحْفَظَهَا . فَإِنَّ الْكَاتِبَ إِنَّمَا يَصِيرُ كَاتِبًا  
بِأَنْ يَضَعُ كُلَّ مَعْنَى فِي مَوْضِعِهِ فَيَعْلَقَ كُلَّ لَفْظَةٍ عَلَى طَبَقِهَا مِنْ  
الْمَعْنَى . وَاعْلَمْ أَنَّه لَا يَجُوزُ فِي الرِّسَالِ اسْتِعْمَالُ الْإِقْصَارِ وَالْحَذَفِ  
وَمُخَاطَبَةُ الْخَاصِّ بِالْعَامِّ وَالْعَامِّ بِالْخَاصِّ . وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ



أَنْ يَجْتَنِبَ اللَّفْظَ الْمَشْتَرَكَ وَالْمَعْنَى الْمَلْتَبِسَ . . . وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ  
 أَيْضًا فِي الرِّسَالِ وَالْبَلَاغَاتِ الْمَشْهُورَةِ مَا يَجُوزُ فِي الْأَشْعَارِ الْمَوْزُونَةِ  
 لِأَنَّ الشَّاعِرَ مُضْطَرٌّ وَالشِّعْرَ مَقْصُودٌ مُعَيَّنٌ بِالْوِزْنِ وَالْقَوَائِي . فَلِذَلِكَ  
 أَجَازُا لَهُمْ صَرْفُ مَا لَا يَنْصَرِفُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَحَذْفُ مَا لَا يُحَذَفُ  
 مِنْهَا وَاعْتِزَالُهُمْ فِيهِ سُوءَ التَّظْلُمِ وَأَجَازُوا فِيهِ التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ وَالْإِضَارَ  
 فِي مَوْضِعِ الْإِظْهَارِ وَذَلِكَ كُلُّهُ غَيْرُ سَائِعٍ فِي الرِّسَالِ وَلَا جَائِزٍ فِي  
 الْبَلَاغَاتِ . . . وَكَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي فِي الرِّسَالِ أَنْ يُصَغَّرَ الْأَسْمُ فِي  
 مَوْضِعِ التَّعْظِيمِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : دُوَيْبِيَّةٌ تَضَعُ  
 دَاهِيَةً . وَجُدَيْلٌ تَضَعُ جُدَيْلًا . وَعَدِيَّةٌ تَضَعُ عَدِيَّةً . وَقَالَ لَيْدٌ :  
 وَكُلُّ أَهْلِ نِسْرِ سَوْفَ تَنْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْبِيَّةٌ تَضَعُ مِنْهَا الْأَنْمِلُ  
 وَقَالَ الْحَبَابُ بْنُ الْمَذِيرِ يَوْمَ سَقِيْفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ : أَنَا عَدِيَّةُهَا  
 الْمَرْجَبُ وَجُدَيْلُهَا الْمُحْكَمُ . وَقَالَ سَرَحَةُ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَمَا لَا يَجُوزُ  
 فِي الرِّسَالِ وَكَرِهُوهُ فِي الْكَلَامِ أَيْضًا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : كَلَّمْتُ إِيَّاكَ  
 وَأَعْنِي إِيَّاكَ وَهُوَ جَائِزٌ فِي الشِّعْرِ . قَالَ الشَّاعِرُ :  
 وَاجْمَلُ وَأَحْسَنُ فِي أَسِيرِكَ أَنَّهُ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَأْتِرْ كَأَيَّاكَ أَسِيرُ  
 فَتَحْدَرُ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَرْجَحُهَا لَفْظًا وَأَجْزَلُهَا وَأَشْرَفُهَا جَوْهَرًا  
 وَأَكْرَمُهَا حَسَبًا وَالْيَقَمُ فِي مَكَانِهَا وَأَشْكَلُهَا فِي مَوْضِعِهَا فَإِنْ  
 حَاوَلْتَ صَنْعَةَ رِسَالَةٍ فَرَنْ اللَّفْظَةَ قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِمِيزَانِ التَّصْرِيفِ إِذَا  
 عَرَضَتْ . وَكَأَيُّ الْكَلِمَةِ بِمِيزَانٍ إِذَا سَمَحَتْ . فَإِنَّهُ رَبَّمَا مَرَّ بِكَ مَوْضِعٌ  
 يَكُونُ مَخْرَجُ الْكَلَامِ إِذَا كَتَبْتَ : أَنَا فَاعِلٌ . أَحْسَنُ مِنْ أَنْ

تَكْتَبُ : أَنَا أَفْعَلُ . وَمَوْضِعُ آخِرُ يَكُونُ فِيهِ ( اُسْتَقْلَلْتُ ) أَخْلَى  
 مِنْ ( فَعَلْتُ ) فَأَدِرِ الْكَلَامَ عَلَى أَعْكَاهِ وَقَلِّبْهُ عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِهِ  
 فَإِنَّ لَفْظَةً رَأَيْتَهَا فِي الْمَكَانِ الَّذِي نَدَبْتَهَا إِلَيْهِ فَأَتَرْتَهَا إِلَى الْمَكَانِ  
 الَّذِي أَوْرَدْتَهَا عَلَيْهِ وَأَوْفَعْتَهَا فِيهِ . وَلَا تَجْعَلِ اللَّفْظَةَ قَلْقَةً فِي مَوْضِعِهَا  
 نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَإِنَّكَ مَتَى فَطَلْتَ هَجَنْتَ الْمَوْضِعَ الَّذِي حَاوَلْتَ  
 تَحْسِينَهُ وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَدْتَ إِصْلَاحَهُ فَإِنَّ وَضْعَ الْأَلْفَاظِ  
 فِي غَيْرِ أَمَاكِنِهَا وَقَضْدُكَ بِهَا إِلَى غَيْرِ مَوَاقِفِهَا إِنَّمَا هُوَ كَتَرْقِيعِ الثُّوبِ  
 الَّذِي لَمْ يُشَابِهْهُ رِقَاعُهُ وَلَمْ تَتَقَارَبْ أَجْزَاؤُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْجِدَّةِ  
 وَتَغَيَّرَ حُسْنُهُ . كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

إِنَّ الْجَلِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقٍ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ الثُّوبَ مَرْقُوعٌ  
 كَذَلِكَ كُلَّمَا أَحْلَوَى الْكَلَامَ وَعَذَّبَ وَرَأَى وَسَهَّلْتَ تَحَارِجُهُ كَانَ  
 أَسْهَلَ وَارْتَجَى فِي الْأَسْمَاعِ وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ وَأَخَفَ عَلَى الْأَفْوَاهِ  
 لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ تُرْجَمًا بِلَفْظٍ مُوثِقٍ شَرِيفٍ وَمُعَايَرًا  
 بِكَلَامٍ عَذِيبٍ لَمْ يَسْمَعْهُ التَّكْلِيفُ بِمِثْلِهِ وَلَمْ يُفْسِدْهُ التَّعْقِيدُ  
 بِاسْتِهْلَاكِهِ . . . وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ شَبَّهُوا الْمَعْنَى الْحَقِيْقِيَّةَ بِالرُّوحِ الْحَقِيْقِيَّةِ .  
 وَاللَّفْظَ الظَّاهِرَ بِالْجَمَانِ الظَّاهِرِ . وَإِذَا لَمْ يَهْتِزْ بِالْمَعْنَى الشَّرِيفِ  
 الْجَزَلِ لَفْظٌ شَرِيفٌ جَزَلٌ لَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ وَاضِحَةً وَلَا الْبَيْتُ مُنْشَقًّا .  
 وَتَضَاوُلُ الْمَعْنَى الْحَسَنِ تَحْتَ اللَّفْظِ الْقَبِيحِ كَتَضَاوُلِ الْحَسَنِ فِي  
 الْأَطْمَارِ الرَّثِيَّةِ . وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ : لَفْظٌ وَإِشَارَةٌ  
 وَعَقْدٌ وَحُطٌّ . وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ أَرِسْطَاطَالِيْسُ صَفًّا خَامِسًا فِي كِتَابِ

أَلَمْ تَطِقْ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى النَّصْبَةَ . وَالنَّصْبَةُ أَحَالُ الدَّالَّةِ الَّتِي تَقُومُ  
مَقَامَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ النَّاطِقَةُ بِغَيْرِ لَفْظٍ وَمُشِيرَةٌ إِلَيْكَ  
بِغَيْرِ يَدٍ وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكُلِّ صَامِتٍ وَنَاطِقٍ .  
وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ الْخَمْسَةِ كَاشِفَةٌ عَنْ أَعْيَانِ الْمَعَانِي وَسَافِرَةٌ عَنْ  
وُجُوهِهَا وَأَوْضَحُ هَذِهِ الدَّلَائِلِ وَأَقْصَمُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ صَنْفَانِ : هُمَا  
أَلْقَلُّمُ وَاللِّسَانُ وَكِلَاهُمَا تَرْجَانٌ . فَأَمَّا اللِّسَانُ فَهُوَ أَلَاةٌ الَّتِي يُخْرَجُ  
الْإِنْسَانُ بِهَا عَنْ حَدِّ الْأَسْتِيْهَامِ إِلَى حَدِّ الْإِنْسَانِيَّةِ بِالْكَلَامِ . وَلِذَلِكَ  
قَالَ صَاحِبُ الْأَلْفَاظِ : حَدُّ الْإِنْسَانِ الْحَيُّ النَّاطِقُ

### البحث الثاني

## في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع (١)

( من مقدمة ابن خلدون باختصار )

إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي هُوَ الْعِبَارَةُ وَلِلْخَطَابِ إِنَّمَا سِرُّهُ وَرَوْعُهُ  
فِي إِفَادَةِ الْمَعْنَى . وَأَمَّا إِذَا كَانَ مُهْمَلًا فَهُوَ كَالْمَوَاتِ الَّذِي لَا عِبَرَةَ  
بِهِ وَكَأَلِ الْإِفَادَةِ هُوَ الْبَلَاغَةُ عَلَى مَا عَرَفْتَ مِنْ حَالِهَا عِنْدَ أَهْلِ  
الْبَيَانِ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : هِيَ مُطَابَعَةُ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى أَحَالِهِ . وَمَعْرِفَةُ  
الشُّرُوطِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي بِهَا تُطَابِقُ الدَّرَاصِيبُ اللفظية مُقْتَضَى  
أَحَالِهِ هُوَ فَنُ الْبَلَاغَةِ . وَتِلْكَ الشُّرُوطُ وَالْأَحْكَامُ تُؤْخَذُ مِنْ عِلْمِي

( ١ ) ان هذا الفصل لا يوجد في نسخة مقدمة ابن خلدون المطبوعة في مصر  
ويدرث بل في طبعة باريز

العلماني واللياني فإعلم العلماني وعلم اللياني هما جزءا البلاغة وبهما  
 كمال الافادة والطابعة لقصي الحال. فالبلغة على هذا هي اصل  
 الكلام العربي وسجيته وروحه وطبيعته . ثم اعلم انهم اذا قالوا  
 الكلام الطبع فانهم ينون به الكلام الذي كملت طبيعته  
 وسجيته من افادة مدلوله المقصود منه لانه عبارة وخطاب ليس  
 المقصود منه النطق فقط . بل المتكلم يقصد به ان يفيد سامعه  
 ما في ضميره افادة تامة ويدل به عليه دلالة وثيقة . ثم يبع ترايب  
 الكلام في هذه السجية التي له بالاصالة ضرب من التحسين  
 والترتين بعد كمال الافادة وكانها تخطيطا روي الفصاحة من  
 تنسيق الانجاع والموازنة بين جميل الكلام وتقسيمه بالاقسام  
 المختلفة الاحكام والتورية باللفظ المشترك عن الحقي . ومن معانيه  
 والطابعة بين المتضادات ليقع التجانس بين الالفاظ والعلماني فيحصل  
 في الكلام رونق ولذة في الاسماع وحلاوة وجمال كلها زائدة على  
 الافادة . وهذه الصنعة موجودة في الكلام المنجز في مواضع  
 متعددة مثل : والليل اذا يغشى والهار اذا تجلى . ومثل : قاما  
 من انطى واتقى وصدق بالحسنى الى آخر التقسيم . وكذا : قاما  
 من طعى واثر الحياة الدنيا الى آخره . وكذا : وهم يحسبون انهم  
 يحسنون صنعا . وامثاله كثير . وذلك بعد كمال الافادة في اصل  
 هذه التراكيب قبل وقوع هذا البدع فيها . وكذا وقع في  
 كلام الجاهلية منه لكن عفوا من غير قصد ولا تعمد . ويقال

إِنَّهُ وَقَعَ فِي شَعْرِ زُهَيْرٍ . وَأَمَّا الْإِسْلَامِيُّونَ فَوَقَعَ لَهُمْ عَفْرًا وَقَضَا  
وَأَتَوْا مِنْهُ بِالْحِجَابِ . وَأَوَّلَ مَنْ أَحْكَمَ طَرِيقَهُ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ  
وَالْحِجْرِيُّ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَدْ كَانُوا مُؤَلِّعِينَ بِالصَّنْعَةِ وَيَأْتِرْنَ مِنْهَا  
بِالْحَبِّ . وَقِيلَ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ دَهَبَ إِلَى مُعَانَتِهَا بَشَارُ بْنُ يَزِيدٍ وَأَبْنُ  
هَرَمَةَ وَكَانَا آخِرَ مَنْ يُسْتَشْهَدُ بِشَعْرِهِ فِي أَلْسَانِ الْعَرَبِيِّ . ثُمَّ  
اتَّبَعَهُمَا كُلُّهُمْ بَنُو عَمْرِو وَالْعَلْبَابِيُّ وَمَنْصُورُ النَّبَرِيِّ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ  
وَأَبُو نُؤَاسٍ . وَجَاءَ عَلَى آثَارِهِمْ حَبِيبٌ وَالْحِجْرِيُّ . ثُمَّ ظَهَرَ آئِنُ الْمُعْتَرِ  
فَحُتِمَ عَلَى الْبَدِيعِ وَالصَّنَاعَةِ أَجْمَعِ

فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُمُ الْمُطْبُوعُ الْقَعِيدُ الصَّنْعَةِ فِي إِحْكَامِ تَأْلِيلِهِ وَثِقَاتِهِ  
تَرْكِيهِ فَلَوْ جَاءَتْ فِيهِ الصَّنْعَةُ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْأَعْلَى زَادَتْهُ حُسْنًا .  
وَأَمَّا الْمَضْنُوعُ فَكَثِيرٌ مِنْ لَدُنْ بَشَارِ ثُمَّ حَبِيبٍ وَطَبَقَتْهُمَا آئِنُ  
الْمُعْتَرِ خَاتِمِ الصَّنْعَةِ الَّذِينَ جَرَى الْمُنَاجِرُونَ بَعْدَهُمْ فِي مِيدَانِهِمْ  
وَتَسَجَّجُوا عَلَى مَنَازِلِهِمْ . وَقَدْ تَمَدَّتْ أَصْنَافُ هَذِهِ الصَّنْعَةِ عِنْدَ أَهْلِهَا  
وَاخْتَلَفَتْ أَصْطِلَاحَاتُهَا فِي أَلْقَابِهَا . وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَجْعَلُهَا مُنْدَرِجَةً فِي  
الْبَلَاغَةِ عَلَى أَنَّهَا غَيْرُ دَاخِلَةٍ فِي الْأَقَادَةِ وَإِنَّمَا هِيَ تَنْطَلِقُ مِنَ الْخَبَرِ  
وَالرُّوَيْ . وَأَمَّا الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ أَهْلِ الْبَدِيعِ فَهِيَ عِنْدَهُمْ خَارِجَةٌ  
عَنِ الْبَلَاغَةِ وَلِذَلِكَ يَذْكُرُونَهَا فِي الْقُنُونِ الْأَدَبِيَّةِ أَلَيْتِي لَا مَوْضِعَ  
لَهَا . وَهِيَ رَأْيُ آئِنِ رَشِيقٍ فِي كِتَابِ الْعُمَدَةِ لَهُ وَأَرَبَاءُ الْأَنْدَلُسِ .  
وَذَكَّرُوا فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الصَّنْعَةِ شُرُوطًا مِنْهَا أَنْ تَقَعَ مِنْ غَيْرِ  
تَكْلُفٍ وَلَا اكْتِرَافٍ فِيمَا يَقْصَدُ مِنْهَا . وَأَمَّا الْعَمَلُ فَلَا كَلَامَ فِيهِ

لَانَهَا إِذَا بَرَأَتْ مِنَ التَّكْلِيفِ سَلِمَ الْكَلَامُ مِنْ عَيْبِ الْإِسْتِحْجَانِ  
لِأَنَّ تَكْلِيفَهَا وَمُعَانَتَهَا يَصِيرُ إِلَى اتِّعَافٍ عَنِ التَّرَاصُّبِ الْأَصْلِيَّةِ  
لِلْكَلَامِ فَتُحِلُّ بِالْإِفَادَةِ مِنْ أَصْلِهَا وَتَذْهَبُ بِالْبَلَاغَةِ رَأْسًا وَلَا يَبْقَى  
فِي الْكَلَامِ إِلَّا تِلْكَ التَّحْسِينَاتُ. وَهَذَا هُوَ الْقَائِلُ الْيَوْمَ عَلَى أَهْلِ  
الْعَصْرِ وَأَصْحَابِ الْأَدْوَاتِ فِي الْبَلَاغَةِ يَنْخَرُونَ مِنْ كَلْبِهِمْ بِهَذِهِ الْقُنُونِ  
وَيَعُدُّونَ ذَلِكَ مِنَ الْقُصُورِ عَنْ سِوَاهُ ثُمَّ مِنْ شُرُوطِ اسْتِعْمَالِهَا عِنْدَهُمْ  
الْإِقْلَالُ مِنْهَا وَأَنْ نَكُونَ فِي بَيِّنَةٍ أَوْ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْقَعِيدِ فَكَفَنِي فِي  
زِيَةِ الشَّعْرِ وَرَوْقِهِ وَالْإِكْتَادُ مِنْهَا عَيْبٌ. قَالَه أَبُو رَشِيْقٍ وَغَيْرُهُ. وَكَانَ  
شَيْخُنَا أَبُو الْقَاسِمِ الشَّرِيفُ السَّنِّيُّ مُنْفِقُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ بِالْأَنْدَلُسِ لَوْ قَتَلَهُ  
يَقُولُ: هَذِهِ الْقُنُونُ الْبَدِيعَةُ إِذَا وَقَعَتِ لِلشَّاعِرِ أَوْ لِلْكَاتِبِ قَيْشٌ  
أَنْ يُسْتَكْدَرَ مِنْهَا لِأَنَّهَا مِنْ مُحَسَّنَاتِ الْكَلَامِ وَمُزَيَّنَاتِهِ فِيهِ بَيِّنَاتُ  
الْحِيلَانِ فِي الْوَجْهِ يَحْسُنُ بِالْوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ مِنْهَا وَيَتَّبِعُ بِتَعْدَادِهَا  
وَعَلَى نِسْبَةِ الْكَلَامِ النِّظْمِ هُوَ الْكَلَامُ الْمَشْهُورُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ  
وَالْإِسْلَامِ كَانَ أَوَّلًا مُرْسَلًا مُعْتَدَ الْمَوَازِنَةِ مِنْ جَمْلِهِ وَتَرَاصُّبِهِ .  
مُشَاهِدَةً مُوَازَنَتُهُ بِفَوَاصِلِهِ مِنْ غَيْرِ التَّرَامِ يَنْجَحُ وَلَا أَكْثَرَاتُ بِصُنْعِهِ .  
حَتَّى نَبَغَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ الصَّائِلِيُّ كَاتِبُ بَنِي بُوَيْهِ قَتَاعِي الصَّنْعَةِ  
وَالثَّقَفَةِ وَآتَى مِنْ ذَلِكَ بِالْحُبِّ وَعَابَ النَّاسُ عَلَيْهِ كَلْفَهُ بِذَلِكَ فِي  
الْمُحَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ . وَاتَّامَحَهُ عَلَيْهِ مَا كَانَ فِي مُلُوكِهِ مِنَ التَّجَمُّعِ  
وَالْبَعْدِ عَنْ صَوْلَةِ الْخِلَافَةِ الْمُنْفَعَةِ لِسُوءِ الْبَلَاغَةِ . ثُمَّ أَنْتَشَرَتِ الصَّنَاعَةُ  
فِي مَشْهُورِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَنُسِيَ عَمْدُ التَّرْسِيلِ وَتَشَابَهَتِ السُّلْطَانِيَّاتُ

وَالْإِخْرَافَاتُ وَالْعَرَبِيَّاتُ بِالسُّوْقِيَّاتِ وَلِتَخْلُطَ الْمَرْعِيُّ بِالْمَلِّ . وَهَذَا  
كُلُّهُ يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ الْمَصْنُوعَ بِالْمَعَانَةِ وَالتَّكْلِيفِ قَاصِرٌ  
عَنِ الْكَلَامِ الْمَطْبُوعِ لِقَةِ الْأَكْثَرِ فِيهِ بِأَصْلِ الْبَلَاغَةِ . وَالْحَاكِمُ  
فِي ذَلِكَ الذَّوْقُ

### البحث الثالث

#### في السجع وأنواعه

( عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار )

( راجع صفحة ٧٢ من علم الادب )

كَلِمَاتُ الْأَسْجَاعِ مَوْضُوعَةٌ عَلَى أَنْ تَكُونَ سَائِمَةً الْأَنْجَازِ  
مَوْقُوفًا عَلَيْهَا لِأَنَّ الْقَرُصَ أَنْ يُجَانَسَ بَيْنَ الْقَرَائِنِ وَيُرَاجَّ بَيْنَهَا وَلَا  
يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِالْوَقْفِ . أَلَا تَرَى أَنْ قَوْلَهُمْ : مَا أَبْعَدَ مَا قُلْتَ . وَمَا  
أَقْرَبَ مَا هُوَ أَتَى . لَوْ لُطِطِيَ أَوْ أُخِرَ الْقَرَائِنُ مَا يَتَضَيُّعُ حُكْمُ الْأَعْرَابِ  
لَاخْتَلَفَ أَوَاخِرُ الْقَرَائِنِ وَقَاتِ السَّاجِعِ غَرَضُهُ . وَإِذَا رَأَيْنَاهُمْ يُخْرِجُونَ  
الْكَلِمَةَ عَنْ أَوْضَاعِهَا لِلِازْدِرَاجِ فَيَقُولُونَ آتَيْكَ بِأَقْدَوَاءٍ أَوْ  
بِأَعْدَاءٍ . وَهَذَا فِي الطَّلَامِ وَمِثَالِي . وَأَنْصَرِفَنَّ مَازِدَرَاتٍ غَيْرَ مَلْجُورَاتٍ  
يُرِيدُونَ : أَلْقَدَوَاتٍ وَأَمْرَائِي وَمَوْزِدَرَاتٍ . مَعَ أَنَّ فِيهِ أَرْتِكَابًا  
لِخِلَافَةِ اللَّغَةِ . وَكَذَلِكَ : أَعْطِ الْقُرْسَ بِأَيْهَا . وَفِيهِ تَرَكُّ الْأَعْرَابِ  
مِنْ أَثْنَاءِ الْكَلِمَةِ فَمَا لُظُنُّ بِأَوَاخِرِ الْكَلِمِ الْمُشَبَّهَةِ بِالْقَوَائِي .  
وَالْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ فِي أَوَاخِرِ آيَاتِ الْقَوَاصِلِ إِذَا عُرِفَ هَذَا

فَالْأَشْجَاعُ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ : الْأَتْرِصِيُّ وَالْمُتَوَازِي وَالْمُطَرَّفُ وَالْمُتَوَازِنُ .  
 أَمَّا ( الْأَتْرِصِيُّ ) فَهُوَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ مُسْتَوِيَةً الْأَوْدَانِ مُتَّفِقَةً  
 الْأَعْجَازِ كَقَوْلِهِ : إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُ . وَقَوْلِهِ : إِنَّ  
 الْأَبْرَارَ لَنِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَنِي جَحِيمٍ . وَقَوْلِهِ : اللَّهُمَّ أَقْبِلْ تَوْبَتِي  
 وَأَغْسِلْ حَوْبَتِي . وَقَوْلِهِمْ : فَلَنْ يَخْخِرَ بِالْهَمَمِ الْعَالِيَةِ . لَا بِالزَّمَنِ  
 الْبَالِيَةِ . وَقَوْلِهِمْ : حَتَّىٰ عَادَ قَرِيعُكَ وَغَرِيبُكَ تَضْحِكًا . وَمِنْ النَّظْمِ  
 قَوْلُ الْخُصَاءِ :

حَامِي الْحَقِيقَةِ مُحَمَّدٌ خَلِيقَةُ  
 مَهْدِي الطَّرِيقَةِ قَاعِ وَضَرَارِ  
 جَوَابِ قَاصِيَةِ حَزَازِ نَاصِيَةِ  
 عَقَادِ الْوَيْةِ لِلْحَيْلِ جَوَادِ  
 وَكَقَوْلِ أَبِي فِرَاسٍ :

وَأَضَالْنَا لِلرَّاعِيْنَ كَرِيْمَةٍ  
 وَأَمَوْنَا لِلطَّالِبِيْنَ نَهَابَ  
 وَقَوْلِ الْأَبْيُورْدِيِّ :

يَرْوَحُ إِلَيْهِمْ عَازِبٌ أَحْمَدٌ وَأَفِيَا وَيَعْدُو عَلَيْهِمْ طَالِبٌ الرِّفْدِ عَافِيَا  
 وَقَدْ لَجِيْتُ مَعَ التَّجْنِيسِ كَقَوْلِهِمْ : إِذَا قَلَّتِ الْأَنْصَارُ كَلَّتِ  
 الْأَبْصَارُ . وَمَا وَرَاءَ الْخَلْقِ الدِّمِيمِ إِلَّا الْخَلْقُ الدِّمِيمُ . وَمِنْ النَّظْمِ  
 قَوْلُ الْمُطَرِّزِيِّ :

وَدَرُّ جَلَالِهِ أَبَدًا يَمِينٌ وَدَرُّ رَوَالِهِ أَبَدًا غَرِيرٌ

( وَالْمُتَوَازِي ) وَهُوَ أَنْ يُرَاعَى فِي الْكَلِمَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ مِنَ  
 الْقَرِيْبَتَيْنِ وَالْوُزْنَ مَعَ اتِّفَاقِ الْحَرْفِ الْآخِرِ مِنْهُمَا كَقَوْلِهِ : فَمَا سُرُّ  
 مَرْفُوعَةٍ . وَأَكْثَابُ مَوْضُوعَةٍ . وَقَوْلِهِ : اللَّهُمَّ اعْطِنَا نَفَقًا خَلْفًا .



وَأَطِئْ نَمْسِكَ تَلَقًا. وَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : أَلْبَانِي حُكْمٌ دَهْرٌ قَاسِطٌ . إِلَى أَنْ  
 أَنْتَجَعَ لَوْضَ وَاسِطٌ . وَقَوْلُهُ : وَأَوْدَى الْبَاطِلُ وَالصَّالِحُ . وَرَأَى لَنَا  
 الْحَاسِدُ وَالسَّامِتُ . ( وَالْمُطَرِّفُ ) وَهُوَ أَنْ يُرَاعَى الْحَرْفُ الْآخِرُ فِي  
 كِلَا قَرِينَتَيْهِ مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةِ الْوِزْنِ . كَقَوْلِهِ : مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ  
 إِلَهَ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا . وَقَوْلِهِمْ : خِيَامُهُ مَحَطُّ الرِّجَالِ . وَنَحْمُ  
 الْأَمَالِ . ( وَالْمُتَوَازِنُ ) وَهُوَ أَنْ يُرَاعَى فِي الْكَلِمَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ  
 مِنْ الْقَرِينَتَيْنِ الْوِزْنُ مَعَ اخْتِلَافِ الْحَرْفِ الْآخِرِ مِنْهُمَا . كَقَوْلِهِ :  
 وَغَارِقُ مَصْفُوقَةٌ . وَزَرَّابِي مَبْثُوقَةٌ . وَقَوْلِهِمْ : أَصْبِرْ عَلَى حَرِّ الْقِتَالِ .  
 وَمَضَضِ الْإِذَالِ . وَشِدَّةِ الْمَصَاعِ وَمُدَاوِمَةِ الرِّاسِ . فَإِنْ رَاعَى الْوِزْنَ  
 فِي جَمِيعِ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرِهَا وَقَابَلَ الْكَلِمَةَ مِنْهَا بِمَا  
 تُعَادِلُهَا وَزَنًا كَانَ أَحْسَنَ . كَقَوْلِهِ : وَأَيُّهَا الْكِتَابَ الْمُسْتَنِينَ .  
 وَهَدْيَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . وَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : أَسْوَدُ يَوْمِي الْأَبْيَضُ  
 وَأَبْيَضُ يَوْمِي الْأَسْوَدُ . وَيُسَمَّى هَذَا فِي الشَّعْرِ الْمَوَازَنَةُ . كَقَوْلِ  
 الْجُبَّارِيِّ :

قَفِيفٌ مُسْعَدًا فَيَنْبَغُ أَنْ كُنْتَ غَادِرًا

فَيَسِرُ بَعْدًا عَنْهُمْ إِنْ كُنْتَ عَادِلًا

وَبِمَا هُوَ شَرْطُ الْحُسْنِ فِي هَذَا الْحَاقِقَةِ عَلَى تَنَاسُبِهِ وَهُوَ أَنْ  
 جَامِعُ الْمَلَامَةِ وَالْتَنَاسُبِ . فَالْمَلَامَةُ تَأْلِيفُ الْأَلْفَاظِ الْمَوَافِقَةِ  
 بَعْضُهَا لِبَعْضٍ فِي ضَرْبِ الْإِعْتِدَالِ . كَقَوْلِ لَيْلٍ :  
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْؤُهُ يَعُودُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ

وَمَا أَمَلُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعةً وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ أَلْوَدَاعُ  
وَبَعْضُهُمْ يَدُّ التَّلَقُّقَ مِنْ بَابِ الْمَلَامَةِ وَهُوَ أَنْ يَضُمَّ إِلَى  
ذِكْرِ الشَّيْءِ مَا يَلِيْقُ بِهِ وَيَجْرِي تَجَرُّاهُ وَأَنْ يَجْمَعَ الْأُمُورَ الْمُنَاسِبَةَ  
وَيُقَالُ لَهُ مُرَاعَاةُ الظُّلُمِ أَيْضًا. وَالتَّنَاسُبُ هُوَ تَرْقِيبُ الْمَعَانِي الْمُنَاسِبَةِ  
الَّتِي تَتَلَامُ وَلَا تَتَنَافَرُ. كَقَوْلِ النَّابِغَةِ:

وَالرِّفْقُ يَنْ وَالْآثَاةُ سَعَادَةٌ فَتَأَنَّ فِي رِفْقٍ تَنَالِ نَجْمًا  
وَالْيَأْسُ يَمَّا فَاتَ يُعِيبُ رَاحَةً وَلَرُبَّ مَطْعَمَةٍ تَعُودُ دَمَامًا  
وَيُسَمَّى التَّنَاسُبُ أَيْضًا. وَقِيلَ التَّنَاسُبُ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ غَيْرَ  
مُتَبَايِنَةٍ بَلْ مُتَقَارِبَةٍ فِي الْجَزَاةِ وَالزَّفَةِ وَالْمَنَاقِبِ وَالسَّلَاسَةِ وَتَكُونَ  
الْمَعَانِي مُنَاسِبَةً لِأَلْفَاظِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُكْنَى الْأَلْفَظُ الشَّرِيفُ الْمَغْنَى  
السَّخِيفَ أَوْ عَلَى الضَّدِّ بَلْ يُصَاحَبَانِ مَعَاصِيَاةً تَنَاسُبُ وَتَلَاوُظُ حَتَّى  
لَا يَكُونَ الْكَلَامُ كَمَا قِيلَ:

وَبَعْضُ قَرِيضِ الْمَوْتِ أَوْلَادُ عَلِيٍّ يَكْدُ لِسَانَ الْبَاطِنِ الْمَحْفِظِ

### البحث الرابع

#### في اقسام السجع وضروبه

( عن التل السائر لابن الاثير باختصار )

( راجع صفحة ٧٣ من علم الادب )

اعْلَمْ أَنَّ السَّجْعَ قَدْ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : الْأَوَّلُ أَنْ  
يَكُونَ الْفَصْلَانِ مُتَسَاوِيَيْنِ لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ كَقَوْلِهِ :

وَالْعَادِيَّاتِ ضَمًّا . فَأَلْوَدِيَّاتٍ قَدَمًا . فَأَلْمِيَّاتِ ضَمًّا . فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا .  
فَوَسَطْنَا بِهِ جُمًّا . أَلَا تَرَى كَيْفَ جَاءَتْ هَذِهِ الْفُصُولُ مُتَسَاوِيَةً الْأَجْزَاءُ  
حَتَّى كَانَتْ أَوْرَغَتْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ . وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَهِيَ أَشْرَفُ  
السَّجْعِ مَثَلَةٌ لِلْإِعْتِدَالِ الَّذِي فِيهِ

الْقِسْمُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ الثَّانِي أَطْوَلَ مِنَ الْأَوَّلِ لَا  
طَوْلًا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْإِعْتِدَالِ خُرُوجًا كَثِيرًا فَإِنَّهُ يَنْبَغُ عِنْدَ ذَلِكَ  
وَيُسْتَكْرَهُ وَيَعْدُّ عَيْبًا . فَمِمَّا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ  
وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ  
سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أَلْقَاوْنَهَا مَكَامًا ضَيِّقًا مُعْرِضِينَ دَعْوًا  
هَبَالِكُ ثُبُورًا . أَلَا تَرَى أَنَّ الْفَصْلَ الْأَوَّلَ ثَمَانِي لَفْظَاتٍ وَالْفَصْلَ  
الثَّانِي وَالثَّلَاثَ تِسْعٌ تِسْعٌ . وَيُسْتَنَى مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مَا كَانَ مِنْ  
السَّجْعِ عَلَى ثَلَاثٍ هَرَقَ فَإِنَّ الْفَقْرَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ تَحْسَبَانِ فِي عِدَّةٍ  
وَاحِدَةٍ . ثُمَّ تَأْتِي الثَّلَاثَةُ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ طَوِيلَةً طَوْلًا يَرِيدُ عَلَيْهَا  
فَإِذَا كَانَتْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ تَكُونُ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ لَفْظَاتٍ  
أَوْ إِحْدَى عَشْرَةَ . إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَحْمَلَ ذَلِكَ قِيَاسًا مُطَرِّدًا فِي  
السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ آيِنَ وَقَعَتْ مِنَ الْكَلَامِ بَلْ تَعْلَمُ أَنَّ الْجَوَازَ يَمُ  
أَجْلَانَيْنِ مِنَ التَّسَاوِيِ فِي السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ وَمِنْ زِيَادَةِ السَّجْعَةِ الثَّلَاثَةِ .  
أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ ثَلَاثُ سَجْعَاتٍ مُتَسَاوِيَاتٍ كَقَوْلِهِ : وَأَصْحَابُ  
الْيَمِينِ . مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ . فِي سِدْرِ مَحْضُودٍ . وَطَلَحَ مَنُضُودٍ .  
وِظَلَّ مَنُودٍ . فَهَذِهِ السَّجْعَاتُ كُلُّهَا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ وَلَوْ جُعِلَتْ

الثالثة منها خمس لفظات أو متا لما كان ذلك معيياً  
 أقسم الثالث أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول وهو  
 عندي عيب فاحش. وسبب ذلك : أن السجع يكون قد استوفى  
 أمده من الفصل الأول بحكم طوله. ثم يجيء الفصل الثاني  
 قصيراً عن الأول فيكون كالشيء المتبور فيبقى الإنسان عند سماعه  
 كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها  
 وإذا انتهينا إلى ههنا وبيننا أقسام السجع ولله وقشوره فنقول  
 فيه قولاً كلياً وهو أن السجع على اختلاف أقسامه ضربان : أحدهما  
 يسمى السجع القصير وهو أن تكون كل واحدة من السجتين  
 مؤلفة من ألقاظ قليلة وكلما قلت الألقاظ كان أحسن لقرب  
 الفواصل المتجمعة من مسمع السامع. وهذا الضرب أوعر السجع  
 مذهباً وأبعده متاولاً ولا يكاد يستعمله يمع إلا نادراً. والضرب  
 الآخر يسمى السجع الطويل وهو ضد الأول لأنه أسهل متاولاً .  
 وأما كان القصير من السجع أوعر من السجع الطويل لأن المعنى  
 إذا صيغ بالألقاظ قصيرة عز مؤاناة السجع فيه لقصر تلك الألقاظ  
 وضيق المجال في استيعابه . وأما الطويل فإن الألقاظ تطول فيه  
 ويستجلب له السجع من حيث ليس كما يقال وكان ذلك سهلاً .  
 وكل واحد من هذين الضربين تتفاوت درجته في عدة الألقاظ .  
 أما السجع القصير فاحسنه ما كان . ولنا من لفظتين لفظتين كقوله :  
 والمرسلات غرقاً . فالعاصفات عصفاً . وقوله : يا أيها المدثر . ثم

فَأَمْرٌ . وَرَبِّكَ فَكَثْرٌ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَمِنْهُ مَا  
يَكُونُ مَوْلًا مِنْ ثَلَاثَةِ أَفْظُحٍ وَارْبَعَةٍ وَخَمْسَةٍ وَكَذَلِكَ الْعَشْرَةُ . وَمَا زَادَ  
عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ السَّجْعِ الطَّوِيلِ . فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ : وَلَنْ يَرَوْا آيَةً  
يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا : سِحْرٌ مُسْتَعِيرٌ . وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَعِيرٌ .  
وَأَمَّا السَّجْعُ الطَّوِيلُ فَإِنَّ دَرَجَاتِهِ تَتَفَاوَتْ فِي الطَّوِيلِ أَيْضًا مِنْهُ مَا  
يَقْرُبُ مِنَ السَّجْعِ الْقَصِيرِ . وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَأْلِيْفُهُ مِنْ إِحْدَى عَشْرَةٍ  
إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَفْظَةً . وَكَثْرُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَفْظَةً كَقَوْلِهِ : وَلَئِنْ  
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ رَدَّعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْكُمْ كَفُورٌ . وَلَئِنْ  
أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مِمَّنْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ  
فَخُورٌ . فَالْأَوَّلَى إِحْدَى عَشْرَةَ لَفْظَةً . وَالثَّانِيَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَفْظَةً . وَمِنْ  
السَّجْعِ الطَّوِيلِ مَا يَكُونُ تَأْلِيْفُهُ مِنَ الْعَشْرِينَ لَفْظَةً فَمَا حَوْلَهَا كَقَوْلِهِ :  
إِذْ يَرْيَكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَازِلِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَا كَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ  
فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . وَإِذْ يَرْيَكُهُمُ  
إِذِ التَّقِيْمُ فِي لَعْنَتِكُمْ قَلِيلًا وَبَعْلَالِكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا  
كَانَ مَعْرُورًا إِلَى اللَّهِ تَرْجَمَ الْأَوْدُ . وَمِنْ السَّجْعِ الطَّوِيلِ أَيْضًا مَا  
يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَهُوَ غَيْرُ مَضْبُوطٍ



## البحث الخامس

### في الایجاز

( عن المثل السائر وكتاب الصناعتين وغيرهما )

( راجع صفحة ٧٥ من علم الادب )

الِإِيجَازُ حَذْفُ زِيَادَاتِ الْأَلْفَازِ وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْكَلَامِ شَرِيفٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ إِلَّا فُرْسَانُ الْبَلَاغَةِ مَنْ سَبَقَ إِلَى غَايَتِهَا وَمَا صَلَّى . وَضَرَبَ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِهَا بِالْقِدْحِ الْعَلِيِّ . وَذَلِكَ لِغَاوِ مَكَانِهِ . وَتَعَدُّرِ إِمْكَانِهِ وَالنَّظَرُ فِيهِ إِنَّمَا هُوَ إِلَى أَلْعَانِي لَا إِلَى الْأَلْفَازِ . وَلَسْتُ أَعْنِي بِذَلِكَ أَنْ تُهَوَّلَ الْأَلْفَازُ بِحَيْثُ تَقْرَى عَنْ أَوْصَافِهَا الْحَسَنَةِ بَلْ أَعْنِي أَنَّ مَدَارَ النَّظَرِ فِي هَذَا النَّوْعِ إِنَّمَا يَحْتَصُّ بِالْعَانِي . فَوَبَّ لَفْظٌ قَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى كَثِيرٍ . وَرُبَّ لَفْظٍ كَثِيرٍ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى قَلِيلٍ . وَمِثَالُ هَذَا كَلْبُوهَرَةُ الْوَاحِدَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدَّرَاهِمِ . فَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى طُولِ الْأَلْفَازِ يُؤَيِّرُ الدَّرَاهِمَ لِكَثَرَتِهَا . وَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى شَرَفِ الْعَانِي يُؤَيِّرُ الْجُوهَرَةَ الْوَاحِدَةَ لِنَفَاسَتِهَا . قَالَ أَصْحَابُ الْإِيجَازِ : الْإِيجَازُ قُصُورُ الْبَلَاغَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَمَا تَجَاوَزَ مِقْدَارَ الْحَاجَةِ فَهُوَ فَضْلٌ دَاخِلٌ فِي بَابِ الْمَذْدِرِ وَالْحُطْلِ وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ آدَوَاءِ الْكَلَامِ وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى بِلَادَةِ صَاحِبِ الصَّاعَةِ . وَفِي تَفْضِيلِ الْإِيجَازِ يَقُولُ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى بِكُنَائِهِ : إِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَجْعَلُوا كُتُبَكُمْ تَوْقِيعَاتٍ فَأَفْعَلُوا . وَقَالَ

بَعْضُهُمْ : الزَّيَادَةُ فِي الْحَدِّ تَقْصَانٌ . وَقَالَ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ : عَلَيْكُمْ  
بِالِإِيجَازِ فَإِنَّ لَهُ إِفْهَامًا وَلِلإِطَالَةِ اسْتِغْنَاءً . وَقَالَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ : الْقَلِيلُ  
الْكَافِ . خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ غَيْرِ شَافٍ . وَقَالَ آخَرُ : إِذَا طَالَ الْكَلَامُ  
عَرَضَتْ لَهُ أَسْبَابُ التَّكْلُفِ وَلَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ يَأْتِي بِهِ التَّكْلُفُ .  
وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَا أَلْبَلَاغُهُ . فَقَالَ : الْإِيجَازُ . قِيلَ : وَمَا الْإِيجَازُ .  
قَالَ : حَذْفُ الْفُضُولِ وَتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لَمْ لَا تُطِيلُ  
الشَّعْرَ . فَقَالَ : حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْمَعْنَى . وَقِيلَ ذَلِكَ  
لِآخَرَ . فَقَالَ : لَسْتُ أَيْمُهُ مُذَارَعَةً . وَقِيلَ لِلْقُرْزُدِيِّ : مَا صَيَّرَكَ إِلَى  
الْقِصَارِ بَعْدَ الطُّوَالِ . قَالَ : لِأَنِّي رَأَيْتُهَا فِي الصُّدُورِ أَوْقَعَ وَفِي  
الْحَفَافِ أَجْوَلَ . وَقَالَتْ بِنْتُ الْحَطِيطَةِ لِأَيُّهَا : مَا بَالُ قِصَارِكَ  
أَكْثَرَ مِنْ طَوَالِكَ . قَالَ : لِأَنَّهُمَا بِالْأَذَانِ أَوْجَعُ وَبِالْأَفْوَاهِ أَغْلَقُ .  
وَقَالَ أَبُو سُوَيْفَانَ لِابْنِ الزُّبَيْرِيِّ : قَصُرْتَ فِي شِعْرِكَ . قَالَ : حَسْبُكَ  
مِنَ الشَّعْرِ غُرَّةٌ لِأَيْحَةَ وَسِمَةٌ وَاحِدَةٌ . وَقِيلَ لِلنَّابِغَةِ الدُّبَيَّانِي : أَلَا  
طُيْلُ الْقَصَائِدِ كَمَا أَطَالَ صَاحِبُكَ ابْنُ نُجَيْمٍ . قَالَ : مَنْ أَنْتَ أَنْتَقَرُ .  
وَقِيلَ لِبَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ : مَا لَكَ لَا تَرِيدُ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَأَثْنَيْنِ . قَالَ :  
هِيَ بِالْقُلُوبِ أَوْقَعُ وَإِلَى الْخَفْظِ أَسْرَعُ وَبِالْأَلْسُنِ أَغْلَقُ وَلِلْمَعَانِي  
أَجْمَعُ وَصَلَحِيهَا أَبْلَغُ وَأَوْجَزُ . وَقِيلَ لِابْنِ حَازِمٍ : أَلَا طُيْلُ الْقَصَائِدِ .  
فَقَالَ :

أَبَى لِي أَنْ أُطِيلَ الشَّعْرَ قُضِيَ إِلَى الْمَعْنَى وَعَلِي بِالصَّوَابِ  
وَالِإِيجَازِي يُجْتَمَعُ قَرِيبُ حَذَفْتُ بِهِ الْفُضُولَ مِنَ الْجَوَابِ

فَابْعَثْنِ أَرْبَعَةً وَسِتًّا مُتَّفَقَةً بِالْفَاظِ عَذَابٍ  
وَهُنَّ إِذَا وَسَّتْ بَيْنَ قَوْمَا كَلَطَوَاتِ الْحَلِيمِ فِي الرِّقَابِ  
وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا رَأَيْتُ بَلِيغًا قَطُّ إِلَّا وَلَهُ فِي الْقَوْلِ إِيجَازٌ وَفِي  
الْمَعَانِي إِطَالَةٌ . وَقِيلَ لِإِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ : مَا فِيكَ عَيْبٌ غَيْرَ أَمَّاكَ  
كَثِيرُ الْكَلَامِ . قَالَ : أَقْسَمُونَ صَوَابًا أَمْ خَطَأً . قَالُوا بَلْ صَوَابًا .  
قَالَ : فَالزِّيَادَةُ مِنَ الْخَيْرِ خَيْرٌ . وَلَيْسَ كَمَا قَالَ لِأَنَّ لِلْكَلَامِ غَايَةً  
وَلِنَشَاطِ السَّمِيعِينَ غَايَةً . وَمَا فَضَّلَ عَنْ وَثِدَارِ الْإِحْتِمَالِ وَدَعَا إِلَى  
الِاسْتِغْنَاءِ وَصَادَ سَبِيلًا لِللَّالِ فَذَلِكَ الْهَذَرُ وَالْإِسْهَابُ وَالْخُطْلُ وَهُوَ  
مَعِيبٌ عِنْدَ كُلِّ لَبِيبٍ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْبَلَاغَةُ بِالِإِيجَازِ أَيْجَعُ مِنْ أَلْيَانِ  
بِالْإِطْنَابِ . وَقَالُوا : الْمِكْتَارُ كَمَا طَبِ الْأَلِيلِ . وَمَثَلُ الْإِيجَازِ الْحَسَنِ  
كَقَوْلِهِ : وَخُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . فَجَمَعَ جَمِيعَ  
مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ بِأَسْرَعِهَا . لِأَنَّ فِي الْعَفْوِ صِلَةَ الْقَاطِعِينَ وَالصَّمْعَ عَنْ  
الظَّالِمِينَ وَإِعْطَاءَ الْمَائِينَ . وَفِي الْأَمْرِ بِالْعُرْفِ تَقْوَى اللَّهِ وَصِلَةَ  
الرَّحِمِ وَصَوْنَ اللِّسَانِ عَنِ الْكُذِبِ وَغَضَّ الطَّرْفِ عَنِ الْحُرْمَاتِ  
وَالْتَبَدُّ مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ يُلَاسِ  
شَيْئًا مِنَ الْمَكْرِ . وَفِي الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ الصَّبْرُ وَالْحِلْمُ وَتَذْيِ  
النَّفْسِ عَنْ مُعَابَلَةِ السَّفِيهِ بِمَا يُؤْتِمُّ الدِّينَ وَيُسْقِطُ الْقُدْرَةَ . وَقَوْلُهُ :  
حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْبِي وَيُصِمُّ . وَقَوْلُهُ إِنَّ مِنْ أَلْيَانِ لِسِحْرًا . وَقَوْلُهُ :  
نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ . وَقَوْلُهُ : تَرَكْتُ الشَّرَّ صَدَقَةٌ . فَمَا فِي هَذَا  
الْكَلَامِ أَكْثَرُ مِنَ الْفَاظِ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ صِحَّةَ ذَلِكَ



تَحْلَاهَا وَأَنبَأَ آخَرَ فَأَمَّاكَ تَحْمِيهَا نَحْيِي فِي أَخْصَافٍ هَذِهِ الْأَلْقَافِ .  
 وَقَوْلُهُ : إِذَا أَنْطَلَكِ اللَّهُ خَيْرًا فَلَيْنَ عَلَيْكَ وَأَبْدَأُ بَيْنَ قَوْلٍ وَلَا تَضْحُخْ  
 مِنْ الْفَضْلِ وَلَا تَلْهُ عَلَى الْكَفَافِ وَلَا تَهْجُزْ عَنْ نَفْسِكَ . قَوْلُهُ :  
 ( فَلَيْنَ عَلَيْكَ ) أَيِ فَلْيُظْهِرْ آثَرَهُ عَلَيْكَ بِالْصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَدَلَّ  
 عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ( وَأَبْدَأُ بَيْنَ قَوْلٍ وَلَا تَضْحُخْ مِنْ الْفَضْلِ ) أَيِ  
 أَكْسِرْ مِنْ مَالِكَ وَأَعْطِهِ ( وَأَسْمُ الشَّيْءِ الرِّضِيَّةُ ) ( وَلَا تَهْجُزْ عَنْ  
 نَفْسِكَ ) أَيِ لَا تَجْمَعْ لِقَائِكَ وَتَهْجُلْ عَنْ نَفْسِكَ فَلَا تُعْذِرْ خَيْرًا .  
 وَقَوْلُ لَعْرَاجِي : أُولَئِكَ قَوْمٌ جَعَلُوا أَمْوَالَهُمْ مَسَادِيلَ لِأَعْرَاضِهِمْ فَالْخَيْرُ  
 بِهِمْ زَائِدٌ وَالْمَعْرُوفُ لَهُمْ شَاهِدٌ . أَيِ يَتَوْنُ أَعْرَاضُهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ .  
 وَقِيلَ لِأَعْرَاجِي يَسُوقُ مَالًا كَثِيرًا : لِيَنْ هَذَا أَمَالُ . فَقَالَ : اللَّهُ فِي  
 يَدِي . وَقَالَ لَعْرَاجِي لِرَجُلٍ يَدْعُوهُ : إِنَّهُ لَيُخْطِي عَطَاءً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ  
 اللَّهَ مَادُّهُ . وَقَوْلُ آخَرَ : أَمَا بَعْدُ فَعِظَ النَّاسَ بِفِعْلِكَ وَلَا تَعْظُهُمْ  
 بِقَوْلِكَ وَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ بِمَنْزَرِ قُرْبِهِ مِنْكَ وَحَقَّهُ بِمَنْزَرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ .  
 وَقَالَ آخَرُ : إِنْ شَكَّكَتْ فِي فَاسَالِ قَلْبِكَ عَنِّي

وَأَعْلَمُ أَنَّ حَمَاقَةً مِنْ مُدْعِي عِلْمِ الْبَيَانِ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ  
 يَتَقَسَّمُ قِسْمَيْنِ : فَمِنْهُ مَا يَحْسُنُ فِيهِ الْإِيحَازُ كَالْأَشْعَارِ وَالْمَكَاتِبَاتِ .  
 وَمِنْهُ مَا يَحْسُنُ فِيهِ الطُّوِيلُ كَالْخُطَبِ وَالْتَّقْلِيدَاتِ وَكُتُبِ الْقُشُوحِ  
 الَّتِي تُتْرَأُ فِي مَسَلٍ مِنْ عَوَاتِ النَّاسِ . فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا طَالَ فِي  
 مِثْلِ ذَلِكَ آثَرُ عِذَّةٍ وَأَفْهَمُهُمْ وَلَوْ أَقْتَصَرَ فِيهِ عَلَى الْإِيحَازِ وَالْإِشَارَةِ  
 لَمْ يَمُتْ لِأَكْثَرِهِمْ حَتَّى يُقَالَ فِي ذِكْرِ الْحَرْبِ : أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ وَقَطَعْنَ

الْقَرِيقَانِ وَأَشَدَّ الْقِتَالِ وَحَمِي الْقِصَالِ وَمَا جَرَى هَذَا الْحَرْبَى. وَالْمَذْهَبُ  
عِنْدِي فِي ذَلِكَ مَا أَذْكُرُهُ : وَهُوَ أَنَّ فَهْمَ الْعَالِمَةِ لَيْسَ شَرْطًا  
مُتَبَدِّلًا فِي اخْتِيَارِ الْكَلَامِ. لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ شَرْطًا لَوَجَبَ عَلَى قِيَاسِهِ أَنْ  
يُسْتَعْمَلَ فِي الْكَلَامِ الْأَلْفَاظُ الْعَالِمَةُ الْمُبْتَدَأَةُ عَنْدهُمْ لِيَكُونَ ذَلِكَ  
أَقْرَبَ إِلَى فَهْمِهِمْ. لِأَنَّ الْعِلَّةَ فِي اخْتِيَارِ طَوِيلِ الْكَلَامِ إِذَا كَانَتْ  
فَهْمُ الْعَالِمَةِ إِيَّاهُ فَكَذَلِكَ تَجَلُّ تِلْكَ الْعِلَّةُ بَيْنَهَا فِي اخْتِيَارِ الْمُبْتَدَأِ  
مِنَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ الْعَالِمَةَ إِلَى فَهْمِهِ أَقْرَبُ مِنْ  
فَهْمِ مَا يَقُولُ آتِيذَاهُمْ إِيَّاهُ . وَهَذَا شَيْءٌ يَدْفَعُ وَأَمَّا الَّذِي يَجِبُ  
تَوْجِيهِهِ وَأَعْتِبَادُهُ فَهُوَ أَنَّ يُسَلِّكَ الْمَذْهَبُ الْقَوِيمُ فِي تَرْكِيبِ الْأَلْفَاظِ  
عَلَى الْمَعْنَى بِحَيْثُ لَا تَرِيدُ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ مَعَ الْإِيضَاحِ وَالْإِبَانَةِ  
وَلَيْسَ عَلَى مُسْتَعْمِلِ ذَلِكَ أَنْ يَفْهَمَ الْعَالِمَةُ كَلَامَهُ فَإِنَّ نَوْرَ الشُّسْرِ  
إِذَا لَمْ يَرَهُ الْأَعْمَى لَا يَكُونُ ذَلِكَ نَقْصًا فِي اسْتِنَارَتِهِ وَإِنَّمَا النِّقْصُ فِي  
بَصَرِ الْأَعْمَى حَيْثُ لَمْ يَسْتَطِعَ النَّظَرَ إِلَيْهِ :

عَلَى نَحْتِ الْقَوَائِي مِنْ مَعَادِنِهَا وَمَا عَلَيَّ بِأَنْ لَا نَفْهَمَ الْبَقَرُ  
وَحَيْثُ انْتَهَى بِنَا الْقَوْلُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَلْتَرْجِعْ إِلَى مَا هُوَ  
غَرَضًا وَمَهْمًا مِنْ الْكَلَامِ عَلَى الْإِيحَازِ وَحَدِّهِ وَأَقْسَامِهِ وَتَوْضِيحِ  
ذَلِكَ إِضَاحًا جَلِيًّا وَأَنَّ الْمَوْفِقَ لِلصَّوَابِ فَقُولُ : حَدُّ الْإِيحَازِ هُوَ دَلَالَةُ  
الْلَفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهِ . وَالطَّوِيلُ هُوَ ضِدُّ ذَلِكَ  
وَهُوَ أَنْ يُدَلَّ عَلَى الْمَعْنَى بِالْفَرْقِ يَكْفِيكَ بَعْضُهُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ . كَقَوْلِ  
الْعَجَّيرِ السَّلُولِيِّ مِنْ آيَاتِ الْحِكْمَةِ :

طُلُوعُ أَثْنَايَا بِأَطْلَايَا وَسَائِيٍّ إِلَى غَايَةٍ مِّنْ يَّتَذَرُهَا يُقَدِّمُ  
فَصَدْرُ هَذَا أَلْبَيْتِ فِيهِ تَطْوِيلٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَغَجْرُهُ مِنْ مُحَاسِنِ  
الْكَلَامِ الْمُتَوَاصِفَةِ . وَمَوْضِعُ التَّطْوِيلِ مِنْ صَدْرِهِ أَنَّهُ قَالَ :  
(طُلُوعُ أَثْنَايَا بِأَطْلَايَا) فَإِنَّ لَفْظَةَ الْأَطْلَايَا فَضْلَةٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا .  
وَيَكُنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَجْتَلُو الْأَمْرُ فِيهَا مِنْ وَجْهَيْنِ : إِمَّا أَنْ يُرِيدَ أَنَّهُ سَائِيٍّ  
أَلْفَمَهُ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ كَمَا قَالَ الْحَاجُّ عَلَى الْخَبَرِ عِنْدَ وُضُوءِهِ الْعِرَاقَ :  
أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ أَثْنَايَا . أَيْ أَنَا الرَّجُلُ الْمَشْهُورُ السَّائِيٍّ إِلَى  
مَعَالِي الْأُمُورِ . فَإِنْ أَرَادَ الْعَجِيزُ بَقَوْلِهِ : (طُلُوعُ أَثْنَايَا) مَا أَشْرَفُ  
إِلَيْهِ فَذِكْرُ الْأَطْلَايَا يُفِيدُ ذَلِكَ الْمَعْنَى لِأَنَّ مَعَالِي الْأُمُورِ لَا يُرْتَقَى  
إِلَيْهَا بِأَطْلَايَا . وَإِنْ أَرَادَ الرَّجُلُ الْآخَرَ وَهُوَ أَنَّهُ كَثِيرُ الْأَسْفَارِ  
فَلِخْتِصَاصِهِ أَثْنَايَا بِالذِّكْرِ دُونَ الْأَرْضِ مِنَ الْمَفَاوِزِ وَغَيْرِهَا لَا فَائِدَةَ  
فِيهِ . وَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ فَإِنَّ ذِكْرَ الْأَطْلَايَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَهُوَ  
تَطْوِيلٌ بَارِذٌ غَثٌ . فَمَنْ عَلَى هَذَا الْإِتِّمَالِ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنْ  
التَّطْوِيلَاتِ الَّتِي إِذَا أُسْقِطَتْ مِنْ الْكَلَامِ بَقِيَ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ  
شَيْءٌ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْأَمْرُ فِي الْفَاطِئِ يُوَصِّلُ بِهَا الْكَلَامَ فَتَارَةً  
تَحِيٍّ ، لِفَائِدَةِ ذَلِكَ قَلِيلٌ وَتَارَةً تَحِيٍّ ، لِفَيْدَةِ فَائِدَةِ ذَلِكَ كَثِيرٌ . وَكَثَرَتْ  
مَا تَرَدُّ فِي الْأَشْعَارِ لِيُوزَنَ بِهَا الْأَيَّاتُ الشِّعْرِيَّةُ وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِمْ :  
لَعَسْرِي وَلَعَسْرُكَ وَنَحْوُ : أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَظَلَّ وَأَضْحَى وَبَاتَ وَأَشْبَاهُ  
ذَلِكَ . وَنَحْوُ : يَا صَاحِبِي وَيَا خَلِيلِي وَمَا يَجْرِي هَذَا التَّجَرُّي . فَمَا جَاءَ  
مِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّارٍ :

أَقْرُوا لَعْنِي لِحُكْمِ السُّيُوفِ وَكَانَتْ أَحَقَّ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ  
فَإِنْ قَوْلُهُ : ( لَعْنِي ) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا وَهِيَ حَشْوٌ  
فِي هَذَا أَلَيْتِ لَا قَائِدَةً فِيهِ إِلَّا إِصْلَاحُ أَلْوَزَنِ لَا غَيْرَ . أَلَا تَرَى أَنَّهَا  
مِنْ بَابِ الْقَسَمِ وَأَمَّا يَرِدُ الْقَسَمُ فِي مَوْضِعٍ يُؤَكِّدُ بِهِ الْمَعْنَى الْمُرَادُ  
إِمَّا لِأَنَّهُ يَشْكُ فِيهِ أَوْ يَمَّا يَعْزُّ وَجُودَهُ أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْحَرْجَى .  
وَهَذَا أَلَيْتِ الشَّعْرِيَّ لَا يَفْتَقِرُ مَعْنَاهُ إِلَى تَوْكِيدٍ قَسَمِيٍّ إِذْ لَا شَكَّ  
أَنَّ السُّيُوفَ حَاصِلَةٌ وَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُعْرِضُ لِحُكْمِهَا وَيَذْنَعُ لِبَلَاغَتِهَا .  
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا :

إِذَا آتَاكَ أَلَمٌ عَثَرَاتِ دَهْرٍ أَلَيْتُ بِهِ الْقَدَاةَ فَنَ الْوَمِ  
قَوْلُهُ : ( الْقَدَاةُ ) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا لِأَنَّهُ يَتِمُّ بِدُونِهَا  
لِأَنَّ عَثَرَاتِ الدَّهْرِ لَمْ تَنْتَهِ الْقَدَاةُ وَلَا الْغَيْبُ وَأَمَّا نَائِلُهُ وَنَيْلُهَا إِيَّاهُ  
لَا بُدَّ أَنْ يَفْعَ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَنِ كَانَتْ مَا كَانَ وَلَا حَاجَةَ إِلَى  
تَعْيِينِهِ بِالذِّكْرِ . وَعَلَى هَذَا وَرَدَّ قَوْلُ الْمُجْتَرِي :

مَا أَحْسَنَ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنَا يَا صَاحِبِي إِذَا مَا ضُتَّ لَمْ تُرْجِعْ  
قَوْلُهُ : ( يَا صَاحِبِي ) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا إِلَّا أَنَّهَا  
وَرَدَتْ لِتَضَحِيحِ أَلْوَزَنِ لَا غَيْرَ . وَهَذِهِ الْإِلْفَاظُ الَّتِي تَرُدُّ فِي الْآيَاتِ  
الشَّعْرِيَّةِ لِتَضَحِيحِ أَلْوَزَنِ لَا غَيْبٍ فِيهَا . لِأَنَّا لَوْ غَيَّبْنَا عَلَى الشُّعْرَاءِ  
لَسَجَّحْنَا عَلَيْهِمْ وَذَيَّقْنَا أَلْوَزَنَ وَيُضْطَرُّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ إِلَى مِثْلِ  
ذَلِكَ لَكِنْ إِذَا وَرَدَتْ فِي الْكَلَامِ الْمَثُورُ فَإِنَّهَا إِنْ وَرَدَتْ حَشْوًا  
وَلَمْ تَرُدَّ لِقَائِدَةً كَانَتْ عَيْنًا . وَقَدْ تَرُدُّ فِي الْآيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ وَيَكُونُ

طَلُوعُ أَثْنَايَا بِالطَّايَا وَسَابِقُ إِلَى غَايَةٍ مِنْ يَتَدِيرُهَا يُقَدِّمُ  
 فَصَدْرُ هَذَا أَلَيْتَ فِيهِ تَطْوِيلٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَتَجَرُّهُ مِنْ مُحَاسِنِ  
 الْكَلَامِ التَّوَاصُفَةِ . وَمَوْضِعُ التَّطْوِيلِ مِنْ صَدْرِهِ أَنَّهُ قَالَ :  
 (طَلُوعُ أَثْنَايَا بِالطَّايَا) فَإِنَّ لَفْظَةَ الطَّايَا فَضْلَةٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا .  
 وَيَبَانَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَجْثُو الْأَمْرُ فِيهَا مِنْ وَجْهَيْنِ : إِمَّا أَنْ يُرِيدَ أَنَّهُ سَابِقُ  
 أَلَيْتَ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ كَمَا قَالَ الْحَجَّاجُ عَلَى الْيَنْبَرِ عِنْدَ وُضُوءِهِ الْعِرَاقِ :  
 أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ أَثْنَايَا . أَيْ أَنَا الرَّجُلُ الْمَشْهُورُ السَّابِقُ إِلَى  
 مَعَالِي الْأُمُورِ . فَإِنْ أَرَادَ التَّجْيِيزَ بِقَوْلِهِ : (طَلُوعُ أَثْنَايَا) مَا أَشْرَفَ  
 إِلَيْهِ فَذِكْرُ الطَّايَا يُقِيدُ ذَلِكَ أَلْفَنًى لِأَنَّ مَعَالِي الْأُمُورِ لَا يُرْقَى  
 إِلَيْهَا بِالطَّايَا . وَإِنْ أَرَادَ أَلَوَجَةَ الْآخَرِ وَهُوَ أَنَّهُ كَثِيرُ الْأَشْعَارِ  
 فَاخْتِصَاصُهُ أَثْنَايَا بِالذِّكْرِ دُونَ الْأَرْضِ مِنَ الْمَقَاوِرِ وَغَيْرِهَا لَا قَائِدَةَ  
 فِيهِ . وَعَلَى كِلَا أَلَوَجَتَيْنِ فَإِنَّ ذِكْرَ الطَّايَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَهُوَ  
 تَطْوِيلٌ بَارِذٌ غَثٌ . فَهَسَ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنْ  
 التَّطْوِيلَاتِ الَّتِي إِذَا أُسْقِطَتْ مِنَ الْكَلَامِ بَقِيَ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ  
 شَيْءٌ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْأَمْرُ فِي أَلْفَاظٍ يُوصَلُ بِهَا الْكَلَامُ فَتَارَةً  
 تُحْمَى لِقَائِدَةً وَذَلِكَ قَلِيلٌ وَتَارَةً تُحْمَى لِقَائِدَةً وَذَلِكَ كَثِيرٌ . وَكَثَرَتْ  
 مَا تَرَدُّ فِي الْأَشْعَارِ لِيُوزَنَ بِهَا أَلَانِيَاتُ الشِّعْرِ وَذَلِكَ تَحْوِ قَوْلِهِمْ :  
 لَعَنَرِي وَلَعَنَرُكَ وَتَحْوِ : أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَظَلَّ وَأَضْحَى وَبَاتَ وَأَشْبَاهَ  
 ذَلِكَ . وَتَحْوِ : يَصْلَحِي وَيَاخِلِي وَمَا يَجْرِي هَذَا التَّجْرَى . فَمَا جَاءَ  
 مِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

أَقْرُوا لَعْنِي لِحُكْمِ السُّيُوفِ وَكَانَتْ أَحَقُّ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ  
فَإِنْ قَوْلُهُ : ( لَعْنِي ) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا وَهِيَ حَشْوٌ  
فِي هَذَا أَلَيْتِ لَا فَائِدَةَ فِيهِ إِلَّا إِصْلَاحُ الْوِزْنِ لَا غَيْرُ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ  
مِنْ بَابِ الْقَسَمِ وَأَنَا يَدُ الْقَسَمِ فِي مَوْضِعٍ يُؤَكِّدُ بِهِ الْمَعْنَى الْمُرَادُ  
إِمَّا لِأَنَّهُ يُشَكُّ فِيهِ أَوْ بِمَا يَعْزُّ وَجُودُهُ أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْحَجَرِ .  
وَهَذَا أَلَيْتِ الشَّعْرِي لَا يَقْتَضِي مَعْنَاهُ إِلَى تَوْكِيدِ قَسَمِي إِذْ لَا شَكَّ  
أَنَّ السُّيُوفَ حَاصِلَةٌ وَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُعَرِّ لِحُكْمِهَا وَيَدْعِي لِحَاطَتِهَا .  
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا :

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَذَاتِ دَهْرٍ بُلَيْتُ بِهِ الْقَدَاةَ فَنَ الْوَمِ  
قَوْلُهُ : ( الْقَدَاةُ ) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا لِأَنَّهُ يَمُ بِدُونِهَا  
لِأَنَّ عَذَاتِ الدَّهْرِ لَمْ تَنْهَ الْقَدَاةَ وَلَا الْعَشِيَّ وَأَنَا نَالَتْهُ وَنِيلَهَا إِيَّاهُ  
لَا بَدَّ أَنْ يَمُ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَنِ كَانَتْ مَا كَانَ وَلَا حَاجَةَ إِلَى  
تَعْيِينِهِ بِالذِّكْرِ . وَعَلَى هَذَا وَرَدَّ قَوْلُ النَّجَّارِيِّ :

مَا أَحْسَنَ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنَّهُ يَا صَاحِبِي إِذَا مَضَتْ لَمْ تُرْجَعْ  
قَوْلُهُ : ( يَا صَاحِبِي ) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا إِلَّا أَنَّهُ  
وَرَدَتْ لِتَضَحُّجِ الْوِزْنِ لَا غَيْرُ . وَهَذِهِ الْإِلْفَاطُ الَّتِي تَرُدُّ فِي الْآيَاتِ  
الشَّعْرِيَّةِ لِتَضَحُّجِ الْوِزْنِ لَا عَيْبَ فِيهَا . لِأَنَّا لَوْ عَيْبَاهَا عَلَى الشُّعْرَاءِ  
لَشَجَرْنَا عَلَيْهِمْ وَصِيقْنَا الْوِزْنَ وَيُضْطَرُّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ إِلَى مِثْلِ  
ذَلِكَ لَكِنْ إِذَا وَرَدَتْ فِي الْكَلَامِ التَّشْوِيرُ فَإِنَّهَا إِنْ وَرَدَتْ حَشْوًا  
وَلَمْ تَرُدَّ لِفَائِدَةٍ كَانَتْ عَيْبًا . وَقَدْ تَرُدُّ فِي الْآيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ وَيَكُونُ

وَرُدُّهَا لِقَائِدَةٍ . . . فَأَعْلَمَ أَيُّهَا النَّاطِرُ فِي كِتَابِي هَذَا أَنَّ التَّطْوِيلَ  
هُوَ زِيَادَاتُ الْأَلْفَافِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى وَهِيَ أَمْكَنُكَ حَذْفُ  
شَيْءٍ مِنَ اللَّفْظِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى مِنَ الْمَعْنَى فَإِنَّ ذَلِكَ اللَّفْظَ  
هُوَ التَّطْوِيلُ بِعَيْنِهِ . وَأَمَّا الْأِيْجَازُ فَدَعْرُوكُكَ أَنَّهُ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى  
الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهِ . وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا )  
الْإِيْجَازُ بِالْحَذْفِ وَهُوَ مَا يُحْذَفُ مِنْهُ الْفَرْدُ وَالْجُمْلَةُ لِدَلَالَةِ فَحْوَى  
الْكَلَامِ عَلَى الْحَذْفِ وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِيمَا زَادَ مَعْنَاهُ عَلَى لَفْظِهِ .  
( وَالْقِسْمُ الْآخَرُ ) مَا لَا يُحْذَفُ مِنْهُ شَيْءٌ وَهُوَ ضَرْبَانِ : ( أَحَدُهُمَا )  
مَا سَاوَى لَفْظُهُ مَعْنَاهُ وَيُسَمَّى التَّقْدِيرَ . ( وَالْآخَرُ ) مَا زَادَ مَعْنَاهُ  
عَلَى لَفْظِهِ وَيُسَمَّى الْقَصْرَ . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ الَّذِي هُوَ الْإِيْجَازُ  
بِالْحَذْفِ يُتَّبَعُهُ لَهُ مِنْ غَيْرِ كَثِيرٍ كَلْفَةٍ فِي اسْتِخْرَاجِهِ لِمَكَانِ الْحَذْفِ  
وَمِنْهُ . وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي فَإِنَّ التَّبَعَهُ لَهُ عَسْرٌ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى فَضْلٍ  
تَأْمُلُ وَطُولٍ فِكْرَةٍ لِحَقِّهِ مَا يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَسِطُّ ذَلِكَ إِلَّا  
مَنْ رَسَتْ قَدَمُهُ فِي عُمَارَةِ عِلْمِ الْيَقَانِ وَصَارَ لَهُ خَلِيقَةٌ وَسَلَكَةٌ .  
وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا عَلمَ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ بِعَلَامَةٍ وَلَا قَيْدَهُمَا بِقَيْدٍ . . .  
فَقَوْلُ أَمَّا الْإِيْجَازُ بِالْحَذْفِ فَإِنَّهُ عَجِيبُ الْأَمْرِ شَيْءٌ بِالسَّخْرِ وَذَلِكَ  
أَنَّكَ تَرَى فِيهِ تَرَكَ الذِّكْرَ أَفْضَمَ مِنَ الذِّكْرِ وَالصَّغْتِ عَنْ  
الْإِفَادَةِ أَزِيدَ لِلْإِفَادَةِ وَتَجِدُكَ أَطَقَ مَا تَكُونُ إِذَا لَمْ تَنْطِقْ وَأَتَمَّ  
مَا تَكُونُ مَبْنًى إِذَا لَمْ تُبَيِّنْ وَهَذِهِ جُمْلَةٌ تُسَكِّرُهَا حَتَّى تُجَدِّدَ وَتَدْفَعُهَا  
حَتَّى تَنْظُرَ . وَالْأَعْلَى فِي الْحَذْفَاتِ جَمِيعُهَا عَلَى اخْتِلَافِ ضَرْبِهَا

أَنْ يَكُونَ فِي الْكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَى التَّحْذُوفِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ  
دَلِيلٌ عَلَى التَّحْذُوفِ فَإِنَّهُ تَعَوُّنٌ مِنَ التَّحْدِيثِ لَا يَحْجُوزُ بِهِ وَلَا سَبَبٌ .  
وَمِنْ شَرْطِ التَّحْذُوفِ فِي حُكْمِ الْبَلَاغَةِ أَنَّهُ مَتَى أُظْهِرَ صَارَ  
الْكَلَامُ إِلَى شَيْءٍ غَثٍ لَا يُنَاسِبُ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنَ الطَّلَاوَةِ  
وَالْحُسْنِ وَقَدْ يَظْهَرُ التَّحْذُوفُ بِالْأَعْرَابِ كَقَوْلِنَا: أَهْلًا وَسَهْلًا. فَإِنَّ  
نَضْبَ الْأَهْلِ وَالسَّهْلِ يَدُلُّ عَلَى فَاصِبٍ تَحْذُوفٍ وَلَيْسَ لِهَذَا مِنَ  
الْحُسْنِ مَا لِلَّذِي لَا يَظْهَرُ بِالْأَعْرَابِ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ بِالنَّظَرِ إِلَى تَأَمُّ  
الْمَعْنَى كَقَوْلِنَا: فَلَنْ يَحُلَّ وَيَعْقِدُ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَظْهَرُ التَّحْذُوفُ بِهِ  
بِالْأَعْرَابِ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ بِالنَّظَرِ إِلَى تَأَمُّ الْمَعْنَى أَيْ إِنَّهُ يَحُلُّ الْأُمُورَ  
وَيَعْقِدُهَا. وَالَّذِي يَظْهَرُ فِي الْأَعْرَابِ يَمُتُّ فِي الْمَفْرَدَاتِ مِنَ التَّحْذُوفَاتِ  
كَثِيرًا وَالَّذِي لَا يَظْهَرُ بِالْأَعْرَابِ يَمُتُّ فِي الْجُمَلِ مِنَ التَّحْذُوفَاتِ  
كَثِيرًا

## البحث السادس

### في المساواة

( عن كتاب الصناعتين باختصار )

( راجع صفحة ٧٥ من علم الادب )

الْمَسَاوَةُ هِيَ أَنْ تَكُونَ الْمَعْنَى بِقَدْرِ الْأَلْفَاظِ وَالْأَلْفَاظُ بِقَدْرِ  
الْمَعْنَى لَا يَزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَهُوَ الْمَذْهَبُ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الْأَيْجَازِ  
وَالْأَطْلَابِ وَإِلَيْهِ أَشَارَ الْقَائِلُ بِقَوْلِهِ: كَانَ الْأَفَاظَةُ قَوَالِبَ مَعَانِيهِ



أَيُّ لَا يُزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ . فَمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : لَا تَزَالُ  
 أُسْتَبِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَرَ الْإِمَانَةَ مَقْنَمًا وَالزُّكَاةَ مَغْرَمًا . وَقَوْلُهُ : إِيَّاكَ  
 وَالْمَشَاوِرَةَ فَإِنَّهَا نُمِيتُ الْغَرَّةَ وَنُحْيِي الْعِزَّةَ . وَمِنْ أَلْفَاظِ هَذِهِ  
 الْفُصُولِ مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ أَكْثَرُ مِنَ الْفَالِظِ وَإِنَّا نَكْرَهُ تَغْيِيرَهَا كَرَاهَةَ  
 الْإِطَالَةِ . وَمِنْ نَثْرِ الْكِتَابِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : سَأَلْتَ عَنْ خَيْرِي وَأَنَا  
 فِي عَافِيَةٍ لَا عَيْبَ فِيهَا إِلَّا فَتْدَكَ وَرِغْمَةً لَا زَيْدَ فِيهَا إِلَّا بِكَ . وَقَوْلُهُ :  
 عَلَّمْتَنِي نَبُوءَتَكَ سَأَلْتُكَ وَأَسْلَمْتَنِي يَا أَيْبَى مِنْكَ إِلَى الصِّدْرِ عَشِكَ .  
 وَقَوْلُهُ : فَحَفِظَ اللَّهُ الْبَعْثَةَ عَلَيْكَ وَفِيكَ وَتَوَلَّى إِصْلَاحَكَ وَالْإِصْلَاحَ  
 إِلَيْكَ وَأَجَزَلَ مِنْ الْخَيْرِ حَظُّكَ وَالْحَظُّ مِنْكَ وَمَنْ عَلَيْكَ وَعَلَيْتَابُكَ .  
 وَقَالَ آخَرُ يَسْتُ مِنْ صِلَاكِ بِي وَأَخَافُ فُسَادِي بِكَ وَقَدْ أَطْبَعَ  
 فِي دَمِ الْخِمَارِ مَنْ شَبَّكَ بِهِ . وَمِنْ الْتَنْظُومِ قَوْلُ طَرَفَةٍ :  
 سُبْدِي أَلَكِ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ  
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

هَذَا الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ      فَإِنْ تَابَتْ فَيَا لَأَشْرَارِ تَعَادُ  
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

أَمَّا الَّذِي يُخَصِّمُ فَمُكَدَّرٌ      أَمَّا الَّذِي يُطْرِبُهُمْ فُقُلِيلٌ  
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ      عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلٌّ : عَيْنِ حَيْبُهَا  
 وَمَا هَجَرْتُكَ أَنْفَسُ أَمَّا عَنْهَا      قَلِيلٌ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيهَا

## البحث السابع

### في الاطئاب

( من كتاب الصاعتين للمكري )

( راجع صفحة ٧٦ من علم الادب )

قَالَ أَصْحَابُ الْأَطْطَابِ: الْمُنْطِقُ إِنَّمَا هُوَ يَكُنْ وَأَلْيَانُ لَا يَكُونُ  
إِلَّا بِإِشَاعٍ وَالْقَمَاءُ لَا يَمُوتُ إِلَّا بِالْإِقْتَاعِ . وَأَفْضَلُ الْكَلَامِ أَيْتُهُ  
وَأَيْتُهُ أَشَدُّ إِحَاطَةً بِالْمَعْنَى وَلَا يُحَاطُ بِالْمَعْنَى إِحَاطَةً تَامَةً إِلَّا  
بِالْإِسْتِثْنَاءِ . وَالْإِيْجَازُ لِلْخَوَاصِّ وَالْأَطْطَابُ مُشْتَرِكٌ فِيهِ لِحَاصَّةً وَالْعُلَمَاءُ  
وَالْعَمِيُّ وَالْقَطِينُ وَالرَّيْضُ وَالْمُرْتَضُ وَلَمَعْنَى مَا أُطِيلَتِ الْكُتُبُ  
السُّلْطَانِيَّةُ فِي إِفْهَامِ الرِّعَايَا . وَالْقَوْلُ الْقَصْدُ أَنَّ الْإِيْجَازَ وَالْأَطْطَابَ  
يُحْتَاجُ إِلَيْهِمَا فِي جَمِيعِ الْكَلَامِ وَكُلِّ نَوْعٍ وَهُنَّ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا  
مَوْضِعٌ فَالْحَاجَةُ إِلَى الْإِيْجَازِ فِي مَوْضِعِهِ كَالْحَاجَةِ إِلَى الْأَطْطَابِ فِي مَكَانِهِ .  
فَمَنْ أَرَادَ التَّنْذِيرَ فِي ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِ فَاسْتَعْمَلَ الْأَطْطَابَ فِي مَوْضِعِهِ  
الْإِيْجَازِ وَاسْتَعْمَلَ الْإِيْجَازَ فِي مَوْضِعِ الْأَطْطَابِ أَخْطَأَ . كَمَا رَوَى عَنْ  
جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى أَنَّهُ قَالَ مَعَ عَجْبِهِ بِالْإِيْجَازِ : مَتَى كَانَ الْإِيْجَازُ أَبْلَغَ  
كَانَ الْأَمْرُ عِيَّارًا وَمَتَى كَانَتْ الْكِتَابَةُ فِي مَوْضِعِ الْأَمْرِ  
كَانَ الْإِيْجَازُ تَقْصِيرًا . وَأَمْرُ خَالِدِ بْنِ يَحْيَى أَثْنَيْنِ أَنْ يَكْتُبَا كِتَابًا  
وَاحِدًا فِي مَعْنَى وَاحِدٍ فَأَطَالَ أَحَدُهُمَا وَأَخْصَرَ الْآخَرُ . فَقَالَ لِلْمُخْتَصِرِ  
وَقَدْ قَطَرَ فِي كِتَابِهِ : مَا أَرَى مَوْضِعَ زَيْدٍ . وَقَالَ لِلْمُطِيلِ : مَا

أَرَى مَوْضِعَ نُقْصَانٍ . وَقَالَ غَزْدُهُ : أَلْبَلَاغَةُ الْإِيحَازِ فِي غَيْرِ عَجْزٍ  
وَالْإِطْنَابُ فِي غَيْرِ خَطَلٍ . وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ أَلْكُتُبَ الصَّادِرَةَ عَنْ  
السَّلَاطِينِ فِي الْأُمُورِ الْجَسِيَّةِ وَالْفُتُوحِ الْجَلِيلَةِ وَتَفْخِيمِ الْقِعَمِ الْخَادِمَةِ  
أَوْ التَّرْغِيبِ فِي الطَّاعَةِ وَالتَّنْهِي عَنْ الْمَعْصِيَةِ . سَيَلَهَا أَنْ تَكُونَ  
مُشَبَّعَةً مُسْتَقْصَاةً تَمَلُّ الصُّدُورَ وَتَأْخُذُ بِعِجَامِ الْقُلُوبِ . فَلَا يُطْنَبُ  
بَلَاغَةً وَالتَّطْوِيلُ عِيٌّ . لِأَنَّ التَّطْوِيلَ بِمَنْزِلَةِ سُلُوكِ مَا يَبْعُدُ جَهْلًا بِمَا  
يَقْرُبُ . وَالْإِطْنَابُ بِمَنْزِلَةِ سُلُوكِ طَرِيقٍ بَعِيدٍ تَرَاهُ يَحْتَوِي عَلَى زِيَادَةٍ  
فَائِدَةٍ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : يُخْتَصَرُ الْكِتَابُ لِيُحْفَظَ وَيُبَسِّطَ لِيُفْهَمَ .  
وَقِيلَ لِأَيِّ عَمْرٍو ابْنِ الْعَلَاءِ هَلْ كَانَتْ الْعَرَبُ طَوِيلًا . قَالَ : نَعَمْ  
كَانَتْ طَوِيلًا لِيَسْمَعَ مِنْهَا وَتُوجِزُ لِيُحْفَظَ عَنْهَا . وَالْإِطْنَابُ إِذَا لَمْ يَكُنْ  
مِنْهُ بُدٌّ إِيجَازٌ وَهُوَ فِي الْمَوَاضِعِ خَاصَّةً مَحْمُودٌ كَمَا أَنَّ الْإِيحَازَ فِي  
الْأَنْهَامِ مَحْمُودٌ مَمْدُوحٌ . وَالْمَوْعِظَةُ كَقَوْلِهِ : أَفَإَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ  
يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ . أَوْ أَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ  
بَأْسُنَا نَضْحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا  
الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ . فَتَكْرِيهُ مَا كُرِّرَ مِنَ الْأَلْفَاظِ هَاهُنَا فِي غَايَةِ حُسْنِ  
الْمَوْضِعِ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَتَى يُحْتَاجُ إِلَى الْإِكْتِسَارِ . قَالَ : إِذَا عَظَّمَ  
الْخُطْبُ وَأَنْشَدَ :

صَمُوتٌ إِذَا مَا الدَّهْرُ زَيْنَ أَهْلِهِ      وَفَتَانٌ أَبْكَارَ الْكَلَامِ الْحَبِيرِ  
وَقَالَ آخَرُ :

رَمُونٌ بِالْخُطْبِ الطُّوَالِ وَتَارَةً      وَحَيٌّ أَلْمَلَاظِ خَشْيَةِ الرُّقْبَاءِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا مَا أُنْتَدَى خَاطِبًا لَمْ يُقَلَّ لَهُ أَطْلُ الْقَوْلِ أَوْ قَصِرَ طَيِّبٌ بِدَاءِ قُنُونِ الْكَلَامِ لَمْ يَنْبَغِ يَوْمًا وَلَمْ يَهْدِرْ فَإِنَّهُ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قُضِيَ لِلْمُطِيلِ عَلَى الْمُقْصِرِ وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قُضِيَ لِلْقَلِيلِ عَلَى الْكَثْرِ وَوَجَدَ النَّاسَ إِذَا خَطَبُوا فِي الصُّلْحِ بَيْنَ الْعَشَائِرِ أَطَالُوا . وَإِذَا أُنْشِدُوا الشُّعْرَ بَيْنَ السَّخَاةِ فِي مَدِيحِ الْمُلُوكِ أَطْنَبُوا . وَالْإِطَالَةُ وَالْإِطْنَابُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ إِيجَازٌ . وَقِيلَ لِقَيْسِ بْنِ خَارِجَةَ : مَا عِنْدَكَ فِي حَمَالَاتِ دَاحِسٍ . قَالَ : عِنْدِي قَرَى كُلِّ نَازِلٍ وَرَضَى كُلِّ سَاحِطٍ وَخُطْبَةٌ مِنْ لَدُنِّ مُطَلَعِ الشُّنْسِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ أَمْرُ فِيهَا بِالتَّوَاضُلِ وَأَنْهَى عَنِ التَّقَاطُعِ . قِيلَ لِابْنِ يَعْقُوبَ الْحَرَمِيِّ : هَلَّا أَكُنْتَنِي بِقَوْلِهِ : أَمْرُ فِيهَا بِالتَّوَاضُلِ فَقَالَ : وَأَنْهَى عَنِ التَّقَاطُعِ . قَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْكِتَابَةَ وَالْتَعْرِضَ لَا تَعْمَلُ عَمَلُ الْأَطْنَابِ وَالْكَشِيفِ . وَقَدْ رَأَيْنَا فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ : إِذَا خَاطَبَ الْعَرَبَ وَالْأَعْرَابَ أَخْرَجَ الْكَلَامَ نَحْجَ الْإِشَارَةِ . وَإِذَا خَاطَبَ ابْنَ إِسْرَائِيلَ أَوْ حَكَمَى عَنْهُمْ جَلَّ الْكَلَامُ مَبْسُوطًا . وَقُلْ مَا تَجِدُ قِصَّةَ لَبْنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْقُرْآنِ الْأَطْوَلَةَ ، شَرْوَةً وَمُكَرَّرَةً فِي مَوَاضِعَ مُعَادَةٍ لِبُعْدِ فَهْمِهِمْ وَتَأَخُّرِ مَعْرِفَتِهِمْ . وَكَلَامُ الْفَصَحَاءِ إِنَّمَا هُوَ شَرْبُ الْإِيجَازِ بِالْأَطْنَابِ . وَالْفَصِيحُ الْعَالِي مَا دُونَ ذَلِكَ مِنَ الْقَصْدِ الْمُتَوَسِّطِ يُسْتَدَلُّ بِالْقَصْدِ عَلَى الْعَالِي وَلِيُخْرِجَ السَّامِعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ فَيَزِدَّادَ

نَشَاطُهُ وَتَتَوَقَّرُ رَغْبَتُهُ فَيَتَصَرَّفُوا فِي وُجُوهِ الْكَلَامِ بِإِجَازِهِ وَإِطْلَاقِهِ  
حَتَّى اسْتَعْمَلُوا التَّكْرَارَ لِتَوْكِيدِ الْقَوْلِ لِلْسَّامِعِ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ  
وَفِي فَصِيحِ الشِّعْرِ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ  
ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ .  
قَالَ مُهْلِيلٌ :

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِّبٍ  
فَكَرَّرَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِينَ يَتًا . وَهَكَذَا قَوْلُ الْحَرِثِ  
أَبْنِ عَبَّادٍ :

قَرِيبًا مَرَبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي  
كَرَّرَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ هَذَا لَمَّا كَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَى تَكْرِيرِهَا  
مَاسَّةً وَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِ دَاعِيَةً لِعِظَمِ الْخُطْبِ وَشِدَّةِ مَوْقِعِ الْفَيْعَةِ فَهَذَا  
يَذُكُّكَ عَلَى أَنَّ الْأَطْنَابَ فِي مَوْجِعِهِ عِنْدَهُمْ مُسْتَحْسَنٌ . كَمَا أَنَّ  
الْإِيجَازَ فِي مَكَانِهِ مُسْتَحَبٌّ وَلَا بُدَّ لِلْكَاتِبِ فِي أَكْثَرِ أَنْوَاعِ  
مُكَاتَبَاتِهِ مِنْ شُعْبَةٍ مِنَ الْأَطْنَابِ يَسْتَعْمِلُهَا إِذَا أَرَادَ الْمُرَاجَعَةَ بَيْنَ  
الْفُضْلَيْنِ وَلَا يُعَاقِبُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَذَلِكَ مِثْلُ أَنْ يَكْتُبَ عَظُمَتِ نِعْمَتَا  
عَلَيْهِ وَظَاهَرِ إِحْسَانَاتِهِ لَدَيْهِ فَيَكُونُ الْفَصْلُ الْأَخِيرُ دَاخِلًا فِي مَعْنَاهُ  
فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ وَهُوَ مُسْتَحْسَنٌ لَا يَبْغِيهِ أَحَدٌ . وَلَمَّا أُحِيطَ بِمِرْوَانَ  
قَالَ خَادِمُهُ بَاسِلٌ : مَنْ أَغْفَلَ الْقَلِيلَ حَتَّى يَكْثُرَ وَالصَّغِيرَ حَتَّى يَكْبُرَ  
وَالْخَفِيَ حَتَّى يَظْهَرَ أَعَابَهُ مِثْلُ هَذَا . وَهَذَا كَلَامٌ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ  
وَأَنْ كَانَ مَعْنَى الْفُضْلَيْنِ الْآخِرَيْنِ دَاخِلًا فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ .

وَهَكَذَا قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ :  
 رَبُّ خَفْضٍ تَحْتَ الشَّرَى وَغَاءٌ مِنْ غَنَاءٍ وَنَضْرَةٌ مِنْ شُحُوبٍ  
 وَالْغَنَاءُ دَاخِلٌ فِي الْخَفْضِ وَالْغَنَاءُ دَاخِلٌ فِي الشَّرَى . وَهَذَا يَدُلُّ  
 عَلَى أَنَّ مُنْظَمَ الْمَدَارِ فِي الْبَلَاغَةِ عَلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ لِأَنَّ الْمَعْنَى إِذَا  
 دَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ الدُّخُولِ وَكَانَتْ الْأَلْفَاظُ  
 مُخْتَارَةً حَسَنَ الْكَلَامِ . وَإِذَا كَانَتْ الْمَعْنَى مُرْتَبَةً حَسَنَةً وَالْمَعَارِضُ  
 سَيِّئَةً كَانَ الْكَلَامُ مَرْدُودًا فَأَعْتَمِدَ عَلَى مَا مَثَلَتْهُ لَكَ وَقَسَّ عَلَيْهِ

### البحث الثامن

### في مواقع الاطناب

( من المثل السائر لابن الاثير باختصار ونصرف )

هَذَا النَّوعُ مِنَ الْكَلَامِ أَنْعَمَتْ ظَهَرِي فِيهِ وَفِي التَّكْرِيرِ  
 وَفِي التَّطْوِيلِ فَلَكُنْتِي حَيَّةُ الشَّيْءِ بَيْنَهَا طَوِيلًا . ثُمَّ وَجَدْتُ أَنَّ  
 ضَرْبَ مُفْرَدٍ بِرَأْسِهِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ . لِأَنَّ مِنَ التَّأْكِيدِ مَا  
 يَتَعَلَّقُ بِالتَّغْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ كَمَا مَرَّ وَهَذَا الضَّرْبُ الَّذِي هُوَ الْإِطْنَابُ  
 لَيْسَ كَذَلِكَ . وَرَأَيْتُ عُلَمَاءَ أَلْبَانَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَحَقَّهُ  
 بِالتَّطْوِيلِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْإِيجَازِ وَهُوَ عِنْدَهُ قِسْمٌ غَيْرُهُ فَآخِطًا مِنْ  
 حَيْثُ لَا يَذَرِي كَأَيِّ هِلَالٍ الْعَسْكَرِيَّ وَالْعَاقِبِيَّ حَتَّى آتَاهُ قَالَ :  
 إِنْ كُتِبَ الْفُتُوحُ وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا يَمَّا يَهْرَأُ عَلَى عَوَامِ النَّاسِ يَنْبَغِي  
 أَنْ تَكُونَ مُطَوَّلَةٌ مُطْنَبًا فِيهَا . وَهَذَا الْقَوْلُ قَائِدٌ لِأَنَّهُ إِنْ عَنَى

بِذَلِكَ أَنَّهَا تَكُونُ ذَاتَ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ قَدْ اسْتَقْصِي فِيهَا شَرْحُ تِلْكَ  
الْحَادِثَةِ مِنْ فَحْمٍ أَوْ غَيْرِهِ قَدْ كَانَ مُسَلَّمًا . وَإِنْ عَنَى بِذَلِكَ أَنَّهَا  
تَكُونُ مُكَرَّرَةً أَلْغَانِي مُطَوِّهَ الْأَلْفَاظِ قَضَاءً لِإِفْهَامِ الْعَامَّةِ فَهَذَا  
غَيْرُ مُسَلَّمٍ . وَهُوَ يَمَّا لَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ مَنْ عِنْدَهُ أَذْنَى مَعْرِفَةٍ يَعْلَمُ  
الْفَصَاحَةَ وَالْبَلَاغَةَ . وَعَلَى هَذَا فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْكُتُبُ جَمِيعُهَا يَمَّا  
يُقْرَأُ عَلَى عَوَامِ النَّاسِ وَخَوَاصِهِمْ ذَاتَ الْقَاطِ سَهْلَةً مَفْهُومَةً . وَكَذَلِكَ  
الْأَشْعَارُ وَالْخُطَبُ وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَارْتَهَنَ بِحُجَّةٍ عَنْ هَذَا  
الْقَرْنِ . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْأَطْنَابَ لَا يَخْتَصُّ بِهِ عَوَامُ النَّاسِ وَإِنَّمَا هُوَ  
لِخَوَاصٍ كَمَا هُوَ لِلْعَوَامِ . وَسَائِرُ حَقِيقَتِهِ وَأَحَقُّ الْقَوْلِ فِيهِ بِمِثْلِ  
تَرْوِيلِ الشُّبْهَةِ الَّتِي خَبَطَ أَرْبَابُ عِلْمِ الْبَيَانِ مِنْ أَجْلِهَا وَقَالُوا أَقْوَالًا  
لَا تُعْرَبُ عَنْ فَائِدَةٍ . وَالَّذِي عِنْدِي فِيهِ : أَنَّهُ إِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْأَسْمَاءِ  
وَأَشْتَقَقْنَاهَا وَجَدْنَا هَذَا الْأَنْمَ مَنَاسِبًا لِسَمَاءِهِ وَهُوَ فِي أَصْلِ اللَّغَةِ  
مَأْخُودٌ (مِنْ أَطْنَبَ فِي الشَّيْءِ) إِذَا بَالَعَ فِيهِ . وَيُقَالُ : أَطْنَبَتِ الرِّيحُ  
إِذَا اسْتَدَّتْ فِي هُبُوبِهَا . وَأَطْنَبَ فِي السَّيْرِ إِذَا اسْتَدَّتْ فِيهِ . وَعَلَى  
هَذَا فَإِنَّ حَمَلَهُ عَلَى مُقْتَضَى سَمَاءِهِ كَانَ مَعْنَاهُ الْمُبَالَغَةُ فِي إِيرَادِ  
أَلْغَانِي . وَهَذَا لَا يَخْتَصُّ بِنَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْ أَنْوَاعِ عِلْمِ الْبَيَانِ وَإِنَّمَا  
يُوجَدُ فِيهَا جَمِيعًا إِذَا مَا مِنْ نَوْعٍ مِنْهَا إِلَّا وَيُمْكِنُ الْمُبَالَغَةُ فِيهِ . وَإِذَا  
كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ يُفْرَدَ هَذَا النَّوعُ مِنْ بَيْنِهَا وَلَا يُعْتَقَدُ  
إِفْرَادُهُ إِلَّا بِذِكْرِ حَدِّهِ الدَّلَالَةِ عَلَى حَقِيقَتِهِ . وَالَّذِي يُحَدِّثُ بِهِ أَنْ  
يُقَالُ : هُوَ زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَى أَلْغَانِي لِفَائِدَةٍ فَهَذَا حَدُّهُ الَّذِي عِنْدَهُ

عَنِ التَّطْوِيلِ إِذَا التَّطْوِيلُ هُوَ زِيَادَةُ اللفظِ عَنِ الْمَعْنَى لَعَلَّهَا فَائِدَةٌ .  
وَأَمَّا التَّكْرِيرُ فَاتِّفَاقُ الدَّلَالَةِ اللفظِ عَلَى الْمَعْنَى مُرَدِّدًا كَقَوْلِكَ لَنْ  
تَسْتَعِينِي : أَسْرِعْ أَسْرِعْ . فَإِنَّ الْمَعْنَى مُرَدِّدٌ وَاللفظُ وَاحِدٌ . وَالتَّكْرِيرُ  
جُزْءٌ مِنَ الْإِطْنَابِ وَهُوَ أَخَصُّ مِنْهُ فَيَقَالُ حَيْثُ : إِنْ كُلُّ تَكْرِيرٍ  
يَأْتِي لِفَائِدَةٍ فَهُوَ إِطْنَابٌ وَلَيْسَ كُلُّ إِطْنَابٍ تَكْرِيرًا يَأْتِي لِفَائِدَةٍ .  
وَأَمَّا الَّذِي يَأْتِي مِنَ التَّكْرِيرِ لَعَلَّهَا فَائِدَةٌ فَهُوَ جُزْءٌ مِنَ التَّطْوِيلِ وَهُوَ  
أَخَصُّ مِنْهُ . فَيَقَالُ حَيْثُ : إِنْ كُلُّ تَكْرِيرٍ يَأْتِي لَعَلَّهَا فَائِدَةٌ فَطَوِيلٌ  
وَلَيْسَ كُلُّ طَوِيلٍ تَكْرِيرًا يَأْتِي لَعَلَّهَا فَائِدَةٍ . وَكَتُبْتُ قَدَمْتُ الْقَوْلَ  
فِي بَابِ الْإِيجَازِ بِأَنَّ الْإِيجَازَ هُوَ دَلَالَةُ اللفظِ عَلَى الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ  
زِيَادَةٍ عَلَيْهِ . وَإِذَا تَقَرَّرَتْ هَذِهِ الْحُدُودُ الثَّلَاثَةُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا فَإِنَّ  
مِثَالَ الْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ وَالتَّطْوِيلِ . مِثَالُ مَقْصِدِ يُسَلِّكُ إِلَيْهِ فِي  
ثَلَاثَةِ طُرُقٍ : فَالْإِيجَازُ هُوَ أَقْرَبُ الطَّرِيقِ الثَّلَاثَةِ إِلَيْهِ وَالْإِطْنَابُ  
وَالتَّطْوِيلُ هُمَا الطَّرِيقَانِ الْمُسَاوَيْنِ فِي الْبُعْدِ إِلَيْهِ . إِلَّا أَنَّ طَرِيقَ  
الْإِطْنَابِ أَشْتَبِلُ عَلَى مَذْهَبِهِ مِنَ الْمَسَازِهِ لَا يُوجَدُ فِي طَرِيقِ التَّطْوِيلِ  
وَالْإِطْنَابِ يُوجَدُ تَارَةً فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكَلَامِ وَيُوجَدُ تَارَةً  
فِي الْجُمْلَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَالَّذِي يُوجَدُ فِي الْجُمْلَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ أَبْلَغُ لِاتِّسَاعِ  
الْجَمَالِ . وَعَلَى هَذَا فَاتِّفَاقُهُ بِجُمَاةٍ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : ( الْقِسْمُ الْأَوَّلُ )  
الَّذِي يُوجَدُ فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكَلَامِ وَهُوَ يَزِدُّ حَقِيقَةً وَجَوَازًا .  
أَمَّا ( الْحَقِيقَةُ ) فَمِثْلُ قَوْلِهِمْ : رَأَيْتُهُ سَيِّئًا وَمَبْضُتُهُ بِيَدِي وَطِئْتُ  
بِقَدَمِي وَذُقْتُهُ بِفَمِي . وَكُلُّ هَذَا يَطْنُ الطَّنَّ أَنَّهُ زِيَادَةٌ لَا حَاجَةَ



إِلَيْهَا وَيَقُولُ : إِنَّ الرُّوْيَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْعَيْنِ وَالْقَبْضَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْيَدِ وَالْوَطْءَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْقَدَمِ وَالذَّوْقَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللِّسَانِ .  
وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بَلْ هَذَا يُقَالُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَنْظُمُ مِثْلَهُ وَيَعْرِزُ  
الْوُضُوءُ إِلَيْهِ فَيُؤَكِّدُ الْأَمْرَ فِيهِ عَلَى هَذَا أَلَوْجِهِ دَلَالَةٌ عَلَى نَيْلِهِ  
وَالْحَصُولِ عَلَيْهِ . وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْهُ ( عَلَى سَبِيلِ الْجَزَائِزِ ) فَقَوْلُهُ : فَإِنَّمَا  
لَا تَعْنِي الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْنِي الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ . فَقَادِئَةٌ  
ذَكَرَ الصُّدُورَ هَهُنَا أَنَّهُ قَدْ تُعْرَفُ وَعِلْمُ أَنَّ الْعَيْنَ عَلَى الْحَقِيقَةِ  
مَكَائِهِ الْأَبْصَرُ وَهُوَ أَنَّ تُصَابَ الْحَقِيقَةِ بِمَا يَطْمِسُ نُورَهَا . وَأَسْتَعْمَالُهُ  
فِي الْقَلْبِ تَشْبِيهُ وَمِثْلٌ فَلَمَّا أُريدَ اثْبَاتُ مَا هُوَ خِلَافُ الْمُتَعَارَفِ  
مِنْ نِسْبَةِ الْعَيْنِ إِلَى الْقُلُوبِ حَقِيقَةً وَتَقْبِيهِ عَنِ الْأَبْصَارِ أَيْضًا هَذَا  
الْأَمْرُ إِلَى زِيَادَةِ تَصَوُّرٍ وَتَعْرِيفٍ لِيَتَقَرَّرَ أَنَّ مَكَانَ الْعَيْنِ إِنَّمَا هُوَ  
الْقُلُوبُ لَا الْأَبْصَارُ . وَهَذَا مَوْضِعٌ مِنْ عِلْمِ الْيَكْيَانِ كَثِيرَةٌ مُحَاسِنَةٌ  
وَإِفْرَةٌ لَطَائِفُهُ وَالْجَزَائِزُ فِيهِ أَحْسَنُ مِنَ الْحَقِيقَةِ لِمَكَانِ زِيَادَةِ التَّصَوُّرِ  
فِي اثْبَاتِ وَضْعِ الْحَقِيقَةِ لِلْجَزَائِزِ وَتَقْبِيهِ عَنِ الْحَقِيقَةِ . ( وَهَذَا  
الْقِسْمُ الثَّانِي ) اَلْمُتَخَصُّ بِالْجَمَلِ فَإِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَى صُرُوبٍ أَرْبَعَةٍ :  
( الْأَوَّلُ ) مِنْهَا أَنْ يُذَكَّرَ الشَّيْءُ : فَيُوقَى فِيهِ بِعَيْنٍ مُتَدَاخِلَةٍ . إِلَّا  
أَنَّ كُلَّ مَعْنَى يُخْتَصُّ بِمُجْصِيصَةٍ لَيْسَتْ لِلْآخِرِ . وَذَلِكَ كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :  
قَطَعَتْ لِي الزَّابِئِينَ هَبَاتُهُ      وَالثَّالِثُ مَا مَوْرُ السَّحَابِ الْمُسْبِلِ  
مِنْ مَنَّةٍ مَشْهُورَةٍ وَصَنِيعَةٍ      يَكْرُ وَاحْسَانٍ أَغْرَ مُجْجَلِ  
قَوْلُهُ : ( مَنَّةٍ مَشْهُورَةٍ وَصَنِيعَةٍ يَكْرُ وَاحْسَانٍ أَغْرَ مُجْجَلِ )

تَدَاخَلَتْ مَعَانِيهِ إِذِ الْمِنَّةُ وَالصَّنِيعَةُ وَالْإِحْسَانُ مُتَقَارِبٌ مَعُهُ مِنْ  
بَعْضٍ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِتَكْرِيرٍ لِأَنَّهُ لَوْ أَقْتَصَرَ عَلَى قَوْلِهِ : مِنْهُ وَصْنِيعَةٌ  
وَرِاحَانٍ لَجَازَ أَنْ يَكُونَ تَكْرِيرًا . وَلَكِنَّهُ وَصَفَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ  
هَذِهِ الثَّلَاثِ بِصِفَةٍ أَخْرَجَتْهَا عَنْ حُكْمِ التَّكْرِيرِ فَقَالَ : ( وَنَّةٌ  
مَشْهُودَةٌ ) فَوَصَفَهَا بِالْإِسْتِثَارِ لِعَظَمِ شَأْنِهَا . ( وَصْنِيعَةٌ بِكْرٌ ) فَوَصَفَهَا  
بِالْبَكَارَةِ أَيْ أَنَّهَا لَمْ يُولَدْ يَمْثِلُهَا مِنْ قَبْلُ . ( وَرِاحَانٌ أَغْرٌ مُجَلِّ )  
فَوَصَفَهُ بِالْعُرَّةِ وَالشَّحِيلِ أَيْ هُوَ ذُو مُحَاسِنٍ مُتَعَدِّدَةٍ . فَلَمَّا وَصَفَ  
هَذِهِ الْمَعَانِيَ التَّمَاخُلَةَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى تَبَيُّنِ وَاحِدٍ بِأَوْصَافٍ مُتَبَايِنَةٍ  
صَارَ ذَلِكَ إِطْبَاقًا وَلَمْ يَكُنْ تَكْرِيرًا . وَلَمْ أَجِدْ فِي ضُرُوبِ الْأَطْيَابِ  
أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ وَلَا الْطَفِّ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ أَبُو تَامٍ فِي  
شِعْرِهِ كَثِيرًا بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَقَوْلِهِ :

دَعَايِي سَجَايَاهُ تُضِيفُ ضِيؤُهُ وَيَرْجِي مَرْجِيهِ وَيَسْأَلُ سَأَلَهُ  
فَإِنْ غَرَضُهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ الْمُنْدُوحِ بِالْكَرَمِ  
وَكَثْرَةِ الْعَطَاءِ إِلَّا أَنَّهُ وَصَفَهُ بِصِفَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فَجَعَلَ ضِيؤُهُ تُضِيفُ  
وَرَاجِيَهُ يَرْجِي وَسَأَلَهُ يُسْأَلُ . وَلَيْسَ هَذَا تَكْرِيرًا لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ  
يَكُونَ ضِيؤُهُ تُضِيفُ أَنْ يَكُونَ رَاجِيَهُ مَرْجُوًّا وَلَا أَنْ يَكُونَ سَأَلُهُ  
مَسْئُولًا لِأَنَّ ضِيْفَهُ يَسْتَضِيبُ ضَيْفًا طَمَعًا فِي كَرَمٍ مُضِيفِهِ وَسَأَلُهُ يُسْأَلُ  
أَنْ يُعْطِيَ السَّائِلَ عَطَاءً كَثِيرًا يَصِيرُ بِهِ مُعْطِيًا وَرَاجِيَهُ يَرْجِي أَيْ أَنَّهُ  
إِذَا تَعَلَّقَ بِهِ رَجَاءٌ رَاجٍ فَقَدْ آيَقَنَ بِالْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ فَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ  
يَرْجِي لِمَكَانِ رَجَاءِهِ إِيَّاهُ . وَهَذَا أَلْبَغُ الْأَوْصَافِ الثَّلَاثَةِ . ( الضَّرْبُ

الثَّانِي) يُسَمَّى الثَّقِي وَالْإِثْبَاتَ وَهُوَ أَنْ يُذْكَرَ الشَّيْءُ عَلَى سَبِيلِ  
الثَّقِي ثُمَّ يُذْكَرَ عَلَى سَبِيلِ الْإِثْبَاتِ أَوْ بِالْعَكْسِ . وَلَا بُدَّ أَنْ  
يَكُونَ فِي أَحَدِهِمَا زِيَادَةٌ لَيْسَتْ فِي الْآخَرِ وَالْأَكْثَرُ تَكْرِيرًا .  
وَالْفَرْضُ بِهِ تَأْكِيدُ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ . فَمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ :  
لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ  
وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ . إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ . وَعَلِمَ أَنَّ  
لِهَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْإِطْلَابِ فَائِدَةً كَثِيرَةً وَهُوَ أَوْكَدُ وَجْهِهِ إِلَّا  
تَرَى أَنَّهُ قَالَ : لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ  
يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ . ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . وَالْمَعْنَى فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ . إِلَّا أَنَّهُ زَادَ فِي الثَّانِيَةِ  
قَوْلَهُ : وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ . وَلَوْلَا هَذِهِ  
الزِّيَادَةُ لَكَانَ حُكْمُ هَذَيْنِ الْقَوَائِنِ حُكْمَ التَّكْرِيرِ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ  
يَنْبَغِي أَنْ يُتَأَمَّلَ وَيَتَعَمَّقَ النَّظَرُ فِيهِ . (الضَّرْبُ الثَّلَاثُ) هُوَ أَنْ  
يُذْكَرَ الْمَعْنَى الْوَاحِدُ تَامًّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةٍ ثُمَّ يُضْرَبَ لَهُ مِثَالٌ  
مِنَ الشَّيْءِ . كَقَوْلِ الْبُخَّارِيِّ :

تَرَدَّدَ فِي خُلُقِي سُودِدٌ سَلَامًا مُرَحًى وَبَأْسًا مَهِيًا  
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتُهُ صَارِحًا وَكَالنَّجْرِ إِنْ جِئْتُهُ مُسْتَسْتَبًا  
فَالَيْتُ الثَّانِي يَدُلُّ عَلَى الْأَوَّلِ لِأَنَّ النَّجَرَ وَالسَيْفَ لِلْبَأْسِ  
الْمَهِيَةِ إِلَّا أَنَّ فِي الثَّانِي زِيَادَةَ الشَّيْءِ الَّتِي تُفِيدُ تَحْيِيلًا وَتَصْوِيرًا .

( الضَرْبُ الرَّابِعُ ) أَنْ يَسْتَوْفِيَ مَعَانِي الْغُرُضِ الْقَصُودِ مِنْ كِتَابٍ  
 أَوْ خُطْبَةٍ أَوْ قَصِيدَةٍ . وَهَذَا أَضْعَبُ الْأَضْرُوبِ الْأَرْبَعَةِ طَرِيقًا أَوْ  
 أَضْيَقُهَا بَابًا لِأَنَّهُ يَتَفَرَّغُ إِلَى آسَالِيْبٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْمَعَانِي وَارْتِبَابِ  
 النَّظْمِ وَالنَثْرِ يَتَفَاوَتُونَ فِيهِ وَلَيْسَ الْخَطَرُ الَّذِي يَقْذِفُ بِالذَّرَرِ فِي  
 مِثْلِهِ إِلَّا مَعْدُومُ الْوُجُودِ وَمِثَالُهُ الْإِيجَازُ مِثَالُ مُجْمَلٍ وَمُفَصَّلٍ .  
 وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْإِيجَازَ وَالْإِطْنَابَ وَالَّتَطْوِيلَ بِمَنْزِلَةِ مَقْصَدٍ  
 يُنْسَلَكُ إِلَيْهِ بِثَلَاثَةِ طُرُقٍ : وَقَدْ أَوْرَدْتُ هَهُنَا مِثَالًا لِهَذِهِ الْأَسَالِيْبِ  
 الثَّلَاثَةِ وَجَعَلْتُهَا عَلَى هَيْئَةِ الْقَصْدِ الَّذِي تُنْسَلَكُ إِلَيْهِ الطُّرُقُ الثَّلَاثَةُ ...  
 فَأَقُولُ : قَدْ وَرَدَ فِي بَابِ الْإِيجَازِ كِتَابُ كُتُبِ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ  
 إِلَى الْمُؤْمِنِينَ يُخْبِرُهُ بِزِيَارَةِ عِيْسَى بْنِ مَاهَانَ وَقَتْلِهِ إِيَّاهُ وَهُوَ : كِتَابِي  
 إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأْسِ عِيْسَى بْنِ مَاهَانَ بَيْنَ يَدَيَّ وَخَاتَمُهُ فِي يَدَيَّ  
 وَعَسْكَرُهُ مُضَرَّفٌ تَحْتَ أَمْرِي وَالسَّلَامُ . وَهَذَا كِتَابٌ جَامِعٌ لِلْمَعْنَى  
 شَدِيدُ الْإِخْتِصَارِ . وَإِذَا كُتِبَ مَا هُوَ مَعْنَاهُ عَلَى وَجْهِ الْإِطْنَابِ قِيلَ  
 فِيهِ مَا أَذْكُرُهُ وَهُوَ مَا أَنْشَأْتُهُ مِثَالًا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِيُعْلَمَ بِهِ  
 الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ وَهُوَ : أَصْدَرَ كِتَابَهُ هَذَا وَقَدْ نُصِرَ  
 بِالْفِتْنَةِ الْقَلِيلَةِ عَلَى الْفِتْنَةِ الْكَثِيرَةِ وَأَنْقَلَبَ بِالْيَدِ الْمَلَأَى وَالْعَيْنِ  
 الْقَرِيرَةِ وَكَانَ أَنْبَصَارُهُ بِجِدِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَا بِجِدِّ قَضِيهِ وَالْجِدُّ اغْتَنَى  
 مِنَ الْحَيْشِ . وَإِنْ كَثُرَتْ أَمْدَادُ خَيْلِهِ وَرَجُلِهِ وَجِيءَ بِرَأْسِ عِيْسَى بْنِ  
 مَاهَانَ وَهُوَ عَلَى جَسَدٍ غَيْرِ جَسَدِهِ وَلَيْسَ لَهُ قَدَمٌ فَيَقَالُ إِنَّهُ يَسْعَى  
 بِقَدَمِهِ . وَلَا يَدٌ فَيَقَالُ إِنَّهُ يَبْطِشُ بِيَدِهِ . وَلَقَدْ طَالَ وَطُولُهُ

مَوْذُنٌ يَقْصِرُ شَأْنُهُ وَحَسَدَتِ الضَّيَاعُ الطَّيْرَ عَلَى مَكَانِهَا مِنْهُ وَهُوَ غَيْرُ  
مَحْسُودٍ عَلَى مَكَانِهِ . وَأَحْضَرَ خَاتَمَهُ وَهُوَ لَخَاتَمُ الَّذِي كَانَ الْأَمْرُ يُجْرِي  
عَلَى نَفْسِ اسْطُرُو . وَكَانَ يَرْجُو أَنْ يُصَدِّرَ كِتَابَ الْقَنْعِ بِجَنْبِهِ فَحَالَ وَرُودُ  
أَلْيَةِ ذَنْ مَصْدَرِهِ . وَكَذَلِكَ الْبَغْيُ رَمَتْهُ وَيَلُّهُ . وَضَرَعَهُ جَلِيلٌ  
وَسَيْفُهُ وَإِنْ مَضَى فَإِنَّهُ عِنْدَ الضَّرْبِ كَلِيلٌ . وَالْعَسَاكِرُ الَّتِي  
كَانَتْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَرَامًا صَارَتْ لَهُ سَلَامًا وَأَعْطَتْهُ الْبَيْعَةُ عِلْمًا  
بِفَضْلِهِ وَلَيْسَ مَنْ تَابَعَ تَقْلِيدًا كَمَنْ هُوَ تَابِعٌ عِلْمًا . وَهُمْ الْآنَ مَصْرُفُونَ  
تَحْتَ الْأَوَامِرِ مُتَحَنِّنُونَ بِكُشْفِ السَّرَائِرِ طَبِيعُونَ بِاللَّوَاءِ الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ  
بِاسْتِفْتَاكِ الْقُلُودِ وَاسْتِيطَاعِ الْخَبَائِرِ وَعَلَى اللَّهِ إِيْقَامُ النِّعَمِ الَّتِي أَفْتَحَهَا وَاجَابَةُ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُقَرَّرَاتِهِ الَّتِي أَفْتَرَحَهَا وَالسَّلَامُ . وَهَذَا الْكِتَابُ  
يَشْتَمِلُ عَلَى مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ مِنَ الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ  
فَصَّلَ ذَلِكَ الْإِحْجَالَ . وَلَوْ كَتَبْتُ عَلَى وَجْهِ التَّطْوِيلِ الَّذِي لَا فَايِدَةَ فِيهِ  
أَقِيلُ : أَصْدَرَ كِتَابَهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا وَأَلْقَى عَسْكَرَ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ وَعَسْكَرَ عَدُوِّ الْبَلْغِيِّ . وَطَاعَنَ الْقَرِيْقَانِ وَتَرَكَفَ الْجَمْعَانِ .  
وَجَمِيَ الْقِتَالُ وَأَشْدَّتْ الْوَرَالُ . وَتَرَادَفَتِ الْكُتَابُ وَتَلَاخَقَتِ الْقَائِبُ .  
وَقُتِلَ عَيْسَى بْنُ مَاهَانَ وَلَحِقَتْ رَأْسُهُ وَتُرِعَ لَخَاتَمُ مِنْ يَدِهِ وَخُلِعَ وَرُكَّ  
جَسَدُهُ طَعَامًا لِلطُّيُورِ وَالسَّبَاعِ وَالذِّئَابِ وَالضَّبَاعِ . وَأَجْلَلَتِ الْوَقْعَةُ عَنْ  
غَلَبِ الْحَلِيقَةِ وَضَرِهِ وَخَذْلَانِ عَدُوِّهِ وَقَهْرِهِ وَالسَّلَامُ . فَهَذَا الْكِتَابُ  
يَشْتَمِلُ عَلَى تَطْوِيلٍ لَا فَايِدَةَ فِيهِ لِأَنَّهُ كَرَّرَ فِيهِ مَا يَتِمُّ الْفَرْضُ بِدُونِهَا .  
فَأَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْكُتُبِ الثَّلَاثَةِ وَتَأَمَّلْهَا وَقَسِّمْهَا مَا يَأْتِي مِنْهَا

# الفصل السابع

في البديع

البحث الاول

في حقيقة علم البديع

( عن ابن حابر الاندلسي والحاج خلفا )

( راجع صفحة ٦٦ من علم الادب )

الْبَدِيعُ مَاخُوذٌ مِنْ بَدَعِ الشَّيْءِ يَدْعُهُ بَدْعًا إِذَا أَنْشَأَهُ وَبَدَأَهُ .  
وَيُقَالُ أَتَبَدَعَ الشَّيْءُ إِذَا اخْتَرَعَهُ مِنْ غَيْرِ مِثَالِهِ . وَالْبَدِيعُ يُطْلَقُ  
إِذَا مَعَانٍ يُقَالُ هَذَا بَدِيعٌ أَيْ مُخَدَّثٌ عَجِيبٌ فَيَكُونُ فِي صِغَةِ  
الْمَفْعُولِ وَيَكُونُ أَيْضًا مِنْ صِغَةِ الْفَاعِلِ . وَمِنْهُ الْبَدِيعُ فِي كَلَامِ اللَّهِ  
تَعَالَى لِإِبْدَاعِهِ أَشْيَاءَ وَاحِدَاتٍ أَيْهَا مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ . وَالْبَدِيعُ أَيْضًا  
أَجْدِيدٌ يُقَالُ : سِقَاءُ بَدِيعٌ وَحَبْلٌ بَدِيعٌ أَيْ جَدِيدَانِ . وَيُقَالُ : أَبَدَعَ  
الشَّاعِرُ إِذَا صَنَعَ الْبَدِيعَ فِي شِعْرِهِ . وَأَمَّا الْبَدِيعُ أَصْطِلَاحًا فَهُوَ عِلْمٌ  
يَعْرِفُ بِهِ وُجُوهَ تَحْسِينِ الْكَلَامِ الْمَطَابِقِ لِقُضَى لُحَالِ الْمَعْلُومَةِ  
كَيْفِيَّةَ طَرِيقِهِ فِي الدَّلَالَةِ وَضُومًا وَخَفَاءً . وَقَوْلُهُ : ( عِلْمٌ ) جَنْسٌ دَخَلَ  
تَحْتَهُ كُلُّ عِلْمٍ . وَقَوْلُهُ : ( يَعْرِفُ بِهِ وَجُوهَ تَحْسِينِ الْكَلَامِ ) فَضْلٌ  
أَخْرَجَ بِهِ الْعُلُومَ كُلَّهَا مَا عَدَا عِلْمَ أَلْمَعَانِيِّ وَالْيَكْنِ وَمَا تَرَكَّبَ مِنْهَا  
لَأَنَّ غَيْرَهُمَا مِنَ الْعُلُومِ لَا يَعْرِفُ بِهِ وَجُوهَ تَحْسِينِ الْكَلَامِ . وَقَوْلُهُ :

(الطابقُ الْمُتَقَضَى الْحَالِ) فَضْلٌ أَخْرَجَ بِهِ الْعِلْمَ بِوُجُوهِ تَحْسِينِ  
 الْكَلَامِ الَّذِي لَمْ يُطَاقِ مُتَقَضَى الْحَالِ فَإِنَّ هَذَا لَا يُنْسَى بَدِيعًا .  
 وَقَوْلُهُ: (الْمَعْلُومَةُ كَيْفِيَّةٌ طَرِيقُهُ إِلَى آخِرِهِ) فَضْلٌ أَخْرَجَ بِهِ الْعِلْمَ بِوُجُوهِ  
 تَحْسِينِ الْكَلَامِ الَّذِي يُطَاقِ مُتَقَضَى الْحَالِ وَلَمْ يَذْكُرْ كَيْفِيَّاتِ  
 طَرِيقِ دَلَالَتِهِ فَإِنَّ هَذَا لَا يُنْسَى بَدِيعًا . فَحَصَلَ مِنْ هَذَا الْحَدِّ أَنَّ  
 الْعِلْمَ بِوُجُوهِ تَحْسِينِ الْكَلَامِ لَا يُنْسَى بَدِيعًا إِلَّا بِشَرَطَيْنِ : أَنْ  
 يَكُونَ ذَلِكَ الْكَلَامُ مُطَابِقًا لِمُقْتَضَى الْحَالِ . وَأَنْ تَكُونَ كَيْفِيَّاتُ  
 طَرِيقِ دَلَالَتِهِ مَعْتُومَةً الْوُضُوحِ وَالْخَفَاءِ . فَالْشَّرْطُ الْأَوَّلُ هُوَ عِلْمُ الْمَعَانِي .  
 وَالشَّرْطُ الثَّانِي هُوَ عِلْمُ الْإِيكَانِ فَإِنَّ عَدَمَ الشَّرْطَانِ أَوْ أَحَدَهُمَا مِنْ  
 الْكَلَامِ لَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِوُجُوهِ تَحْسِينِ ذَلِكَ الْكَلَامِ بَدِيعًا . أَمَّا  
 (مَرْتَبَةٌ) هَذَا الْعِلْمِ فَبَعْدَ مَرْتَبَةِ عِلْمِ الْمَعَانِي وَالْإِيكَانِ حَتَّى إِنْ  
 بَعْضُهُمْ لَمْ يَجْعَلْهُ طَبَعًا عَلَى حِدَةٍ فَتَأَمَّلْ . وَظَهَرَ مِنْ هَذَا، وَضُوعُهُ  
 وَغَرَضُهُ وَغَايَتُهُ . وَأَمَّا مَنْفَعَتُهُ فَلِظْهَارِ رَوْتِ الْكَلَامِ حَتَّى يُلْجَ  
 الْأَذُنَ بِغَيْرِ أَدَى وَيَتَعَلَّقَ بِالْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَأَتَمَّا دَوَّنُوا هَذَا الْعِلْمَ  
 لِأَنَّ الْأَصْلَ وَإِنْ كَانَ الْحُسْنُ الدَّائِيَّ وَكَانَ الْمَعَانِي وَالْإِيكَانِ مِمَّا  
 يَكْفِي فِي تَحْصِيلِهِ لِكِنَّهُمْ ائْتَمَّنُوا بِشَأْنِ الْحُسْنِ الْعَرَضِيِّ أَيْضًا لِأَنَّ  
 الْحُسْنَ إِذَا عَرِيَ مِنَ الْمَوْتِنَاتِ رُبَّمَا يَذْهَلُ بَعْضُ أَتْقَاصِرِينَ عَنْ تَابِعِ  
 مُحَاسِنِهِ فَيَقُوتُ التَّسَعُّ بِهِ

## البحث الثاني

### في ان البديع احد علوم الادب الستة

( عن بديعة المبيان )

وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا ظَنَرْتَ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ إِمَّا أَنْ تَبْحَثَ  
عَنِ الْمَعْنَى الَّتِي وَضَعَ لَهُ اللَّفْظَ وَهُوَ عِلْمُ أَلْفَعَةٍ . وَإِمَّا أَنْ تَبْحَثَ  
عَنْ دَاتِ اللَّفْظِ بِحَسَبِ مَا يَعْتَرِيهِ مِنَ الْخُذْفِ وَالْقَلْبِ وَالْبَدَلِ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ وَهُوَ عِلْمُ التَّصْرِيفِ . وَإِمَّا أَنْ تَبْحَثَ عَنِ الْمَعْنَى الَّتِي يُفْهَمُ  
مِنْ الْكَلَامِ الْمُرَكَّبِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ وَهُوَ عِلْمُ  
الْعَرِيَّةِ . وَإِمَّا أَنْ تَبْحَثَ عَنْ مُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ بِحَسَبِ  
الْوَضْعِ الْأَعْرُوبِيِّ وَهُوَ عِلْمُ الْمَعَانِي . وَإِمَّا أَنْ تَبْحَثَ عَنْ طُرُقِ دَلَالَةِ  
الْكَلَامِ أَيْضًا وَخَفَاءَ بِحَسَبِ الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَهُوَ عِلْمُ أَلْيَانِ .  
وَإِمَّا أَنْ تَبْحَثَ عَنْ وَجْهِ تَحْسِينِ الْكَلَامِ وَهُوَ عِلْمُ الْبَدِيعِ . فَالْعُلُومُ  
الثَّلَاثَةُ الْأُولَى لَا يُسْتَشْهَدُ عَلَيْهَا إِلَّا بِكَلَامِ الْعَرَبِ ظَنًّا وَنَثَرًا .  
لِأَنَّ الْمَعْتَبَرَ فِيهَا أَلْفَاظُهُ . وَالْعُلُومُ الثَّلَاثَةُ الْآخِرَةُ يُسْتَشْهَدُ عَلَيْهَا  
بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤَلِّدِينَ لِأَنَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى الْمَعْنَى وَلَا  
فَرْقَ فِيهَا فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْمُؤَلِّدِينَ إِذْ هُوَ أَمْرٌ رَاجِعٌ إِلَى  
الْعَقْلِ وَلِذَلِكَ قِيلَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْقَرْنِ الْأَسْتِشْهَادُ بِكَلَامِ النَّجَاشِيِّ  
وَأَيِّ نَعَامٍ وَأَيِّ الطَّيِّبِ وَأَيِّ الْعَلَاءِ وَهَلَمْ جَرًّا . ( وَهَذَا تَنْبِيْهُ )  
وَهُوَ أَنَّ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ فِي الْكَلَامِ كَالْعِلْمِ فِي الطَّعَامِ وَالْحَالِ



فِي الْوَجَنَاتِ وَالشَّيَةِ فِي الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَاتِ . وَإِذَا كُنَّ الْمَطْعُ فِي  
الطَّعَامِ وَالْخَيْلَانُ فِي الْحَدِّ وَالشَّيَةِ فِي الْخَيْلِ فَفُجَّ ذَلِكَ وَخَرَجَ عَنْ  
بَابِ الْإِسْتِحْسَانِ فَكَذَلِكَ الْبَدِيعُ إِذَا كَثُرَ وَتَكَثَّفَ تَجِبَةُ الطَّبَاعِ  
وَأَمَّا يُسْتَحْسَنُ إِذَا وَقَعَ فِي الْكَلَامِ سَهْلًا عَلَى الطَّبَاعِ مُسْتَعْدَبًا  
فِي الْأَسْمَاعِ عَارِيًا مِنْ التَّكَلُّفِ الَّذِي يَذْهَبُ بِالْحُسْنِ وَإِقَاعًا مَوْقِعًا  
الزَّهْرَ مِنَ الْعُصْنِ فَإِذَا فَرَطَ فِي الزِّيَادَةِ خَاطَبَتُهُ الطَّبَاعُ :  
لَوْ أَخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُكُمْ وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ

### البحث الثالث

## في نسبة علم البديع الى علمي المعاني والبيان

( من شرح بديعة البيان ايضاً )

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَا قَرَّرْتَاهُ مِنْ أَنَّ عِلْمَ الْمَعَانِي وَالْيَاسَانَ دَاخِلَانِ فِي حَدِّ  
الْبَدِيعِ عَلِمْتَ أَنَّ نِسْبَتَهُ إِلَيْهَا نِسْبَةُ الْمَرْكَبِ إِلَى مُفْرَدَاتِهِ إِذْ لَا يَدْخُلُ  
فِي الْحَدِّ إِلَّا مَا هُوَ مِنْ مُفْرَدَاتِ التَّحْدِيدِ الَّتِي تَرْكَبُ مِنْهَا . فَكَمَا أَنَّ  
الْمَرْكَبَ لَا يَسْتَقِيمُ وَجُودُهُ إِلَّا بِوُجُودِ مُفْرَدَاتِهِ كَذَلِكَ الْبَدِيعُ لَا يَسْتَقِيمُ  
إِلَّا بِوُجُودِ الْمَعَانِي وَالْيَاسَانَ فَإِذَا عُدِمَ الْمَعَانِي وَالْيَاسَانُ مِنَ الْكَلَامِ عُدِمَ  
الْبَدِيعُ مِنْهُ لِأَنَّ الْمَرْكَبَ يَعْدَمُ بِعَدَمِ مُفْرَدَاتِهِ فَلَوْ وُجِدَ كَلَامٌ خَالٍ مِنْ  
سَابِقَةِ مُقْتَضَى الْحَالِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْمَعَانِي أَوْ مِنَ الْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ طَرُقِ  
الدَّلَالَةِ فِي الظُّهُورِ وَالْخَفَاءِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْيَاسَانِ لَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِوُجُودِهِ  
تَحْسِينِ الْكَلَامِ بَدِيعًا . وَأَعْلَمُ أَنَّ أَعَمَّ هَذِهِ الْقَنُونِ الثَّلَاثَةِ عِلْمُ

الْمَعَانِي وَاصْصَهَا عِلْمُ الْبَدِيعِ لِأَنَّهُ مُتَرَكِّبٌ مِنَ الْقَتْنَيْنِ الْآخَرَيْنِ  
وَزِيَادَةٍ وَالْقَاعِدَةُ أَنَّ الْأَخْصَ يَتَرَكَّبُ مِنَ الْأَعْمِ وَزِيَادَةٍ . وَعِلْمُ  
أَلْيَانٍ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَهُمَا فَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْمَعَانِي مُنْدَرِجٌ تَحْتَ الْبَدِيعِ  
وَكُلُّ بَدِيعٍ مُسْتَلَزِمٌ لِلْمَعَانِي وَالْيَانِ لِأَنَّهُمَا جُزْأَاهُ . وَكُلُّ يَانٍ مُسْتَلَزِمٌ  
لِلْمَعَانِي لِأَنَّهُ جُزْأُهُ وَكَانَتْ الْمَعَانِي مُسْتَلَزِمَةً لِلْيَانِ وَلَا لِلْبَدِيعِ إِذَا  
يُوجَدُ بِدُونِهِمَا وَذَلِكَ مِنْ كَلَامٍ طَائِقٍ مُقْتَضَى الْحَالِ وَلَمْ تُعْلَمْ كَيْفِيَّةُ  
طُرُقِ دَلَالَتِهِ وَلَا رُجُوهُ تَحْسِينِهِ . وَلَا الْيَانُ مُسْتَلَزِمٌ لِلْبَدِيعِ إِذَا يُوجَدُ  
بِدُونِهِ فِي كَلَامٍ طَائِقٍ مُقْتَضَى الْحَالِ وَعُلِمَتْ كَيْفِيَّةُ طُرُقِ دَلَالَتِهِ  
وَرُجُوهُ تَحْسِينِهِ . وَإِذَا عَلِمْتَ مَا قَرَّرْنَاهُ قَالِ الْمَعَانِي وَالْيَانُ بِالنِّسْبَةِ  
إِلَى الْبَدِيعِ كَالْحَيَوَانِ وَالنُّطْقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ فَلَا يُوجَدُ الْبَدِيعُ  
بِدُونِهِمَا كَمَا لَا يُوجَدُ الْإِنْسَانُ بِدُونِ الْحَيَاةِ وَالنُّطْقِ وَالْمَعَانِي بِالنِّسْبَةِ  
إِلَى الْيَانِ كَالْحَيَوَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النُّطْقِ فَسُجِدَ الْمَعَانِي بِمَا يَبَيِّنُ  
كَمَا يُوجَدُ الْحَيَوَانُ بِمَا نَطَقَ . وَلَا يُوجَدُ الْيَانُ بِمَا مَعَانٍ كَمَا لَا يُوجَدُ  
النُّطْقُ بِدُونِ الْحَيَوَانِ . وَهَذَا بَسْطٌ مَا يُوجَدُ فِي بَيَانِ هَذِهِ الْقُنُونِ  
الثَّلَاثَةِ وَآلِهَ اعْلَمْ . وَافْتَرَقُ بَيْنَ الْمَعَانِي وَالْيَانِ أَنَّ الْمَعَانِي رَاجِعَةٌ  
إِلَى مُطَابَقَةِ مُقْتَضَى الْحَالِ فِي الدَّلَالَةِ الْوَضِيعَةِ وَالْيَانُ رَاجِعٌ إِلَى  
مُقْتَضَى الْحَالِ فِي الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ . فَكَمَا أَنَّ الْبَدِيعَ لَا بُدَّ لَهُ فِي  
الْمَعَانِي مِنْ مُطَابَقَةِ مُقْتَضَى الْحَالِ بِاعْتِبَارِ الدَّلَالَةِ الْوَضِيعَةِ . كَذَلِكَ  
فِي الْيَانِ لَا بُدَّ لَهُ أَيْضًا مِنْ مُطَابَقَةِ الْحَالِ بِاعْتِبَارِ الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ  
فَلَوْ قَالَ فِي الْمَعَانِي : ( زَيْدٌ قَائِمٌ ) وَالْحَالُ تَقْضِي ( إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ ) . أَوْ

قَالَ : ( إِنْ زَيْدًا قَائِمٌ ) وَالْحَالُ تَقْضِي ( زَيْدٌ قَائِمٌ ) كَانَ خَطَأً .  
كَذَلِكَ أَيْسَانُ لَوْ قَالَ : ( زَيْدٌ جَوَادٌ ) وَالْحَالُ تَقْضِي ( زَيْدٌ كَثِيرٌ  
الرَّمَادِ ) أَوْ قَالَ : ( زَيْدٌ مُسْكِرٌ الرَّمَادِ ) وَالْحَالُ تَقْضِي ( زَيْدٌ جَوَادٌ )  
كَانَ خَطَأً

## المبحث الرابع

### في اقسام البديع

( عن شرح بديعة العميان )

اعْلَمْ أَنَّ الْبَدِيعِينَ نَصُّوا عَلَى أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِأَيِّنَ :  
بَابِ الْبَلَاغَةِ وَبَابِ الْفَصَاحَةِ . فَمَا كَانَ مِنْهُمَا مُتَعَلِّقًا بِالْمَعْنَى أَوْ بِالْمَعْنَى  
وَاللَّفْظِ مَعًا فَهُوَ مِنْ بَابِ الْبَلَاغَةِ . وَمَا كَانَ مِنْهُمَا مُتَعَلِّقًا بِاللَّفْظِ  
فَقَطُّ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْفَصَاحَةِ . فَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ : قِسْمٌ يَتَعَلَّقُ  
بِالْمَعْنَى فَقَطُّ كَالْتَّوْرِيَّةِ وَتَجَاهِلِ الْعَارِفِ وَمَا جَرَى تَحْوِيلُهُمَا يَمَّا لَا تَعَلُّقَ  
لَهُ بِاللَّفْظِ . وَقِسْمٌ بِاللَّفْظِ فَقَطُّ كَالْتَّجْنِيسِ وَرَدِّ الْعَجْرِ عَلَى الصَّدْرِ  
وَتَحْوِيلُهُمَا يَمَّا لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالْمَعْنَى . وَقِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ وَالْمَعْنَى كَالْمُطَابَقَةِ  
وَالْعُقَابَةِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا يَمَّا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فِيهِ حَظٌّ .  
وَأَسَقَطَ صَاحِبُ الْأَيَّاحِ هَذَا الْقِسْمَ وَجَعَلَ الْبَدِيعَ قِسْمَيْنِ : قِسْمٌ  
يَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ وَقِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْنَى وَهُوَ الْأَيِّنُ



## البحث الخامس

### في تاريخ علم البديع وفي اصحاب البديعيات

( عن كشف الظنون باختصار وتصرف )

اعلم ان قنماء المصنفين كانوا يذكرون هذا الفن في آخر علم البيان . الا ان المتأخرين زادوا عليه شيئا كثيرا ونظموا فيه قصائد و ألفوا كتباً . ومن الكتب المختصة بعلم البديع كتاب لابي العباس عبد الله بن المعتز العلبي المتوفى سنة ٢٩٦ هـ ( ٩٠٩ م ) وهو اول من صنف فيه . وكان جملة ما جمع منها سبعة عشر نوعاً آلفه سنة ٢٧٤ هـ ( ٨٨٧ م ) . وعاصره قدامة بن جعفر الكاتب فجمع منها عشرين نوعاً توارده معه على سبعة منها فتكامل لهما ثلاثون نوعاً ويعرف كتابه بنقد الشعر . اما السكاكي فلم يذكر من انواع البديع سوى تسعة وعشرين نوعاً . ثم اقتدى الناس بقداية وابن المعتز فكان غاية ما جمع منها ابو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ( ١٠٠٥ م ) سبعة وثلاثين نوعاً ويعرف كتابه بكتاب الصناعتين . ثم جمع فيها ابن الرشيقي القيراني المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٣ م ) في العندة مثلها و اضاف اليها خمسة وستين باباً في احوال الشعر واغراضه . وتلاهما شرف الدين التيفاني فبلغ بها السبعين . ثم تصدى لها الشيخ رصي الدين بن ابي الاضبع فأوصلها الى التسعين و اضاف اليها من مستخرجات ثلاثين سلماً له منها عشرون . وأجرى تلك الانواع في الآيات القرآنية

وَسَمَاهُ التَّخْرِيعَ وَهُوَ أَصَحُّ كِتَابٍ صُتِفَ فِيهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَّكِلْ عَلَى التَّنْقُلِ  
 ذُونَ التَّنْقِدِ . وَذَكَرَ أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى أَرْبَعِينَ كِتَابًا فِي هَذَا الْعِلْمِ  
 وَالْبَدِيعِيَّاتِ الْمَشْتَرَكَةِ هِيَ بَدِيعَةُ الشَّيْخِ الْأَدِيبِ صَفِيِّ الدِّينِ الْحَلِيِّ  
 سَمَاهَا كَافِيَةُ الْبَدِيعِيَّةِ وَشَرَحَهَا شَرْحًا حَسَنًا . هَذَا حَدُّوهُ الشَّيْخُ عَبْدُ  
 الرَّحْمَنِ الْحَمِيدِيُّ . وَبَدِيعَةُ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ الرَّغْبِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ  
 ٥٧٧٩ ( ١٣٧٧ م ) وَهَذِهِ الْبَدِيعِيَّةُ تُعْرَفُ بِبَدِيعَةِ الْعُمَيَّانِ . وَبَدِيعَةُ  
 الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرِ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمُتَوَفَّى  
 سَنَةَ ٥٧٨٠ ( ١٣٧٨ م ) وَبَدِيعَةُ الشَّيْخِ عَزِّ الدِّينِ الْمُؤَصِّلِيِّ وَوَجِيهِ  
 الدِّينِ أَلِيَمِيِّ الْمُتَوَفَّى فِي حُدُودِ سَنَةِ ٥٨٠٠ ( ١٣٩٨ م ) وَبَدِيعَةُ  
 الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ حِجَّةِ الْحَمَوِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٨٣٧ ( ١٢٣٣ م )  
 وَسَمَاهَا التَّقْدِيمُ تَشْتَمِلُ عَلَى مِثَّةٍ وَسِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ نَوْعًا ثُمَّ شَرَحَهَا شَرْحًا  
 مُفِيدًا وَهُوَ مُجْدُوعٌ أَدَبٍ قَلٌّ أَنْ يُوجَدَ فِي غَيْرِهِ . وَبَدِيعَةُ الشَّيْخِ جَلَّالِ  
 الدِّينِ السُّيُوطِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩١١ هـ ( ١٥٠٠ م ) وَتُسَمَّى ظَمَّ  
 الْبَدِيعِ ثُمَّ شَرَحَهَا . وَبَدِيعَةُ الْغَاضِلَةِ عَائِشَةَ الْبَاغُوتِيَّةُ ظَمَّتْهَا عَلَى  
 مِثَالِ قَصِيدَةِ الْحَمَوِيِّ مَعَ عَدَمِ تَسْمِيَةِ النَّوعِ . وَأَتَى بَعْدَهَا الشَّيْخُ  
 عَبْدُ الْقَنِيِّ النَّابُلُيُّ وَظَمَّ قَصِيدَتَيْنِ الْأَوَّلَى بِإِحْدَاهُمَا تَسْمِيَةَ النَّوعِ

بديعة الحوري الفاضل ارسانيوس القاخوري

مدح بها السيد المسيح ورسله الاطهار

وهي مشتملة على مائة وثمانين نوعاً مع التزام تسمية النوع

براعة المطلع

بَرَاةُ الْمَدْحِ فِي تَجَمُّدِ ضِيَاءِ سَمِي تَهْدِي بِمَطْلَعِهَا مَنْ عَنِ سَنَاهُ عَمِي

الجناس المطلق والمركب

طَلِيقُ هَمِي بِتَرْكِيبِ الْمَدْحِ لَهُ رُحٌ لِي إِلَيْهِ رُحِي كَذَا هَمِي

الجناس اللذيل

سَنَاهُ فِي الْكَوْنِ بِإِهْ بِأَهْوَى عَجَبٌ وَذَيْلُ الْكَوْنِ نُورًا أَحَقُّ الظُّلَمِ

الجناس اللاحق

دَرْبُ الْهُدَى مَنْ بِهِ قَدْ سَلَاحَتُهُ كَمْ حَايِرٌ بِأَيِّ بِالرُّشْدِ مِنْهُ رُحِي

الجناس التام والمطرف

أَتَمَّ بَذَرَ السَّمَاءِ وَضَبَّاحُهُ وَسَمَاءٌ فَإِنْ هَوَيْتُ بِهِ التَّطْرِيفَ لَمْ أَلَمْ

الجناس المصحف والمحرف

أَرَاخَ تَضْمِينُهُ ذَهَبًا أَرَاخَ لَهُ تَحْرِيفُ قَوْلِ غَدَا فِي الْحُكْمِ وَالْحِكْمِ

الافتتان

فَاتَ أَفْتَانِي وَمَدْحِي فِي مَحَاسِنِهِ يَأْتَسُ عُمْرُ مَضَى بِالْمَدْحِ لَمْ يَشْمِ

المطابقة

فَلَمْ أَطَاقِ عَلَى بُعْدِ الْأَجَبَةِ بَلْ أَلِي أَطَاقِي فِي قُرْبِي لِحَدْرِهِمْ

سلامة الاختراع

سَلَامَتِي فِي اخْتِرَاعِي ظَنَمَ قَافِيَةٍ أَرْجُو بِهَا الظُّلَمَ فِي أَنْجَاءِ سِلَكِهِمْ

الاستعارة

إِنِّي أَسْتَعْرِتُ جِيَادَ الدَّمْعِ فِي سَفَرِي جَرِيًّا وَرَاءَ مَتَابِ فِي سَبِيلِهِمْ

الجناس المنوي

وَعُدْتُ بِأَسْمِ ابْنِ رَعْدٍ ثُمَّ بِأَسْمِ آلِي اسْتَحَقَّ يَا مَعْنَوِي فِي الْهَوَى بِهِمْ

الاستطراد

مُسْتَطَرِدًّا فِي هَوَاهُمْ خَيْلٌ مُنْطَفِي كَادَمِي قَدْ جَرَتْ شَوْقًا لِقُرْبِهِمْ

الاستخدام

سَقَى آلُ إِلَهِ الْخِيَاخِيلَ رَعَّةً قَدِ اسْتَحْدَمْتُهَا قَصْدًا إِذْ رَأَيْتُ لَوْضُلِهِمْ

التخيير

بِرَبِّهِمْ قَدْ تَحَيَّرْتُ الْخَاءَ وَلَا مَآلَبَاءَ فِي سَعَةِ فِي غَيْرِ رَبِّهِمْ

التذيل

أَذُهُ تَذِيلٌ عَذْلٌ طَالَ مِنْكَ كَفِّي يَا عَذْلِي الْعَذْلُ مَذْمُومٌ مِنَ الْأَسْمِ

الابديع

وَعِنْدَ إِبْدَاعِهِ سَمِعِي مَلَأَتْهُ مَرَجَتْ دَمًا جَرَى وَنَ مُقَلَّةٍ بَدَمِ

الجناس اللطفي وحاس القلب

قَدْ ضَلَّ رَأْيَا بِطَعْنٍ ظَلَّ يَلْفِظُهُ فَأَلْقَبْتُ مَا حَالَ مِنْ لَاحٍ عَنِ الدِّمَمِ

الاكتفاء

لَمْ يَكْتَفِ الْعَاذِلُ النَّسَامُ مِنْ حَيْلٍ فَكَمْ لِدَاكَ خَبَا لِلْعَاشِقِينَ كَمِي

التفويف

إِرْحَمْ وَدَعْ وَاتَّئِدْ وَاشْفَقْ وَلَنْ وَارِخْ قَوِّفْ وَوَشِّ وَجُدْ وَأَهْظِمْ وَوَقِّ وَهَمِ

الملفق

أَبَى نَوَالِي بِالْتَلْفِيقِ مِنْهُ كَمَا أَبَانَ وَالِي وَجَدِ عَنْ وَلَا نِيهِمْ

الارقط

قَدْ خَابَ مَنْ مِنْهُ يَرْجُو خُطَّةً وَجَدَى وَشَانَ رَقِطٌ بِهِ قَدْ بَانَ مِنْ أَضْمٍ

الالتفات

فَمَا التَّقْتُ إِلَى مَكْرِ بِتَوَشُّيَةٍ عَرَجَ رِكَابَكَ عَنْ تَبِيٍّ إِلَى اللَّقَمِ

الحاس المقلوب المستوي

حَرَفَ أَخَاكَ بِبَرْكَ أَخَا فَرَحٍ فَيَسْتَوِي الْقَلْبُ بِالْأَفْرَاحِ لَا أَتَعَمُّ

المواربة

يَا لَأَيْمِي خَلِّ قَوْلًا فِي مُوَارَبَةٍ فَعَاوِلُ أَنْتَ يَا ذَا الْعَدْلِ فَاسْتَقِمِ

الالتزام

إِنِّي لَمُتِّمٌ خُلْدًا بِحُجَّتِهِمْ حَتَّى التَّمَايَا بِهَا عَيْشٌ لِصَبِيهِمْ

رد العجز على الصدر

يَوْمَ أَرَدْتُ عَلَى صَدْرِ الْحُكَاةِ عَجْزَهُ وَأُخْرِي الْعِدَى يَوْمَ الْوَعْدِ يَوْمَ

المقابلة

إِنْ رُحْتُ مُتَرَعِّجًا خَوْفًا بِمَسْئَلِهِ فَعَاوِلُوا بِالْشِّفَا وَالْأَمْنِ وَأَتَعَمِّ

المراحة

قَالَ أَسْلَهُمْ قُلْتُ حَاشَالِي فَرَأَيْتَنِي فَقَالَ دَعَّهُمْ قُلْتُ السَّمْعُ فِي صَمِّهِ

الحزل الذي يراد به الحد

بِالْجِدِّ هَازِلْنِي وَالسَّمْعُ مُتَمَجِّمٌ فَقَالَ أَرُوْا الظَّامَ مِنْ مَنَهْلٍ شَمِّهِ

القول بالموجب

قَوْلِي لَهُ مُوجِبٌ إِذَا قَالَ أَنْتَ لَهُمْ سَأَلَ قُلْتُ لِحِجْسِي مِنْ سَعِيرِهِمْ

التدراك

قَدْ قَدْ قَدْ فَوَّادِي عَضْبُ غَيْثِهِ مِنْهَا تَرَاكَمَتِ الْأَحْزَانُ مِنَ الْعَيْ



الاستدراك

قَالَ مَكْرًا يُسْقَمُ أَنْتَ بَلْ شُغِلَ قُلْتُ مُسْتَدْرِكًا لَكِنْ بِعَشْقِهِمْ

المنافضة

إِنِّي أَتَقَضُّ عَهْدِي لِلْحُبِّ إِذَا مَا شَبْتُ أَوْعَدْتُ طِفْلًا بَعْدَ مَا هَرَمَ

حسن الاتباع

حُسْنُ اتِّبَاعِهِمْ قَلْبِي أَصْطَفَاهُ هَوَى قَالِقَلْبُ عِنْدِي لِغَيْرِ الْعِشْقِ لَمْ يَسْمُ

تشابه الاطراف

تَشْبِيهُ أَطْرَافٍ أَقُولِي مَا بِهِمْ بِهِمْ مَدِيحِي غِنَا فِي أَبْلَغِ الْحُكْمِ

السهولة

سُهُولَةُ النَّظْمِ تَحُلُو فِي مَدِيحِهِمْ لَا فِي مَدِيحِ الظُّلَمَاءِ وَالْغَيْدِ لِلْحَمْدِ

الخصاس الحالي او المعجم

نَبَذْتُ تَقْنِينَ تَشْيِبُ بِذِي شَفَفٍ يَفْتَنُ فِي غُثِّ جَفْنِ جُنٍّ بِالْعَجَمِ

التهكم

بِهِمْ رَأَى عِزَّهُ تَبَا فَذَلَّ بِهِمْ تَهْكُمًا قُلْتُ يَا بُشْرَاكَ بِالْإِسْدَمِ

المعطاء في معرض المدح

بِمَعْرِضِ الْمَدْحِ قَدْ يَهْجُوكَ قَائِلُهُ مَا مِثْلُكُمْ بِإِحْتِمَالِ الضَّرِّ وَالرَّغْمِ

الابهام

كَمْ زَادَ لِيَاهِمُ فَضِيحِي ذَا الْعَذُولِ وَكَمْ يَأَلَّتْ إِيهَامُهُ فِي حَزَنِ الْعَدَمِ

الزراعة

تَرَهْتُ سَمْعِي بِحَقِّ عَنْ نَصَائِحِهِ إِذْ لَمْ أَرِ الْحَقَّ فِي قَوْلٍ وَلَا كَلِمِ

المعايرة

أَغَايِرُ النَّاسِ فِي حَيِّي لِذِي عَدَلٍ سَتَطِيقَا فَمَهْ جَبًّا لِذِكْرِهِمْ

المجلس الموصل

نَفْسِي لَهُمْ عَشِقَتْ حُبَّاهُمْ شَغِقَتْ فَحَبِبْتُمْ صَلََّةٌ تُنْقَى بِهَا عُصْمِي  
الاستقاء

أَهْوَى لَخَطُوبَ بِلَا أَسْتَحْجِجُهُمْ إِلَّا مَلَامَ عَذُوبِي لِي لِأَجْلِهِمْ  
الجناس المهل

كَلَّا إِلَٰهَ أَمْرًا رَامَ الْوَدَادَ لَهُ وَأَهْمَلَ الْوُدَّ لِلْأَسْوَاءِ وَالْحَرَمِ  
الجناس الاخيف

أَحَلَّهُ خَيْفَ سَعْدٍ فِي لَوْا مُحِبِّ كَسَا شَيْبَةً عُمَرُ جَبَّةَ السَّلَمِ  
الانثار

مِنْ مَرَمَرٍ أُرْشِدِ خُذْ شَطْرًا يَسْطُرْ مِ يَمِينِ اللَّهِ مُتَّحِمًا لِلْفَرْ تَقْتَمِ  
الجناس النقطع

وَأِنْ أَرَدْتَ دَوَاءَ زُدْ دُرَاهُ وَرُدْ وَأِنْ أَرَدْتَ رَوْيَ دَعِ وَرَدْ ذِي زَامِ  
الحاجة

وَأَسْتَشْفِهِ فِي التَّحَاكِي مُعْنًا نَظْرًا بِقَوْلِهِ قَالِيسًا مِلْكِي وَمِثْلُهُ رُمِ  
الكلام الجامع

جَمْعُ الْكَلَامِ إِذْ لَمْ يَشْتَمِلْ حِكْمًا لَمْ يَلْفَ مِنْ ذَاقٍ فِيهِ لَذَّةُ الدَّسَمِ  
الافتباس

مِنْ تَجَمُّعِ الشُّوْكِ هَلْ مِنْ يَجْتَنِي عَنَابًا لَمْ تُقْبَسْ لَذَّةٌ مِنْ عَاطِلِ الْكَلِمِ  
التوجيه

وَجِئْ إِلَى الرَّبِّ نَعْتًا أَنْتَ تَابِعُهُ يَرْفَعُكَ مِنْ خَفْضٍ رُبَّتْ إِلَى الْعِظَمِ  
عكس الاشارة

بِحَقِّ يَدِ قَوْمٍ لَا فِي إِشَارَتِهِ فَإِنَّ عَكْسَ أَسْمِهِ عَمَاءُ كَأَلْعَمِ

المطع

فَدَطَابَ لِلنَّفْسِ فِي الْأَسْوَءِ مَطْمَعُهَا      بَلْ طَالَ فِيهَا وَلَمْ تَعْدِلْ إِلَى الْقَدَمِ

الرجوع

مَا لِي رَجُوعٌ إِلَى حَالِي لِأَضْلَحِهَا      لَمَّا إِذَا مَعَ هُدًى رَبِّي سَعَى قَدَمِي

عتاب النفس

يَا نَفْسِ عِيَارَ عَوِي وَأَضْعَيْ إِلَى عَيْي      حَتَّامٌ أَنْتِ بِجَهْلٍ غَيْرِ مُنْصَرِمٍ

التسليم

هِيَ لِزَعْمِكَ قَدْ سَلَمْتُ مُرَضِيًّا      فَمَا يَكُونُ جَوَائِي يَوْمَ مُحْتَكَمِي

القسم

فَلَا أُبَلِّغُ أَلَمِي إِنْ وَلَتْ مُشِيمًا      هَوَاكَ فِي غَيْرِ مَا أَهْوَى وَذَا قَسَمِي

حسن التخلص

فَرُغْتِي وَأَهْوَى حُسْنُ التَّخَلُّصِ مِنْ      إِنَّمَا بِمَدْحٍ وَسَيْطِ النَّاسِ كُلِّهِمْ

الآطراد

يَسُوعُ بِكَرِّ الْأَلِهَةِ ابْنُ الْبَتُولِ سَلَا      لَهُ الْأُلُوكُ وَرَبُّ فِي أَطْرَادِهِمْ

حصار الجزئي والخاصة بالكلية

قَدْ دُهِتْ بِهِ تَحْصُرُ الْأَنْصَادِ أَجْمَعِهِمْ      فَالْجُزْءُ يُلْحَقُ بِالْكُلِّيِّ لِلْعَظَمِ

المكس

نَفْسُ الْجَمَالِ جَمَالُ النَّفْسِ فِيهِ بَدَا      يَاعَكْسُ مَنْ عَنْ سَنَا هَذَا الْجَمَالِ عَيِي

المماثلة

فَالْأَبُ مِثْلُهُ وَالرُّوحُ وَاقِفُهُ      وَالْكُنْهَ شَارِكُهُ بِالْعَظَمِ وَالْقِدَمِ

التفسير

كُنْهٌ ثَلَاثِي أَقْوَمُ يُفَسِّرُهُ      أَبٌ وَابْنٌ وَرُوحٌ فِي وَجِيدِهِمْ

المذهب السكلاي

فَذَهَبِي فِي كَلَامِي مِنْهُ مُنْقِذًا    لَوْ لَمْ يَصِرْ بَشَرًا لَمْ تَخُ مِنْ ضَرَمِ

المناسبة

لَاهُوَّةُ كَامِلٌ وَالطُّهْرُ نَاسِبُهُ    نَاسُوهُ فَاضِلٌ فِي الْخَلْقِ وَالشِّمِ

ارسال المثل

فَالْحَسَنُ فِي الْخَلْقِ أَرْنِي فِيهِ عَن مَثَلٍ    وَالْأَفْضَلُ أَشْهُرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمِ

التريد

فَهُوَ الْبَدِيعُ لَنَا هَذَا الْبَدِيعُ سَنَى    أَلْبَسِيْعُ حَلَا تَرْدِيْدُهُ يَمِي

التكرار

تَكَرَّرُ مِنْجِي حَا يَا لَوَاهِبِ الْقِيَمِ م    آيْنِ لَوَاهِبِ الْقِيَمِ آيْنِ لَوَاهِبِ الْقِيَمِ

الترتيب

لَهُ الْمَلَائِكُ وَالْإِنْسَانُ أَجْمَعُ    وَمَا سِوَاهُمْ فِي الْأَرْقَبِ كَلْخَدَمِ

التشريع

لَمَّا أَمْنَحْنِي وَبِشَرِيعِ الْفِدَاءِ بَدَا    فَلَنَا أَلْمَنَى فَتَجَوْنَا مِنْ رَدَى الْعَرَمِ

التكميل

أَوْقَى آبَاهُ تَمَامًا دِينَ آدَمِ    حَمْدًا لَهُ فَاقَ تَكْمِيلًا بِذَا الْكَرَمِ

الجناس المرفوع

هَيَّا مَدَارَ نَعِيمٍ قَدْ رَفَاهُ بِهِ    وَطَمَّ دَارَ جَحِيمٍ خَالِكَ الظُّلَمِ

الجناس المنقوع

هَدَى إِلَى السَّمْعِ الْهَادِي بِنَاةَ هَدَى    وَمِنْ هُدَاهُ الْخَلَّاصُ أَشَقَى لِلْأَمَمِ

القل

تَمَّتْ نَقُولُ نُبَوَاتٍ بِهِ وَمَضَتْ    أَلْخَلِيلُ نَجَا مِنْ وَابِلِ الضَّرَمِ

تسبيه شيتين شيتين

شَتَانِ قَدْ أَشْبَاهَا شَيْئَيْنِ فِيهِ لَنَا تَطَفُّفٌ وَنَدَى كَالْتَجَرِّ وَالْدِّيمِ

التطير

تَشْطِيرُ نَفْسِهِ مَا بَيْنَ أُمَّتِهِ كَاللَّحِجِّ فِي عِظَمٍ قَدْ كَانَ فِي الْقِسْمِ

العلي والسر

قَالَطِي وَالنَّشْرُ وَالتَّبْدِيلُ نَكْرَمَ لِلْعُسْرِ وَالْأَيْسْرِ وَالْأَحْوَالِ وَالشِّيمِ

الايغال

فِي السَّمِيِّ أَوْغَلَ فِي تَهْيِيدِهِ سُبُلًا إِلَى الْخَلَاصِ بِحُبٍّ غَيْرِ مُنْكَمٍ

الانارة

وَمِنْ إِشَارَاتِهِ بِالْوَعْظِ كَذَبَتْ لَهُمْ قُفُونٌ بِهَا زَادُوا بِرِهِمْ

الايياز

وَقَوْلُهُ مُوجِزٌ فِي صُنْعِ نَغْمِزَةٍ إِنْ قَالَ أَشَقَى وَآخِيَا بَالِي الرِّمِ

التوسيع

نَرْشِيعُ مَذْهَبِهِ فِي فَضْلِ سُنَّتِهِ مُثَبَّتِ الْأَجْدَيْنِ الْعَهْدِ وَالْدِّيمِ

التورية

وَكَمْ عُقُودٍ لَهُمْ حَلَّتْ قَوَائِدُهُ بِحُسْنِ تَوْرِيَةٍ حَلَّتْ لِسَانَ قِي

النوادر

كَمْ مِنْ نَوَادِيرٍ بَذَلَ مَا رَسَتْ يَدُهُ حَتَّى جَرَى دَمُهَا لِلْبَذْلِ كَالْدِّيمِ

البسط

تَعَوَّدَ الْجُودَ مَعَ بَسْطِ لِرَاحَتِهِ لِلْعُقُودِ جَادَ بِهَا مَدًا بِلا سَقَمِ

المجع مع التقسيم

حَمُّ تَقَسُّمِ يَوْمِ الصَّلْبِ فِي فُرْقٍ مِنْ قَاتِلٍ وَمُهِنٍ ثُمَّ مُتَقِمِ

الجمع

فَاجْلِدُوا وَلَهُمْ أَلْسِنَةٌ مَعَ عَذَابٍ إِهَابَةٌ فَأَلْهَمَ مِنْ بَنِي حُمَيْمٍ

حناس البعض

بَعْضٌ حَمَاتِهِمْ زَادَتْ حَمَاتَهُمْ جَوْرًا وَبَعْضٌ كَلْبٌ كَلْبِهِمْ

المنوش

وَسَوَّشُوا الْفَرَغَ مِنْ خَدَشِ يَامَتِهِ وَأَقْدَعُوا فِي الْجَنَمِ وَالْكَفَيْنِ وَالْقَدَمِ

التشيه

وَالْجَنَمُ إِنْ جِئْتُ تَشْبِيهَا لِجَالَتِهِ قُلْ كَأَن لِّجَلَالِ مَحْوَلًا مِنْ نَكَالِهِمْ

تجامل العارف

تَجَاهَلَ النَّاسُ فِي عِرْقَانِ صُورَةٍ قَالُوا اسْقُمْ بِهِ أَمْ بِالنَّكَالِ رُمِي

المساواة

بِالْمَوْتِ سَاوَى أَمَّا قِيَامَتُهُ فَأَوْضَحَتْ قُدْرَةَ الْأَلْهَوَاتِ كَأَلْطَمِ

التوهم

تَهِيمُ قَلْبٍ جَلَّتْ بُشْرَى قِيَلَتِهِ جَلَّتْ بَصِيرٌ وَعَزَّتْ سَاعَةُ الْعَمَرِ

الحناس الكلل

وَبَعْدَمَا قَدْ قَضَى الْجَمِيلَ إِلَى مِ الْعَلَا لَرَتَقَى ذَا الْجَمِيلِ الْكَامِلِ الشِّمِ

الانحطام

وَمِنْ لَدُنْهُ الْمُعْزِي حَلٌّ مُنْجِمًا عَلَى تَلَامِيذِهِ كَالنَّسْرِ مِنْ ضَرَمِ

التسميم

تَسَهُؤُوا الْأَرْضَ الْبُشْرَى فَقَالَ لَهُمْ وَتَلْمِذُوا عَمِدُوا كَلًّا مِنْ الْأَمْرِ

التسكين

جَالُوا بِتَمَكِينٍ عَزَمَ فِي بَشَارَتِهِمْ وَلَمْ يَأْلُوا بِتَغْنِيبِ وَسَفَكِ دَمِ

الخاص المركب المجموع

جَادُوا بِأَهْسِهِمْ حُبًّا كَمَا لَهُمْ وَجَمْعُ تَرْكِيْبِ قَضَلٍ فِي كَمَا لَهُمْ

الإرداف

وَأَرَدُوا الْقَرْمَ بَأْسًا أَسْكَنُوهُ مُحَلًّا م الْحَبِّ فِي السَّيْرِ لِلْبَشْرِ بِرَبِّهِمْ

الاستع

يَيْضُ الْمَفْلَقِ بِلِ طَهْرُ الْفُؤُسِ هُمْ وَبِاتِّسَاعِ الْحِجَى قَارُوا بِمَقْصِدِهِمْ

الاستع

يَسْتَسْعُونَ بِحُضْرِ النَّضْحِ فَعَلَ هَدَى وَيَحْفَظُونَ تَقَاهُمْ حِفْظَ دِينِهِمْ

المردد

وَمِنْ مُرَدَّدٍ إِنْذَارٍ حَكُوهُ قَذُومِ الْهَوَى هَوَى كَذَلِكَ الْعَابِدُ الصَّغَرِ

الترصيع

هُمْ رَضَعُوا أَدَبًا مِنْ دُرِّ لَفْظِهِمْ كَمْ أَبَدَعُوا خُطْبًا فِي سِرِّ وَعَظِهِمْ

ابتلاف اللط مع الوزن

تَأَلَّفَ اللَّفْظُ مَعَ وَزْنٍ بِمَدْحِهِمْ لِرَبِّهِمْ ضَمْنٌ قَطَرٍ فِيهِ مُنْجِمٌ

ابتلاف اللط مع المعنى

الْفُظْيُ فِي الْمَدْحِ مَعَ مَعْنَاهُ مُؤْتَلَفٌ فَلِمَعَانِي تَرَى أَلْفَاظَ كَالْحَدَمِ

الفرائد

وَكَمْ مِنْ فَرَائِدٍ دُرٍّ فِيهِ قَدْ ظَمُّوا عِقْدَ النَّشِيدِ فَأَعْجَبَ بِإِتِّظَامِهِمْ

ابتلاف المعنى مع الوزن

تَوَلَّفَ الْوِزْنَ وَالْمَعْنَى كَسَانِدُهُمْ صَحِيحَةٌ عَذَبَةٌ فِي الْخَنِّ وَأَنْتَمُ

التسبيط

تَسْمِيْطُهُمْ دُرًّا أَضْحَى بِهِ غُرًّا أَمْسَى لَنَا قَرَا فِي لَيْلَةِ الْقَسَمِ

ايتلاف اللفظ مع اللفظ

وَالْلَّفْظُ لِلْحَمْدِ فِي الْأَفْوَاهِ تَوَلَّفَتْ مَعَ لَفْظٍ مَدَحٍ بَدَأَ مِنَ السُّنَنِ الَّذِي

الانداع

إِبْدَاعُ ظُهُومِهِمْ دَمْعِي جَلًّا وَحَلًّا إِبْدَاعُ نَفْسِهِمْ سَمْعِي كَمُتَّظِمٍ

التفريع

مَا تَسْمَعُ حَمَلَتْ وَسَكَ طَائِفُهَا يَوْمًا بِأَطْيَبَ مِنْ تَفْرِيعِ فَضْلِهِمْ

المدح في معرض الذم

فِي مَعْرِضِ الذَّمِّ مَدْحًا قَدْ خَصَّصْتُ جُحْمَ لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى الْإِيهَاءِ بِالذَّمِّ

الحناس المرفل

وَبِأَلَا يَأْدِي أَيْدِيهِمْ سَمَتْ كَرَمًا قَرَّاحَ يَرْقُلُ بِالْإِثْرَاءِ ذُو الْعَدَمِ

الكتابة

تَرَّاحُمُ لِقَاءِ يُسْرِعُونَ إِلَى فُرَاتِهِمْ ذَا يُكْنِي عَنْ تَحَانِيهِمْ

التوزيع

عَلَى الْفَقَاءِ جَمِيعًا وَزَعُوا نِعَمًا فَعَادَ أَعْوَزُهُمْ بِالْعِزِّ وَالْعِظَمِ

الاستدراك

سَادُوا بِصَدْرِ عَدَا بِالْعِزِّ شَتْرَكَ صَدْرُ الْجُلُوسِ عَلَى كُرْسِيِّ قَضَائِهِمْ

الموازنة

مُوزَانٍ وَاتِنٍ مُسْتَزَكِّينَ حَسَنٍ مُسْتَقْلِنَ قَاتِنٍ مُسْتَنْصَحِينَ فَحِمٍ

المؤنثاف والمختلف

فَجَمْعُ تَوَلَّفٍ فِيهِمْ وَتُخْتَلَفُ حُكْمًا وَفَضْلًا فَيَسْمَعَانِ بِذَلِكَ سَمِي

الايضاح

مَا يَنْبَغِي صَخْرَةً لِلْحَقِّ مُوَضَّحَةً بَنَى الْمَسِيحُ عَلَيْهِمَا يَلَيْتَ جَمْعُهُمْ



الطامة والحصيان

مَنْ يُطِيعْ حُكْمَهُ يُرَحِّمْ لَدَى شَجَبٍ وَمَنْ عَصَى أَمْرَهُ يُجْرِمَ مِنَ التَّعَمُّدِ

حسن السق

نَثَرِي يُنَاسِئُهُمْ شَعْرِي يُطَاقُهُمْ نَثَرِي يُوَاقِعُهُمْ فِي مَدْحٍ رَنِيمٍ

التجربة

أَرَبَيْتُ فِي هَمِيٍّ جَزَأْتُ فِي كَلْبِي رَوَيْتُ فِي قَلْبِي أَرَوَيْتُ كُلَّ ظَلَمِي

التوازن

تَوَازَنَتْ حِكْمِي حَمْدًا لِمُسْمَحٍ مُلَازِمًا مَدْحَهُ ظَلَمًا بِمُنْجَحٍ

السمع

سَجَّيْتُ وَمُتَّظِلِّي مَدْحًا حَلَا فِيهِ حَاكَيْتُ فِي رَغْبِي الشُّحُورَ بِالنَّعَمِ

الاتفاق

يُسَوِّعُ وَأَسْمُهُ فِي تَحْلِيصِنَا اتَّفَقَا فَهَرَا الْخُصَّاصُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ يَقَرِّ

الاعتراض

فَلَا أَعْتَاضَ عَلَيْنَا فِي عِبَادَتِهِ وَهُوَ أَلَا لَهُ وَنَ يَعْبُدُهُ يَتَّعِمُ

النون

بِالسَّيْفَةِ نَجَّتْ نُوحٌ وَهِيَ غَدَتْ عُنَوَانَ يَبْعَثُهُ ثَوَقِي مِنَ الْعَرَمِ

الترسيخ

فَحَلَّ مَرْكَبَ يَدِي حِينَ رَكِبَهَا فَكَمْ تَرَشَّحَ مِنْهَا الرُّشْدُ فِي الظُّلَمِ

التلبيح

تَلْمِيحٌ تَلْمِيحًا ذَلِكَ الْبِرَاجُ يَهْدِي وَفِي السُّرُجِ ارْتَادٌ إِلَى الْقَمَرِ

السمع

تَشْمِيمَ سِرِّ الْفِدَا وَالْحَبِّ سَلَمَهَا يَأْسَفُهَا وَأَصْحَلَّ الْبُوسُ بِالْعَمِّ

التصريح

تَضَرِّعُ أَبْوَابَهَا يُرْفِقُ مِنْ أَحْصَمِ قَالَتْ دَاخِلَهَا كَأَلْوٍ فِي الْأَطْمِ

التجريد

يَنَالُ صَوْبَ الْحَيَا مِنْ بَسْطِ رَاحَتِهَا مَنْ قَدْ تَجَرَّدَ عَنْ كُفْرِ بَرِيهِمْ

المعنى

حَوَى أَيْحَ بَهَارِ قَلْبُهُ وَمَا مِنْ شَيْءٍ يَهْدِي مَنْ عَنْ غِنَاهُ عَمِي

التعريض

قَطْوِيلُ تَعْرِضُ هَاجِيَهَا يُظْمِئُهَا وَالْبُغْضُ لِلْحَقِّ مَكْرُوهٌ مَكْذِي أَضْمِ

التسكيت

نَعِ الْمُنْكَتِ إِذْ فِي ذِي الْكَيْمَةِ وَهَ دَهَا نَجَاةٌ مِنَ الطُّوفَانِ وَالضَّرَمِ

التوشيح

قَالَرُبُّ وَسَّحَهَا مِنْ عِصَّةٍ حَلَالًا أَوْقَتْ خُطَى حُكَيْمَهَا مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ

تنسيق الصفات

فَأَسْجَدَ لَهُ عِنْدَ تَنْسِيقِ الصِّفَاتِ وَقُلْ رَبُّ إِلَهٌ قَدِيرٌ كَاوَلُ الشِّيمِ

التعطف

فَاخْتَارَ ذَلِكَ الصَّفَارُ مَا وَقَالَ لِذَا الْخُتَارِ كُنْ رَاعِيًا أَوْ تَعْطِفْ عَلَى الْقَنَمِ

المقد

مَهْمَا تَحُلْ بِأَرْضٍ يَحْلِلُ بِمَا وَمَا رَبَطْتَ بِمَثَدِ الرَّبْطِ وَمَكَ رَمِي

التعليل

لَوْ لَمْ يَحِثْنَا بِتَعْلِيلِ تَجَسُّدِهِ مِنْ مَرِّمٍ مَا شَفِينَا مِنْ ضَنْيِ السَّقَمِ

الجاز

هِيَ الْجَزَارُ لِإِدْرَاكِ الشِّقَاءِ هِيَ مِ الْعَرْشِ الرَّفِيعِ وَبَرَجُ آبَائِي السَّمِ

المبالغة

بِهَا خَلَّاصُ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ أَرَدْتَ بَالِغَ وَقُلْ بَلْ سَائِرِ الْأُمَمِ

التوليد

لِكُلِّ هَوْلٍ طَرَا تُرْجَى شَفَاعَتُهَا نَالَ الْعِبَادُ بِهَا تَوَلِيدَ أَمْنِهِمْ

الافراق

لَوْ تَابَ الْإِلَهِسُ يُبْنِي بَاءَ نَعْمَتِهَا لَاغْرَقَتْهُ بِتَيَّارٍ مِنْ الْقَعَمِ

الغلو

فَقَطْرَةٌ مِنْ نَدَاهَا لَا غُلُوَّ بِهَا تَكَادُ تُحْيِي رَمِيًّا صَارَ كَالْعَدَمِ

التضمين

وَخَلَقَهَا فَلَقَ فِي حُسْنٍ قَضَمَهُ وَإِنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

المدح المبالغ

يَسْمُو الْمَلِيحُ بِتَغْرِيمٍ لِيُطْلَقَهَا سُمُو خَلْقِ حَوَتْ بِالْجِلْمِ مُتَمِّمٌ

التعديد

تَعْيِيدُ أَفْضَالِهَا يُبْدِي لِسَامِعِهِ طَهْرًا وَبَرًّا وَجِلْمًا مَعَ عَلَى الشِّمِّ

التنزيه والتأديب

تَهْنِيبُ تَأْدِيبِهَا قَدْ زَادَنَا عَجَبًا بِصَبْرٍ عَاجِيزٍ تَعْدِيبُ أَبْنِيَا الْعِلْمِ

التفصيل

فِي شَرْحِ آيَاتِهِ التَّفْصِيلُ مُتَّسِعٌ يَكِلُ عَنْ شَرْحِهَا ذَوَا الْقَهْمِ وَالْحَكَمِ

ايتلاف المعنى مع المعنى

وَضَلُّ وَفَضْلٌ لَهُ لِلْمَعْنَيْنِ غَدَا تَأَلَّفَ نَحْوُ صِدِّيقٍ وَمُجْتَرِمٍ

التوكيد

لَهُ الْقَضَاءُ بِتَوْكِيدِ يَدِينُ ۖ أَمَا تَعِي أَنَّهُ الدِّيَانُ لِلْأَمَمِ

صناعة التصويع

تَصْوِيعُ سَطْرَةٍ يَوْمًا يُحَاكِمُهُمْ كَأَلَيْتِ كَأَلَسَيْفِ كَأَلْجَارِ كَأَلْضَرَمِ

الناكلة

يَجْزِي إِسَاءَةً شَانِيَهُ بِسَيِّئِهِ يُشَاكِلُ الْخَيْرَ خَيْرًا حُفًّا بِالْكَرَمِ

مخج القلب

مُدْنُو لَصْفَحِ جَنَاحِ الْقَلْبِ عَاطِفُهُ إِذَا رَأَى تَوْبَةً وَاللَّمْعُ فِي نَدَمِ

المخج مع التفريق

فِي وَجْهِهِ النَّوْرُ لِلْأَصْحَابِ يَسْأَلُهُمُ وَالْعِدَا النَّارُ فِي تَفْرِيقِ جَمْعِهِمْ

مرأاة النظير

وَجْهُ السَّمَاءِ بِهِ كَأَلْبَرَقِ مُلْتَمِعٌ رَأَى أَنْظِيرَ يَوْمِهِ لِلْظُّبَاءِ سَمِي

التفريق

قَالُوا هُوَ أَلَمَلِكُ وَالتَّفْرِيقُ يُظْهِرُ لِي فَذَلِكَ قَانٍ وَهَذَا غَيْرُ مُنْعَدِمِ

السلب والایجاب

لَا يُوجِبُ السَّلْبُ فِي إِعْزَازِ عُضْبِهِ وَيُوجِبُ الذَّلُّ لِلْإِشْرَارِ فِي الْتَعَمِّ

المتقارب

أَرْجُو التَّقَارُبَ مِنْ أَعْدَادِ ذُرْمَرَةٍ لَا مِنْ عِلِيدِ الْعِدَا فِي الْحَشْرِ وَالزَّحَمِ

حسن البيان

حُسْنُ الْبَيَانِ بُنُودٍ مِنْهُ أَرْشَدَنِي إِلَى التَّقَرُّبِ مِنْ أَوْلِيكَ لِحَقِّمِ

المراوغة

إِذَا تَرَاوَجَ هَمِّي وَالْحَبَّاتُ لَهُ بِأَلْمَدَحِ قُزْتُ وَوَقَانِي مِنَ الْعَمَةِ

الاستماتة

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضِيَاءً وَلَسْتَعْنَتْ بِهِ إِلَّا وَنَلْتُ جِوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضَمِّ

التقسيم

فَالْكُونُ قَدْ عَمَّهُ تَقْسِيمُ أَغْنِيَهُ جُنْسًا وَنَوْعًا وَقَرْدًا وَهُوَ فِي شَمْسٍ

التشيل

تُرْبِي عَلَى السَّيْلِ فِي التَّشِيلِ نَعْتُهُ شَتَانٌ مَا يَنْ طَلَّ وَأَحْلِيَا الْعَرَمِ

نفي الشيء بإيجابه

لَا يَنْتَهِي الْجُودُ مِنْ إِجَابِهِ أَبَدًا وَلَا يَسِينُ بَيْنَ رَدَقِ التَّعَمِ

مختم الطرفين

مِنْ فَضْلِهِ أَرْثِيهِ طَرَفِي قَضِيَّتِي فِي الْقَضَا بِالْحَجْدِ وَالْعِظَمِ

التضمين المزدوج

تَضْمِينُ حَمْدِي لَهُ لِلْفَضْلِ مُزْدَوِجًا عَشَلًا وَنَقْلًا جَنَانِي جَاءَهُ وَفِي

الموارد

تَوَارَدَ الْفِكْرُ فِي مَدْحِ الْأَرْمَةِ لِمَنْ غَدَا لِلْخَلَاصِي خَيْرٌ مُلْتَمِ

التعريض

طَرِيذُ حَمْدِي بِمَدْحِي فِيهِ مُلْتَمِمْ يَأْخُضْنَ مُلْتَمِمْ يَأْخُضْنَ مُلْتَمِمْ

الاحتباس

إِلَيْكَ جِئْتُ أَيَا مَوْلَايَ مُنْشِئًا قَلْبًا وَتَحْتَرَسَا خُذْنِي مِنْ أَحْدَمِ

المصغر

نَقِيسَتِي مِنْ زَلِيلَاتٍ جَنَتْ صَفْرَتُ وَلَّى غَزِيئِي مَهَيَّرِيَا وَلَمْ يَثْمِ

التدريج

فَلَزَقَ أَبْيَضُ وَجْهِي حِينَ دَجَّهَ سَوَادُ إِغْيِي بِصَنْغٍ فِيهِ مُثْمِ

المضارع

وَبِاضْطِرَابِ جَنَانٍ وَأَضْطِرَامِ حَشَا ضَارَعْتُ ذَا زَلَّةٍ فِي يَوْمٍ مُحْتَكَمِ

التصريف

فَأَلْقَبُ حَرَقَةَ التَّصْرِيفِ فِي عِلَالٍ وَأَلْجَنُ قُرْحَةَ التَّذْرِيعِ فِي نَدَمٍ

براعة الطلب

يَرَاغِبِي فِي مَدِيحِي مُنْتَهَى طَلْبِي فَأَسْأَلُ تَحَاكَ قَلَمٍ أَحْتَجُّ إِلَى الْكَلِمِ

الاسماج

أَذْنَجْتُ فِي مَدِيحِهِ تَشْكُوَائِي مِنْ زَلَالِي وَعَنْجَبْتُ أَخَذَ مِنْ ذَا الدَّمْعِ كَالْعَمِ

المذف

أَرُومُ مِنْهُ أَتَبَصَّرَ أَحَادِفًا هَلَمَّا وَعَاضِدًا وَقْتَ هَوْلِ الْحَشْرِ وَالْقَمِ

التاريخ

يَا أَلَايِمُ جَنَى بِرًا قَلْتُ بِهِ مُذْ أَرَّخُوهُ لَنَا يَا لَبِزٍ مُقْتَسِي \*

حسن الختام

يَا غَدَا فِي عِلَاءِ حُسْنٍ مُبْتَدَائِي هَبْنِي يَا إِلَهِي حُسْنَ مُحْتَسِي

ختم الختام

وَأَخْتِمُ خِتَائِي بِأَنْ أَحْطَى بِمَظْلَمِكَ يَا أَلْبَاهِي بِجَذْرِ السَّنَى يَا مُرْشِدَ الْأُمَمِ



## البحث السادس

### في المطابقة

( من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف )

( راجع صفحة ٩٤ من علم الادب )

هَذَا النَّوعُ هُوَ فِي الْمَعْنَى ضِدُّ التَّجْنِيسِ فِي الْأَلْفَاظِ لِأَنَّ التَّجْنِيسَ  
هُوَ أَنْ يُجْعَلَ اللَّفْظُ مَعَ اخْتِلَافِ الْمَعْنَى وَهَذَا هُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَيَانِ  
ضِدَّيْنِ . وَقَدْ أَجْمَعَ أَرْبَابُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَلَى أَنَّ الْمُطَابَقَةَ فِي الْكَلَامِ  
هِيَ أَجْمَعُ بَيْنَ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .  
وَخَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ قَدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ فَقَالَ الْمُطَابَقَةُ إِذَا  
لَفْظَيْنِ تَسَاوَيْتَا فِي الْبِنَاءِ وَالصِّغَةِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي الْمَعْنَى . وَهَذَا الَّذِي  
ذَكَرَهُ هُوَ التَّجْنِيسُ بَعِيْنُهُ . غَيْرَ أَنَّ الْأَسْمَاءَ لَا مُشَاحَةَ فِيهَا إِلَّا إِذَا  
كَانَتْ مُشْتَقَّةً . وَلَنْتَنْظُرَ نَحْنُ فِي ذَلِكَ وَهُوَ أَنْ نَكْشِفَ عَنْ أَصْلِ  
الْمُطَابَقَةِ فِي وَضْعِ اللَّغَةِ وَقَدْ وَجَدْنَا أَطْبَاقَ فِي اللَّغَةِ مِنْ طَائِفِ  
الْبَعْرِ فِي سَيْرِهِ إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ مَوْضِعَ يَدِهِ وَهَذَا يُؤَكِّدُ مَا ذَكَرَهُ  
قَدَامَةُ لِأَنَّ أَلَدَ غَيْرَ الرَّجُلِ لَا ضِدَّهَا وَالْمَوْضِعَ الَّذِي يَقَعَانِ فِيهِ وَاحِدٌ  
وَكَذَلِكَ الْمَعْنَيَانِ يَكُونَانِ مُخْتَلِفَيْنِ وَاللَّفْظُ الَّذِي يَجْمَعُهُمَا وَاحِدٌ .  
فَقَدَامَةُ سَمَّى هَذَا النَّوعَ مِنَ الْكَلَامِ مُطَابَقَةً حَيْثُ كَانَ  
الِاسْمُ مُشْتَقًّا بِمَا سُمِّيَ بِهِ وَذَلِكَ مُنَاسِبٌ وَوَاقِعٌ فِي مَوْضِعِهِ إِلَّا أَنَّهُ  
جَعَلَ لِلتَّجْنِيسِ أَيْضًا آخَرَ وَهُوَ الْمُطَابَقَةُ وَلَا بَأْسَ بِهِ إِلَّا إِنْ كَانَ مِثْلَهُ  
بِالضِّدَيْنِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ خَالَفَ الْأَصْلَ الَّذِي

أَصْلُهُ بِالْمَثَالِ الَّذِي مَثَلَهُ . وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الصَّاعَةِ فَانْتَهَمُوا  
سَمَوْا هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْكَلَامِ طَائِفًا لِقَرِ اسْتِعَاذٍ وَلَا مُنَاسَبَةٍ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ مُسَمَّاهُ . هَذَا الظَّاهِرُ لَنَا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا عَلِمُوا  
لِذَلِكَ مُنَاسَبَةً لَطِيفَةً لَمْ نَعْلَمْهَا تَحْنُ . وَلَنَرْجِعَ إِلَى ذِكْرِ هَذَا الْقِسْمِ  
مِنَ التَّأْلِيفِ وَابْصَاحِ حَقِيقَتِهِ فَقُولُ : الْأَلْفُ مِنْ حَيْثُ أَلْفَعَى أَنْ  
يُسَمَّى هَذَا التَّرْوَعُ الْمُقَابَلَةُ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو الْحَالُ فِيهِ مِنْ وَجْهَيْنِ : إِمَّا  
أَنْ يُقَابَلَ الشَّيْءُ بِضِدِّهِ أَوْ يُقَابَلَ بِمَا لَيْسَ بِضِدِّهِ . وَلَيْسَ لَنَا وَجْهٌ  
ثَالِثٌ . ( فَا مَّا الْأَوَّلُ ) وَهُوَ مُقَابَلَةُ الشَّيْءِ بِضِدِّهِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ  
وَمَا جَرَى تَحْرَا هُمَا فَإِنَّهُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا مُقَابَلَةٌ فِي الَّلَفْظِ  
وَاللَّغْوِ وَالْآخَرُ مُقَابَلَةٌ فِي اللَّغْوِ دُونَ الَّلَفْظِ . أَمَّا الْمُقَابَلَةُ فِي الَّلَفْظِ  
وَاللَّغْوِ فَكَتَوَلَهُ : فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا . فَقَابِلَ بَيْنَ  
الضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ وَالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : لِكَيْلَا تَأْسَوْا  
عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ . وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا مَجِيءُ  
فِي هَذَا أَلْبَابِ . وَقَالَ أَيْضًا : خَيْرُ أَلْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ ثَانِيَةٍ .  
وَمِنْ أَحْسَنِ الْمَطْبُوعِ الَّذِي لَيْسَ يُتَكَلَّفُ قَوْلُ عَلِيِّ لِعُمَّانَ : إِنْ  
الْحَقُّ نَقِيلُ رِيٌّ وَالْبَاطِلُ خَفِيفٌ وَيِيٌّ وَأَنْتَ رَجُلٌ إِنْ صُدِقتَ  
سَخِطْتُ وَإِنْ كُذِّبْتَ رَضِيتَ . فَقَابِلَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَالثَّقِيلَ بِالرَّيِّ  
بِالْخَفِيفِ الْوَيْيِ وَالصِّدْقَ بِالْكَذِبِ وَالسُّخْطَ بِالرِّضَا وَهَذِهِ خَمْسُ  
مُقَابَلَاتٍ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْفَصَارِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَّ قَوْلُهُ لَمَّا قَالَ  
الْحَوَارِجُ : ( لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى ) : هَذِهِ كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ .



وَقَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَقَدْ أَخْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ  
لِقَتْلِهِ فَقَالَ لَهُ : مَا أَسْمُكَ . قَالَ : سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ . قَالَ بَلْ أَنْتَ  
شَقِيٌّ بْنُ كُسَيْرٍ . وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ مِنَ الْفُصَحَاءِ الْمَعْدُودِينَ وَفِي  
كَلَامِهِ هَذَا مُطَابَقَةٌ حَسَنَةٌ فَإِنَّ قَوْلَ الْأَسَدِيِّ إِلَى ضِدِّهِمَا فَقَالَ :  
فِي (سَعِيدٍ) شَقِيٌّ . وَفِي (جُبَيْرٍ) كُسَيْرٌ . وَهَذَا التَّوَعُّدُ مِنَ الْكَلَامِ  
لَمْ يَخْتَصَّ بِهِ اللَّهُ الْعَرَبِيَّةَ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ . وَمِمَّا وَجَدْتُهُ فِي  
لُغَةِ الْفَرَسِ أَنَّهُ لَا مَاتَ قَبَادُ أَحَدٍ مُلُوكِهِمْ قَالَ وَزِيرٌ : حَرَكْنَا  
بِسُكُونِهِ . وَأَوَّلُ كِتَابِ الْفُضُولِ لِبِقْرَاطٍ فِي الطَّبِيبِ قَوْلُهُ : أَلْعَمْرُ  
قَصِيدٌ وَالصَّاعَةُ طَوِيلَةٌ . (وَأَمَّا الْمُقَابَلَةُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ فِي  
الْأَضْدَادِ) فَمِمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ الْمُتَنَعِّعِ الْكِنْدِيِّ مِنْ شُعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ :  
لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غَنَى . وَإِنْ قُلَّ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمْ رِفْدًا  
قَوْلُهُ : (تَتَابَعَ لِي غَنَى) . بِمَعْنَى قَوْلِهِ : كَثُرَ مَالِي فَهُوَ إِذَا مُقَابَلَةٌ  
مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى لَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْأَضْدَادِ اللَّفْظِيَّةِ إِنَّمَا  
هِيَ فِي الْمَفْرَدَاتِ مِنَ الْأَلْفَاظِ نَحْوُ : قَامَ وَقَعَدَ . وَحَلَّ وَعَعَدَ . وَقَلَّ  
وَكَثُرَ . فَإِنَّ الْقِيَامَ ضِدَّ الْقُعُودِ . وَالْحَلَّ ضِدَّ الْعَقْدِ . وَالْقَلِيلَ ضِدَّ  
الْكَثِيرِ . فَإِذَا تَرَكْنَا الْمَفْرُودَ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَتَوَصَّلَ إِلَى مُقَابَلَتِهِ بِلَفْظٍ  
مُرَكَّبٍ كَانَ ذَلِكَ مُقَابَلَةً مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى لَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ كَقَوْلِ  
هَذَا الشَّاعِرِ : (تَتَابَعَ لِي غَنَى) . فِي مَعْنَى (كَثُرَ مَالِي) وَهَذِهِ مُقَابَلَةٌ  
مَعْنَوِيَّةٌ لَا لَفْظِيَّةٌ فَاعْرِفْ ذَلِكَ . (وَأَمَّا مُقَابَلَةُ الشَّيْءِ بِمَا لَيْسَ بِضِدِّهِ .  
فَهِيَ ضَرْبَانِ : ( أَحَدُهُمَا ) أَنْ لَا يَكُونَ مِثْلًا . ( وَالْآخَرُ ) أَنْ

يَكُونُ مِثْلًا . فَالضَّرْبُ الْأَوَّلُ يَتَفَرَّغُ إِلَى فَوْعَيْنِ : ( الْأَوَّلُ ) مَا  
كَانَ بَيْنَ الْمُتَقَابِلِ بِهِ وَالْمُقَابِلِ نَوْعُ مُنَاسَبَةٍ وَتَقَارُبٍ . كَقَوْلِ قُرَيْطٍ  
أَبْنِ أُنَيْفٍ :

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا  
فَقَابِلِ الظُّلْمِ بِالْمَغْفِرَةِ وَلَيْسَ هُوَ ضِدًّا لَهَا . إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْمَغْفِرَةُ  
قَرِيبَةً مِنَ الْعَدْلِ حُسِّنَتِ الْمُقَابَلَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الظُّلْمِ . ( الْفَرْعُ الثَّانِي )  
مَا كَانَ بَيْنَ الْمُتَقَابِلِ وَالْمُقَابِلِ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ يَمَّا لَا يَحْسُنُ اسْتِعْمَالُهُ .  
كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ النَّسَبِيِّ :

لَمَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَرْضَ بِهَا سُرُورَ حُبٍّ أَوْ مَسَاءَةَ مُجْرِمٍ  
فَإِنَّ الْمُقَابَلَةَ الصَّحِيحَةَ بَيْنَ الْحُبِّ وَالْمُبْغِضِ لَا بَيْنَ الْحُبِّ وَالْمُجْرِمِ  
وَيَمَّا يَتَّصِلُ بِهَذَا الضَّرْبِ ضَرْبٌ مِنَ الْكَلَامِ يُسَمَّى الْمُؤَلَاخَةَ بَيْنَ  
الْعُلَايِ وَالْمُؤَلَاخَةِ بَيْنَ الْمُبَايِ وَكَانَ يَتَّبَعِي أَنْ تَعْقِدَ لَهُ بَابًا مُفْرَدًا  
لَكِنْ إِذَا رَأَيْتَهُ يَنْظُرُ إِلَى الْمُتَقَابِلِ مِنْ وَجْهِ وَصَلَتَهُ بِهِ . أَمَّا الْمُؤَلَاخَةُ  
بَيْنَ الْعُلَايِ فَهِيَ أَنْ يَذْكُرَ الْعُلَايُ مَعَ أَخِيهِ لَامَعَ الْأَجَنِّي . وَمِثْلُهُ  
أَنْ تَذْكُرَ وَصْفًا مِنَ الْأَوْصَافِ وَتَقْرَأَهُ بِمَا يَقْرُبُ مِنْهُ وَيَلْتَمِسُ بِهِ  
فَإِنْ ذَكَرْتَهُ مَعَ مَا يَبْعُدُ مِنْهُ كَانَ ذَلِكَ قَدْخًا فِي الصَّنَاعَةِ وَإِنْ  
كَانَ جَائِزًا . وَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا نُوَّاسٍ يَقَعُ فِي هَذَا الْغَلَطِ كَثِيرًا كَقَوْلِهِ  
فِي وَصْفِ الدِّيكِ :

لَهُ أَعْدَالٌ وَأَنْتَبَابٌ قَدْ وَجَلَدَهُ يُشْبِهُ وَشْيَ الْبَرْدِ  
كَأَنَّهَا الْهُدَابُ فِي الْفَرِيدِ مُحْدَوِبُ الظُّهْرِ كَرِيمُ الْجَدِ

فَإِنَّهُ ذَكَرَ الظَّهْرَ وَقَرَنَهُ بِذِكْرِ الْجِدِّ وَهَذَا لَا يُنَاسِبُ هَذَا لِأَنَّ  
الظَّهْرَ فِي حُمْلَةِ الْخَلْقِ وَالْجِدُّ فِي النَّسَبِ . وَأَمَّا ( الْمَوَاقِفُ بَيْنَ الْمُبَازِينِ )  
فَلأنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِمَبَازِينِ الْأَلْفَاظِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُسْلِمٍ بْنِ الْوَلِيدِ :  
فَإِذَا هَبَّ كَمَا نَهَبَتْ غَوَادِي مُزْمَةٍ يُشْنِي عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ  
وَالْأَحْسَنُ أَنْ : يُقَالَ السَّهْلُ وَالْوَعْرُ أَوْ السُّهُولُ وَالْأَوْعَارُ .  
لِيَكُونَ الْإِنْبَاءُ الَّلَفْظِيُّ وَاحِدًا أَيْ أَنْ يَكُونَ الَّلَفْظَانِ وَارِدَيْنِ عَلَى  
صِغَةِ الْجَمْعِ أَوْ الْأَفْرَادِ . وَإِذَا أَنْصَفْنَا هَذَا الْمَوْضِعَ وَجَدْنَا النَّاسَ مُطَالِبًا  
بِهِ دُونَ النَّاسِظِ لِمَكَانِهِ مِنْ التَّصْرِيفِ . ( الضَّرْبُ الثَّانِي )  
هُوَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّيْءِ بِمِثْلِهِ وَهُوَ يَتَرَعَّعُ إِلَى فَرْعَيْنِ : ( أَحَدُهُمَا ) مُقَابَلَةُ  
الْمُفْرَدِ بِالْمُفْرَدِ . ( وَالْآخَرُ ) مُقَابَلَةُ الْجُمْلَةِ بِالْجُمْلَةِ . ( الْفَرْعُ الْأَوَّلُ )  
كَقَوْلِهِ : نَسُوا اللَّهَ فَلَنَسِيَهُمْ . وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْمَوْضِعُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا  
فَإِذَا وَرَدَ فِي صَدْرِ آيَةٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَى جَوَابٍ كَانَ جَوَابُهُ بِإِثْلَا كَقَوْلِهِ :  
مَنْ كَفَرَ فَلْيَكُفِّرْهُ . وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ جَوَابٍ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي  
فِيهِ هَذِهِ الْمُرَاعَاةُ الَّلَفْظِيَّةُ . ( الْفَرْعُ الثَّانِي فِي مُقَابَلَةِ الْجُمْلَةِ بِالْجُمْلَةِ )  
إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مُسْتَقْبَلًا قُوبِلَتْ بِمُسْتَقْبَلَةٍ .  
وَإِنْ كَانَتْ مَاضِيَةً قُوبِلَتْ بِمَاضِيَةٍ وَرَبَّمَا قُوبِلَتْ الْمَاضِيَةُ بِمُسْتَقْبَلَةٍ  
وَالْمُسْتَقْبَلَةُ بِالْمَاضِيَةِ إِذَا كَانَتْ أَحَدَاهُمَا بِمَعْنَى الْآخَرَى فَمِنْ ذَلِكَ  
قَوْلُهُ : قُلْ إِنْ ضَلَّتْ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فَمَا  
يُوجِيئِي إِلَى رَبِّي . فَإِنَّ هَذَا تَعَابُلٌ مِنْ جِهَةِ الْغَنَى وَلَوْ كَانَ التَّعَابُلُ  
مِنْ جِهَةِ الَّلَفْظِ أَقَالَ : وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فَإِنَّمَا أَهْتَدِي لَهَا

## البحث السابع

### في حقيقة التجنيس

( عن كتاب جنان الحناس للصفي وعن التريشي وابن الاثير )

( راجع صفحة ١٨ من علم الادب )

اعلم ان التجنيس غرّة شاذّة في وجه الكلام وقد تصرف  
العلماء من ارباب هذه الصنعة فيه قرويا وشرقوا لاسيما المحدثين  
منهم. وصنف الناس فيه كتباً كثيرة وجعلوه ابواباً متعدّدة واختلفوا  
في ذلك وادخلوا بعض تلك الابواب في بعض. وانما سمي هذا  
النوع من الكلام مجانساً لان حروف الفاظه يكون تركيبها من  
جنس واحد. لما حقيقة فاعلم ان ارباب البلاغة عرفوه بمحدود  
اختلفت اقوالهم فيها. فقال الرّماني : هو يكان اللماني باواع من  
الكلام يجمعها اصل واحد من اللغة. وقال قدامة : هو اشتراك  
اللماني في الفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق. وقال ابن المعتز :  
هو ان تحي بكلمة مجانس اخها. وقال ابن الاثير الجوري :  
انجاس هو ان يكون اللفظ واحداً واللعنى مختلفاً. وقال بدر الدين  
ابن الخوري في ضوء التصحيح : هو ان يوتى بمتماثلين في الحروف  
او بعضها متماثلين في اصل المعنى في غير ردّ العجز على الصدر .  
فهذا حمله ما حصرني من حدود القوم عند تعليق هذا الفصل .  
( قلت ) اما حد الرّماني فانه اسلم بما بعده لكنه غير جامع

لِأَنَّهُ يُخْرَجُ عَنْهُ جِنَاسُ التَّضْخِيفِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْمُرَكَّبِ وَجِنَاسُ  
 الْمَعْنَى وَالْجِنَاسُ الْمَطْبَعُ . وَأَمَّا حَدُّ قِدَامَةٍ فَإِنَّهُ عَرَفَ الشَّيْءَ  
 بِنَفْسِهِ وَهَذَا غَيْرُ جَائِزٍ لِأَنَّ قَوْلَهُ : ( فِي أَلْفَاظٍ مُتَجَابِسَةٍ ) يُقْضَى إِلَى  
 الدَّوْرِ لِأَنَّا هَذَا لَا نَعْرِفُ الْمُتَجَابِسَ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِقَةِ الْجِنَاسِ وَلَا نَعْرِفُ  
 الْجِنَاسَ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِقَةِ الْمُتَجَابِسِ فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى الدَّوْرِ وَهُوَ مُحَالٌ .  
 وَيُمْكِنُ الْجَوَابُ عَنْهُ بِأَن يُقَالَ : إِنَّهُ مَا أَرَادَ الْمُتَجَابِسَ فِي الْأَصْطِلَاحِ  
 بَلِ الْمُتَجَابِسَ فِي اللَّغَةِ أَيْ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَشَابِهَةِ . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ  
 فَهُوَ حَدُّ مُضْطَرَبٌ إِذْ فِيهِ لَفْظٌ مُوَهَّمٌ وَالْحُدُودُ يُجْتَنَبُ فِيهَا مِثْلُ  
 ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ : ( عَلَى جِهَةِ الْأِشْتِقَاقِ ) يُخْرَجُ عَنْهُ جَمِيعُ أَنْوَاعِ  
 الْجِنَاسِ إِلَّا الْجِنَاسَ الْمُشْتَقَّ . وَأَمَّا حَدُّ آئِنِ الْمُعْتَرِّ فَهُوَ أَيْضًا  
 تَعْرِيفٌ دَوْرِيٌّ وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ فِي صِنَاعَةِ الْحُدُودِ وَالرُّسُومِ . وَأَمَّا  
 حَدُّ آئِنِ الْآثِيرِ فَهُوَ أَيْضًا غَيْرُ جَامِعٍ لِأَنَّهُ يُخْرَجُ عَنْهُ مِثْلُ الْجِنَاسِ  
 الْمُرْدُوجِ وَالْجِنَاسِ الْمَطْبَعِ وَالْجِنَاسِ لِحُطِّيٍّ وَالْجِنَاسِ الْمَعْنَوِيِّ  
 عَلَى مَا سَيُظْهِرُ لَكَ عِنْدَ كَشْفِ كُلِّ مَلْهِيَةٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ . وَأَمَّا حَدُّ  
 بَذَرِ الدِّينِ آئِنِ التَّخْوِيَةِ فَإِنَّ قَوْلَهُ : ( مُتَمَاثِلِينَ ) جِنْسٌ يَشْمَلُ  
 الْمُمَازِلَ مُطْلَقًا سَوَاءً كَانَ لَفْظًا أَوْ مَعْنَى . وَقَوْلُهُ : ( فِي الْحُرُوفِ )  
 فَصْلٌ يُخْرَجُ بِهِ الْمُمَازِلَ مَعْنَى . وَقَوْلُهُ : ( أَوْ بَعْضُهَا ) مُدْخِلٌ لِلْجِنَاسِ  
 الْمَطْبَعِ وَالْحُكَايَةِ وَالْإِشْتِقَاقِ . وَقَوْلُهُ : ( مُتَغَايِرِينَ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى )  
 لَا فَائِدَةَ فِيهِ لِأَنَّ هَذَا مَعْلُومٌ فِي قَوْلِهِ : ( مُتَمَاثِلِينَ فِي الْحُرُوفِ ) أَيْ  
 دُونَ مَعْنَاهَا لَكِنْ فِيهِ زِيَادَةٌ بَيَانٍ . وَقَوْلُهُ : ( فِي غَيْرِ رَدِّ الْعَجْزِ )

عَلَى الصَّدْرِ) هَذَا لَاحِظَةٌ إِلَيْهِ وَلَا فَائِدَةٌ فِي هَذَا الْإِحْتِرَازِ كَمَا  
يُظْهَرُ فِي التَّنْشِيلِ وَلَوْ زَادَ قَوْلُهُ: بِمَثَلَيْنِ فِي الْحُرُوفِ أَوْ بَعْضِهَا أَوْ  
صُورَتِهَا لَكَانَ أَحْوَدَ لِيَدْخُلَ فِيهِ الْجِنَاسُ الْخَطِيئُ . وَالَّذِي اخْتَارَهُ  
أَنَا فِي رَسْمِ الْجِنَاسِ أَنْ أَقُولَ : هُوَ الْإِتْيَانُ بِمَثَلَيْنِ فِي الْحُرُوفِ  
أَوْ بَعْضِهَا أَوْ فِي الصُّورَةِ أَوْ زِيَادَةٍ فِي أَحَدِهِمَا أَوْ بِمُخَالَفَتَيْنِ فِي  
الترتيبِ نَظْمًا أَوْ الْحَرَكَاتِ أَوْ بِمِثَالٍ يُرَادُفُ مَعْنَاهُ مِثَالًا آخَرَ .  
وَلَعَلَّ هَذَا الرِّسْمَ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ بِمَا ذَكَرَ . وَقَوْلِي (مَثَلَيْنِ)  
جِنْسٌ يَشْمَلُ الْمِثَالِ لَفْظًا وَمَعْنَى . وَقَوْلِي : ( فِي الْحُرُوفِ ) فَضْلٌ  
أَخْرَجَ الْمِثَالِ مَعْنَى كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ زَيْدٌ . وَأَدْخَلَ الْجِنَاسَ أَلْتَمَاسُ  
كَقَوْلِكَ يَحْيَى يَحْيَى . وَالْجِنَاسُ الْمُرَكَّبُ كَقَوْلِكَ : نِعْمَتُهُ ذَاهِبَةٌ . إِنْ  
لَمْ يَكُنْ ذَاهِبَةً . وَقَوْلِي : ( أَوْ بَعْضِهَا ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُطْمَعِ  
كَقَوْلِكَ : الْأَمْوَالُ وَالْأَمْوَالُ . وَالْجِنَاسُ الْمُقَابِضُ كَقَوْلِكَ : الْهُمُومُ  
عَلَى قَدْرِ الْهَمِّ . وَقَوْلِي : ( أَوْ فِي الصُّورَةِ ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْخَطِيئُ  
كَقَوْلِكَ : لَا تُضَعُ يَوْمَكَ فِي يَوْمِكَ . وَقَوْلِي : ( أَوْ زِيَادَةٍ ) فِي  
أَحَدِهِمَا أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُخَالَفَ كَقَوْلِكَ : الْمَاءُ مِنَ الْأَنْجَارِ جَارٍ .  
وَقَوْلِي : أَوْ بِمُخَالَفَتَيْنِ فِي التَّرْتِيبِ أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُخَالَفَ كَقَوْلِكَ :  
بَيْضُ الصَّخَائِفِ وَالصَّخَائِفِ . وَقَوْلِي ( أَوْ الْحَرَكَاتِ ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ  
الْمُعَايِدَ كَقَوْلِكَ : أَعْتَمَّ هُبَاتِ الْهَبَاتِ . وَقَوْلِي : ( أَوْ بِمِثَالٍ )  
يُرَادُفُ مَعْنَاهُ مِثَالًا آخَرَ ظَنًّا ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُعْتَرِيَّ كَقَوْلِكَ :  
أَمْرٌ عَظِيمٌ ظَهَرَ الْوُثَّةُ فِيهِ بِالْأَسَدِ . إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ :

( بِالْيَتِّ ) ثُمَّ عَدَلَتْ إِلَى مَا يُرَادُفُهُ وَهُوَ الْأَسَدُ . وَقَوْلِي : ( قَطْمًا )  
إِعْلَامٌ بِأَنَّ هَذَا التَّوَعَّ مِنْ الْجِلَاسِ إِنَّمَا يَجِيءُ فِي النَّظْمِ دُونَ النَّثْرِ .  
وَقَطْمُهُ عِلَّةٌ هَذَا فِي مَكَانِهِ . قَدْ بَرَّ هَذَا الرِّثْمَ تَجْدُهُ مَا أَخْلَى بِبُوعٍ  
مِنْ أَوْرَاعِ الْجِلَاسِ . وَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ الْبَدِيعِ : إِنَّ الْجِلَاسَ يَجْنُسُ إِذَا  
قُلَّ وَلَّى فِي الْكَلَامِ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَلَا اسْتِكْرَاهٍ وَلَا بُعْدٍ  
وَلَا مِيلٍ إِلَى جَانِبٍ . وَلَمْ يَخْجِ إِلَيْهِ بِكَفَّةٍ اسْتِعْمَالِهِ إِلَّا مَنْ  
قَصَرَتْ هِمَّتُهُ عَنْ اخْتِرَاعِ أَلْعَانِي الَّتِي هِيَ كَالْجُحْمِ الزَّاهِرَةِ فِي أَفْرِ  
الْأَلْفَاطِ . وَإِذَا خَلَّتْ يُبُوتُ الْأَلْفَاطِ مِنْ مُكَانِ أَلْعَانِي تَذَكَّتْ  
مَثَرَةَ الْأَطْلَالِ الْبَالِيَةِ

### البحث الثامن

#### في ذكر انواع التجنيس

إِعْلَامٌ أَنَّ أَنْوَاعَ الْجِلَاسِ كَثِيرَةٌ اقْتَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِ اخْتِصَافِهَا وَأَوَّلَهَا  
الْجِلَاسُ ( الْمُرْكَبُ ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الرُّكْنَيْنِ كَلِمَةً مُفْرَدَةً  
وَالْأُخْرَى مُرَكَّبَةً مِنْ كَلِمَتَيْنِ وَهُوَ عَلَى ضَرِيئَيْنِ : فَأَوَّلُ مَا تَشَاهَ  
لَفْظًا وَخَطًا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

عَضْنَا اللَّهْرُ بِبَايَةٍ      لَيْتَ مَا حَلَّ بِبَايَةٍ

وَالثَّانِي مَا هُوَ مُتَشَاهٍ لَفْظًا لَا خَطًا وَيَسْمَى الْمَفْرُوقَ كَقَوْلِ  
الشَّاعِرِ :

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الرُّوَادَةِ قَصِيدَةً      مَا لَمْ تَكُنْ بَالِغَتْ فِي تَهْذِيبِهَا

وَأَذَاعَرَضْتَ الشَّعْرَ غَيْرَ مَهْدَبٍ عَدُوهُ مِنْكَ وَسَاوِسًا تَهْدِي بِهَا  
وَالْجَنَاسِ الْمُرَكَّبِ نَوْعٌ يُسَمَّى (الْمُرْفُوعُ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ  
الرُّكْنَيْنِ جُزْءًا مُسْتَقِلًّا وَالْآخَرُ مُجْزَأً مِنْ كَلِمَةٍ أُخْرَى كَقَوْلِ  
الْحَرِيرِيِّ :

وَالْكَرَّهَاءُ أَنْطَفَتْ لَا تَأْتِيهِ لِيَتَّقِي السُّودَدَ وَالْمَكْرَمَةَ  
وَقَوْلُهُ :

وَلَا تَلْهَ عَنْ تَذْكَارِذِنِكَ وَأَبِيهِ بِدَسْعٍ يُجَاكِي الْأَزْنَ حَالَهُ صَابِهٍ  
وَمِثْلَ لَيْتِيكَ الْجَمَامِ وَوَقْفَةٍ وَرَوْعَةٍ مَلَقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِهٍ  
وَهَذَا النَّوعُ لَا يَحْتَاطُ مِنْ تَصْنُفٍ وَتَقْيِيدٍ فِي التَّرْكِيبِ . وَمِنْ  
أَنْوَاعِ الْجَنَاسِ (الْمُلْتَقَى) وَحَدُّهُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مِنَ الرُّكْنَيْنِ مُرَكَّبًا  
مِنْ كَلِمَتَيْنِ وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُرَكَّبِ وَقُلُّ مَنْ أَفْرَدَهُ عَنْهُ  
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَكَمْ مَحَبَّاهِ الْأَرَاغِينِ إِلَيْهِ مِنْ مَجَالِ سُجُودٍ فِي مَجَالِسِ جُودٍ  
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجَنَاسِ (الْمُذَيَّلُ وَاللَّاحِقُ) . فَالْمُذَيَّلُ هُوَ مَا زَادَ  
أَحَدُ رُكْنَيْهِ عَلَى الْآخَرِ حَرْفًا فِي آخِرِهِ فَصَارَ لَهُ كَالَّذِي سَلِ كَقَوْلِ  
أَبِي نَمَامٍ :

يُمْدُونَ فِي أَيْدٍ عَوَاصِرِ عَوَاصِمِ تَصُولُ بِأَسْيَافِ قَوَاضٍ قَوَاضِي  
وَقَالَ آخَرُ :

عَذِيرِي مِنْ دَهْرِ مُوَارِبِ مُوَارِبِ لَهُ حَسَاتُ كُلُّهُنَّ ذُنُوبُ  
وَقَدْ تَأْتِي الزِّيَادَةُ فِي آخِرِ الذَّيْلِ بِحَرْفَيْنِ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ فِي رِثَاءٍ :



فِيَا لَكَ مِنْ حَزْمٍ وَعَزْمٍ طَوَاهُمَا جَدِيدُ الرَّدَى تَحْتَ الصَّافَا وَالصَّافِجِ  
وَأَرْقُ مَا سَيِّفْتُ فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِ الْقَاتِلِ :  
إِنَّ أَلْبَسَاءَ هُوَ الشِّقَاءُ م مِنْ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ  
وَأَمَّا (الْأَلْحِقُ) فَهُوَ مَا أُبْدِلَ فِي أَحَدِ ذِكْنَيْهِ حَرْفٌ مِنْ غَيْرِ تَحْرِجِهِ  
كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي جَوَابِ رِسَالَةٍ : وَصَلَ كِتَابُكَ فَتَاوَلْتُهُ بِأَيْمِينِ  
وَوَضَعْتُهُ مَكَانَ الْعَهْدِ الثَّانِي . وَكَقَوْلِ الْآخَرِ : أَمَّا أَلَيْتِمَ فَلَا  
تَقْهَرُ . وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرُ . وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْجَلَسِ الْأَلْحِقِ وَالْجَلَسِ  
الْمُضَارِعِ أَنَّ حُرُوفَ الْأَلْحِقِ لَيْسَتْ مِنْ تَحْرِجٍ وَاحِدٍ كَالثَوْنِ وَالْقَافِ  
فِي : (تَقْهَرُ وَتَنْهَرُ) . وَأَمَّا حُرُوفُ الْمُضَارِعِ فَلَهَا مُتَشَابِهَةٌ فِي التَّحْرِجِ  
كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : إِنَّ الْخَيْلَ مَعْقُودٌ بِوَأَصِيهَا الْخَيْرُ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ  
بَعْضِهِمْ : أَلْبَرَايَا أَهْدَافُ أَلْبَلَايَا . فَإِنَّ الرَّاءَ وَاللَّامَ مِنْ تَحْرِجٍ وَاحِدٍ  
وَمِنْ أَنْوَاعِ التَّجْنِيسِ (الْتَامُ) . وَهُوَ مَا تَمَّ ثَلَاثَ رُكْنَاهُ وَاتَّفَقَا لَفْظًا  
وَاخْتَلَفَا مَعْنَى مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ فِي تَضَعِجِ تَرْكِيبِهِمَا وَاخْتِلَافِ  
حَرَكَتَيْهِمَا سَوَاءً كَانَا مِنْ أَسْمَاءٍ أَوْ مِنْ فِعَالَيْنِ أَوْ مِنْ أَسْمٍ وَفَعْلٍ  
فَانْتَهَمَ قَالُوا : إِذَا انْتَضَمَ ذِكْنَاهُ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ كَلْسَمَيْنِ أَوْ فِعْلَيْنِ  
سُيِّئَ تَمَازُلًا وَإِنْ انْتَضَمَا مِنْ نَوْعَيْنِ كَأَسْمٍ وَفَعْلٍ سُيِّئَ مُسْتَوْفَى .  
وَجُلُّ الْقَصْدِ تَمَازُلُ الرُّكْنَيْنِ فِي اللَّفْظِ وَالْحُطِّ وَالْحَرَكَةِ وَاخْتِلَافُهُمَا  
فِي الْمَعْنَى . فَهُوَ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ : صَوَاةُ الْبَاطِلِ سَاعَةٌ  
وَصَوَاةُ الْحَقِّ إِلَى السَّاعَةِ . وَمِنْ الشَّعْرِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي رِثَاءِ صَغِيرٍ  
أَسْمُهُ يَحْيَى :

وَسَمِيَّتُهُ يَحْيَىٰ لِيَحْيَا وَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلٌ  
وَكَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

عَبَّاسُ عَبَّاسٌ إِذَا اخْتَدَمَ الْوَعَى وَأَنْفَضِلُ فَضْلٌ وَالْأَرْبَعُ رَبْعٌ  
وَمِنْهُ الْجِنَاسُ (الْمُطَرَّفُ) وَهُوَ مَا زَادَ أَحَدُ رُكْنَيْهِ عَلَى الْآخَرِ  
حَرْفًا فِي طَرَفِهِ الْأَوَّلِ . وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَذِيلِ . فَإِنَّ  
الزِّيَادَةَ فِي الْمَذِيلِ تَكُونُ فِي آخِرِهِ . وَأَمَّا الْمُطَرَّفُ فَتَكُونُ زِيَادَتُهُ  
فِي أَوَّلِهِ لِتَصِيرَ لَهُ كَالْمُطَرَّفِ وَيُسَمَّى أَيْضًا التَّاقِصَ وَالْمُرْدَفَ وَالْمُزْدَجَّ  
وَالْمُكْرَّرَ وَالْمُرْدُودَ وَالْمُجَنَّبَ وَفِي تَسْمِيَّتِهِ اخْتِلَافٌ . وَالزِّيَادَةُ تَكُونُ  
ثَلَاثَةً فِي أَوَّلِ الرُّكْنِ الثَّانِي وَثَلَاثَةٌ فِي أَوَّلِ الرُّكْنِ الْأَوَّلِ  
كَقَوْلِهِمْ : لَمَّا مَلَأَ الصَّاعَ أَنْصَاعَ . وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

وَكَمْ سَبَقَتْ مِنْهُ إِلَى عَوَارِفُ ثَنَائِي عَلَى تِلْكَ الْعَوَارِفِ وَدَارِفُ  
وَكَمْ غَوَرَتْ مِنْ بَرِّهِ وَلَطَائِفُ لَشْكْرِ عَلَى تِلْكَ اللَّطَائِفِ طَائِفُ  
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْفُظْيُ) وَهُوَ أَنْ يَتِمَّ ثَلَاثُ رُكْنَانِ  
وَيُجَانَسَا خَطًّا إِلَّا أَنْ أَحَدَهُمَا يُخَالَفُ الْآخَرَ بِإِبْدَالِ حَرْفٍ مِنْهُ فِيهِ  
مُنَاسَبَةٌ لَفْظِيَّةٌ كَمَا الَّذِي يُكْتَبُ بِالضَّادِ وَالظَّاءِ كَقَوْلِهِ : وَجُوهٌ  
يُؤْنِذُ فَاضِرَةً إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ . وَكَقَوْلِ ابْنِ الْعَرِيفِ :

أَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ وَجْهًا وَمَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَحَقَّ بِالْمَدْحِ فَن  
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْجِنَاسُ الْمُتَقَابِلُ) وَسَمَاءُ قَوْمِ الْمُعْكُوسِ وَذَلِكَ  
ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا عَكْسُ الْأَلْفَاظِ وَالثَّانِي عَكْسُ الْحُرُوفِ . فَالْأَوَّلُ  
كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ : عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

إِنَّ الْيَلِيلِي لِلْأَنَامِ مَنَاهِلٌ      تُطَوَّى وَتُنَشَرُ بَيْنَهَا الْأَعْمَارُ  
قِصَادُهُنَّ مَعَ الْهُمُومِ طَوِيلَةٌ      وَطَوَالُّهُنَّ مَعَ السُّرُورِ قِصَارُ  
وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ التَّخْيِيسِ لَهُ حِلَاوَةٌ وَعَلَيْهِ رَوْنٌ وَقَدْ سَمَاهُ  
قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ: (التَّبْدِيلُ). وَذَلِكَ أَنَّهُ مُنَاسِبٌ لِسَمَاهُ  
لِأَنَّ مُؤَلِّفَ الْكَلَامِ يَأْتِي بِمَا كَانَ مُقَدِّمًا فِي جُزْءِ كَلَامِهِ الْأَوَّلِ  
مُؤَخَّرًا فِي الثَّانِي وَبِمَا كَانَ مُؤَخَّرًا فِي الْأَوَّلِ مُقَدِّمًا فِي الثَّانِي. وَأَمَّا  
الضَّرْبُ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْقِسْمِ وَهُوَ عَكْسُ الْحُرُوفِ فَكَقُولُ  
بَعْضُهُمْ:

أَهْدَيْتُ شَيْئًا يَمْلُ الْأَوَّلَا      أُحْدِثُهُ أَقَالِ وَالْتَبَرُّكَ  
كَرِهِي تَفَالَتْ فِيهِ لَمَّا      رَأَيْتُ مَقْلُوبَةً يَسْرُكَ  
وَرَبَّمَا كَانَ أَلَيْتُ كُلَّهُ مَعْكُوسًا      يُقْرَأُ طَرْدًا وَعَكْسًا وَأَلَيْتُ  
الثَّانِي مِنْهُ مَعْكُوسٌ كَقَوْلِ الْأَرَجَائِي:

أَحِبُّ الْمَرْءَ ظَاهِرُهُ حَمِيلٌ      لِصَاحِبِهِ وَبَاطِنُهُ سَلِيمٌ  
مَوَدَّةٌ تَدُومُ لِكُلِّ هَوَلٍ      وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّةٍ تَدُومُ  
وَمِنْ أَنْوَاعِهِ (الْجُلُوسُ الْمُتَقَارِبُ) وَرَنَّهُمْ مَنْ يُسَمِّيهِ جِنَاسَ الْإِشْتِقَاقِ  
وَجِنَاسَ الْإِقْتِضَابِ وَهُوَ يَنْقَسِمُ إِلَى أَنْوَاعٍ وَهِيَ أَنْ يَكُونَ الرُّكْنَانِ  
أَسْمَيْنِ كَقَوْلِ الصَّاحِبِ: إِنَّ الْهُمُومَ يَقْدِرُ الْهَمَمُ. وَكَقَوْلِ الْقَائِلِ:  
رَوْحٌ وَرَيْنَحَانٌ. وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الرُّكْنَيْنِ أَسْمًا وَالْآخَرُ فِعْلًا  
نَحْوُ: وَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَى اللَّهِ. وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ الرُّكْنَانِ فِعْلَيْنِ.  
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِنْ تَرَأَيْتُنَا أَغَارَتْ وَنُجُومُ السَّعْدِ غَارَتْ  
فَصُرُوفُ اللَّهْرِ شَتَّى كُلَّمَا جَارَتْ لَجَارَتْ

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْمَعْنَوِي) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ رُكْنَيْ  
الْجِنَاسِ دَالًّا عَلَى مَعْنَى الْآخَرِ فِي غَيْرِ الْقَاطِطِ وَهَذَا النَّوعُ اسْتَدْرَكُهُ فَضْلُهُ  
الْمُتَأَخِّرِينَ وَاسْتَحْجَبَهُ وَبَعْضُهُمْ لَا يَعُدُّهُ جِنَاسًا لِأَنَّهُ قَلْبًا يُوجَدُ فِي  
الْكَلَامِ لِنَوْعِهِ مَسْلُوكٍ . وَسَبَبُ وَرُودِ هَذَا النَّوعِ فِي الْكَلَامِ  
أَنَّ الشَّاعِرَ يَصُدُّ الْحِجَاسَةَ فِي كَلَامِهِ بَيْنَ لَفْظَتَيْنِ فَلَا يَوَاقِفُهُ أَلْوَزَنُ  
عَلَى اثْبَاتِ أَحَدِ رُكْنَيْ الْجِنَاسِ فَيَعْدِلُ إِلَى مَا يَوَاقِفُهُ مَعْنَى وَيُجَالِئُهُ  
لَفْظًا وَعَلَى هَذَا لَا وَرُودَ لِهَذَا النَّوعِ فِي الْكَلَامِ اَلْمَشْهُورِ إِذْ لَا وَزْنَ  
يَضْطَرُّهُ إِلَى الْإِتْيَانِ بِذَلِكَ . وَمِنْ أَمَثَلِهِ أَرْبَابُ الْبَيْعِ فِي هَذَا  
النَّوعِ قَوْلُ الشَّاعِرِ يَمْدَحُ الْمُهَلَّبَ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَيَذْكُرُ فِعْلَهُ  
بِقَطْرِي بْنِ الْحُجَّاءِ وَكَانَ قَطْرِيُّ يُكْنَى أَبَا نَعَامَةَ :

حَدَا بِأَبِي أُمِّ الرِّثَالِ فَاجْتَلَتْ نَعَامَتُهُ مِنْ عَارِضٍ مُتَلَهِّبٍ  
أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : حَدَا بِأَبِي نَعَامَةَ فَاجْتَلَتْ نَعَامَتُهُ أَيَّ رُوحُهُ فَلَمْ  
يُسَاعِدْهُ أَلْوَزَنُ فَقَالَ : يَا بِي أُمِّ الرِّثَالِ لِأَنَّ الرِّثَالَ فِرَاحُ النُّعَامَةِ .  
وَأَعْلَمَ أَنَّ الشُّعْرَاءَ عِنْدَ ظَنِّ هَذِهِ الْآيَاتِ مَا لَحِقُوا هَذِهِ الْمَقَاصِدَ  
الْبَعِيدَةَ . وَلَا يَحْتَفِئُ مَا فِي هَذَا مِنْ التَّكْلُفِ وَالتَّصَفِّ

## الفصل الثامن

في فنون الانشاء.

المبحث الاول

في المثل وشرفه

( عن الميداني )

( راجع صفحة ١٢٦ من علم الادب )

قَالَ الْمُبَرِّدُ : الْمَثَلُ مَا خُوذَ مِنْ أَمَثَالٍ وَهُوَ قَوْلٌ سَائِرٌ يُشَبَّهُ بِهِ  
حَالُ الثَّانِي بِالْأَوَّلِ وَالْأَصْلُ فِيهِ التَّشْبِيهُ . قَعُولُهُمْ : مَثَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ  
إِذَا انْتَصَبَ مَعْنَاهُ : أَشَبَّ الصُّورَةَ الْمُنْتَصِبَةَ . وَقُلَانُ أَمَثَلُ مِنْ فُلَانٍ  
أَيُّ أَشَبَّ بِمَا لَهُ الْفَضْلُ . وَالْمَثَالُ الْقِصَاصُ لِتَشْبِيهِ حَالِ الْمُقْتَصِرِ مِنْهُ  
بِحَالِ الْأَوَّلِ فَحَقِيقَةُ الْمَثَلِ مَا جُعِلَ كَمَا لَعَلَّ لِلتَّشْبِيهِ بِحَالِ الْأَوَّلِ . كَقَوْلِ  
كُتَيْبِ بْنِ زُهَيْرٍ :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا أَلَا بِاطْيِلُ  
مَوَاعِيدُ عُرُقٍ عِلْمٌ لِكُلِّ مَا لَا يَصِحُّ مِنَ الْمَوَاعِيدِ . وَقَالَ ابْنُ  
السَّكَيْتِ : الْمَثَلُ لَفْظٌ يُخَالِفُ لَفْظَ الْمَضْرُوبِ لَهُ وَيُؤَافِقُ مَعْنَاهُ  
مَعْنَى ذَلِكَ اللَّفْظِ . شَبَّهَهُ بِالْمَثَالِ الَّذِي يُعْمَلُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ . وَقَالَ غَيْرُهُمَا :  
سَيِّئَ الْحُكْمِ أَقْلَامٌ صَدَّقَتْهَا فِي الْقَوْلِ أَمَثَالًا لِأَنْتَصَابِ صُورِهَا

فِي الْقَوْلِ مُشْتَمَّةٌ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي هُوَ الْإِنْتِصَابُ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ  
النِّظَامُ : يَجْتَمِعُ فِي الْمَثَلِ أَرْبَعَةٌ لَا تَجْتَمِعُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ  
إِيجَازُ الْفَلْظِ وَإِصَابَةُ الْمَعْنَى وَحُسْنُ التَّشْبِيهِ وَجُودَةُ الْكِتَابَةِ فَهُوَ  
نَهَايَةُ الْبَلَاغَةِ . قَالَ ابْنُ الْقَلَنْجَرِ : إِذَا جُعِلَ الْكَلَامُ مَثَلًا كَانَ أَوْضَحَ  
لِلنَّاطِقِ وَأَقْبَلَ لِلسَّمْعِ وَأَوْسَعَ لِشُعُوبِ الْحَدِيثِ . قَالَ آخَرُ : إِنَّ  
الْأَمْثَالَ هِيَ وَثِيْقُ الْكَلَامِ وَجَوْهَرُ الْفَلْظِ وَحُلَى الْمَعْنَى الَّتِي تُحْدِثُهَا  
الْعَرَبُ وَقَدَمَتُهَا الْعَجْمُ وَنَطَقَ بِهَا كُلُّ زَمَانٍ وَدَارَتْ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ .  
فَهِيَ آخِرُ مِنَ الشَّعْرِ وَأَشْرَفُ مِنَ الْخَطَابَةِ . لَمْ يَسِرْ شَيْءٌ مَسِيرَهَا  
وَلَا عَمَّ غُومَهَا حَتَّى قِيلَ : أَسِيدٌ مِنْ مَثَلٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا أَنتَ إِلَّا مَثَلٌ سَاوٍ يَعْرِفُهُ الْجَاهِلُ وَالْعَابِرُ

هَذَا وَإِنَّ الْأَمْثَالَ تَحْكُمُ بِقَوَائِدِهَا صُدُورُ الْحَاظِلِ وَالْحَاضِرِ .  
وَتَحْكُمُ بِقَوَائِدِهَا قُلُوبُ الْبَادِي وَالْحَاضِرِ . وَتَقْدُرُ أَوَائِدُهَا فِي بَطُونِ  
الدَّفَائِرِ وَالصَّخَائِفِ . وَتَطِيرُ نَوَائِضُهَا فِي رُؤُوسِ الشَّوَاهِقِ وَظُهُورِ  
التَّنَائِفِ . يَحْتَاجُ الْخَطِيبُ وَالشَّاعِرُ إِلَى إِدْمَاجِهَا وَإِدْرَاجِهَا لِاسْتِمَالِهَا  
عَلَى آسَالِيْبِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَاجَةَ إِلَى الْأَمْثَالِ شَدِيدَةٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ  
تَضَعْ الْأَمْثَالَ إِلَّا لِأَسْبَابٍ أَوْجَبَتْهَا وَحَادِثَاتُ اقْتَضَتْهَا . فَصَادَ الْمَثَلُ  
الْمَضْرُوبُ لِأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ عِنْدَهُمْ كَالْعَلَامَةِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الشَّيْءُ  
وَلَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ أَوْجَزُ مِنْهَا وَلَا أَشَدُّ لاختصارًا . وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا  
أَذْكُرُهُ لَكَ لِيَكُونَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ عَلَى يَقِينٍ فَأَقُولُ : قَدْ جَاءَ عَنْ

الْعَرَبِ مِنْ جَمَلِهِمْ (إِنْ يَنْبَغُ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغُ عَلَيْكَ  
 الْقَمَرُ). وَهُوَ مِثْلُ يُضْرَبُ لِلْأَمْرِ الظَّاهِرِ الْمَشْهُورِ وَالْأَصْلُ فِيهِ كَمَا  
 قَالَ الْمَفْضَلُ بْنُ مُحَمَّدٍ: أَنَّهُ بَلَمَّا أَنَّ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ فِي  
 الْجَاهِلِيَّةِ تَرَاهُنُوا عَلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لِكَلِّهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِنَ الشَّهْرِ .  
 فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : طَلَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَرَى . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : يَغِيبُ  
 الْقَمَرُ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَدَرَّضُوا بِرَجُلٍ جَعَلُوهُ حَكَمًا . فَقَالَ  
 وَاحِدٌ مِنْهُمْ : إِنْ قَوْمِي يَنْبَغُونَ عَلَيَّ . فَقَالَ الْحَكَمُ : إِنْ يَنْبَغُ  
 عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغُ عَلَيْكَ الْقَمَرُ . فَذَهَبَتْ مَثَلًا . وَمِنْ الْمَعْلُومِ  
 أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ : (إِنْ يَنْبَغُ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغُ عَلَيْكَ الْقَمَرُ) .  
 إِذَا أُخِذَ عَلَى حَقِيقَتِهِ مِنْ غَيْرِ ظَنَرٍ إِلَى الْقُرْآنِ الْمُنَوَّطَةِ بِهِ وَالْأَسْبَابِ  
 الَّتِي قِيلَ مِنْ أَجْلِهَا لَا يُطْبِقُ مِنَ الْمَعْنَى مَا قَدْ أَعْطَاهُ الْمَثَلُ . وَذَلِكَ  
 الْمَثَلُ لَهُ مُقَدِّمَاتٌ وَأَسْبَابٌ قَدْ عُرِفَتْ وَصَلَتْ مَشْهُورَةً بَيْنَ النَّاسِ  
 مَعْلُومَةً عِنْدَهُمْ . وَحَيْثُ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ جَازَ إِيرَادُ هَذِهِ اللَّفْظَاتِ  
 فِي التَّعْيِيدِ عَنِ الْمُرَادِ وَلَوْلَا تِلْكَ الْمُقَدِّمَاتُ الْمَعْلُومَةُ وَالْأَسْبَابُ  
 الْمَعْرُوفَةُ لَمَا فُهِمَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : (إِنْ يَنْبَغُ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغُ  
 عَلَيْكَ الْقَمَرُ) مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْمَعْنَى الْقَصُودِ بَلْ مَا كَانَ يُفْهَمُ  
 مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مَعْنَى مُفِيدٌ . لِأَنَّ الْبَغْيَ هُوَ الظُّلْمُ وَالْقَمَرُ لَيْسَ مِنْ  
 شَأْنِهِ أَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا فَكَانَ يَصِيرُ مَعْنَى الْمَثَلِ : إِنْ كَانَ يَظْلِمُكَ  
 قَوْمُكَ لَا يَظْلِمُكَ الْقَمَرُ . وَهَذَا كَلَامٌ مُخْتَلٌ الْمَعْنَى لَيْسَ بِمُسْتَقِيمٍ .  
 فَلَمَّا كَانَتْ الْأَمْثَالُ كَالرُّمُوزِ وَالْإِشَارَاتِ الَّتِي يُلَوِّحُ بِهَا عَلَى الْمَعَانِي

تَلَوِيهَا صَارَتْ مِنْ أَوْجَزِ الْكَلَامِ وَأَكْثَرِهِ اخْتِصَارًا. وَمِنْ أَجْلِ  
ذَلِكَ قِيلَ فِي حَدِّ الْمَثَلِ : إِنَّهُ أَقْوَلُ الْوَجِيزِ الْمُرْسَلُ لِيُعْمَلَ عَلَيْهِ  
وَحَيْثُ هِيَ الْمَثَابَةُ فَلَا يَنْبَغِي الْإِخْلَالُ بِمَرَقَاتِهَا

## البحث الثاني

### في آداب المثل وشروطه

( عن الماوردي ومقدمة كلبه ودمته )

( راجع صفحة ١٣٣ من علم الادب )

وَمِنْ آدَابِ الْحَكِيمِ أَنْ يَجْتَنِبَ أَمْثَالَ الْعَامَّةِ الْقَوَاوِ وَيَتَخَصَّصَ  
بِأَمْثَالِ الْعُلَمَاءِ الْأَدَبَاءِ فَإِنَّ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ أَمْثَالَ تُشَابِكُهُمْ  
فَلَا تُحْدِ لِسَاقِطٍ إِلَّا مَثَلًا سَاقِطًا وَتَشْبِيهًا مُسْتَشْبَهًا ....  
وَلِذَلِكَ عِلَّتَانِ : أَحَدَاهُمَا أَنَّ الْأَمْثَالَ مِنْ هَوَاجِسِ الْهَمِّ  
وَخَطَرَاتِ النَّفْسِ وَلَمْ يَكُنْ لِذِي الْهَمَّةِ السَّاقِطَةِ إِلَّا مَثَلٌ مَرْدُودٌ  
وَتَشْبِيهٌ مَعْلُولٌ. وَالثَّانِيَةُ أَنَّ الْأَمْثَالَ مُسْتَحْرَجَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْمُتَشَبِّهِينَ  
بِهَا فَجَسِبَ مَا هُمْ عَلَيْهِ تَكُونُ أَمْثَلَهُمْ. فَلِهَاتَيْنِ الْعِلَتَيْنِ وَقَعَ الْفَرْقُ  
بَيْنَ أَمْثَالِ الْخَاصَّةِ وَأَمْثَالِ الْعَامَّةِ وَرَبَّمَا أَلْفُ الْمُتَخَصَّصِ مَثَلًا عَامِيًّا  
أَوْ تَشْبِيهًا رَكِيكًا لِكَثْرَةِ مَا يَطْرُقُ سَعَةً مِنْ مُحَاطَةِ الْأَرَادِلِ  
فَيَسْتَرْسِلُ فِي ضَرْبِهِ مَثَلًا قَاصِرًا مَثَلًا كَالَّذِي حُكِيَ عَنِ الْأَصْعَمِيِّ :  
إِنَّ الرَّشِيدَ سَأَلَهُ يَوْمًا عَنْ أَنْسَابِ بَعْضِ الْعَرَبِ . فَقَالَ : عَلَى الْخَيْرِ



سَقَطَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ : أَسَقَطَ اللَّهُ  
جَنَّتِكَ أَخْبَاطُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمِثْلِ هَذَا الْخَطَابِ . فَكَانَ الْفَضْلُ  
أَبْنُ الرَّيِّعِ مَعَ قَلْبِهِ عَلَيْهِ أَعْلَمَ بِمَا يُسْتَعْمَلُ مِنَ الْكَلَامِ فِي مُحَادَرَةِ  
الْخُلَفَاءِ مِنَ الْأَصْحَابِ الَّذِي هُوَ وَاحِدُ عَصْرِهِ وَفَرِيعُ دَهْرِهِ . وَالْأَمْثَالُ  
مِنَ الْكَلَامِ مَوْقِعٌ فِي الْأَسْمَاعِ وَتَأْثِيرٌ فِي الْقُلُوبِ لَا يَكَادُ الْكَلَامُ  
الْمُرْسَلُ يَبْلُغُ مَبْلَغَهَا وَلَا يُؤَثِّرُ تَأْثِيرَهَا لِأَنَّ الْمَعَانِيَ بِهَا لَا تَحْتِجُ وَالشَّوَاهِدُ  
بِهَا وَاضِحَةٌ وَالنُّفُوسَ بِهَا وَامِعَةٌ وَالْقُلُوبَ بِهَا وَائِقَةٌ وَالْعُقُولَ لَهَا  
مُوَافِقَةٌ . وَلَهَا أَرْبَعَةُ شُرُوطٍ : أَحَدُهَا صِحَّةُ التَّشْبِيهِ . وَالثَّانِي أَنْ  
يَكُونَ الْعِلْمُ بِهَا سَابِقًا وَالْكُلُّ عَلَيْهَا مُوَافِقًا . وَالثَّلَاثُ أَنْ يُسْرِعَ  
وُضُوعُهَا لِلْفَهْمِ وَيَجْعَلَ تَصَوُّرَهَا فِي الْوَهْمِ مِنْ غَيْرِ أَرْتِيَاءٍ فِي اسْتِحْرَاجِهَا  
وَلَا كَدٍ فِي اسْتِنْبَاطِهَا . وَالرَّابِعُ أَنْ تُنَاسِبَ حَالَ السَّامِعِ لِتَكُونَ  
أَبْلَغَ تَأْثِيرًا وَأَحْسَنَ مَوْقِعًا . فَإِذَا اجْتَمَعَتْ فِي الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ  
هَذِهِ الشَّرُوطُ الْأَرْبَعَةُ كَانَتْ زِينَةً لِلْكَلَامِ وَجَلَاءً لِلْمَعَانِي وَتَذَكُّرًا  
لِلْأَفْهَامِ .

قَالَ صَاحِبُ كَلِيَّةٍ وَدَمَنَةٍ : يُجِبُّ عَلَى قَارِيِ الْأَمْثَالِ أَنْ يُدِيمَ  
النَّظَرَ فِيهَا مِنْ غَيْرِ حَجَرٍ وَيَلْتَمِسَ جَوَاهِرَ مَعَانِيهَا وَلَا يَظُنَّ أَنَّ نَتِيجَتَهَا  
إِنَّمَا هِيَ الْأَخْبَارُ عَنْ حِيلَةٍ يَهْمِسَتَانِ أَوْ مُحَادَرَةٍ سَبْعٍ لِيُشَوِّرَ فَيَنْصَرِفَ  
بِذَلِكَ عَنِ الْقَرَضِ الْمَقْصُودِ وَيَكُونَ مِثْلُهُ مِثْلَ الصَّيَادِ الَّذِي كَانَ فِي  
بَعْضِ الْخِلْجَانِ يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكَ فِي ذَوْقٍ . فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي  
عَقِيْقِ الْمَاءِ صَدَقَةً تَتَلَا حُسْنًا قَتَوَهُمَا جَوْهَرًا لَهُ قِيَمَةٌ . وَكَانَ قَدْ أَتَى

شَبَكْتَهُ فِي الْبَحْرِ فَأَشْتَمَلَتْ عَلَى سَكَّةٍ كَانَتْ قُوتَ يَوْمِهِ . فَحَلَّاهَا  
وَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ لِيَأْخُذَ الصَّدَقَةَ . فَلَمَّا أَخْرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً  
لَا شَيْءَ فِيهَا بِمَا ظَنَّ قَدِيمَ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ لِلطَّمَعِ وَتَأَسَّفَ عَلَى  
مَا فَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي تَحْتَى عَنْ ذَلِكَ أَلَمَكَ أَنَّ وَاقِعَ  
شَبَكْتِهِ فَاصَابَ حُوتًا صَغِيرًا وَرَأَى أَيْضًا صَدَقَةً سَيِّئَةً فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا  
وَسَاءَ ظَنُّهَا بِهَا فَتَرَكَهَا . وَاجْتَاذَهَا بَعْضُ الصَّيَّادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا  
دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالًا . . . وَكَذَلِكَ الْجَهَالُ عَلَى إِغْثَالِ أَمْرِ التَّفَكُّرِ  
فِي الْأَمْثَالِ وَالْإِعْتِرَافِ بِهَا وَتَرْكِ الْوُقُوفِ عَلَى كَسْرِ مَعَانِيهَا وَالْأَخْذِ  
بِظَاهِرِهَا دُونَ الْإِخْذِ بِبَاطِنِهَا . وَمَنْ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى النَّظَرِ فِي  
أَبْوَابِ الْهَزْلِ مِنْهَا فَهُوَ كَرَجُلٍ أَعَابَ أَرْضًا طَيِّبَةً حُرَّةً وَجَبًّا  
صَحِيحًا فَرَزَعَهَا وَسَقَاهَا حَتَّى إِذَا قُرِبَ خَيْرُهَا تَشَاغَلَ عَنْهَا بِجَمْعِ مَا فِيهَا  
مِنَ الزَّهْرِ وَقَطَعَ الشُّوكَ فَأَهْلَكَ بِشَاغَلِهِ مَا كَانَ أَحْسَنَ فَاذِدَّةً  
وَأَجَلَ عَائِدَةً . وَيَتَّبِعِي لِلنَّظَرِ فِي الْأَمْثَالِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهَا تُقَسِّمُ  
إِلَى أَرْبَعَةِ أَغْرَاضٍ : أَحَدُهَا مَا قُصِدَ فِيهِ إِلَى وَضْعِهَا عَلَى السِّنَةِ  
الْبَهَائِمِ غَيْرِ النَّاطِقَةِ مِنْ مُسَارَعَةِ أَهْلِ الْهَزْلِ مِنَ الشُّبَّانِ إِلَى قَوَاعِيهَا  
فَقُسْتَمَالِ بِهِ قُوبُهُمْ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْغَرَضُ بِالْوَادِرِ مِنْ حِيلِ الْحَيَوَانَاتِ .  
وَالثَّانِي إِظْهَارُ خَيَالَاتِ الْحَيَوَانَاتِ بِصُوفِ الْأَصْبَاحِ وَالْأَلْوَانِ لِيَكُونَ  
أُنْسًا لِلْقُلُوبِ الْمُلُوكِ وَيَكُونَ حِرْصُهُمْ عَلَيْهَا أَشَدَّ لِأَثَرِهِ فِي تِلْكَ  
الصُّورِ . وَالثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ عَلَى هَذِهِ الصِّقَةِ كَمُخْذَا الْمُلُوكِ وَالسُّوقَةِ  
فَيَكْثُرُ بِذَلِكَ اتِّسَاعُهَا وَلَا يَبْطُلُ فَيَخْلَقُ عَلَى مُرُورِ الْأَيَّامِ . وَلِيَنْتَفِعَ

بِذَلِكَ الْمَصَوِّرُ وَالْمُصَوَّرُ أَبَدًا. وَأَقْرَضُ الرَّاعِ وَهُوَ الْأَقْصَى مَخْصُوصٌ  
بِالْفَيْلَسُوفِ خَاصَّةً لِيَكُونَ الْأَمْتَالُ رِيَاضَةً لِعَقْلِهِمْ إِذْ فِيهَا يُجِدُونَ مَا  
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ وَجَمِيعِ مَا  
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَآخِرَةٍ وَأَوَّلَاهُ وَيَحْضُهُ عَلَى حُسْنِ  
طَاعَتِهِ لِلْمُلُوكِ وَيُجَبِّئُهُ مَا تَكُونُ مُجَابَّتُهُ خَيْرًا لَهُ \*

### البحث الثالث

## في آداب المحادثة والرواية

( عن مروح الذهب للسعودي )

( راجع صفحة ١٦٩ من علم الادب )

قَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : لَا تَحْسُنُ الْمُحَادَثَةَ إِلَّا بِحُسْنِ الْفَهْمِ .  
وَقَالُوا : قَلَّمْ حُسْنَ الْأِسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْكَلَامِ . وَحُسْنُ  
الْإِسْتِمَاعِ هُوَ أَشْهَى إِلَى التَّحَدُّثِ حَتَّى يَقْضِيَ حَدِيثُهُ . وَمِنْ آدَبِ

• وقال بعضهم في وصف كيلة ودمنة :

إذا افتخر الرجال بفضل علم	ومدّت فيه السنة طويلة
فعاخر ما استطعت بما حوته	طون كتاب دمنة مع كيلة
كتاب يفرق اللعاه فيه	وآداب الورى منه كيلة
وكم فيه عجائب كائنات	على دنيا وآخره دليلة
وصكم حكم على افواه طير	وآداب وامثال مقولة
يراهما الحاهل المأفون هرلاً	وحسبها لعالمها فضيلة

الْحَدِيثِ وَتَوَجَّاهُ أَنْ لَا يُقْتَضَبَ اقْتِضَابًا وَلَا يُهْجَمَ عَلَيْهِ وَأَنْ  
يُتَوَصَّلَ إِلَى إِجْرَائِهِ بِمَا يُشَاطِرُهُ . وَأَنْ يُسْتَنْسَبَ لَهُ مَا يُحْسُنُ أَنْ  
يُجْرِيَ فِي غَرَضِهِ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُ الْمَقَاوِعَةِ مُتَعَلِّقًا بِبَعْضٍ عَلَى حَسَبِ  
مَا قَالُوا فِي الْأَمَلِ : إِنَّ الْحَدِيثَ ذُو شُجُونٍ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ تَشْبِهُهُ  
وَتَفَرُّعَهُ عَنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ إِلَى وَجُوهِ مِنْ أَلْمَاعِي كَثِيرَةٍ إِذَا كَانَ  
الْعَيْنُ كُلُّهُ فِي الْخَلِيسِ الْمُسْتَعْمَرِ . وَقَالَ رَجُلٌ : إِنِّي مَا أَمَلْتُ الْحَدِيثَ .  
فَقَالَ السَّامِعُ : إِنَّمَا يُعْلَى الْعَتِيقُ لَا الْحَدِيثُ . وَقَدْ أَكْثَرَتِ الشُّعْرَاءُ  
مِنَ الْأَغْرَاقِ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَلِيٍّ بْنِ الْعَبَّاسِ  
الرُّومِيِّ :

وَسَنَنْتُ كُلَّ مَارِي فَكَانَ أَطْيَبًا عَيْثُ  
إِلَّا لِلْحَدِيثِ فَإِنَّهُ مِثْلُ أَسِيهِ أَبَدًا حَدِيثُ

وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ :  
وَصَحَبْتُ إِلَّا مِنْ لِقَاءِ مُحَدِّثٍ حَسَنِ الْحَدِيثِ يَرِيدُنِي تَقْلِيمًا  
وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ أَنَّ مِنَ الْأَدَبِ  
عَدَمَ إِطَالَةِ الْحَدِيثِ مِنَ الْبَدِيمِ وَأَنْ أَهْلَى الْحَدِيثِ وَأَحْسَنَ لِمَوْقِعِهِ  
أَنْ يَجْتَنِبَ مِنْهُ الْأَحَادِيثَ الطُّوَالَ ذَاتِ أَلْمَاعِي الْمَغْلَقَةِ وَالْأَلْفَاطِرِ  
الْحُسْرَةِ الَّتِي أَفَنَتْ بِاقْتِصَاصِهَا مَارَ الْجَالِسِ وَتَتَعَلَّقُ بِهَا النُّفُوسُ وَتُحْتَسَى  
عَلَى أَوَاخِرِهَا الْكُؤُوسُ . فَإِنَّ ذَلِكَ يَجَالِسُ الْقُصَاصِ أَشْبَهُ مِنْهُ  
يَجَالِسُ الْخَوَاصِ . وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى فَاجَادَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
الْمَعْتَرِ وَوَصَفَ ذَلِكَ مِنْ أَوْعَافِ الشَّرَابِ عَلَى الْمَعَارَةِ فَقَالَ :

بَيْنَ أَقْدَاجِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ يَخْشُرُ وَمَا سِوَاهُ حَرَامٌ  
وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ مَنْ ذَهَبَ فِي هَذَا الْمَعْنَى إِلَى اسْتِمَاعِ التَّلَاحِ

## البحث الرابع

### في حقيقة التاريخ وموضوعه

( عن كشف الظنون للحاج خفا ومروج الذهب للسعدي )

( راجع صفحة ١٩٤ من علم الادب )

التَّارِيخُ فِي اللَّغَةِ تَعْرِيفُ الْوَقْتِ مُطْلَقًا . وَيُقَالُ : أَرَحْتُ  
الْكِتَابَ تَارِيخًا وَوَرَّخْتُهُ تَوْرِيخًا كَمَا فِي الصِّحَاحِ وَهُوَ مُعَرَّبٌ . وَعُرْفًا  
هُوَ تَعْيِينُ وَقْتٍ لِيُنْسَبَ إِلَيْهِ زَمَانٌ يَأْتِي عَلَيْهِ أَوْ مُطْلَقًا يَعْنِي سَوَاءً  
كَانَ مَاضِيًا أَوْ مُسْتَقْبَلًا . وَقِيلَ : تَعْرِيفُ الْوَقْتِ بِاسْتِنَادِهِ إِلَى أَوَّلِ  
حُدُوثٍ أَمْرٍ شَائِعٍ مِنْ ظُهُورِ مِلَّةٍ أَوْ دَوْلَةٍ أَوْ أَمْرٍ هَائِلٍ مِنَ الْأَثَارِ  
الطَّوِيلَةِ وَالْحَوَادِثِ السُّفْلِيَّةِ بِمَا يَنْدُرُ وَقُوْعُهُ جُعِلَ ذَلِكَ مَبْدَأَ لِمَعْرِفَةِ  
مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوَقَاتِ الْحَوَادِثِ وَالْأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ صَبْطُ أَرْقَاتِهَا فِي  
مُسْتَأَنَفِ السِّنِينَ . وَقِيلَ : عَدَدُ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي بِالنَّظَرِ إِلَى مَا مَضَى  
مِنَ السَّنَةِ وَالشُّهُورِ إِلَى مَا بَقِيَ . وَعِلْمُ التَّارِيخِ هُوَ مَعْرِفَةُ أَحْوَالِ  
الطَّوَائِفِ وَبُلْدَانِهِمْ وَرُسُومِهِمْ وَصَنَائِعِ أَشْخَاصِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَوَقَائِعِهِمْ  
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . وَمَوْضُوعُهُ أَحْوَالُ الْأَشْخَاصِ الْمَاضِيَةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ  
وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ . وَالغَرَضُ  
مِنْهُ الْوُقُوفُ عَلَى الْأَحْوَالِ الْمَاضِيَةِ . وَقَالَهُ الْعَبْدَةُ بَيْنَكَ الْأَحْوَالِ

الْمَاضِيَةِ وَالْمُتَّصِحُ بِهَا وَحُصُولُ مَلَكَهَ الْجَارِبِ بِالْوُقُوفِ عَلَى تَعْلِيَّاتِ  
الزَّمَنِ يُخْتَرَزُ عَنْ أَمْثَالِ مَا قِيلَ مِنَ الْمَضَارِ وَيُسْتَجْلَبُ ظَاهِرُهَا مِنْ  
الْمَنَافِعِ . وَهَذَا الْعِلْمُ كَمَا قِيلَ عُمَرُ آخِرُ لِلنَّاطِرِينَ وَأَنْتِفَاعُ (لِلْمُطَالِعِ)  
فِي مَضَرِهِ بِمَنَافِعِ حُصُولِ الْمُسَافِرِينَ

وَلَوْ لَا تَقْيِيدُ الْعُلَمَاءِ خَوَاطِرَهُمْ عَلَى النَّهْرِ لَبَطَلَ أَوَّلُ الْعِلْمِ  
وَضَاعَ آخِرُهُ إِذْ كَانَ كُلُّ عِلْمٍ مِنَ الْأَخْبَارِ يُسْتَبْطُ وَالْفَيْقُ مِنْهَا  
يُسْتَشَارُ وَالْفَصَاحَةُ مِنْهَا تُسْتَفَادُ وَأَصْحَابُ الْقِيَاسِ مِنْهَا يَنْتَوْنَ . وَأَهْلُ  
الْمَقَالَاتِ بِهَا يَفْتَحُونَ وَمَعْرِفَةُ النَّاسِ مِنْهَا تُؤْخَذُ وَأَمْثَالُ الْحُكَمَاءِ فِيهَا  
تُوجَدُ وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا مِنْهَا تُقْتَبَسُ . وَآدَابُ سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ  
وَالْحَوْبِ مِنْهَا تُنْتَسَبُ وَكُلُّ غَرِيبَةٍ مِنْهَا تُعْرَفُ وَكُلُّ أُعْجُوبَةٍ مِنْهَا  
تُسْتَطَرَفُ . وَهُوَ عِلْمٌ يَسْتَنْبِغُ بِسَمَاعِهِ الْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ وَيَسْتَعْزِيبُ  
مَوْقِعَهُ الْأَحَقُّ وَالْعَاقِلُ وَيَأْنِسُ بِمَكَانِهِ وَيَبْرَحُ إِلَيْهِ الْخَاصِيُّ وَالْعَامِيُّ  
وَيَعْمَلُ إِلَى رِوَايَتِهِ الْعَرَبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ . وَبَعْدَ فَائِدَةٍ يُوصَلُ بِهِ كُلُّ كَلَامٍ  
وَيُتَدَرِّجُ بِهِ فِي كُلِّ مَقَامٍ وَيُحْتَمَلُ بِهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ وَيُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي  
كُلِّ حَقْلٍ . فَضِيْلَةُ عِلْمِ الْأَخْبَارِ بَيِّنَةٌ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ وَشَرَفُ مَذَلَّتِهِ  
صَحِيحَةٌ فِي كُلِّ فَهْمٍ وَلَا يَصِيرُ عَلَى عَلَيْهِ وَيَتَقَنَّ مَا فِيهِ وَإِرَادِهِ  
وَرِاضَتِهِ إِلَّا إِنْسَانٌ قَدْ تَجَرَّدَ لِلْعِلْمِ وَفَهُمْ مَعْنَاهُ وَذَاقَ ثَمَرَتَهُ  
وَأَسْتَشْفَرَ مِنْ عِزِّهِ وَنَالَ مِنْ سُرُورِهِ

## البحث الخامس

### في شرف التاريخ

( عن ابن خلدون )

( راجع صفحة ١٩٤ من علم الادب )

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فَنَّ التَّارِيخِ مِنَ الْقُنُونِ الَّتِي تَسْدَاوُهَا الْأَمَمُ  
وَالْأَجْيَالُ وَتُشَدُّ إِلَيْهَا الرُّكَّابُ وَالرَّحَالُ وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِفَتِهَا السُّوقَا  
وَالْأَغْصَانُ . وَتَتَنَافَسُ فِيهَا الْمُلُوكُ وَالْأَقْيَالُ . وَتَتَسَاوَى فِي ضَمِيرِ  
الْمُلُكَاءِ وَالْجَمَّالِ . إِذْ هُوَ فِي ظَهْرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى أَخْبَارِ عَنِ الْأَيَّامِ  
وَالدُّوَلِ . وَالسَّوَابِغِ مِنَ الْقُرُونِ الْأَوَّلِ . تَسُو فِيهَا الْأَقْوَالُ وَتُضْرَبُ  
فِيهَا الْأَمْثَالُ . وَتُحْرَفُ بِهَا الْأَنْدِيَةُ إِذَا غَضَّهَا الْإِحْتِفَالُ . وَتُؤَدِّي لَدَى  
شَأْنِ الْخَلِيقَةِ كَيْفَ تَقَلَّبَتْ بِهَا الْأَحْوَالُ . وَاتَّسَعَ لِلدُّوَلِ فِيهَا الْإِطْوَاقُ  
وَالْحِجَالُ . وَعَمَرُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَادَى بِهِمِ الْأَرْتَحَالُ . وَحَانَ مِنْهُمْ الزُّوَالُ  
وَفِي بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقٌ . وَتَعْلِيلٌ لِلْكَائِنَاتِ وَمَبَادِيهَا دَقِيقٌ . وَعِلْمٌ  
بِكَيْفِيَّاتِ الْوُقَائِعِ وَأَسْبَابِهَا عَمِيقٌ . فَهُوَ لِذَلِكَ أَصِيلٌ فِي الْحِكْمَةِ  
عَرِيقٌ . وَجَدِيرٌ بِأَنْ يُعَدَّ فِي عُلُومِهَا وَخَلِيقٌ . وَإِنَّ فُحُولَ الْمُؤَرِّخِينَ  
فِي الْإِسْلَامِ قَدِ اسْتَوْعَبُوا أَخْبَارَ الْأَيَّامِ وَجَمَعُوهَا وَسَطَرُوهَا فِي صَفَحَاتِ  
الدَّقَائِرِ وَأَوْدَعُوهَا . وَخَلَطُوهَا الْمُنْتَطِقُونَ بِسَائِسَ مِنَ الْبَاطِلِ وَهَمُّو  
فِيهَا وَابْتَدَعُوهَا . وَزَخَارِفَ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْأَضْعَافَةِ لَفَقُوهَا وَوَضَعُوهَا .  
وَأَفْتَقَى تِلْكَ الْأَثَارَ الْكَثِيرُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَاتَّبَعُوهَا . وَأَدَوُوهَا إِلَيْنَا

كَمَا سَمِعُوهَا . وَلَمْ يَلَاظُوا أَسْبَابَ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْوَالِ وَلَمْ يُرَاعَوْهَا .  
 وَلَا رَفَضُوا زُهَاتِ الْأَحَادِيثِ وَلَا دَفَعُوهَا . فَالْتَمَحَتْ قَلِيلٌ . وَطَرَفُ التَّحْقِيقِ  
 فِي الْعَالِمِ كَلِيلٌ . وَالْقَلْبُ وَالْوَهْمُ نَيْبٌ لِلْأَخْبَارِ وَخَلِيلٌ . وَالْتَقِيدُ  
 عَرِيقٌ فِي الْأَدَمِيَّةِ وَسَلِيلٌ . وَالْطُّفُلُ عَلَى الْفَنُونِ عَرِيضٌ طَوِيلٌ .  
 وَمَوْعَى الْجَهْلِ بَيْنَ الْأَنَامِ وَخِيمٌ وَبِيلٌ . وَلَقِيَ لَا يَقَاوِمُ سُلْطَانَهُ . وَأَبَاطِلُ  
 يُقَدِّفُ بِشَهَابِ النَّظَرِ شَيْطَانَهُ . وَالنَّاقِلُ إِنَّمَا هُوَ عَلِيٌّ وَيَسْئَلُ . وَالْبَصِيرَةُ  
 تَنْقُذُ الصَّحِيحَ إِذَا تَعَقَّلُ . وَالْعِلْمُ يَجْلُو لَهَا صَفَحَاتِ الصَّوَابِ وَيَسْئَلُ .  
 هَذَا وَقَدْ دَوَّنَ النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ وَاصْتَكْبَرُوا . وَجَمَعُوا تَوَارِيخَ الْأُمَمِ  
 وَالْأَدْوَلِ فِي الْعِلْمِ وَسَطَرُوا . وَالَّذِينَ ذَهَبُوا بِفَضْلِ الشُّهُرَةِ وَالْأَمَانَةِ  
 الْمُتَعَبَّرَةِ . وَاسْتَفْرَعُوا دَوَائِنَ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي صُحُفِهِمُ الْمُنَاجَرَةِ . هُمْ قَلِيلُونَ  
 لَا يَكَادُونَ يُجَاوِزُونَ عَدَدَ الْأَنْبِيَاءِ . وَلَا حَرَكَاتِ الْعَوَائِلِ . مِثْلُ ابْنِ  
 إِسْحَاقَ وَالطَّبْرِيِّ وَابْنِ الْكَلْبِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ وَسَيَفِ  
 ابْنِ عُمَرَ الْأَسَدِيِّ وَالْمَسْعُودِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ الْمُتَمَيِّزِينَ عَنِ  
 الْجَمَاهِيرِ . وَإِنْ كَانَ فِي كُتُبِ الْمَسْعُودِيِّ وَالوَاقِدِيِّ مِنَ الْمَطْعَنِ  
 وَالْمَنْفَرِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْأَثْبَاتِ . وَمَشْهُورٌ بَيْنَ الْحُظَّاءِ أَثَقَاتِ .  
 إِلَّا أَنَّ الْكَافَّةَ اخْتَصَّصَتْهُمْ بِقَبُولِ أَخْبَارِهِمْ . وَاقْتِفَاءِ سُنَنِهِمْ فِي  
 التَّنْصِيفِ وَاتِّبَاعِ آثَارِهِمْ . وَالنَّاقِدُ الْبَصِيرُ قَسَاسُ قَسَبِهِ فِي تَرْيِيفِهِمْ  
 فِيمَا يَتَقَلَّبُونَ أَوْ أَعْيَارِهِمْ . فَلِلْعَمْرَانِ طَبَائِعُ فِي أَحْوَالِهِ تَرْجِعُ إِلَيْهَا  
 الْأَخْبَارُ . وَتُحْمَلُ عَلَيْهَا الزُّوَايَاتُ وَالْأَنَادُ . ثُمَّ إِنَّ اصْتِكَادَ التَّوَارِيخِ  
 لِهَؤُلَاءِ عَامَّةُ الْمَنَاجِمِ وَالْمَسَالِكِ . لِعُمُومِ الدَّوَلَتَيْنِ صَدَرَ الْإِسْلَامُ فِي



الآفَاقِ وَالْمَمَالِكِ وَتَنَاقُلَهَا الْبُعِيدَ مِنَ الْعَالِيَاتِ فِي التَّمَاخِذِ وَالْمَنَارِكِ  
وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ اسْتَوْعَبَ مَا قَبْلَ إِلَهٍ مِنَ الدُّوَلِ وَالْأَمَمِ. وَالْأَمْرُ  
الْعَمَمُ. كَالسُّودِيِّ وَمَنْ نَحَا مَحَاةً. وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ عَدَلَ عَنْ  
الْإِطْلَاقِ إِلَى التَّقْيِيدِ. وَوَقَفَ فِي الْعُمُومِ وَالْإِحَاطَةِ عَنِ الشَّوْهِ الْبُعِيدِ  
فَقَيَّدَ شَوَارِدَ عَصْرِهِ. وَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ أَهْلِهِ وَقَطْرِهِ. وَاقْتَصَرَ عَلَى  
أَحَادِيثِ دَوْلَتِهِ وَمِصْرِهِ. كَمَا فَعَلَ أَبُو حَيَّانَ مُؤَرِّخُ الْأَنْدَلُسِ  
وَالدَّوْلَةِ الْأَمَوِيَّةِ بِهَا. وَابْنُ الرِّقِيقِ مُؤَرِّخُ أَفْرِيقِيَّةِ وَالِدَوْلَةِ الَّتِي كَانَتْ  
بِالْقَيْرَوَانِ. ثُمَّ لَمْ يَأْتِ مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ إِلَّا الْمُعَلِّدُ. وَلِكَيْدُ الطَّنَجِ وَالْعَقْلُ  
أَوْ مُتَبَلِّدُ. يَسْجُحُ عَلَى ذَلِكَ النُّوَالِ. وَيَحْتَذِي مِنْهُ بِالْمَثَلِ. وَيَذْهَبُ  
عَمَّا أَحَاثَهُ الْأَيَّامُ مِنَ الْأَحْوَالِ. وَاسْتَبَدَّتْ بِهِ مِنْ عَوَائِدِ الْأَمَمِ  
وَالْأَحْيَالِ. فَيَجْلِبُونَ الْأَخْبَارَ عَنِ الدُّوَلِ. وَحِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ فِي الْخُصُورِ  
الْأَوَّلِ. صُورًا قَدْ تَجَرَّدَتْ عَنْ مَوَادِّهَا. وَصِفَلًا أَنْضِيَتْ مِنْ أَعْمَادِهَا  
وَمَعَارِفَ تُسْتَكْرُ لِلْجَهْلِ بِطَارِفِهَا وَتَلَادِيهَا. إِنَّمَا هِيَ حَوَادِثُ لَمْ تُعَلِّمْ  
أَعْمَالُهَا. وَأَنْوَاعَ لَمْ تُعْتَبَرِ أَجْأُهَا وَلَا تَحَقَّقَتْ فُصُولُهَا. يُكْرَرُونَ فِي  
مَوْضُوعَاتِهَا الْأَخْبَارَ الْمَتَدَاوِلَةَ بِأَعْيَانِهَا. اتِّبَاعًا لِمَنْ غَنَى مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ  
بِشَأْنِهَا. وَيُقْضَوْنَ أَمْرَ الْأَحْيَالِ النَّاشِئَةِ فِي دِيَوَانِهَا. بِمَا أَعُوَزَ عَلَيْهِمْ  
مِنْ تَرْجُمَاتِهَا فَتَسْتَحْجِمُ صُحُفُهُمْ عَنْ يَكَايْنِهَا. ثُمَّ إِذَا تَعَرَّضُوا لِذِكْرِ  
الدَّوْلَةِ نَسَقُوا أَخْبَارَهَا نَسَقًا. مُحَافِظِينَ عَلَى قُلُوبِهَا وَهَمًّا أَوْ صِدْقًا.  
لَا يَتَعَرَّضُونَ لِبِدَايَتِهَا. وَلَا يَذْكُرُونَ السَّبَبَ الَّذِي رَفَعَ مِنْ رَايَتِهَا  
وَأَظْهَرَ مِنْ آيَتِهَا. وَلَا عِلَّةَ الْوُقُوفِ عِنْدَ غَايَتِهَا. فَيَقِي النَّظَرُ

تَطْلَعًا بَعْدُ إِلَى اقْتِصَادِ أَحْوَالِ مَبَادِيءِ الدُّوَلِ وَمَوَارِئِهَا . مُعْتَمِدًا عَنْ  
 أَسْبَابِ تَرَاثُمِهَا أَوْ تَعَاقُبِهَا . بِإِحْتِجَاءٍ عَنِ الْقُبْحِ فِي تَبَايُنِهَا أَوْ فِي تَنَاسُلِهَا .  
 ثُمَّ جَاءَ آخَرُونَ بِإِفْرَاطٍ الْإِقْتِصَارِ . وَذَهَبُوا إِلَى الْأَصْغَرِ بِأَسْمَاءِ  
 الْمُلُوكِ وَالْإِقْتِصَارِ . مَقْطُوعَةً عَنِ الْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ . مَوْضُوعَةً عَلَيْهَا  
 أَعْدَادُ أَيَّامِهِمْ بِحُرُوفِ الْعُبَارِ . كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي مِيزَانِ الْحَمَلِ  
 وَمَنْ أَقْنَعَى هَذَا الْأَثَرُ مِنَ الْحَمَلِ . وَلَيْسَ يُعْتَبَرُ لَهُوْلَاءُ مَقَالٌ . وَلَا  
 يُعَدُّ لَهُمْ ثُبُوتٌ وَلَا انْتِقَالٌ . لِمَا أَذْهَبُوا مِنْ الْقَوَائِدِ . وَأَخْلَوْا  
 بِالْمَذَاهِبِ الْمَعْرُوقَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْقَوَائِدِ

وَقَدْ ذَلَّتْ أَقْدَامُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَثَابَةِ وَالْمُؤَرِّخِينَ الْخَفَاطِ فِي  
 مِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَالْآرَاءِ . وَعَلَقَتْ بِأَفْكَارِهِمْ وَنَقَلَهَا عَنْهُمْ  
 الْكَفَاةُ مِنْ ضَعْفَةِ النَّظَرِ وَانْفِقَةِ عَنِ الْقِيَاسِ وَتَلَقُّوْهَاهُمْ أَيْضًا  
 كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ تَبَحُّثٍ وَلَا رَوِيَّةٍ وَأَنْدَجَتْ فِي مَحْفُوظَاتِهِمْ حَتَّى صَارَ  
 فَنُ التَّأْيِيحِ وَاهِيًا مُخْطِطًا . وَنَاطِرُهُ مُرْتَبِكًا وَعُدٌّ مِنْ مَسَاحِي الْعِلْمَةِ .  
 فَإِذَا يَحْتَاجُ صَاحِبُ هَذَا الْقَنْ إِلَى الْعِلْمِ بِقَوَائِدِ السِّيَاسَةِ وَطَبَائِعِ  
 الْمَوْجُودَاتِ وَاخْتِلَافِ الْأُمَمِ وَالْبِقَاعِ وَالْأَعْصَارِ فِي السِّيَرِ وَالْأَخْلَاقِ  
 وَالْقَوَائِدِ وَالنَّجَلِ وَالْمَذَاهِبِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَالْإِحَاطَةِ بِالْحَاضِرِ مِنْ  
 ذَلِكَ . وَمِمَّا ثَلَاثَةٌ مَا يَبْتَنَى وَيَبْنِي الْقَائِمِ مِنَ الْوَفَاقِ أَوْ بَوْنِ مَا يَبْتَنَى  
 مِنْ الْخِلَافِ وَتَمْلِيلِ الْمُتَفَقِّ مِنْهَا وَالْخُتَافِ . وَالْقِيَامِ عَلَى أَصُولِ  
 الدُّوَلِ وَالْمُلُكِ وَمَبَادِيءِ ظُهُورِهَا وَأَسْبَابِ حُدُوثِهَا وَدَوَائِي كَوْنِهَا .  
 وَأَحْوَالِ الْقَائِمِينَ بِهَا وَأَخْبَارِهِمْ حَتَّى يَكُونَ مُسْتَرْعِبًا لِأَسْبَابِ كُلِّ

حَادِثٍ وَاقِعًا عَلَى أُصُولِ كُلِّ خَيْرٍ وَجَيِّدٍ يَعْزُضُ الْخَبَرَ الْمَقُولَ عَلَى مَا  
عِنْدَهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ وَالْأُصُولِ . فَإِنْ وَاقَعَهَا وَجَرَى عَلَى مُقْتَضَاهَا كَانَ  
صَحِيحًا وَالْأُزْفَقَةُ وَاسْتَعْنَى عَنْهُ . وَمَا اسْتَكْبَرَ الْقَدَمَاءُ عِلْمَ التَّارِيخِ  
إِلَّا لِذَلِكَ حَتَّى اتَّخَذَهُ الْطَّبَرِيُّ وَالْبُخَارِيُّ وَأَبْنُ إِسْحَاقَ مِنْ قَلِيلِهَا  
وَأَمَّا لَكُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ . وَقَدْ ذَهَلَ الْكَثِيرُ عَنْ هَذَا السَّرِفِ فِيهِ  
حَتَّى صَارَ اتِّخَاذُهُ مَجْهَلَةً وَاسْتَحْتَفَّ الْعَوَامُ وَمَنْ لَا رُسُوخَ لَهُ فِي الْمَعَارِفِ  
طَالَمَتْهُ وَحَمَلَهُ وَالْحَوْضُ فِيهِ وَالنَّطْفَلُ عَلَيْهِ فَاتَّخَذَ الْمَرْغِي بِالْمَلِ  
وَاللَّبَابُ بِالْعِشْرِ وَالصَّادِقُ بِالْكَاذِبِ وَإِنْ لَهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ

وَأَعْلَمَ أَنَّ فَنَ التَّارِيخِ فَنٌ عَزِيزُ الْمَنْهَبِ جَمُّ الْفَائِدَةِ شَرِيفُ  
الْعَائِدَةِ إِذْ هُوَ يَقَعُّنَا عَلَى أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأُمَمِ فِي أَخْلَاقِهِمْ  
وَالْأَنْبَاءِ فِي سِيرَتِهِمْ وَالْمُلُوكِ فِي دَوْلِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ حَتَّى تَتِمَّ فَائِدَةُ  
الْإِقْتِدَاءِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ يَرُومُهُ فِي أَحْوَالِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا فَهُوَ مُحْتَاجٌ  
إِلَى مَا خِذَ شَعْدَةً وَمَعَارِفَ مُتَوَرِّعَةً وَحُسْنَ ظَنَرٍ وَتَبَيَّنَ يُفِيضَانِ  
بِصَاحِبَيْهَا إِلَى الْحَقِّ وَيُسَكِّبَانِ بِهِ عَنِ الْمَرَلَاتِ وَالْمَغَالِطِ . لِأَنَّ  
الْأَخْبَارَ إِذَا اعْتُمِدَ فِيهَا مُجْرَدُ الثَّقَلِ وَلَمْ تُحْكَمْ أُصُولُ الْعَادَةِ وَقَوَاعِدُ  
الْسِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْإِجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ وَلَا  
قِيَاسُ الْغَائِبِ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ وَالْحَاضِرِ بِالذَّاهِبِ قَرِيبًا لَمْ يَوْمَنْ فِيهَا  
مِنَ الشُّوَرِ وَمَرَّةُ الْقَدَمِ وَالْحَيْدِ عَنْ جَادَةِ الصِّدْقِ . وَكَثِيرًا مَا وَقَعَ  
لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ وَآئِبَةُ الثَّقَلِ الْمَغَالِطُ فِي حِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ  
لِاعْتِمَادِهِمْ فِيهَا عَلَى مُجْرَدِ الثَّقَلِ غَنًا أَوْ سَمِينًا . لَمْ يَعْزُضُوا عَلَى أُصُولِهَا

وَقَاسُوهَا بِأَشْبَاهِهَا وَلَا سَبْرُوهَا بِعِيَارِ الْحِكْمَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى طَبَائِعِ  
الْكَاثِنَاتِ وَتَحْكِيمِ النَّظَرِ وَالْبَصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ فَضَلُّوا عَنْ الْحَقِّ  
وَنَاهَوْا فِي يَتْدَاءِ أَلْوَهَمِ وَالْقَلْطِ سِيًّا فِي إِحْصَاءِ الْأَعْدَادِ وَالْأَمْوَالِ  
وَالصَّاصِرِ إِذَا عَرَضَتْ فِي الْحِكَايَاتِ إِذْ هِيَ مَظْنَةُ الْكَذِبِ  
وَمَطِيَّةُ الْهَذَرِ وَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى الْأَصُولِ وَعَرْضِهَا عَلَى الْقَوَاعِدِ

البحث السادس

في شروط التاريخ

( عن الفخري )

( راجع صفحة ١٩٧ من علم الادب )

وَأَنَّ بَلَشَرْتَ بِكِتَابَةِ تَارِيخِ عَامٍ فَتَسْكَلَمُ عَلَى دَوْلَةٍ دَوْلَةٍ يَجْمُوعُ  
مَا حَصَلَ فِيهَا مِنَ الْهَيْئَةِ الْأَجْمَاعِيَّةِ الَّتِي أَفَادَتْكُمْهَا مُطَالَعَةُ السِّيَرِ  
وَالْتَوَارِيخِ وَأَذْكُرُ كَيْفَ كَانَ أَيْتَادُهَا وَأَنْتَاهَا وَطَرَقًا مُتَمَعًا مِنْ  
مَحَاسِنِ مُلُوكِهَا وَأَخْبَارِ سَلَاطِينِهَا . ثُمَّ إِذَا ذَكَرْتَ دَوْلَةَ فَدَوْلَةٍ  
تَكَلَّمْتَ عَلَى كَلِّيَّاتِ أُمُورِهَا ثُمَّ ذَكَرْتَ وَاحِدًا وَاحِدًا مِنْ مُلُوكِهَا  
وَمَا جَرَى فِي أَيَّامِهِ مِنَ الْوَقَائِعِ الشَّهُورَةِ وَالْحَوَادِثِ الْمَأْثُورَةِ فَإِذَا  
أَقْبَضْتَ أَيَّامَ ذَلِكَ الْمَلِكِ ذَكَرْتَ وَرَّاءَهُ وَاحِدًا وَاحِدًا وَطَرِيقَ  
مَا جَرَى لَهُمْ . فَإِذَا أَقْبَضْتَ أَيَّامَ الْمَلِكِ وَوَرَّاءَهُ ابْتَدَأْتَ بِالْمَلِكِ الَّذِي  
بَعْدَهُ وَبِمَا جَرَى فِي أَيَّامِهِ وَبِسِيَرِ وَرَّاءِهِ كَذَلِكَ إِلَى آخِرِ تِلْكَ  
الدَّوْلَةِ وَالتَّمَّ فِيهِ أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ لَا تَمِيلَ فِيهِ إِلَّا مَعَ الْحَقِّ

وَلَا تَنْطِقَ فِيهِ إِلَّا بِالْعَدْلِ . وَأَنْ تَنْزِلَ سُلْطَانُ الْهَوَى وَتَخْرُجَ مِنْ  
حُكْمِ الْفَلَسْفَا وَالْمُرَى وَتَقْرُضَ نَفْسَكَ غَرِيْبًا عَنْهُمْ وَأَجْنَبِيًّا بَيْنَهُمْ .  
وَأَنْتَاهِمَا أَنْ تُعْرِضَ عَنِ الْمَعَانِي بِبَارَاتٍ وَاضِحَةٍ تَقْرُبُ مِنَ الْإِفْهَامِ  
لِتَنْفَعُ بِهِ كُلُّ لَعْدٍ عَادِلًا عَنْ الْعِبَارَاتِ الْمُسْتَصْعَةِ الَّتِي يُقْصَدُ فِيهَا إِظْهَارُ  
الْفَصَاحَةِ وَابْتِائَاتِ الْبَلَاغَةِ فَطَالَمَا رَأَيْتُ مُصَنِّفِي الْكُتُبِ قَدْ آذَنَ رَحْمَتُهُمْ  
نَحْبَةَ إِظْهَارِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ فَحَمِيَتْ أَغْرَاضُهُمْ وَأَعْتَاصَتْ مَعَانِيَهُمْ فَعَلَّتْ  
الْقَائِدَةُ بِمُصَنِّفَاتِهِمْ هَذَا وَإِنْ كُتِبَ التَّوَارِيخُ إِنْ نُظِرَ بَيْنَ الْأَنْصَافِ  
إِلَيْهَا رُئِيتُ أَفْهَمَ مِنَ الْحِمَاسَةِ الَّتِي لَهَجَ النَّاسُ بِهَا وَأَخَذُوا أَوْلَادَهُمْ  
بِحِفْظِهَا فَإِنَّ الْحِمَاسَةَ لَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا أَكْثَرُ وَنَ الْإِرْغِيْبِ فِي الشَّجَاعَةِ  
وَالضِّيَاقَةِ وَتَبَيُّنِ الْيَسِيرِ مِنَ الْأَخْلَاقِ فِي أَلْبَابِ الْمَسْئَلِ بَابِ الْأَدَبِ  
وَالنَّاسِ بِالْمَذَاهِبِ الشَّعْرِيَّةِ . وَالتَّارِيخُ يُسْتَفَادُ مِنْهُ هَذِهِ الْخِصَالُ  
الْمَذْكُورَةُ . وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ قَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَأَدَوَاتُ الرِّئَاسَةِ . هَذَا  
فِيهِ مَا فِي الْحِمَاسَةِ وَلَيْسَ فِي الْحِمَاسَةِ مَا فِيهِ وَأَنَّهُ يُفِيدُ الْعَقْلَ قُوَّةً  
وَاللَّهْنَ حِدَةً وَالْبَصِيرَةَ نُورًا وَهُوَ لِلخَّاطِرِ الذَّكِيِّ بِمَثَلَةِ الْمَسْنُوعِ الْقَوْلَ إِذِ  
الْحَيِّدُ وَهُوَ أَيْضًا أَفْهَمُ مِنَ الْمَقَامَاتِ الَّتِي النَّاسُ فِيهَا مُعْتَدُونَ وَفِي تَحْفِظِهَا  
رَاقِبُونَ إِذِ الْمَقَامَاتُ لَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا سِوَى التَّحَرُّنِ عَلَى الْأَنْشَاءِ وَالْوُقُوفِ  
عَلَى مَذَاهِبِ النُّظْمِ وَالتَّنْظِيرِ . نَعَمْ وَفِيهَا حِكْمٌ وَحِيلٌ وَتَجَارِبُ إِلَّا أَنَّ  
ذَلِكَ يَمَّا يُصَغَّرُ إِلَهْمَةً إِذْ هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّؤَالِ وَالِاسْتِجْدَاءِ وَالتَّحْمِيلِ الْفَسِيحِ  
عَلَى تَحْصِيلِ التَّنْذِيرِ الطَّيْفِ فَإِنْ نَفَعَتْ مِنْ جَانِبٍ ضَرَّتْ مِنْ جَانِبٍ  
وَبَعْضُ النَّاسِ تَنْبَهُوا عَلَى هَذَا وَنَ الْمَقَامَاتِ الْحَرِيرِيَّةِ وَالْبَدِيعَةِ فَعَدَلَ

نَاسٌ إِلَى نَفْحِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : فَآثَرَهُ الْكِتَابُ  
الَّذِي يُتَعَلَّمُ مِنْهُ الْحُكْمُ وَالْمَوَاعِظُ وَالْخُطْبُ وَالشَّجَاعَةُ وَالزُّهْدُ وَعُلُوُّ  
أَهْمِيَّةِ وَأَدْنَى فَوَائِدِهِ الْقَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ . وَكَذَلِكَ كُتِبَ التَّوَارِيخُ  
فَإِنَّ الْإِنْسَانَ رُبَّمَا أَصْغَرَتْهُ أَلْهَامُهُ وَالْأَشْغَالُ فَأَذَارُوحَ فِكْرُهُ بِالنَّظَرِ  
فِيهَا دَفَعَهَا أَلْمَلَالُ وَتَذَكَّرَهَا . أُنَسَّه الْأَشْغَالُ . .

### البحث السابع

في الاصول العشرة التي يعتمدها الكاتب في المكاتبات

( من كتاب صبح الاعشى لابي المباس احمد القلقشدي )

( راجع صفحة ٢٠٧ من علم الادب )

( الْأَوَّلُ الْأَوَّلُ حُسْنُ الْإِفْتِتَاحِ ) الْمَطْلُوبُ فِي سَائِرِ أَنْوَاعِ  
الْكَلَامِ مِنْ نَثَرٍ وَنَظْمٍ بِمَا يُوجِبُ التَّحْسِينَ لِيَكُونَ دَاعِيَةً لِاسْتِمَاعِ  
مَا بَعْدَهُ . وَيَرْجِعُ حُسْنُ الْإِفْتِتَاحِ فِي الْمَكَاتِبَةِ إِلَى مَعْنَيْنِ : ( الْأَوَّلُ )  
أَنْ يَكُونَ الْحُسْنُ فِيهِ رَاجِعًا إِلَى الْمُبْتَدَأِ بِهِ إِمَّا بِالْإِفْتِتَاحِ  
بِالْحَمْدِ لِلَّهِ كَمَا فِي بَعْضِ الْمَكَاتِبَاتِ لِأَنَّ النُّفُوسَ تَتَشَوَّقُ إِلَى  
الْإِنِّاءِ عَلَى أَفْوِ تَعَالَى . أَوْ بِالسَّلَامِ الَّذِي جَعَلَهُ الشَّارِعُ مُقَدِّمًا لِحُطَابِ  
أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . فَإِنَّ أَمْرَ الْمَكَاتِبَاتِ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّلَطُّفِ وَاسْتِحْلَابِ  
الْحَوَاطِرِ وَتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يَجْرِي هَذَا الْحَجَرُ عَلَى مَا  
يَقْتَضِيهِ اعْطِلَاحُ كُلِّ زَمَانٍ فِي الْأَيَّدَاءِ . ( الْثَانِي ) أَنْ  
يَكُونَ الْحُسْنُ فِيهِ رَاجِعًا إِلَى مَا يُوجِبُ التَّحْسِينَ مِنْ سُهولة اللَّفْظِ

وَصَحَّحَ السَّبْكَ وَوَضَّحَ الْمَعْنَى وَتَجَنَّبَ الْحَشْوَ وَغَيْرَ ذَلِكَ..... (الْأَصْلُ  
الْثَّانِي) بِرَأْعَةِ الْإِسْتِهْلَالِ الْمَطْلُوبَةِ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ قُنُونِ الْكَلَامِ  
بِأَن يَأْتِيَ فِي صَدْرِ الْكِتَابَةِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى عَجْزِهَا فَإِنْ كَانَ الْكَاتِبُ  
يُهَيِّئُ، أَتَى فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّهْنِئَةِ. أَوْ كَانَ الصَّدَدُ فِي  
التَّعْزِيَةِ أَتَى فِي أَوَّلِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّعْزِيَةِ أَوْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْنَى  
أَتَى فِي أَوَّلِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ لِيُعْلَمَ مِنْ مَبْدِئِ الْكَلَامِ مَا الْمُرَادُ...  
ثُمَّ مِنْ الْمَكَاتِبَاتِ مَا يَنْصُرُ مَعَهُ الْإِتْيَانُ بِرَأْعَةِ الْإِسْتِهْلَالِ فَيَأْتِي بِهَا  
فِيَا بِلْيَ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ فِي مَقَدِّمَةِ الْكِتَابَةِ قَبْلَ الْخَوْصِ فِي  
الْمَقْصُودِ... (الْأَصْلُ الثَّلَاثُ) الْمَقَدِّمَةُ الَّتِي يَلْزِمُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا فِي  
صَدْرِ الْكُتُبِ الْمُشْتَبِعَةِ عَلَى الْمَقَاصِدِ الْجَلِيلَةِ تَأْسِيسًا لِمَا يَأْتِي فِي  
مُكَاتِبَةٍ. مِثْلَ أَنْ يَأْتِيَ فِي صَدْرِ كُتُبِ الْحَرْبِ عَلَى الْجِهَادِ بِذِكْرِ  
أَقْبَرِهِ عَلَى الْأَمَّةِ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ نَصْرِ أَوْلِيَائِهِ وَخِذْلَانِ  
أَعْدَائِهِ وَانْغَازِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَعَ الْمُجِدِّينَ. وَفِي صُدُورِ كُتُبِ التَّنْصِيرِ  
بِالْجَاذِ وَعِدِ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَهُ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ وَإِظْهَارِ  
دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَفِي صُدُورِ كُتُبِ جَبَايَةِ الْخَرَاجِ بِحَاجَةِ قِيَامِ  
الْمُلْكِ إِلَى الْأَسْتِعَاثَةِ بِمَا يُسْتَخْرَجُ مِنْ حَقُوقِ السُّلْطَانِ فِي عِمَارَةِ الثُّغُورِ  
وَتَحْصِينِ الْأَعْمَالِ وَتَقْوِيَةِ الرِّجَالِ وَتَحْوِ ذَلِكَ بِمَا يَجْرِي عَلَى هَذَا النَّمَطِ.  
قَالَ فِي مَوَازِ الْأَيْكَانِ : وَعَلَى هَذَا السَّبِيلِ جَرَتْ سُنَّةُ الْكُتَّابِ فِي  
جَمِيعِ الْكُتُبِ مِنْ أَيْ تَوْعٍ مِنَ الْمَعْنَى كَالْفَتْوحِ وَالتَّهَانِي وَالتَّعَاذِي  
وَالْتَّهَادِي وَالْإِسْتِجَادِ وَالْإِسْتِظَاءِ وَالْإِحَادِ وَالْإِدْمَامِ وَغَيْرِهَا لِيَكُونَ

ذَلِكَ بِسَاطِلَ مَا يُرِيدُ الْقَوْلَ فِيهِ وَحُجَّةٌ يَسْتَظْهِرُ بِهَا السُّلْطَانُ لِأَنَّ كُلَّ  
كَلَامٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَرْشٍ يُعْرَشُ قَبْلَهُ لِيَكُونَ مِنْهُ بَيِّنَةٌ لِأَسَاسِ  
مِنَ الْبَيِّنَاتِ . ( قَالَ ) : وَيَرْتَجِعُ فِي هَذِهِ الْقَدَمَاتِ إِلَى مَعْرِفَةِ  
الْكَاتِبِ مَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ مِنَ الْقَدَمَاتِ  
الَّتِي تُسَاقِلُهَا . ( ثُمَّ قَالَ ) وَالطَّرِيقُ فِي إِصَابَةِ الْمَرْحَى فِي هَذِهِ  
الْقَدَمَاتِ أَنْ تُجْعَلَ مُشْتَبِهَةٌ عَلَى مَا بَعْدَهَا مِنْ الْمَقَاصِدِ وَالْأَغْرَاضِ  
وَأَنْ يُوَضَعَ لِلْأَمْرِ الْخَاصِّ مُقَدِّمَةٌ خَاصَّةٌ وَلِلْأَمْرِ الْعَامِّ مُقَدِّمَةٌ عَامَّةٌ  
وَلَا يُطَوَّلُ فِي مَوْضِعٍ الْإِقْتِصَارِ وَلَا يُقَصَّرَ فِي مَوْضِعٍ الْإِلْيَازِ . وَلَا  
تُجْعَلَ أَغْرَاضُهَا بَيِّنَةً لِمَا خِذَ مُقْتَصَصَةٌ عَلَى التَّصْفِيحِ وَذَلِكَ أَنَّ  
الْكَاتِبَ رَبَّمَا قَصَدَ إِظْهَارَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْكَلَامِ وَاتَّصَرَّفَ فِي دُجُوهِ  
النُّطْقِ فَخَرَجَ إِلَى الْأَمْلَالِ وَالْإَضْجَارِ الَّذِي تَتَدَرَّمُ مِنْهُ النُّفُوسُ وَذَوُّ  
الْأَخْطَارِ الْحَلِيَّةِ . أَمَّا الْكُتُبُ الَّتِي لَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْمَقَاصِدِ الْحَلِيَّةِ  
كَرِقَاعِ الْخُفِّ وَالْهَدَايَا وَنَحْوِهَا فَلَا تُجْعَلُ لَهَا مُقَدِّمَةٌ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ  
جَائِزٍ وَغَيْرُ وَاقِعٍ مَوْقِعُهُ . ( الْأَصْلُ الرَّابِعُ ) مَوَاقِعُ الْأَلْفَاظِ الدَّائِرَةِ  
فِي الْكُتُبِ فَلِزَمُ أَنْ يَنْبَغَ مَوْقِعُ كُلِّ لِيَضَعَهُ مَكَانَهُ . وَقَالَ فِي  
ذَخِيرَةِ الْكُتُبِ : يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ الرَّئِيسِ أَنْ يَعْرِفَ مَرَاتِبَ  
الْأَلْفَاظِ وَوَاقِعَهَا لِيَرْتَبَهَا وَيَفْرُقَ بَيْنَهَا فَوَقَا يَفْقَهُ عَلَى أَوَّلِجٍ وَيَنْتَهِي  
بِهِ إِلَى الصَّوَابِ فَيُجَابِبُ كُلًّا فِي مَكَاتِبِهِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ  
الْحُطَابِ . . . وَمَتَى اسْتَرَّ الْكَاتِبُ عَلَى هَذِهِ الْحَقَائِقِ مِنَ الْأَلْفَاظِ  
وَالْمَقَاضِي نَقَصَتْ أَلْمَعَانِي وَرَدَّتْ الْأَلْفَاظُ وَسَقَطَتِ الْمَقَاصِدُ وَكَانَ



الكَاتِبُ قَدْ أَخْلَ مِنْ الصَّنَاعَةِ يُعْظِمُهَا وَتَرَكَ مِنَ الْبَلَاغَةِ غَايَةً  
 مُحْكِمًا بَلْ يَجِبُ أَنْ يَدَا بِحُطَابِ رَئِيسٍ أَوْ ظَلِيلٍ أَوْ مَرْؤُوسٍ أَنْ  
 يَكُونَ مَا يَتَحَلَّلُ مُكَاتَبَتُهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ عَلَى آتِسَاتٍ إِلَى آخِرِهَا وَأَطْرَادٍ  
 مِنْ غَيْرِ مُحَالَفَةٍ بَيْنَهَا وَلَا مُضَادَّةٍ وَلَا مُنَاقِضَةٍ . نَعَمْ يَحْسُنُ ذَلِكَ فِي  
 مُعَاتَبَاتِ الْأَخْوَانِ وَالْمُدَاعِبَاتِ الْجَارِيَةِ بَيْنَ الْحُلَانِ . . . ( الْأَوَّلُ ) أَنْ يَعْرِفَ  
 رَرَاتِبَ الدُّعَاءِ لِيُوقِعَهَا فِي مَوَاقِعِهَا وَيُورِدَهَا فِي مَوَاقِعِهَا . وَيَأْتِي ذَلِكَ  
 فِي عِدَّةٍ أَدْعِيَةٍ مِنْهَا : الدُّعَاءُ بِإِطَالَةِ الْبَقَاءِ وَاللُّعَاءُ بِإِطَالَةِ الْعُمُرِ .  
 فَالدُّعَاءُ بِإِطَالَةِ الْبَقَاءِ أَرْفَعُ مِنَ الدُّعَاءِ بِإِطَالَةِ الْعُمُرِ . وَذَلِكَ أَنَّ  
 الْبَقَاءَ لَا يَدُلُّ عَلَى مُدَّةٍ تَنْقُضِي لِأَنَّهُ ضِدُّ الْقِتَاءِ وَالْعُمُرُ يَدُلُّ عَلَى  
 مُدَّةٍ تَنْقُضِي وَلِذَلِكَ يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْبَقَاءِ وَلَا يُوصَفُ بِالْعُمُرِ . .  
 ( الثَّانِي ) أَنْ يَعْرِفَ مَا يُنَاسِبُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ  
 الْحَلِيلِيَّةِ مِنَ الدُّعَاءِ فَيُخَصِّصُهُ بِهِ فَيَأْتِي بِالدُّعَاءِ فِي مُكَاتَبَةِ الْمُلُوكِ بِدَوَامِ  
 السُّلْطَانِ وَخُلُودِ الْمُلْكِ . وَإِلَى الْأَمْرَاءِ بِالدُّعَاءِ بِعِزِّ الْقَصْرِ وَمُدَاوِمَةِ  
 التَّيَمُّنَةِ . وَإِلَى أَلْوُزَرَاءِ مِنْ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ بِسُبُوحِ النِّعَمَاءِ وَتَحْلِيدِ  
 السَّعَادَةِ وَدَوَامِ النِّجْدِ . وَإِلَى الْقُضَاةِ وَالْحُكَّامِ بِالدُّعَاءِ بِعِزِّ الْأَحْكَامِ .  
 وَإِلَى التُّجَّارِ بِالدُّعَاءِ بِتَزْيِيدِ الْأَقْبَالِ وَشِبْهِ ذَلِكَ . ( وَالثَّالِثُ ) أَنْ  
 يَعْرِفَ مَا يُنَاسِبُ كُلَّ حَالَةٍ مِنْ حَالَاتِ الْمُكَاتَبَاتِ فَيَأْتِي كُلَّ حَالَةٍ  
 بِمَا يُنَاسِبُهَا مِنَ الدُّعَاءِ فَتَكُونُ الْأَدْعِيَةُ دَالَّةً عَلَى مَقَاصِدِ الْكُتَّابِ

فَإِنْ كَانَ فِي الْهَتَاءِ وَالشُّكْرِ أَوْ التَّعْزِيَةِ أَيْ كَلَامًا بِمَا يُنَاسِبُهُ . (الرَّابِعُ)  
 أَنْ يَعْرِفَ مَوَاضِعَ الدُّعَاءِ عَلَى الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ... (الْأَصْلُ السَّادِسُ)  
 أَنْ يَعْرِفَ مَا يُنَاسِبُ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَلْقَابِ فَيُعْطِيَهُ حَقَّهُ  
 مِنْهَا . . . كَالْعَامِ وَالْمَقَرِّ وَالْجَنَابِ وَالنَّادِي وَالْمَجْلِسِ فِي زَمَانِنَا . . .  
 وَكَذَلِكَ الثُّبُوتُ . (الْأَصْلُ السَّابِعُ) أَنْ يَرَاهُ مَقَاصِدَ الْمَكَاتِبِ  
 فَيَأْتِي بِكُلِّ مَقْصِدٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ وَمَدَارُ ذَلِكَ عَلَى آثَرَيْنِ : (الْأَمْرُ الْأَوَّلُ)  
 أَنْ يَأْتِيَ مَعَ كُلِّ كَلِمَةٍ بِمَا يَلِيْقُ بِهَا وَيَخْتَارُ لِكُلِّ لَفْظَةٍ مَا يُشَارِكُهَا  
 فَإِنْ ذَكَرَ النِّعْمَةَ جَدَّ اللَّهُ وَإِنْ ذَكَرَ الْبَلَاءَ شَفَعَهَا بِالِاسْتِعَانَةِ  
 بِاللَّهِ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ فِيهَا . وَيَلْتَمِزُ بِذَلِكَ أَيْضًا أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ الرَّئِيسَ  
 فِي أَثْنَاءِ الْمَكَاتِبِ دَعَا لَهُ بِمِثْلِ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ ذِكْرِ السُّلْطَانِ :  
 خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ وَبِمَا يَجْرِي هَذَا الْحَجَرُ . (الْأَمْرُ الثَّانِي) أَنْ يَتَحَقَّقَ  
 التَّصَرُّحُ إِلَى التَّلَوُّحِ وَالْإِشَارَةِ إِذَا آجَأَتْهُ الْحَالُ إِلَى الْمَكَاتِبِ بِمَا  
 لَا يَجُوزُ كَشْفُهُ وَإِظْهَارُهُ عَلَى صَرَاحِهِ بِمَا فِي ذِكْرِهِ أَطْرَاحُ مَهَابَةِ  
 السُّلْطَانِ وَاسْمَاعُهُ مَا يَلْزَمُ مِنْهُ إِخْلَالُ الْأَدَبِ فِي حَقِّهِ كَمَا لَوْ أَطْلَقَ  
 لِسَانَهُ فِيهِ بِلَفْظٍ قَبِيحٍ يَسُوهُ سَمَاعُهُ فَيَحْتَاجُ التَّمَنُّيَ إِلَى اسْتِعْمَالِ  
 التَّوَرِيَةِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ وَالتَّلَطُّفِ فِي الْعِبَارَةِ عَنْ هَذِهِ أَعْلَانِي مِنْ  
 غَيْرِ خِيَاةٍ فِي طَرَفٍ مَا لَا غَيَّ بِهِ عَنْ عَلَيْهِ . وَهَذَا بِمَا لَا يَسْتَعِيلُ بِهِ  
 إِلَّا الْمُبَرِّزُ فِي الصَّاعَةِ الْمُتَصَرِّفُ فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ . . . (الْأَصْلُ  
 الثَّانِي) أَنْ يَعْرِفَ مَقْصِدَ فَهْمِ كُلِّ طَبَقَةٍ مِنَ الْمُخَاطَبِينَ فِي  
 الْمَكَاتِبِ مِنَ اللِّسَانِ فَيُخَاطَبُ كُلُّ أَحَدٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ مِنَ اللَّفْظِ وَمَا

يَصِلُ إِلَيْهِ فَهُنَا مِنْ لِحْطَابٍ ( اسْتِشْهَادٌ مِنْ كِتَابِ الصِّنَاعَتَيْنِ ) .  
 ( الْأَصْلُ الثَّامِسُ ) أَنْ يَرَايَ رُبَّةَ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ وَالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ  
 فِي الْحِطَابِ فَيَعْبُدَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِمَا يَلِيْقُ بِهِ . وَيُحَاطَبُ  
 الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ بِمَا يَلِيْقُ بِمَقَامِهِ . فَأَمَّا الْمَكْتُوبُ عَنْهُ فَيُخْتَلَفُ أَحَالُ  
 فِيهِ بِاخْتِلَافِ مَنْصِبِهِ وَرُقَّتِهِ فَيَعْبُدُ فِي الْكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَنْ أَبْوَابِ  
 الْحِلَاقَةِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : حُجْرَى أَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
 فِي كَذَا عَلَى كَذَا . وَأَوْعَزَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى فُلَانٍ بِكَذَا وَأَقْتَضَى  
 رَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَذَا وَهَلَمْ جَوَاءَ وَكَذَلِكَ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ الْمَكْتُوبِ  
 إِلَيْهِ مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَالنُّظَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْوُكَلَاءِ لِيَعْرِفَ بَيْنَ مَنْ  
 يَكْتُبُ إِلَيْهِ . . . أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ خَاطَبْتَ سُلْطَانًا أَوْ وَزِيرًا بِالتَّعْرِيفِ  
 عَنْ الْمُصِيبَةِ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا لَمَا حَازَ أَنْ تَبْنِي الْكَلَامَ عَلَى وَعْظِهِ  
 وَتَبْصِيرِهِ وَارْشَادِهِ وَحَصِّهِ عَلَى الْإِغْذِ بِحُطٍّ مِنَ الصَّبْرِ . . . وَأَمَّا الصَّوَابُ  
 أَنْ تَبْنِي لِحْطَابَ عَلَى أَنَّهُ أَعْلَى شَأْنًا وَأَرْفَعُ مَكَانًا مِنْ أَنْ يُعْزَى  
 بِخِلَافِ التَّأَخُّرِ فِي الرُّبَّةِ فَإِنَّهُ لَمَّا يُعْزَى تَنْبِيْهَا وَتَذْكِيرُهَا وَتَضْيِيرُهَا  
 وَتَرْفِيقُهَا لِلرَّاجِبِ فِي تَلْقَى السَّرَّاءِ بِالشُّكْرِ وَالضَّرَّاءِ بِالصَّبْرِ . . .  
 ( الْأَصْلُ الْعَاشِرُ ) أَنْ يَرَايَ مَوَاقِعَ آيَاتِ وَالسَّجْعِ فِي الْكُتُبِ  
 وَذَكَرَ آيَاتِ الشِّعْرِ فِي الْمَكَاتِبِ . . .



# الفصل التاسع

في حل الشعر والاحتذاء.

المبحث الأول

في حسن الاخذ

( من كتاب الصلواتين للمصري )

( راجع صفحة ٢٣٩ من علم الادب )

لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ أَصَافِ الْقَائِلِينَ غِنَى عَنْ تَنَاوُلِ الْمَعَانِي مِمَّنْ  
تَقَدَّمَ وَالصَّبُّ عَلَى قَوَالِبِ مَنْ سَبَقَهُ وَلَكِنْ عَلَيْهِ إِذَا أَخَذَهَا أَنْ  
يَكْسُوَهَا الْقَاطِطَ مِنْ عِنْدِهِ وَيُزَيِّدُهَا فِي مَعَارِضٍ مِنْ تَأْلِيْفِهِ وَرَضْفِهِ  
وَيُؤَدِّيَهَا فِي غَيْرِ حِلَّتَيْهَا الْأُولَى وَيَزِيدُ فِي حُسْنِ تَأْلِيْفِهَا وَجُودَةِ  
تَرْكِيبِهَا وَحَمَالِ حِلَّتَيْهَا وَمَعْرِضِهَا . فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ أَوْلَى بِهَا بِمَنْ  
سَبَقَ إِلَيْهَا وَلَوْلَا أَنَّ الْقَائِلَ يُؤَدِّي مَا سَبَحَ لَمْ كَانَ فِي طَاقَتِهِ أَنْ  
يَقُولَ وَإِنَّمَا يَنْطِقُ الطِّفْلُ بَعْدَ اسْتِمَاعِهِ مِنَ الْبَالِغِينَ . وَقَالَ أَمِيرُ  
الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ : لَوْلَا أَنَّ الْكَلَامَ يُعَادُ لَتَفَدَّ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كُلُّ  
شَيْءٍ ثَنِيَّتُهُ قَصْرُ إِلَّا الْكَلَامَ فَإِنَّكَ إِذَا ثَنَيْتَهُ طَالَ . عَلَى أَنَّ الْمَعَانِي  
مُشْتَرِكَةٌ بَيْنَ الْعُلَاءِ قُرْبًا وَقَعِ الْمَعْنَى الْحَيْدُ لِلشُّرْقِيِّ وَالْبَطْنُ لِلزَّجْجِيِّ  
وَإِنَّمَا يَتَفَاوَضُ النَّاسُ فِي الْأَلْقَاطِ وَرَضْفِهَا وَتَأْلِيْفِهَا وَنَظْمِهَا . وَقَدْ  
يَمُتَّعُ لِلْمَتَأَخِّرِ مَعْنَى سَبَقَهُ إِلَيْهِ الْمُتَقَدِّمُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُلِمَّ بِهِ وَلَكِنْ

كَمَا وَقَعَ لِلأَوَّلِ وَقَعَ لِلآخِرِ . وَهَذَا أَمْرٌ عَرَفْتُهُ مِنْ نَفْسِي فَلَسْتُ  
أَمْتَرِي فِيهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ مَنْ أَخَذَ مَعْنَى بِلَفْظِهِ كَانَ لَهُ سَالِحًا  
وَمَنْ أَخَذَهُ فَكَسَاهُ لَفْظًا مِنْ عِنْدِهِ أَجُودَ مِنْ لَفْظِهِ كَانَ هُوَ  
أَوَّلَى بِهِ . يَمُنُّ تَقَدَّمَهُ . وَقَالُوا : إِنَّ أَبَا عَزْدَرَةَ الْكَلَامِ مِنْ سَبَكِ  
الْمُظْهَرِ عَلَى مَعْنَاهُ . وَمَنْ أَخَذَ مَعْنَى بِلَفْظِهِ فَلَيْسَ لَهُ فِيهِ نَصِيبٌ . عَلَى أَنَّ  
الْإِتِّكَارَ أَلْمَعْنَى وَالسَّبَقَ إِلَيْهِ لَيْسَ هُوَ فَضِيلَةٌ تَرْجِعُ إِلَى أَلْمَعْنَى وَإِنَّمَا  
هُوَ فَضِيلَةٌ تَرْجِعُ إِلَى الَّذِي أَبْتَكَرَهُ وَسَبَقَ إِلَيْهِ . فَأَلْمَعْنَى الْحَيْدُ جَيِّدٌ  
وَإِنْ كَانَ مَسْبُوقًا إِلَيْهِ . وَالْوَسْطُ وَسَطٌ وَالرَّدْيُ رَدْيٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ  
مَسْبُوقًا إِلَيْهِمَا . وَقَدْ أَطْبَقَ الْمُتَقَدِّمُونَ وَالْمُتَأَخِّرُونَ عَلَى تَدَاوُلِ أَلْمَعْنَى  
بَيْنَهُمْ فَلَيْسَ عَلَى أَحَدٍ فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا إِذَا أَخَذَهُ بِلَفْظِهِ كُلِّهِ وَأَخَذَهُ فَأَفْسَدَهُ  
وَقَصَرَ فِيهِ عَنْ تَمْلِئِهِ وَرَبَّمَا أَخَذَ الشَّاعِرُ الْقَوْلَ الْمَشْهُورَ وَلَمْ يُبَالِ  
كَمَا فَعَلَ النَّابِغَةُ فَاتَةُ أَخَذَ قَوْلَ وَهَبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهَيْرٍ :

تَبْدُو كَوَاصِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ

وَقَالَ النَّابِغَةُ

تَبْدُو كَوَاصِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَا أَلُودُ نُورٌ وَلَا أَلِظْلَامُ إِظْلَامُ  
وَأَخَذَ قَوْلَ رَجُلٍ مِنْ كِنْدَةَ فِي عَمْرِو بْنِ هِنْدٍ :

هُوَ الشَّمْسُ رَأَتْ يَوْمَ دَجَنٍ فَأَفْضَلَتْ  
عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمُلُوكِ كَوَاصِبُ

فَقَالَ :

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاصِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَدُ مِنْهُمْ كَوَاصِبُ

وَسَتَّبِعُ الْقَوْلَ فِي هَذَا الْبَابِ وَالْحَاقِقُ يُخَيِّدُ دَيْبَهُ إِلَى الْاَلْفَى  
يَأْخُذُهُ فِي سُدْرَةٍ فَيَحْكُمُ لَهُ بِالسَّبْقِ إِلَيْهِ . وَذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ مَعْنَى  
مِنْ ظَلَمَ فَيُورِدُهُ فِي نَثْرِ . أَوْ مِنْ نَثَرِ فَيُورِدُهُ فِي ظَلَمَ أَوْ يَنْقُلُ  
الْاَلْفَى الْمُسْتَعْمَلِ فِي صِفَةِ خَمْرٍ فَيَحْكُمُ فِي مَدِيحٍ أَوْ فِي مَدِيحٍ فَيَسْقِلُهُ إِلَى  
وَضَفٍ . إِلَّا إِيَّاهُ لَا يَكْمُلُ بِهَذَا إِلَّا الْمُبْدَرُ وَالْكَامِلُ الْمَقْدَمُ فَمَنْ  
أَخْفَى دَيْبَهُ إِلَى الْاَلْفَى وَسُدْرَهُ غَايَةَ السَّرِّ أَبُو تَمَّامٍ فِي قَوْلِهِ :

جَمَعَتْ عَرَى أَعْمَالِهَا بَعْدَ فُرْقَةٍ إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ الْأَنْبِيبُ عَامِلُ  
قَالُوا هُوَ مِنْ قَوْلِ الْجَبَالِ الرَّبْعِيِّ :

أُولَئِكَ إِخْوَانُ الْأَصْفَاءِ رُزِئْتُهُمْ فَمَا الْكَفُّ إِلَّا إِضْبَعٌ ثُمَّ إِضْبَعٌ  
وَهَكَذَا قَوْلُهُ وَقَدْ تَقَلَّه مِنْ مَعْنَى إِلَى آخَرٍ :

مَكَارِمُ لَجَّتْ فِي غُلُوٍّ كَأَنَّهَا تُحَاوِلُ تَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ  
قَالُوا هُوَ مِنْ قَوْلِ الْأَخْطَلِ :

عُرُوفٌ لِحَقِّ السَّالِئِينَ كَأَنَّهُ يَسْقُرُ الْمَتَالِي طَالِبٌ بِذُؤُوبٍ  
وَمِمَّا أَخَذَهُ وَزَادَ فِيهِ عَلَى الْأَوَّلِ قَوْلُهُ :

أَفَنَاهُمْ الصَّبْرُ إِذَا أَبْقَاكُمْ الْحَرَجُ  
مِنْ قَوْلِ السَّمَوِيِّ :

يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ أَجَالَنَا لَنَا وَتَكَوُّهُ أَجَالُهُمْ فَتَقْطُلُوا  
أَوْرَدَهُ أَبُو تَمَّامٍ فِي رِضْفٍ يَلْتَمِسُ وَأَسْتَرْفَى التَّطْيِيقَ وَمِنْ هَذَا  
الضَّرْبِ قَوْلُهُ :

عَلَّمَنِي جُودَكَ السَّمَاحَ فَمَا أَجَبْتُ شَيْئًا أَدَى مِنْ صِلَتِكَ

مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْحَيَّاطِ :

لَسْتُ بِكُنْهِي كَفَّهُ أَتْبَعِي الْغَنَى  
فَلَا أَمُوتُهُ مَا أَقَادَ دُورَ الْغَنَى  
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُسْلِمٍ :

أُحِبُّ الزَّيْجَ مَا هَبَّتْ شَمَالًا  
وَأَحْسُدُهَا إِذَا هَبَّتْ جَنُوبًا  
قَسَمْتُ تَقْسِيمًا حَسَنًا وَمَعْنَاهُ : أَنَّ الشَّمَالَ تَحِيٌّ مِنْ نَاحِيَةِ صَدِيقِهِ  
إِلَيْهِ فَالْحُبُّ وَالْجَنُوبُ تَهَبُّ إِلَى الْحَبِيبِ فَحَسَنُهَا لِمُبَاشَرَتِهَا جِسْمُهُ وَهُوَ  
مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ جِرَّانِ الْوُدِّ :

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ تَحْوِ أَرْضِكُمْ  
وَجَدْتُ لِرِيَّاهَا عَلَى كِبْدِي بَرْدًا  
وَرَدَّادٌ مُسْلِمٌ فِي قَوْلِهِ أَيْضًا :

وَيُعِيدُ السَّيْفَ بَيْنَ النَّخْرِ وَالْجِدِّ

عَلَى السَّابِقِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ بَعْضُ الْقُرَّانِ إِذْ يَقُولُ :  
جَعَلْتُ السَّيْفَ بَيْنَ اللَّيْثِ وَمَنْهُ وَيَنْ سَوَادٍ لَحِيهِ عِذَارًا  
لِأَنَّ الْأَعْمَادَ فِيهِ أَشَدُّ تَأْثِيرًا مِنْ وَضْعِ الْعِذَارِ عَلَيْهِ . وَقَدْ زَادَ  
أَبُو نُوَّاسٍ عَلَى جَرِيرٍ فِي قَوْلِهِ :

وَقَدْ أَطْوَلَ بِجَادِ السَّيْفِ مُحْتَبَا  
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ هَزَّةُ الْأَنْبَابِ  
فَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

سَبَطَ الْأَبْنَاءُ إِذَا أَحْتَبَى بِجَادِهِ  
غَمْرُ الْجَمَاحِمِ وَالسَّيَاطِ قِيَامُ  
قَوْلُهُ : غَمْرُ الْجَمَاحِمِ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ .  
وَهَكَذَا قَوْلُهُ :

أَسْمُ طَوْلُ السَّاعِدِينَ كَأَنَّمَا  
أَحْسَنُ لَفْظًا وَسَبْكًَا مِنْ قَوْلِ عَنَدَةَ :

بَطْلٌ كَانَ شَبَابُهُ فِي سَرَحَةٍ يُجْنَدِي نَعَالَ التَّبَتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ  
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي أَنِّي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْخَيْالِ فِيهَا لَوْ أُهْمِلْتُ حَتَّى تَكُونَ شَمَانِلَا  
لَوْ يُنْسَبَانِ لَكَانَ هَذَا غَارِبًا لِلْمَكْرُمَاتِ وَكَانَ هَذَا كَاهِلًا  
إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نَمُوهُ أَيْقَنْتَ أَنَّ سَيَكُونُ بَدَأًا كَامِلًا  
أَحْسَنُ وَأَجُودُ يَمَّا أَخَذَ مِنْهُ هَذِهِ الْمَعَانِي وَهُوَ قَوْلُ الْقَرَزْدَقِ :  
وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ دُوحِظَةٌ لَوْ أَنَّ الْمَلَايَا أَنْسَأَتْ لِيَالِيَا  
لَا يَمُوتُ بَيْتُ الْقَرَزْدَقِ مَعَ آيَاتِ أَبِي ثَمَامٍ مَوْعَاً . وَأَخَذَ قَوْلُ  
الْقَرَزْدَقِ :

وَمَا وَامَرْتَنِي النَّفْسُ فِي رِعْلَتِهَا إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكَ ضَمِيرُهَا  
فَسَرَحَهُ وَقَالَ :

وَمَا طَوَّفْتُ فِي آلَافٍ إِلَّا وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحَاتِي وَزَادِي  
مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَّتْ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ  
وَالِي بَيْتِ الْقَرَزْدَقِ يُشِيرُ الْقَائِلُ :

مَدَحْتُكَ جَهْدِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ  
فَقَصَّرَ عَمَّا فِيكَ مِنْ صَالِحِ جَهْدِي

فَمَا كُلُّ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ قُلْتُهُ  
وَلَا كُلُّ مَا فِيهِ يَقُولُ الَّذِي مَعْدِي



وَكُنْتُ إِذَا هَيَّأْتُ مَدْحًا لِأَجْدٍ

أَتَانِي الَّذِي فِيهِ بِأَذَى الَّذِي عِنْدِي

وَمِنْ هَاهُنَا أَخَذَ أَبُو نُؤَاسٍ قَوْلَهُ :

إِذَا نَحْنُ آمَنَّا بِكَ بِصَالِحٍ قَانَتْ كَمَا شِئِي وَفَوْقَ الَّذِي شِئِي

وَأَنْ جَرَتْ أَلَا تَهْطُ يَوْمًا بِمَدْحَةٍ إِنْغِرَكَ إِنْسَاكَ قَانَتْ الَّذِي فَعْنِي

وَيُشِيرُ إِلَى قَوْلِ الْخُفَاءِ :

وَمَا بَلَّغَ الْمُهْذُونَ فِي الْقَوْلِ وَدَمَةً وَأَنْ أَطْبُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

وَهَكَذَا قَوْلُهُ :

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الدُّرُوعَ لَمَوْقِفٌ لَيْسَتْهُمْ الْأَحْسَابُ فِيهِ دُرُوعًا

أَتَمُّ وَأَجُودُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

لَبَسُوا الْقُلُوبَ عَلَى الدُّرُوعِ مُظَاهِرِينَ لِدَفْعِ ذَلِكَ

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : إِنْ أَتَيْتَ حَيْثُ تَرَى الضِّغَاطَ . فَأَخَذَهُ بَشَارٌ

وَقَدْ شَرَحَهُ وَيَنْتُهُ فَقَالَ :

تَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْشِيرُ الْحَبُّ م وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكُرْمَاءِ

وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

يَزْجِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّرْحَامِ

وَسَبَّحَ أَبُو تَمَّامٍ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِلْأَشْمَثِ بْنِ قَيْسٍ :

إِنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ قَضَاءُ اللَّهِ وَأَتَتْ مَوْزُورٌ . وَإِنَّكَ إِنْ

لَمْ تَسْلُ أَحْسَابًا سَاوَتْ كَمَا تَسْلُو أَلْبَاهِمَ فَحَكَاهُ حِكَايَةً حَسَنَةً فِي

قَوْلِهِ :

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَاذِي لَا شَمْتَ وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضُ تِلْكَ الْمَأْتَمِ  
أَقْصَرُ لِلْبُلُو حَيَاءٌ وَحَسْبَةٌ قَوَّجُوا أَمْ تَسْلُسُلُوا إِلَهُكُمْ  
خُلِقْنَا رِجَالًا لِلتَّجْلِيدِ وَالْأَسَى وَتِلْكَ الْقَوَانِي لِلْبُكَاءِ وَالْمَأْتَمِ  
وَأَلَيْتُ الْأَخِيرُ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ لَأُقْتَلَ مُضْعَبٌ .

وَأَمَّا التَّنْسِيمُ وَالسَّلَوةُ لِحُزْمَاءِ الزُّجَالِ . وَإِنَّ أَلْهَمَ وَالْجَزَعَ لِرَبَاتِ الْحِجَالِ  
وَسَمِعَ قَوْلَ زِيَادٍ لِأَبِي الْأَسْوَدِ . لَوْ أَنَّكَ ضَعِيفٌ لَأَسْتَعْمَلْتُكَ . فَقَالَ  
أَبُو الْأَسْوَدِ : إِنْ كُنْتُ تُرِيدُنِي لِلصَّرَاعِ فَلْيَنِي لَا أَضِلُّ لَهُ وَلَا أَفْتِدُ  
شَدِيدٌ أَنْ أَمُرَّ وَأَنْهَى فَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

فَعَجِبُ أَنْ رَأَتْ جَنَسِي نَحِيفًا كَانَ الْجَدُّ يُدْرِكُ بِالصَّرَاعِ  
وَلَمَّا قَالَ بَشَارٌ :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ لَمْ يَطْفُرْ بِحَاجَتِهِ وَفَارَ بِالطَّيِّبَاتِ أَفَارَتَكَ اللَّهُمَّ  
تَبِعَهُ سَلَمُ الْحَاسِرُ فَقَالَ :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ عَمًا وَفَارَ بِاللَّذَّةِ الْجُبُورُ

فَلَمَّا سَمِعَ بَشَارُ هَذَا أَلَيْتُ قَالَ : ذَهَبَ الْحَيْثُ بَيْتِي . وَمِنْ  
حُسْنِ الْإِتِّبَاعِ أَيْضًا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَبَّاسِ حَيْثُ كَتَبَ : إِذَا  
كَانَ لِلْحَسَنِ مِنَ الثَّوَابِ مَا يُقْنِعُهُ وَالْمُسِيءُ مِنَ الْعِقَابِ مَا يَقْنَعُهُ  
أَزْدَادُ الْحَسَنِ فِي الْإِحْسَانِ رَغْبَةٌ وَأَنْقَادُ الْمُسِيءِ لِلْحَقِّ رَهْبَةٌ . أَخَذَهُ  
مِنْ قَوْلِ عَلِيٍّ : يَجِبُ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَتَعَهَّدَ أُمُورَهُ وَيَتَفَقَّدَ أَعْوَانَهُ  
حَتَّى لَا يَحْتَجِيَ عَلَيْهِ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلَا إِسَاءَةُ مُسِيءٍ ثُمَّ لَا يَذْرُؤُ وَاحِدًا  
مِنْهَا بِغَيْرِ جَزَاءٍ . فَإِنْ تَرَكَ ذَلِكَ تَهَاوَنَ الْحَسَنُ وَاجْتَرَأَ الْمُسِيءُ وَفَسَدَ

الْأَمْرَ وَضَاعَ الْعَمَلُ . وَسَمِعَ بَعْضُ الْكُتَّابِ قَوْلَ نَصِيبٍ :

وَلَوْ مَسَكُوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبِ

فَكَتَبَ وَلَوْ أُنْمِسِكَ لِسَانِي عَنْ مُشْكِرِكَ لَنَطَقَ أَثْرُكَ عَلَيَّ .  
وَفِي فَضْلِ آخَرَ : وَلَوْ جَعَدْتُكَ إِحْسَانَكَ لَا صُكِّدْتَنِي آثَارُهُ وَنَمَتْ  
عَلَيَّ شَوَاهِدُهُ . وَقَرِيبُ مِثْلِهِ قَوْلُهُمْ : شَاهِدَاتُ الْأَحْوَالِ أَعْدَلُ مِنْ  
شَهَادَاتِ الرِّجَالِ . أَخَذَهُ ابْنُ الْأَرَوِّجِيِّ فَشَرَحَهُ فِي قَوْلِهِ :

حَالُ السِّدَادِ فِي عَمَائِرِكُمْ لَكِنْ فَمُ الْحَالِ مِثْلِي غَيْرُ مَسْدُودٍ

حَالُ نَصِيحٍ بِمَا أَوْلَيْتَ مُعْلَنَةً وَكُلُّ مَا تَدْعِيهِ غَيْرُ مَرْدُودٍ

كُلِّي هِجَاءً وَقَتْلِي لَا يَحِلُّ لَكُمْ فَمَا يُدَاوِيكُمْ وَمَيِّ سِوَى الْجُودِ

وَمِنْ أَحْسَنِ الْإِتْبَاعِ أَيْضًا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ وَقَدْ سَمِعَ قَوْلَ  
عَلِيٍّ : لَا تَكُونَنَّ كَنَنْ يَفْجُرُ عَنْ شُكْرِ مَا أُتِيَ وَيَلْتَمِسُ الزِّيَادَةَ  
فِيمَا بَقِيَ . فَكَتَبَ : أَحَقُّ مَنْ أَثْبَتَ لَكَ الْعُذْرَ فِي حَالِ شُغْلِكَ  
مَنْ لَمْ يَحُلْ سَاعَةً مِنْ بَرِّكَ فِي وَقْتِ فَرَاغِكَ . وَأَخَذَهُ أَخْذًا ظَاهِرًا  
أَحْمَدُ بْنُ صُبَيْحٍ فَقَالَ : فِي شُكْرِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِحْسَانِ الْأَمِيرِ شَاغِلٌ  
عَنِ اسْتِيطَاءِ مَا تَأَخَّرَ مِنْهُ . وَأَخَذَهُ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ فَقَالَ : لَسْتُ  
مُسْتَقِلًّا لِشُكْرِ مَا مَضَى مِنْ بَلَائِكَ فَاسْتَبْطِئْ دَرَكًا مَا أُوتِلُ مِنْ  
مَزِيدِكَ . وَمِنْ هَذَا أَيْضًا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

لَا تُسَدِّينَ إِلَيَّ عَارِقَةً حَتَّى أَقْرَمَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

وَأَخْبَرَ الْأَخْفَشُ قَالَ : قَالَ أَبُو نَعْمَانَ لِابْنِ أَبِي رُوَادٍ لَأَغْضِبَ

عَلَيْهِ : أَنْتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَلَا طَاقَةَ لِي بِغَضَبِ جَمِيعِ النَّاسِ . فَقَالَ

ابْنُ أَبِي رُوَادٍ : مَا أَحْسَنَ هَذَا مِنْ آيَةٍ أَخَذَتْهُ . قَالَ : مِنْ قَوْلِ  
 أَبِي نُوَّاسٍ وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ . أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ  
 وَمَنْ سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ يَظُنُّهُ مَسْرُوعًا مِنْ قَوْلِ جَبْرِ :  
 إِذَا غَضِبْتُ عَلَى بَنِي عِمْرٍ رَأَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا  
 وَسَمِعَ قَلِيبُ الْمُعَلِّيُّ آيَاتًا لِلْعَبِيِّ وَهِيَ :  
 أَفَلْتَ بَطَأْتُهُ وَرَاجَعَهُ حِلْمٌ وَأَعَقَبَهُ الْهَوَى نَمَا  
 أَتَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ كُلُّكَهْ وَأَعَارَهُ الْإِقْتَارَ وَالْعَدَمَا  
 فَإِذَا أَلَمَ بِهِ أَخُو ثِقَةٍ غَضَّ الْجُنُونَ وَمَجَّحَ الْكَلِمَا  
 فَقَالَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ يَسْتَعِظُهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِهِ : جَعَلَنِي اللَّهُ  
 فِدَاكَ . لَيْسَ هُوَ الْيَوْمَ كَمَا كَانَ أَمْسَ إِنَّهُ وَحْيَاكَ أَفَلْتَ بَطَأْتُهُ  
 إِيَّيَ وَاللَّهِ وَرَاجَعَهُ حِلْمُهُ وَأَعَقَبَهُ وَحْيُكَ الْهَوَى نَمَا أَتَى الدَّهْرُ عَلَيْهِ  
 كُلُّكَهْ فَهُوَ الْيَوْمَ إِذَا رَأَى أَخَا ثِقَةٍ غَضَّ بَصَرَهُ وَمَجَّحَ كَلَامَهُ .  
 وَبِهَذَا يُعْرَفُ أَنَّ حِلَّ الْمَنْظُومِ وَظَمَ الْحَثُولِ أَسْهَلُ مِنْ اتِّدَائِهَا  
 لِأَنَّ الْمُعَلِّيَّ إِذَا حَلَّتْ مَنْظُومًا أَوْ نُظِمَتْ مَثُورًا حَاضِرَةً بَيْنَ يَدَيْكَ  
 تَرِيدُ فِيهَا مِثْنًا فَتَحُلُّ أَوْ تَنْقُصُ مِنْهَا شَيْئًا فَتَنْظِمُ . وَإِذَا أَرَدْتَ  
 اتِّدَاءَ كَلَامٍ وَجَدْتَ الْمُعَلِّيَّ غَائِبَةً عَنْكَ فَتَحْتَاجُ إِلَى فِكْرِ يُخَضِّرُهَا  
 وَالْحَثُولُ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَضْرِبٍ : ضَرْبٌ مِنْهَا يَكُونُ  
 بِإِذْمَالِ لَفْظَةٍ بَيْنَ الْفَاظِلِ . وَضَرْبٌ يَحُلُّ بِتَأْخِيرِ لَفْظَةٍ مِنْهُ وَتَقْدِيمِ  
 أُخْرَى فَيَحْسُنُ حَثُولُهُ وَيَسْتَقِيمُ . وَضَرْبٌ مِنْهُ يَحُلُّ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ  
 وَلَا يَحْسُنُ وَلَا يَسْتَقِيمُ . فَأَمَّا الضَّرْبُ الْأَوَّلُ فَمِثَالُهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

صَدَرَ كَلَامُ قَلْبِ الْمُعْتَرِي . وَأَمَّا الضَّرْبُ الثَّانِي فَمِثَالُهُ مَا ذَكَرَ  
بَعْضُ الْكُتَّابِ مِنْ قَوْلِ الْبُخَّارِيِّ :

طَلَبُ الْأَكْثَرِ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ تُبْلَغُ الْحَاجَةُ فِيهَا بِالْأَقْلِ  
ثُمَّ قَالَ : فَإِذَا نَزَّتْ ذَلِكَ وَلَمْ تَرُدَّ فِي الْفَاطَةِ شَيْئًا قُلْتَ :  
طَلَبُ فِي الدُّنْيَا الْأَكْثَرُ وَتُبْلَغُ مِنْهَا الْحَاجَةُ بِالْأَقْلِ . فَأَمَّا  
الضَّرْبُ الثَّلَاثُ فَهُوَ أَنْ تُوضَعَ الْفَاطَةُ أَلَيْتَ فِي مَوَاضِعَ لَا يَحْسُنُ  
وَضْعُهَا فِي غَيْرِهَا فَيَحُلُّ إِذَا بَدَأَ بِتَأْخِيرِ لَفْظٍ وَتَقْدِيمِ آخَرَ فَيَحْتَاجُ  
نَثْرَهُ إِلَى التَّقْصَانِ مِنْهُ وَالزِّيَادَةَ فِيهِ . كَقَوْلِ الْبُخَّارِيِّ أَيْضًا :

يُسَرُّ عُمَرَانُ الدِّيَارَ مُضَلَّلٌ وَعُمَرَانُ مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا  
وَلَمْ أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوْ أَنْ مَحِيئَهَا فَكَيْفَ أَرْتَضِيهَا أَوْ أَنْ ذَهَابِهَا  
فَإِذَا نُبِّهَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ قِيلَ : يُسَرُّ مُضَلَّلٌ عُمَرَانُ الدُّنْيَا وَمِنْ  
خَرَابِهَا عُمَرَانُ مُسْتَأْنَفٌ وَلَمْ أَرْتَضِ أَوْ أَنْ مَحِيئَهَا الدُّنْيَا فَكَيْفَ أَوْ أَنْ  
ذَهَابِهَا أَرْتَضِيهَا . فَهَذَا نَثْرٌ قَاسِدٌ فَإِذَا غَيَّرْتَ بَعْضَ الْفَاطَةِ حَسَنَ  
وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : يُسَرُّ الْمُضَلَّلُ عُمَرَانُ الدِّيَارِ وَإِنَّمَا يُسْتَأْنَفُ عُمَرَانُهَا  
مِنْ خَرَابِهَا . وَمَا أَرْتَضَيْتُ الدُّنْيَا أَوْ أَنْ مَحِيئَهَا فَكَيْفَ أَرْتَضِيهَا أَوْ أَنْ  
ذَهَابِهَا . وَنَحْنُ نَقُولُ إِنَّ مِنَ النِّظْمِ مَا لَا يُمْكِنُ حَلُّهُ أَصْلًا بِتَأْخِيرِ  
لَفْظَةٍ وَتَقْدِيمِ أُخْرَى مِنْهُ حَتَّى يُلْحَقَ بِهِ التَّغْيِيرُ وَالزِّيَادَةُ وَالتَّقْصَانُ .  
مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

لِسَانُ الْقَتْلِ نَضْفُ وَنَضْفُ فَوَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اَللَّحْمِ وَاللَّحْمِ  
فَالْمَصْرَاعُ الْأَوَّلُ يُمْكِنُ أَنْ تُؤَخَّرَ الْفَاطَةُ وَتُقَدَّمَ فَيَصِيرُ نَثْرًا

سُتَقِيمًا وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : فَوَإِذَا أَلْقَيْتَ نِصْفَ وَلِسَانِهِ نِصْفٌ . وَلَا  
يُمْكِنُ فِي الْمِضْرَاعِ الثَّانِي ذَلِكَ حَتَّى تَرِيدَ فِيهِ أَوْ تَقْصُرَ مِنْهُ لِأَنَّ  
الْمِضْرَاعَ الثَّانِي إِنَّمَا هُوَ تَذْيِيلٌ لِلْمِضْرَاعِ الْأَوَّلِ فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْلَهُ  
حَلًّا مُقْتَصِرًا بِغَيْرِ لَفْظِهِ قُلْتَ : الْإِنْسَانُ شَطْرَانِ لِسَانٌ وَجَنَانٌ . وَمِمَّا  
لَا يُمْكِنُ حَلُّهُ بِتَقْدِيمِ لَفْظِهِ مِنْهُ وَتَأْخِيرِ أُخْرَى أَيْضًا قَوْلُ أَبِي  
نُؤَاسٍ :

أَلَا يَا أَبْنَ الْأَذِينَ قُوا وَبَادُوا      أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لِيَتَّبَعِي  
فَمُتَحَاجٌّ فِي نَفْسِهِ إِلَى تَضْيِيقِهِ وَابْتِدَالِ أَلْفَظِهِ فَيَقُولُ : أَلَا يَا أَبْنَ  
الَّذِينَ مَاتُوا وَمَضَوْا وَطَفَنُوا قَاتُوا قَوَّالَهُ مَا طَفَنُوا لِيُغَيِّمَ وَمَا رَامُوا إِلَّا  
لِيُرِيِمَ . وَلَا أَتُوا لِيَحْيَا وَلَا قُوا لِيَتَّبَعِي . وَفِي هَذِهِ الْأَلْفَازِ طُولٌ وَلَيْسَ  
بِصَافِرٍ عَلَى مَا خَبَرْتُكَ فَإِنْ أَرَدْتَ اخْتِصَارَهُ قُلْتَ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ  
أَلَمْتُ لَمْ يُصَبِّكَ فِي أَيْكَ إِلَّا لِيُصِيبَكَ فِيكَ . وَالضَّرْبُ الرَّابِعُ  
أَنْ تَكْسُوَ مَا تَحْلَهُ مِنْ أَلْفَظٍ أَلْفَازًا مِنْ عِنْدِكَ . وَهَذَا أَرْفَعُ  
دَرَجَاتِكَ . وَمِنْهُ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِلرَّبِيعِ بْنِ خَيْمٍ وَقَدْ رَأَى اجْتِهَادَهُ  
فِي الْعِبَادَةِ : قَتَلْتَ نَفْسَكَ . فَقَالَ : رَاحَتَهَا أَطْلُبُ . فَقَالَ الشَّاعِرُ :  
سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ مِنْكُمْ لَتَقْرُبُوا      وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِيَجْمُدَا  
وَمِنْهُ مَا جَاءَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَقَالَ نَثْرًا : إِنْ أَمَرْتُ لَمْ يَدُ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ آدَمَ إِلَّا أَبَا مَيْتَةٍ لَمُتَ لَهُ فِي أَلَمٍ . فَلَمَّا رَأَى أَبُو نُؤَاسٍ فَقَالَ :  
وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَأَبْنُ هَالِكٍ      وَذُو نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقٌ  
وَسَمِعَ بَعْضُ الْكُتَّابِ قَوْلَ أَبِي نَافِعٍ :

فَإِنْ نَجِدْهُ نَعْمَ بِهَا حَتَّى تَرَانَا تُعَادُ مِنْ مَرَضِهِ  
فَكُتِبَ مِنْ تَرَلِّ مَرَلَّتِي مِنْ طَاعَتِكَ وَمُشَارَكِكَ كَانَ حَقِيقًا  
أَنْ يَهِنَّا بِالْفِتْنَةِ تَحْدُثُ عِنْدَكَ وَيُعْزَى عَلَى النَّاتِيَةِ قُلُوبُكُمْ . فَتَقْلَلُ  
الْعِيَادَةَ إِلَى الْمُصِيبَةِ وَالتَّغْزِيَةِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَلِكِتَابَةُ تَقْضُ الشَّعْرَ .  
وَقِيلَ لِلْعَبَّاسِيِّ : بِمِ قَدَرْتَ عَلَى الْبَلَاغَةِ . فَقَالَ : بِحُلِّ مَعْقُودِ الْكَلَامِ  
وَأَحْسَنَ أَبُو تَمَّامٍ فِي قَوْلِهِ :

إِلَيْكَ مَكْنَجُ لَيْلٍ كَأَنَّمَا قَدْ اكْتَحَلَتْ مِنْهُ أَلْبَلَاذُ بِأَعْيَدِ  
وَزَادَ فِيهِ عَلَى أَبِي نُوَّاسٍ وَمِنْهُ اخَذَ . وَهُوَ قَوْلُهُ :

وَجِئْتُ لَيْلٍ مُكْتَحِلٍ بِهَارٍ

لَأَنَّ الْأَكْتَحَالَ يَكُونُ بِالْإَعْيَدِ وَلَا يَكُونُ بِأَهَارٍ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ  
ابْنُ الْأَبَّاسِ :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدُ تَقَاصَرَ عَنْهَا أَلْتَلُ  
فَبَسَطْتُهَا أَلْعَنَى وَسَطَوْتُهَا أَلْأَجَلُ  
وَبَاطِنُهَا أَلْنَدَى وَظَاهِرُهَا أَلْقَبْلُ

وَأَخَذَ أَلْعَنَى أَلْأَمِيرُ أَبُو عَزِيزٍ قَتَادَةَ أَمِيرُ مَكَّةَ فَقَالَ مُشِيرًا إِلَى  
يَدِهِ مِنْ أَيْمَانِهِ :

تَهْلُ مَلُوكُ الْأَرْضِ تَلْمِ ظَهْرَهَا وَفِي بَطْنِهَا لِلْمُجْدِبِينَ رَيْعُ  
فَاتَّبَعَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ فَأَحْسَنَ الْإِتِّبَاعَ فَقَالَ :

أَصْبَحْتُ بَيْنَ خَصَاصَةٍ وَتَجَمُّلٍ وَأَخْرُتُ بَيْنَهُمَا يَوْمُ هَزِيلٍ  
فَأَمْدُدْ إِلَيَّ يَدًا تَعُودُ بَطْنَهَا نَدَى أَلْتَوَالِ وَظَهْرُهَا أَلْتَقِيلُ

وَمَا أَلْفَ قَوْلَ مَنْ قَالَ :

وَمَا أَلْفَ قَوْلَ فِي حَالِ السُّكُونِ بِسَاكِنٍ

سَوَى أَنَّهُ مُسْتَجِيعٌ لَوُثْبٍ

وَأَمَّا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَقُلْتُ يَا قَوْمُ إِنَّ أَلَيْثَ مُنْقِضٌ عَلَى بَرَائِهِ لَوُثْبَةُ الضَّارِي  
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :

كَانَ أَبَاهُ حِينَ سَمَاهُ صَاعِدًا رَأَى كَيْفَ يَرْقَى فِي الْمَلِي وَيَصْعَدُ  
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْبَحْثَرِيِّ :

سَمَاهُ أُسْرُهُ أَلْعَاءُ وَأَمَّا قَصَدُوا بِذَلِكَ أَنْ يَتِمَّ عِلَالُهُ  
وَزَادَ أَبُو نَمَامٍ عَلَى الْأَفْوَةِ وَالنَّابِغَةِ وَآبِي نُوَّاسٍ وَمُسْلِمٍ فِي مَعْنَى  
تَدَاوُلُوهُ وَهُوَ قَوْلُ الْأَفْوَةِ :

وَرَرَى الطَّيْرَ عَلَى أَرْمَلِنَا رَأَى عَيْنِ ثَعَّةٍ أَنْ سَمَارَ  
وَقَالَ النَّابِغَةُ :

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْخَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَابُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَابِ  
جَوَائِحٍ قَدْ آيَنُ أَنْ قَيْسِلَهُ إِذَا مَا أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ  
وَقَوْلُ آبِي نُوَّاسٍ :

تَنَابَا الطَّيْرُ غَزْوَةً ثَعَّةً بِالشَّعْرِ مِنْ جَزَرَةٍ  
وَقَوْلُ مُسْلِمٍ :

قَدْ عَوَدَ الطَّيْرُ عَادَاتِهِ وَثَقَّنَ بِهَا فَهَنْ يَبْعُهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلٍ  
فَقَالَ أَبُو نَمَامٍ :



أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الْخَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُقَاتِلُ  
وَقَوْلُهُ : ( أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ زِيَادَةً ) وَزَادَ عَلَيْهِمْ بَعْضُ  
الْمُحَدِّثِينَ فَقَالَ :

حَتَّى تَكَادَ عَلَى لَحْيَاهُمْ تَقَعُ

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :  
هَمَّةٌ تَطُحُ الْجُجُومَ وَجِدُّ أَيْفُ الْحَضِيضِ فَهُوَ حَضِيضُ  
أَخَذَهُ الْبُخْتَرِيُّ فَحَسَنَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ :

مُحَمَّدٌ يَغْدُو بِعِزِّهِ قَلَمٌ فِي كُلِّ مَائَةٍ وَجِدِّ قَاعِدِ  
وَبِمَا أَخَذَهُ مِنْ أَبِي تَمَّامٍ فَحَسَنَهُ تَقْسِيماً حَسَنًا قَوْلُهُ :  
مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيمَةٌ إِقْدَامُ غَيْرِ وَأَعْدَامُ مُجَرَّبِ  
هُوَ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :  
وَمُجَرَّبُونَ سَعَاهُمْ مِنْ بَأْسِهِ فَإِذَا لُقُوا فَكَانَهُمْ أَعْمَادُ  
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

كَمْ نِعْمَةٌ لَا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا لِلَّهِ فِي طَيِّ الْمَكَارِدِ كَأَمَّةٍ  
أَخَذَهُ أَبُو تَمَّامٍ فَقَالَ :

قَدْ نِعِمَّ اللَّهُ بِالْبُلُوِي وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَتَلَّى اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ  
فَرَادَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ آتَى بِعَكْسِ الْمَعْنَى وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :  
رَأَيْتُ رَجُلًا فِيكَ وَحَدَّكَ هَمَّةٌ وَلَكِنَّهُ فِي سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ  
فَأَخَذَهُ الْبُخْتَرِيُّ فَالْتَحَصَرَهُ فَقَالَ :

ثَنَى أَمَلِي فَأَخْتَارَهُ عَنْ مَعَاشِرِ يَسْتُونُ وَالْأَمَالَ فِيهِمْ مَطَامِعُ

فَاخَذَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ فَقَالَ :  
 بِهِ صَدَقَ اللَّهُ الْأَمَانِي حَدِيثُهَا      وَقَدْ مَرَّ دَهْرٌ وَالْأَمَانِي وَسَاوِسُ  
 وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :  
 انْضَرَّتْ أَيْكَتِي عَطَايَاكَ حَتَّى      عَادَ غُضْبِي سَاقًا وَكَانَ قَضِيكَ  
 فَقَالَ الْبُحْثَرِيُّ وَزَادَ :  
 حَتَّى يَمُودَ اللَّذْبُ لَيْثًا ضَيْعًا      وَالْأُحْضُ سَاقًا وَالْقَرَارَةُ نَيْقًا  
 وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ وَفِيهَا أوردتُ كِفَايَةً

### البحث الثاني

### في قبح الاخذ

( من كتاب الصناعتين للمسكوي )

( راجع صفحة ٢٤٣ من علم الادب )

وَقَبِيحُ الْأَخْذِ أَنْ تَعِيدَ إِلَى الْغَنَى فَنَتَنَاوَلَهُ بِلَفْظِهِ كُلِّهِ أَوْ  
 أَكْثَرِهِ أَوْ تُخْرِجَهُ فِي مَعْرُضٍ مُسْتَهْجِنٍ . وَالْغَنَى إِنَّمَا يُحْسَنُ بِالْكُسُوفِ .  
 أَخْبَرَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ : إِنَّا إِذَا سَمِعْنَا أَحَدِيثَ مِنْكَ  
 نَسَمِعُهُ بِخِلَافٍ مَا نَسَمِعُهُ مِنْ غَيْرِكَ . قَالَ : إِنِّي أَجِدُهُ عَارِيًا  
 فَأَكْسُوهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِيهِ حَرَفًا . أَيْ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِي  
 مَعْنَاهُ شَيْئًا فِيمَا أُخِذَ بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ وَادَّعَى أَخْذَهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْهُ  
 وَلَكِنْ وَقَعَ كَمَا وَقَعَ لِلأَوَّلِ كَمَا سُئِلَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ عَنْ  
 الشَّاعِرِينَ يَتَفَنَّنَانِ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ وَمَعْنَى . فَقَالَ : عُقُولُ الزَّجَالِ

تَوَافَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهَا وَذَلِكَ قَوْلُ طَرَفَةٍ :  
 وَتَوَافَا بِهَا صَخِي عَلَى مَطِيهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّلَ  
 وَهُوَ قَوْلُ أَمْرِى الْقَيْسِ :  
 وَتَوَافَا بِهَا صَخِي عَلَى مَطِيهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّلَ  
 فَغَيَّرَ طَرَفَةُ أَلْفَايَةَ . وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ :  
 أَرَجُو كَلِيبَ أَنْ يَخِيَّ حَدِيثُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ آتَيْنَا كَلِيبًا قَدِيمُهَا  
 وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

أَرَجُو رَيْحَ أَنْ تَخِيَّ صِنَارُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ آتَيْنَا رَيْحًا كِبَارُهَا  
 وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ جِدًّا وَالْأَخَذُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ  
 كَانَ مَعِيًا وَإِنْ أَدْعَى الْآخِرُ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ الْأَوَّلِ بَلْ وَقَعَ  
 لَهُ كَمَا وَقَعَ لِذَلِكَ فَإِنَّ صِحَّةَ ذَلِكَ لَا يَرِفُهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
 وَالْغَيْبُ لَا زِمَ لِلْآخِرِ . وَإِذَا كَانَ الْقَوْمُ فِي قَيْسِهِ وَاحِدَةً فَإِنَّ  
 خَوَاطِرَهُمْ تَقَعُ مُتَقَارِبَةً كَمَا أَنَّ أَخْلَاقَهُمْ وَشَأْنَهُمْ تَكُونُ مُتَضَارِعَةً  
 وَأَنْشَدْتُ الصَّاحِبَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَّادٍ :  
 كَانَتْ سَرَاةُ النَّاسِ تَحْتَ أَذِلَّةِ

فَسَبَقَنِي وَقَالَ :

قَدَمَتْ سَرَاةُ النَّاسِ فَوْقَ سَرَايَةِ  
 وَكَذَلِكَ كُنْتُ قُلْتُ : فَعَلَى هَذَا جَائِزٌ مَا يُدْعَى لَهُمْ وَالظَّاهِرُ  
 مَا قُلْنَاهُ فَهَذَا ضَرْبٌ . وَالضَّرْبُ الْآخِرُ مِنَ الْآخِذِ الْمُسْتَهْجِنِ أَنْ  
 يَأْخُذَ الْغَنَى فَيَفْسِدَهُ أَوْ يُعْرِضَهُ أَوْ يُخْرِجُهُ فِي مَعْرِضٍ قَبِيحٍ وَكُسُوةٍ

مُسْتَرَدَّةً . وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ أَبِي كَرِيَّةَ :  
قَتَاهُ وَجْهَهُ ثُمَّ وَجْهَهُ الَّذِي قَتَا هُ وَجْهَهُ يُشْبِهُ الْبَدْرَا  
وَأَمَّا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ :  
بَرَّ حُسْنَ الْوُجُوهِ حُسْنُ قَتَا

وَأَخَذَهُ أَبُو نُوَاسٍ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ بِقَوْلِهِ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُثَنِّدِ :  
أَيُّهَا خِرُّكَ ابْنُ جَفَّةَ وَالْكَاتِ لَأَمْسِكَ خَيْرٌ مِنْ يَوْمِهِ وَلَقَدْ لَكَ أَحْسَنُ  
مِنْ وَجْهِهِ وَلَيْسَ بِكَ أَسْمَحُ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَعَيْدُكَ أَكْثَرُ مِنْ قَوْمِهِ  
وَلِنَفْسِكَ أَكْثَرُ مِنْ جُدِّهِ وَلِكَيْفَ أَشْرَفُ مِنْ دَهْرِهِ . وَلَوْ عَدَّكَ  
أَجْزُ مِنْ رِفْدِهِ . وَلَهْزَلُكَ أَضَوَّبُ مِنْ جِدِّهِ . وَلَكَرِّيْكَ أَرْقَعُ مِنْ  
سَرِيرِهِ . وَلَقَتَرُكَ أَبْسَطُ مِنْ شَبِيرِهِ . وَلَأَمْسَكَ خَيْرٌ مِنْ آيِهِ . وَسَمِعَ  
بَعْضُهُمْ قَوْلَ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقِ :

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً اللَّهُ نِعْمَةً عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ  
فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ  
وَإِنْ طَالَ الْأَيَّامُ وَأَقْصَلَ الْعُمُرُ  
إِذَا مَسَّ بِالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُهَا  
وَأَنْ سَسَّ بِالضَّرَّاءِ أَعْقَبَهَا الْأَجْرُ  
وَمَا مِنْهَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ  
تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْأَبْرُ وَالْجُرُ  
فَقَالَ وَاسَاءَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنْ أَلَّهَ دُو نِعَمٍ  
شُكْرِي لَهُ عَمَلٌ فِيهِ عَلَيَّ لَهُ  
لَمْ يُخْصِهَا عَدَدًا بِالشُّكْرِ مِنْ حَمْدَا  
فَهَذَا مِثَالُ قُبْحِ الْأَخْذِ فَاعْلَمُهُ . وَأَخَذَ ابْنُ طَبَاطِبَا قَوْلَ عَلِيٍّ  
قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُجْنِسُهُ . فَقَالَ :

فَيَا لَأَعْي دَعْنِي أَعَالِي قِسْمِي - قِسْمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُخْسِنُونَهُ  
فَأَخَذَهُ بِلَفْظِهِ وَأَخْرَجَهُ بَيْضًا مُتَكَلِّفًا . وَاجْتَدُ قَوْلُ الْآخِرِ :  
( قِسْمَةُ كُلِّ أَمْرٍ عِلْمُهُ ) هَذَا وَإِنْ كَانَ أَخَذَهُ بِبَعْضِ لَفْظِهِ فَإِنَّ  
يَتَنَّهُ أَحْسَنُ مَوْقَعًا مِنْهُ مِنْ يَتِ ابْنِ طَبَاطَبَا . وَمِمَّا قَصَرَ فِيهِ الْجَزَائِرِيُّ  
قَوْلُهُ :

قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَعَى مَشْغُوفَةٌ بِمَوَاطِنِ الْكَيْمَانِ  
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرَبَ :

وَالضَّارِبِينَ بِكُلِّ آيَضٍ مُرْتَفٍ وَالطَّالِعِينَ بِجَامِعِ الْأَضْغَانِ  
فَإِنَّ قَوْلَهُ (بِجَامِعِ الْأَضْغَانِ) أَجْوَدُ مِنْ قَوْلِهِ : مَوَاطِنِ الْكَيْمَانِ  
لَا نَهْمُ إِنَّمَا يُطَاعُونَ الْأَعْدَاءَ مِنْ أَجْلِ أَضْغَانِهِمْ فَإِذَا وَقَعَ الطَّنُّ  
فِي مَوْضِعِ الضَّغْنِ فَذَلِكَ غَايَةُ الْمُرَادِ . وَأَنشَدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ :  
حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحٍ طَلْنُ مُذِيرٍ وَتَنْدَقُ قَدَمًا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا  
مُسْلَمَةٌ أَنْجَازُ خَيْلِي فِي الْوَعَى مُكَلَّمَةٌ لَبَاتُهَا وَتَحُورُهَا  
أَخَذَهُ أَبُو نَعَامٍ فَقَالَ :

أَمَسُ إِذَا مَا اسْتَحْكَمَ الرُّوعُ كَسَرُوا

صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكُتَابِ

فَأَحْسَنًا جَمِيعًا وَرِثَةُ قَوْلِ الْآخِرِ :

يَلْقَى السُّيُوفَ بِحَرْهِ وَبِوَجْهِهِ وَيَقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمَغْفَرِ  
وَيَقُولُ لِلطَّرْفِ أَضْطَرَّ لِشَبَابِ الْقَنَا فَهَدَمَتْ دُسْنُ الْحَجْدِ إِنْ لَمْ يُغْفَرِ  
وَرِثَةُ قَوْلِ بَكْرِ بْنِ الطَّلَاحِ :

يَتَلَقَّى الْإِنْدَى بِوَجْهِ حَيٍّ وَصُدُودَ أَلْفَا بِوَجْهِ وَقَاحٍ  
وَهَذَا كُلُّهُ مَا اخُودٌ مِنْ قَوْلِ كَعْبٍ بْنِ زُهَيْرٍ :  
لَا يَبْقَى الطَّنُّ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ عَنْ جِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ  
وَهُوَ دُونَ يَمِيعٍ مَا تَعَدَّم . وَقَدْ آتَيْتُ فِي هَذَا أَلْبَابٍ عَلَى  
الْكِفَايَةِ . فَهَسْ بِمَا أوردتهُ عَلَى مَا تَرَكْتُهُ فَإِنِّي لَوْ اسْتَقْصَيْتُهُ خَرَجَ  
هَذَا الْكِتَابُ عَنِ الْمُرَادِ وَزَاغَ عَنِ الْإِثَارِ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ

### البحث الثالث

### في حل الشعر

( عن المثل السائر والوحي المرقوم لابن الأثير )

( راجع صفحة ٢٤٤ من علم الادب )

حَلُّ الْأَنْبَاءِ الشَّعْرِيَّةِ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : ( الْأَوَّلُ )  
مِنْهَا وَهُوَ إِذَا مَا مَرَّتْ أَنْ يَأْخُذَ النَّائِرُ يَتَا مِنْ الشَّعْرِ فَيَنْتَرُهُ بِلَفْظِهِ  
مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَهَذَا عَيْبٌ فَاحِشٌ . وَمِثَالُهُ كُنْ أَخَذَ عَقْدًا قَدْ  
أَتَقِنَ ظَمُّهُ وَأَحْسِنَ تَأْلِيْفَهُ فَأَوْقَاهُ وَبَدَّدَهُ وَكَانَ يَوْمُ عَذْرِهِ فِي  
ذَلِكَ أَنْ لَوْ نَقَلَهُ عَنْ كَوْنِهِ عَقْدًا إِلَى صُورَةٍ أُخْرَى مِثْلِهِ أَوْ أَحْسَنَ  
مِثْلِهِ . وَأَيْضًا فَإِنَّهُ إِذَا نُتِرَ الشَّعْرُ بِلَفْظِهِ كَانَ صَاحِبُهُ مَشْهُورَ السَّرِقَةِ  
فَيُقَالُ : هَذَا شَعْرُ فُلَانٍ بِعَيْنِهِ لِكَوْنِ الْفَظِ بَاقِيَةً لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهَا شَيْءٌ  
وَقَدْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكُ بَعْضُ الْعِرَاقِيِّينَ فَجَاءَ مُسْتَهْجِئًا لَا مُسْتَحْسَنًا .

ثَقُولِهِ فِي بَعْضِ آيَاتِ الْحَمَاسَةِ :

وَالَّذِي حَتَّى عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَعْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ  
أَرْجِيئِهِ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ التَّوَاطُرِ مِنْ عَلِ  
(فِيَقَالُ) فِي نَثَرِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ : فَكَمْ لَمَيَّ الدُّ ذَا حَتَّى

كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْكَوَاصِبِ مِنْ عَلٍ وَتَعْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فَكَوَاهُ  
فَوْقَ نَاطِرِيهِ وَاسْكَبَهُ لَيْعِهِ وَيَدَيْهِ . فَلَمْ يَرِدْ هَذَا النَّاثِرُ عَلَى أَنْ  
أَزَالَ رَوْنَقَ الْوِزْنِ وَطِلَادَةَ النِّظْمِ لَاغَيْرُ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ ضَرْبٌ  
مَحْمُودٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَيْتُ مِنَ الشِّعْرِ قَدْ تَضَمَّنَ شَيْئًا  
لَا يُمْكِنُ تَمْيِيزُ لَفْظِهِ فَحِينَئِذٍ يُعْتَدُ نَاثِرُهُ إِذَا آتَى بِذَلِكَ اللَّفْظِ .

وَكَذَلِكَ الْأَمْثَالُ السَّائِرَةُ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِهَا عَلَى مَا جَاءَتْ فِي  
الشِّعْرِ . (وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي) فَمَوْسُطٌ بَيْنَ الْأَوَّلِ وَالثَّلَاثِ فِي  
الْمَرْتَبَةِ وَهُوَ أَنْ يَثْرَ الْمَعْنَى الْمَنْظُومِ بَعْضُ الْفَاقِطِ وَيُعَيَّرَ عَنِ الْبَعْضِ  
بِالْفَاقِطِ آخَرٍ وَسَمَّاكَ تَطَهَّرُ الصَّنْعَةُ فِي الْمُمَاثَلَةِ وَالْمُشَابَهَةِ وَمَوَاقِفِ  
الْأَلْفَاقِ الْبَاقِيَةِ بِالْأَلْفَاقِ الْمَرْتَجَلَةِ فَإِنَّهُ إِذَا أَخَذَ لَفْظًا لِشَاعِرٍ مُجِيدٍ  
قَدْ نَفَحَهُ وَصَحَّحَهُ قَرَرَهُ بِمَا لَا يَلَابِسُهُ كَانَ كَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ لَوْثَةٍ وَحَصَاةٍ .

وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَنْتِصَابِ لِلْقَدَحِ وَالْإِسْتِهْدَافِ لِلطَّنِّ  
وَالطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ إِلَى هَذَا الْقِسْمِ أَنْ تَأْخُذَ بَعْضُ بَيْتٍ مِنْ  
الْآيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ هُوَ أَحْسَنُ مَا فِيهِ ثُمَّ تَمَثَّلُهُ . وَسَاوِرِدُ هُنَا مِثَالًا  
وَاحِدًا لِيَكُونَ قُدْوَةً لِلْمُتَعَلِّمِ (فَأَقُولُ) : قَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ  
شِعْرِ أَبِي تَمَّارٍ فِي وَصْفِ قَصِيدَةٍ لَهُ :

وَحَدَاهُ تَمْلَأُ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً وَبَلَاغَةً وَتُذِرُ كُلَّ وَرِيدٍ  
قَوْلُهُ (تَمْلَأُ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً) مِنَ الْكَلَامِ الْحَسَنِ وَهُوَ أَحْسَنُ  
مَا فِي الْبَيْتِ فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْتِزِعَ هَذَا الْفَعْلَ فَلَا بُدَّ مِنْ اسْتِعْمَالِ  
لَفْظِهِ بِمَعْنَى لِأَنَّهُ فِي الْغَايَةِ الْقُصْوَى مِنَ الْقَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ . فَعَلَيْكَ  
أَنْ تُوَاجِهُهُ بِمِثْلِهِ وَهَذَا عَسِرٌ جِدًّا وَهُوَ أَضْعَفُ مِثَالًا مِنْ نَثْرِ الشَّعْرِ  
بِغَيْرِ لَفْظِهِ لِأَنَّهُ مَسْلُوكٌ ضَبْتُ لَّا فِيهِ مِنَ التَّعَرُّضِ لِمِثَالِهِ مَا هُوَ فِي  
غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْجُودَةِ . وَأَمَّا نَثْرُ الشَّعْرِ بِغَيْرِ لَفْظِهِ فَذَلِكَ يَتَصَرَّفُ  
فِيهِ نَازِعُهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَرَاهُ وَلَا يَكُونُ مُقَيَّدًا فِيهِ بِمِثَالٍ يُضْطَرُّ إِلَى  
مُؤَاخَاةٍ . وَقَدْ نَثَرْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا وَأَقَيْتُ بِهَا فِي  
جَمَلَةِ كِتَابِ قُلْتُ : وَكَلَامِي قَدْ عُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ وَأَشْهَرَ . وَفَلَقَ  
مَسِيرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ . وَإِذَا عُرِفَ الْكَلَامُ صَارَتْ الْمَعْرِفَةُ لَهُ  
عَلَامَةً . وَأَمِنْ مَنْ سَرَقَهُ إِذْ لَوْ سَرَقَ لَدَلَّتْ عَلَيْهِ الْوَسَامَةُ . وَمِنْ  
خَصَائِصِ بَيَانِهِ أَنْ يَمْلَأَ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً . وَيَجْعَلَ فَصَاحَةً كُلِّ لِسَانٍ  
عُجْمَةً . وَإِذَا جَرَتْ نَفَقَاتُهُ فِي الْأَفْهَامِ قَالَتْ : أَهْذِهِ بِنْتُ فِكْرَةٍ  
أَمْ بِنْتُ كَرَمَةٍ . فَانْظُرْ كَيْفَ فَعَلْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِنِّي لَأَا  
أَخَذْتُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ مِنَ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ التَّرَدَّتْ بِأَنْ أُوَاجِهُهَا  
بِمَا هُوَ مِثَالُهَا أَوْ أَحْسَنُ مِنْهَا فَجِئْتُ بِهَذَا الْفَصْلِ كَمَا تَرَاهُ . وَكَذَلِكَ  
يَتَّبَعِي أَنْ يُفْعَلَ فِيمَا هَذَا سَبِيلُهُ . (وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ) وَهُوَ أَعْلَى  
مِنَ الْقِسْمَيْنِ الْأَوَّيْنِ فَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ الْفَعْلُ فَيَصَاحُ بِالْفَاعِلِ غَيْرِ  
الْفَاعِلِ . وَتَمَّ يَتَبَيَّنُ حَذَقُ الصَّانِعِ فِي صِيَاغَتِهِ وَيُعْلَمُ مِقْدَارُ تَصَرُّفِهِ



فِي صِنَاعَتِهِ فَإِنْ اسْتَطَاعَ الزِّيَادَةَ عَلَى الْمَغْنَى فَتِلْكَ الدَّرَجَةُ الْعَالِيَةُ  
وَأَلَّا أَحْسَنَ التَّصَرُّفِ وَاتَّقَنَ التَّأْلِيفَ لِيَكُونَ أَوَّلَى بِذَلِكَ الْمَغْنَى  
مِنْ صَاحِبِهِ الْأَوَّلِ . وَأَعْلَمَ أَنَّ مِنْ آيَاتِ الشِّعْرِ مَا يَبْسُغُ الْجَمَالَ  
لِنَازِلِهِ فَيُورِدُهُ بِضُرُوبٍ مِنَ الْعِبَارَاتِ . وَذَلِكَ عِنْدِي شَيْءٌ بِالْمَسَائِلِ  
السَّيِّئَةِ فِي الْحِسَابِ الَّتِي يُجَابُ عَنْهَا بِعِدَّةِ أَجْوَبَةٍ . وَمِنْ الْآيَاتِ مَا  
يَضِيقُ فِيهِ الْجَمَالَ حَتَّى يَكَادَ الْمَاهِرُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَنْ لَا يَخْرُجَ  
عَنْ ذَلِكَ اللَّفْظِ وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا لِعَدَمِ التَّنْظِيرِ . . . . . وَإِذَا انْتَهَى بِنَا  
الْكَلَامِ إِلَى هَاهُنَا فِي التَّنْبِيهِ عَلَى نَثْرِ الشِّعْرِ وَكَيْفِيَةِ نَثَرِهِ وَذِكْرِ  
مَا يَسْهُلُ مِنْهُ وَمَا يَعْسُرُ . فَلْتَنَبِّهْ ذَلِكَ بِقَوْلِ كُلِّي فِي هَذَا الْبَابِ  
فَقَوْلُ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا أَوْ كَانَ عِنْدَهُ طَبْعٌ مُجِيبٌ  
فَعَلَيْهِ بِحِفْظِ الدَّوَائِينَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَلَا يَتَمَنَّعُ بِالْقَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ .  
ثُمَّ يَأْخُذُ فِي نَثْرِ الشِّعْرِ مِنْ مَحْفُوظَاتِهِ . وَطَرِيقُهُ أَنْ يَبْتَدِئَ فَيَأْخُذَ  
قَصِيدًا مِنْ الْقَصَائِدِ فَيَنْثُرُهُ بَيْنًا بَيْنًا عَلَى التَّوَالِي . وَلَا يَسْتَنْكِفُ فِي  
الْإِبْتِدَاءِ أَنْ يَنْثُرَ الشِّعْرَ بِالْقَافِ أَوْ بِأَكْثَرِهَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ إِلَّا  
ذَلِكَ وَإِذَا مَرَّتْ نَفْسُهُ وَتَدَبَّرَ خَاطِرُهُ ارْتَفَعَ عَنْ هَذِهِ الدَّرَجَةِ  
وَصَارَ يَأْخُذُ الْمَغْنَى وَيَكْسُوهُ بِعِبَارَةٍ مِنْ عِنْدِهِ . ثُمَّ يَرْهَقُ عَنْ ذَلِكَ  
فَيَكْسُوهُ ضَرْبًا مِنَ الْعِبَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ وَحِينَئِذٍ يَخْضُلُ لِمَخَاطَرِهِ بِمُبَاشَرَةٍ  
الْمَعَانِي لِإِقْحَاقِ قَيْسَتَيْهِ مِنْهَا مَعَانِي غَيْرَ تِلْكَ الْمَعَانِي وَسَيِّئُهُ أَنْ  
يَكْثُرَ الْأَدْمَانُ لَيْلًا وَنَهَارًا وَلَا يَزَالَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً حَتَّى يَصِيرَ  
لَهُ مَلَكَةٌ . فَإِذَا كَتَبَ كِتَابًا أَوْ خَطَبَ خُطْبَةً تَدَقَّقْتَ الْمَعَانِي فِي

أَفْنَا، كَلَامِهِ وَجَاءَتْ الْقَائِلَةُ مَسْئُولَةً مَسْئُولَةً وَكَانَ عَلَيْهَا حِدَّةٌ  
حَتَّى تَكَادَ تَرْقُصُ رَقْصًا. وَهَذَا شَيْءٌ خَدَرْتُ بِالتَّجَرُّبَةِ وَلَا يُبْنِيكَ وَمِثْلُ  
خَيْرِ

م بِعَوْنِهِ تَعَالَى



# فهرس

## المقالات

وجه	وجه
١٨ البحث السابع في المحافظة	٣ توطئة
٢٠ البحث الثامن في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان	٣ البحث الاول في حد علم الادب
٣٤ البحث التاسع في المطالعة	٣ البحث الثاني في تقسيم الادب وانواع العلوم الادبية
٣٥ البحث العاشر في الاتياض والممارسة	٥ البحث الثالث في موضوع علم الادب واركائه
٣٦ البحث الحادي عشر في طرائق مختلفة من الممارسة والتسريس	٥ البحث الرابع في سرف الادب ومنافعه
٣٨ من المعارف	٧ فصل في قوى العقل العريزية
٣٨ البحث الاول في صفة الكتاب الطاهرة	٩ البحث الاول في العقل ومترفيه واصل نسبه وتقسيمه
٣٩ البحث الثاني في ادوات علم الكتابة	٩ البحث الثاني في تقسيم العقل الى غريزي ومكتسب
٣٩ البحث الثالث فيا يجب على الكتاب معرفته	١٠ البحث الثالث في العقل الغريزي وتعريفه
٣٧ الجزء الاول في علم الانشاء	١١ البحث الرابع في العقل المكتسب
٣٧ بحث في تعريف الانشاء	١٦ البحث الخامس في التصور والتمثل
٣٩ الفصل الاول في نقصاحة	١٧ البحث السادس الخيال والخيالي

وجه

البحث الخامس في الترجيح بين

٧٩

المعاني

البحث السادس في الفصل

٨٢

والوصل

البحث السابع في تأكيد الكلام

٨٧

وقصره وتزيره بان واغا

البحث الثامن في التقديم والتأخير

٩٠

البحث التاسع في الحذف والاضمار

٩٦

البحث العاشر في جوامع الكلام

٧٩

البحث الحادي عشر في الانسياب

١٠٢

البحث الثاني عشر في القول في

١٠٣

النظم

الفصل الرابع في البيان

١٠٥

البحث الاول في تحديد البيان على

١٠٥

وجه الاجمال

البحث الثاني في تعريف علم

١٠٦

البيان

البحث الثالث في الحقيقة والمجاز

١٠٨

البحث الرابع في الاستعارة

١١٣

البحث الخامس فيما تدخله الاستعارة

١١٧

وما لا تدخله

البحث السادس في اقسام

١١٧

الاستعارة

وجه

البحث الاول في تحديد الفصاحة

٣٩

البحث الثاني في الفرق بين الفصاحة

٣٩

والبلغة وموضوعها

٤٢

البحث الثالث في حقيقة الفصاحة

٤٦

البحث الرابع في احكام الفصاحة

٤٦

وتروطها

٥٢

البحث الخامس في الالفاظ المترادفة

٥٢

والاسماء المشتركة

٥٤

البحث السادس في فصاحة المفرد

٥٤

وفصاحه المركب

٥٩

الفصل الثاني في البلغة

٥٩

البحث الاول في الابانة عن حد

٥٩

البلغة

٦١

البحث الثاني اقوال في تحديد

٦١

البلغة

٦٥

البحث الثالث في اوصاف البلاغات

٦٥

على السنة اقوام من اهل البلاغة

٦٨

الفصل الثالث في المعاني

٦٨

البحث الاول في حقيقة المعاني

٧٠

البحث الثاني في صحة المعاني

٧٢

البحث الثالث في انواع المعاني

٧٤

البحث الرابع في الحكم على المعاني

وجه

البحث الحادي والعشرون في  
المذهب الكلاسي ١٨٤

الفصل الخامس في محاسن الانشاء  
ومعانيه ١٨٧

البحث الاول في تمييز الكلام جيد  
من رديته ونادره من بارده ١٨٧

البحث الثاني في التنبيه على خطأ  
المعاني وصوابها ١٩٥

البحث الثالث في كيفية نظم الكلام  
وما ينبغي استعماله في تأليفه ٢١٠

البحث الرابع في خواص الكلام  
الحر ٢١٣

البحث الخامس في تهذيب الكلام  
وتنقيحه ٢١٥

البحث السادس في شروط  
الكلام ٢١٩

البحث السابع في عيوب الكلام ٢٢٥

البحث الثامن في الالتباس والاسباب  
المانعة من فهم المعاني ٢٢٨

البحث التاسع في المعاطلة ٢٣٦

البحث العاشر في المنافرة بين  
الالفاظ في السبك ٢٤٣

الفصل السادس في وجوه

وجه

البحث السابع في جيد الاستمارة  
ورديتها ومتوسطها ١٢٢

البحث الثامن في ما جاء من  
الاستعارات في كلام العرب ١٢٥

البحث التاسع في مراعاة النظر ١٣١

البحث العاشر في المجاز المرسل ١٣٤

البحث الحادي عشر في القول عن  
الكتابة ١٣٩

البحث الثاني عشر في التعريض ١٤٢

البحث الثالث عشر في ما ورد من  
الكتابات عن العرب ١٤٤

البحث الرابع عشر في المبالغة ١٤٩

البحث الخامس عشر في التكرير ١٥٦

البحث السادس عشر في حقيقة  
التشبيه وتحديد ١٦٤

البحث السابع عشر في اركان  
التشبيه ومحاسنه وفوائده ١٦٦

البحث الثامن عشر في اقسام  
التشبيه ١٧٠

البحث التاسع عشر في التنايه  
للمستعملة عند العرب ١٢٦

البحث العشرون في معايير  
التشبيه ١٨١

وجه

٢٩٥

الفاخوري

البحث السادس في المطابقة ٣١٢

البحث السابع في حقيقة التجنيس ٣١٧

البحث الثامن في ذكر انواع

التجنيس ٣٢٠

الفصل الثامن في فنون الاشياء ٣٢٦

البحث الاول في المثل وشرفه ٣٢٦

البحث الثاني في آداب المثل

وشروطه ٣٢٩

البحث الثالث في آداب المحادثة

والرواية ٣٣٢

البحث الرابع في حقيقة التاريخ

وموضوعه ٣٣٤

البحث الخامس في شرف التاريخ ٣٣٦

البحث السادس في شروط التاريخ ٣٤١

البحث السابع في اصول العشرة التي

يعتمدها الكاتب في المكاتبات ٣٤٣

الفصل التاسع في حل الشعر

والاحتذاء ٣٤٩

البحث الاول في حسن الاخذ ٣٤٩

البحث الثاني في قبح الاخذ ٣٦٣

البحث الثالث في حل الشعر ٣٦٧

وجه

٢٤٧

الكلام

البحث الاول في وجوه البلاغة

وطبقات الكلام ٢٤٧

البحث الثاني في بيان المطبوع من

الكلام والممنوع ٢٥٤

البحث الثالث في السجع وانواعه ٢٥٨

البحث الرابع في اقسام السجع

وضروبه ٢٦١

البحث الخامس في اليجاز ٢٦٥

البحث السادس في المساواة ٢٧٣

البحث السابع في الاطناب ٢٧٥

البحث الثامن في مواقع الاطناب ٢٧٩

الفصل السابع في البديع ٢٨٢

البحث الاول في حقيقة علم البديع ٢٨٧

البحث الثاني في ان البديع احد

علوم الادب الستة ٢٨٩

البحث الثالث في نسبة علم البديع

الى علمي المعاني والبيان ٢٩٠

البحث الرابع في اقسام البديع ٢٩٢

البحث الخامس في تاريخ علم البديع

وفي اصحاب البديعيات ٢٩٣

بديعية الحوري الفاضل ارمانوس